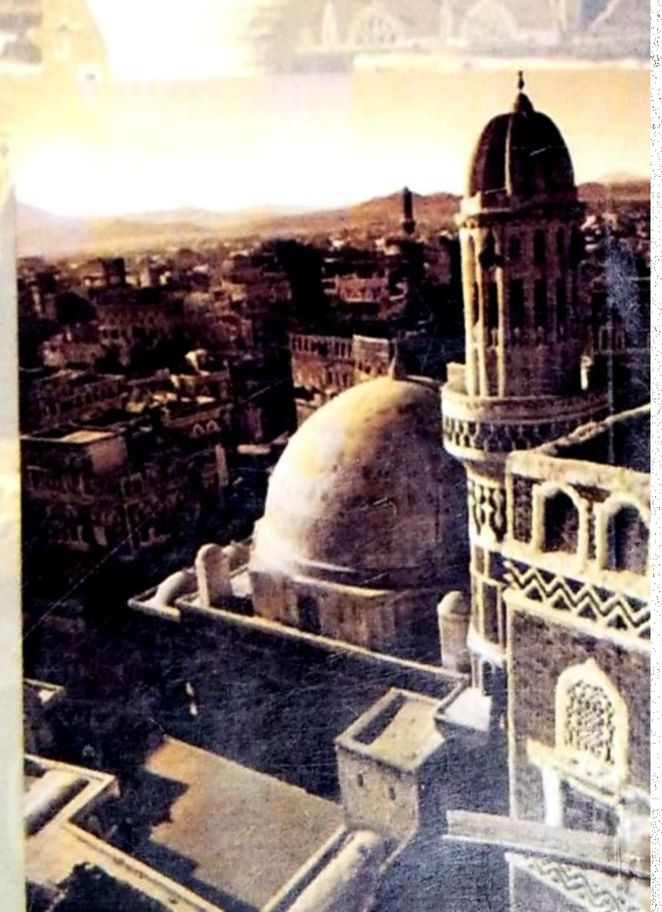
الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة

١٣٣٧/١٩١٨ - ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م

سيرة الإمام
يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة



تأليف

المؤرخ العلامة القاضي

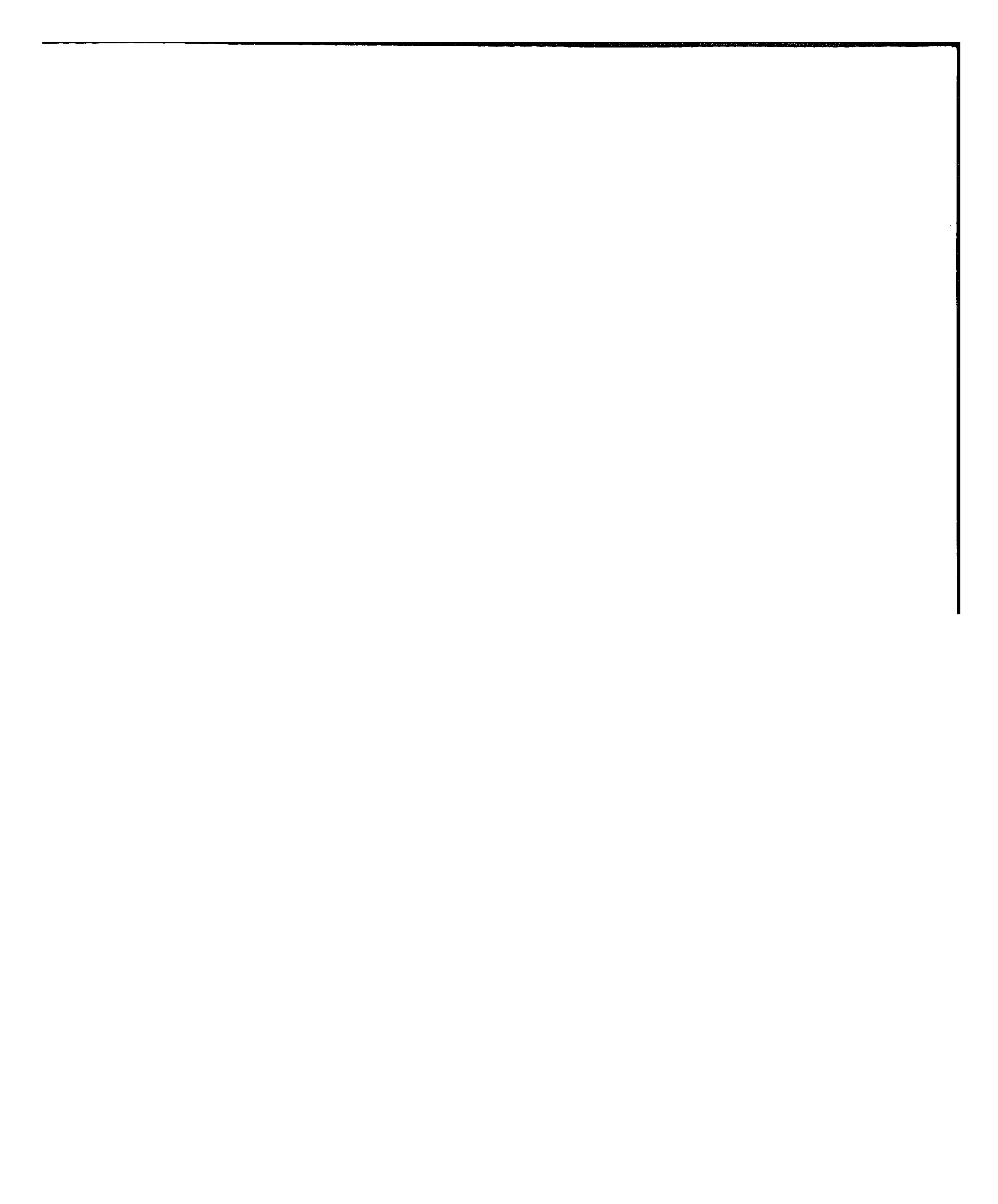
عبد الكريم بن أحمد مطهر

ت ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية

جامعة اليرموك



سيرة الإمام

يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

****

رقم التصنيف : ٩٢ر٢١٠
المؤلف ومن هو في حكمه : عبد الكريم بن أحمد مطهر
دراسة وتحقيق د. محمد عيسى صالحية
عنوان الكتاب : سيرة الامام يحيى بن محمد حميد الدين
: المسماه كتيبة الحكمة من سيرة امام الامة
الموضوع الرئيسي : ١ـ الديانات
٢ـ العلماء المسلمون ـ تراجم
رقم الإيداع : (١٥٦٨/١٠/١٩٩٧)
بيانات النشر : عمان: دار البشير
• تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر(١٥٦٨/١٠/١٩٩٧)



مركز جوهرة القدس التجاري ـ العبدلي ـ هاتف : ٦٥٩٨٩١/٦٥٩٨٩٢ ـ فاكس : ٦٥٩٨٩٣
تلكس : ٢٣٧٠٨ بشير ـ ص.ب : ١٨٢٠٧٧ / ١٨٣٩٨٢ ـ عمان ١١١١٨ الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali - Tel: 659891 / 659892 - Fax: (659893)
Tlx. (23708) Bashir - P.O.Box. (182077) -(183982) - Amman 11118 Jordan

الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة
١٣٣٧/١٩١٨ - ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م

سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة

تأليف
المؤرخ العلامة
عبد الكريم بن أحمد مطهر
ت ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية
جامعة اليرموك

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روحِ مَنْ يعيشُ في ضمير شعبِهِ

الإمامُ المنَصورُ بالله، محمدُ بنُ يحيَى حميدُ الدينِ

وإلى روحِ ولدِهِ الشهيدِ الإمامِ يَحْيَى

وإلى أرواحِ رُفقاءِ الدَّربِ الطَويلِ، من المجاهدينَ

الأبرارِ الذين كتبوا بدمَائِهم الزكيةِ

تارَيخَ اليمنِ الحديثِ.

هُمُ الشعلةُ المتَقدةُ التي أنارَتِ الطريقَ

وأهدتْ إلى سواءِ السبيل.

الخالدون في جناتِ الخُلْدِ.

مقـــدمة

يقـولُ العزيـزُ القـديرُ ﴿ وكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ منْ أنبـاءِ الـرُّسُلِ مانُثَبِتُ بـه فؤادَكَ، وجاءَكَ في هذه الحقُّ ومَوْعِظَـةٌ وذكرى للمؤمنينّ﴾ هود: ١٢٠. والقرآن الكريم زاخـرٌ بقصصِ الأولينَ عبرةً وعِظةً، وصقـلاً للعقولِ والبصـائرِ، وذكرى للمؤمنين.

نُسطِّرُ هذا التقـديمَ بآيةٍ كريمةٍ مـؤكدينَ التزامَ الحقائقِ الموضوعيـةِ بتوجيهِ الخطابِ للعقـولِ لا الأهواءِ، مشفوعاً بحقـائق ساطعةٍ ضـاقَ بها زخمُ الإدعاء والترويج. إنه مَـن يَملكُ أدنى بصيرةٍ يَفهمُ أنَّ للحقِّ والعدلِ صـورةً، واحدةٍ، وأنَّ للبـاَطلِ والجورِ صَـوراً كثيرةً ولـذا سَهُلَ اقترافُ البـاطِلِ والجورِ وتبريـرُه، وصَعُبَ تحري الحقِّ والعـدلِ وتزكيتـهِ، ومـا ذاك إلا كالـرمـايةِ والخطأ فيهـا، فإنَّ إَصابـةَ الهدف تَحتاجُ إلى جهدٍ وتحقيقٍ، ونقَيضَها لايحتـاجُ إلى شئيٍ من ذلك لقد كـان يقينُ الإمام يحيى بأنـه على هُـدى بَيّن وصراطٍ مستقيم فـوقَ إيمانِهِ، وكـانَ صبرُه على عنتِ الولاية باليمن فوقَ يقينِهِ، ولذا تمكّنَ مِن انتزاعِ النصرِ من رحمِ الهزيمةِ صبرَ وصابرَ ورابَطَ وأتقى الله إن اسلاميـة اللإمام الشهيد يحيى بن حميد الدين كـانت تجسيد حي بأنه على نهج قـويم كما كان عليه جدُّه أبـو الشهداء، أميرُ المؤمنين، علي بن أبي طـالب، كَـرَّمَ اللهُ وجهَـهُ، الـذي قُتِلَ بضربـة بسيفِ أشقى العباد وكان القاتل زاهداً متعبداً.

إنَّ إسـلاميةَ الإمـام يحيى لاتخرجُ عن نسبةِ جـدِّهِ، أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، للإسلام حيث قال: الإسلامُ هو التسليمُ، والتسليمُ هو اليقين واليقينُ هو التصديقُ، والتصديقُ هـو الإقرارُ، والإقرارُ هو الأداءُ، والأداءُ هو العملُ.

لقـد عمل الإمـامُ يحيى بـاليمـنِ نصفِ قـرنٍ في يقينٍ، ينقطعُ معـه الشكُّ، وبصبرِ أولي العَـزْمِ خدمـةً للدينِ، الـذي هـو أسمى مراتَبِ الإدراكِ الإنسـاني

لمعاني الحياةِ في اعتدالٍ ووسطيةٍ لاتُقرُّ التعصَبَ ولا التزمُتَ، وبذلَ حياتَه في خدمةِ المصالحِ العامةِ، ووضعَ الأُسسَ السياسية والإداريةَ والاقتصاديةَ والإجتماعيةَ لبناءِ يمنٍ حديثٍ مستقل متطورٍ، مُوحّدٍ، تقدمي، شوري (ديمقراطي)، يمنٍ إسلاميّ العقيدةِ، عربيّ الانتماءِ، قوميّ التطلعات، إنسانيّ الوجدانِ، له خصوصياتُه في مكارمِ الأخلاقِ ومحمود الخصالِ، وخطوة الإمام يحيى بعقدِ صلحِ دَعّان سنة١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م، هي تعبيرُ عن البُعد الديني والتاريخي للإمام يحيى، والخصوصيةُ اليمنيةُ، ولم يكنْ استجابةً لدعوة الكواكبي وزملائه مِن روّادِ الإصلاحِ، ووثائقُ المؤتمرِ العربي الذي عُقِد في باريس في السنةِ نفْسِها، والتي كانتْ في مجملها تطالبُ بالحكم اللامركزي دونَ إعلانَ الإنفصال عن الخلافةِ العثمانيةِ. والتي لم تكن حافزاً الامام لعقده لقد وضعَ الإمامُ يحيى بصلح دَعّان اللبنات الأولى للاستقلالِ الشاملِ ولكنْ على مراحل. داعياً للعودةِ إلى الينابيعِ الصافيةِ للأصولِ الإسلامية. وهنا تجلت إسلاميةُ الإمامِ يحيى، ووسطيتُهُ الدينيةِ وشجاعتُه السياسيةِ في نزاهةٍ وصلابةٍ ومقدرةٍ فذة على الصمودِ تجاهَ المواقفِ الصعبةِ والتي كان يحَسبُها البعضُ مستحيلةَ التحقيقِ والمنالِ، وبإسلاميتهِ ويقينِهِ ومثابرتهِ أضفى شعوراً جماعياً بوحدةِ الإنتماءِ إلى مدرستين إسلاميتين،زيديةٍ وشافعيةٍ في اليمن، ألّفَتْ جهودَ أبنائِه بقيادته وصاغتْ طاقاتِهم في مرحلة نضاليةٍ حفاظاً على كينونةِ اليمن ومستقبلِه ملتزماً بمبادىء وأهداف هي في مجملِها مرضاة رب العالمين، وخدمة للمسلمين وصيانة الشرعَ القويمَ من الابتذالِ، وغدتَ كلمةُ اللهِ هي العليا، فكانت الدولةُ الإسلاميةُ اليمنيةُ التي شادَ أركانَها، حاضنةً للإسلام بمبادىء ساميةٍ قوامها الحكمُ بكتاب اللهِ وسنةِ نبيهِ،صلى الله عليه وآلِه وسلم، مزهقاً لحكمِ الطاغوتِ الذي استشرى ضررُهُ، فأراحَ الحقَّ على أهلِ دولتِه وأقرَّ الرؤوس على كواهِلِها، وأنفذَ شَرْعَ اللهَ، وأنهضَ شوكةَ الدينِ، وأظفرَ الله جهادَه وامته في زمنٍ تكالبَتْ فيه قوى الشرِّ على الأمةِ الإسلاميةِ تجزأةً وتقطيعاً، ماكان للإمام

يحيى من وقيذ همةٍ سوى النأي بـاليمنِ عنَ مطالع الإفرنج والحفاظِ عليهـا كياناً واحداً مستقـلاً. و إذْ حلتْ الكارثةُ بـالدولـةُ العلّية، وأجبرتْ القوى الإفـرَنجيةُ العسـاكرَ التركيـةَ على الاستسلام والإخـلاءِ، كان لـلإمام يحيى عينٌ على اليـوم، وعينٌ علي الغـدِ، فبنى الجيشَ المنظمَ، ورتبَ لـه المدارسَ والمكـاتبَ الحربيـة، وأوجدَ له مصـانع الأسلحةِ، صنع اليمانيون البنادقَ والذخـائر والزاناتِ وأعيرة الرصاصِ، ومن المدافع صنعوا الثقيلـةَ والهاونَ وعادي الجبلِ، بأيدٍ يمنية تصنعُ، وثقف أبناءُ اليمن التـدريبَ، وفنونـه من خبراء نجح في استمالتهم نحو عـدالةِ قضيةِ بلدهِ وأمته.

كـان الإمـامُ يحيى يعملُ وبكلِّ حميـةٍ لاستردادِ المُحْتَلِ من الـوطنِ، لايقف على الأرجـوحةِ بين قطبي اليأسِ والأملِ، وإنما مع الحق يطلبُ ضـالّتَه، فَحـرَّر أَجـزاءَ من الـوطنِ المحتلِ. كتب سكـود المعتمـد البريطاني في عـدن إلى وزيـر المستعمـرات البريطـاني يقــول: إن الإمـام يـرغب بـالحصـول على كل شيء، ولايتنازل عن أي شيء ، وحين ضَربت بريطانيا بـالبوارج الحربيةموانىء اليمنِ ومدنَها أيقنَ بأنَّ الفجرَ باتَ قريباً..

ثم كـان مطلبُه التـالي، وحـدةَ أبناءِ الـوطنِ تَالفاً وعـدالةً وعمـلاً لتحقيقِ السلم الإجتماعي، فعند الإمـام: إن أعـظم قـوةٍ للإسلام هي الاتفـاقُ والتعاون ووحدة أبنـاء الكلمة سنون طَـوالٍ مَرتْ والـروح الجماعية على اليمنِ، والبعضُ يستلب اليمن خدمةً لمصالحه، ارتضع البعضُ من حليبِها اللقاحَ، فكيف يألفُ المساواةَ والعـدلَ كبقيةِ عبادِ اللهِ، ففـارقَ وتَمردَ وطغى، فما كان إلا السيفُ دواءً، وفُـرِض الأمنُ والاستقـرارُ وعَمَّ السـلامُ رُبـوعَ الـوطَنِ، أَمنَ المسـافـرُ واطمأنَّ التاجرُ، ومـا الأمنُ والأستقرارُ إلا مواطن عدالـةٍ، فكانت الرعايـةُ بأيسرِ أسبابِ الخدمـةِ، مشاكلُ الـرعيـة لا تحلُّ إلا بطـريقةٍ شرعيـةٍ مـدنية عصريـةٍ، فكـانت اختيارات الإمـام يحيى ترسمُ للحكام والعمالِ والقضـاةِ منهجَ العدالـةِ القويمِ، اجتهـدَ دونَ الانغلاقِ على مـذهبٍ واحدٍ، ودون حبس فكـرة في رؤيةٍ واحـدةٍ، وإنما في إطـار شموليـةِ الإسـلام كأطـارٍ كاملٍ للإجـتماعِ والسيـاسـةِ، مذهبُـهُ

الراجحُ، التيسيرُ على عباد الله ورعايةُ مصالحِهِم.

كـانتِ الشورى قـاعدةَ حكمِـه، ما اتخذ قـراراً إلا بمشاورَة سـاداتِ وعلماءِ وعقـال وأعيـان وفقهـاءِ أهل اليمنِ، وكـلُّ ذلك صـدعـاً لأمـر اللـه ونـواهيـه ﴿وشـاورهم في الأمـر﴾. كثيرة هي الأحـداثُ والتكـالبـاتُ والمؤامـراتُ والإرجافـاتُ التي حاقتْ باليمنِ، ومـا خابَ مَنْ استشارَ، فشوريـة الإمام يحيى أوصلتِ اليمنَ لبرِ النجاةِ.

وكما وصل الشـورى إلى حكم اليمن بعد والـده المنصور بـالله محمـد، فقد التـزمهـا عبر جميع مـراحل نضـاله في سبيـل التحريـر والتـوحيـد، ثم جهـوده المتواصلة في تثبيت الاستقـلال وتكوين اليمن الحديث، خاضعـاً مخبتاً لحاكمية الله عزوجل، ملتزمـاً بالقرآن الكريم دستورنا وبالسنـة النبوية الشريفة والإجماع والقيـاس تعـاليماً وأنظمـة وقـوانين في وسطيـة العـالم المجتهـد والأمـام المحقق لاصول الدين وفروعه.

لقد كـان الأمامُ يحيى، رحمةُ اللـهِ عليهِ، يعلمُ أينَ مـوطنَ أقدامِـهِ في الكونِ والحيـاةِ، فنبَّـه إلى وقوعِ الحربِ العـالميـةِ الأولى قبل وقـوعها بسنـوات، وعـرفَ أخطارَ وعـدَ بلفور وما فيه من نكبـاتٍ، وسعىَ لنسجِ علاقاتٍ مع اليابـان وديةٍ وتجاريةٍ، فقـد أوصى ولدَه الحسين بـرسالة بعثهـا إليه يقـول الامام يحيى لـولده الحسين «وإننا نؤمل أن تكونَ هذه الزيـارةُ فاتحةً للمناسباتِ وتنظيم العلاقاتِ الوديةِ والتجاريةِ بين مملكتنا والأمبراطوريةِ العظيمةِ الشرقيةِ» كان هدفُه التطويرَ والتَنميةَ الشَاملة بمعاييرها العادلِة الثابتةِ.

وعبَّرَ الإمامُ يحيى عن نفسِـه من خلال هذه المبادئى والأهداف، وأقـام كياناً مستقـلاً يحكمُهُ إمـامٌ مجتهـدٌ، معبرٌ عن تَيارِعصرهِ، ملتـزمٌ بموروثـاتـهِ الروحيـةِ والخلقيةِ، في زمـن تكالبت فيـه قوى الشر على الأمـة الإسلاميـة تجزئة وتقطيعا. بـريطـانيـا أمسكت بخنـاق مصر والعـراق وفلسطين والأردن وجنـوب اليمن

وبعض أجزاء الجزيرة، وفرنسا أنشبت أظافرها في سوريا ولبنان والجزائر وتونس وإيطاليا عدت على ليبيا لتجعلها بقية متممة للدولة الإيطالية وبالرغم من كل ذلك قال عنه حساده وخصومه بأنه عزل اليمن وأخرها عن التطور، ومن البديهيات أن أصحاب هذه المقولات وغيرها كانوا يريدون لليمن ما كانت عليه الأقطار العربية. وأن يكونوا هم حكام اليمن.

كما قالوا أن الإمام يحيى رحمه الله أغلق اليمن لتجهيلها ونسوا أين تعلموا وأهم منه أن ذلك ينافي التزامه الديني وأدائه الوطني، ولمزيد من الإجابة على هذه الدعاوى، يجدها القاري فيما كتب عن الإمام يحيى رحمه الله آخرها مقال للمفكر الأديب العالم المؤرخ الأستاذ عبد الله البر دوني في جريدة صوت الأمة الأسبوعية العدد الخامس عشر السنة السادسة بتأريخ٢٦ ربيع الأول ١٤١٨ الموافق ١/ ٨/ ١٩٩٧م الصادرة في صنعاء، وغيرها من الجرائد والكتب منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب اليمن والحضارة للقاضي العلامة عبد الله الشماحي رحمه الله(الطبعة الأولى) وغير ذلك مما كتب في العهد الجمهوري.

إننا هنا لسنا بصدد الدفاع عن الإمام يحيى رحمه الله أو تمجيده بقدر ما يهمنا رصد جهوده مع الأخيار من أبناء اليمن، لبناء يمن مستقل، موحد، مستقر، متطور، يحكمه الكتاب الكريم والسنة الشريفة. نقوم برصد وتحليل وتحقيق ودراسة بمنظور موضوعي مجرد من العاطفة أو الجهل المركب آفتي الرأي السديد والقول المصيب. ولسان الحال قول الشاعر.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

إن الذين لا يلبسون الحق بالباطل يدركون أنه ما كان للإمام يحيى رحمه الله من اهتمام بالغ صارم متجدد سوى النأي باليمن عن مطامع الفرنجة والحفاظ على هويتها العربية الإسلامية في كيان واحد مستقل، موحد مستقر ملتزما بموروثاته الروحية وخصوصيات شعبه اليمني المسلم، مواكبا لحركة التأريخ

نحو تطور مرحلي تعاوني شامل.

وحين وضعت المسألة الشرقية موضـع التنفيذ وعمل البعض لطرد الأتراك . كان الإمام يحيى رحمه الله السابق في الوفـاء بعهوده التي أقرها صلح دعان سنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م بينه وبين الأتراك حميته الهاشميـة وأنفته العربية المنبثقة من عقيدته الإسـلامية، أبت إلا الوفاء، فما نكث عهداً، ولا ابـرأ ذمته، ولا نفض يده مما أبرم.

ومن هنـا يمكنُ القـول، إن أبَـرزقيمِ جهـادِ الإمـام يحيى الحقيقيـة تكَمنُ في يقينِـهِ وصبرِهِ وإنـه عاصرَ وعـالجَ واقعَ مجتمعِـهِ وعصرِهِ، الـذي عكسَ صـدقَ إحساسِهِ وصرامـة إصرارِهِ على مبادئِهِ وأفكارِهِ، ومدرستِـهِ التي تحمَّلَ مِن أجلِها الأمـرَّيْنِ وواجـه الصعـابَ والإحن. واستكمالًا لنهجنـا في بـذلِ كنوزِ اليمنِ للباحثينَ والـدارسينَ، فقد عمـدنَا إلى نشر مخطـوطةِ [كتيبـة الحكمة] للمـؤرخِ العلامـةِ القاضي عبد الكريم بـن أحمد بن عبد الله مطهر رحمه اللـه، وهو الجزءَ الذي يتناول جانباً من سيرة الإمام يحيى المختصِ ببناءِ الدولةِ الإسلاميةِ اليمنية ١٣٣٧هـ ـ ١٣٤٢هـــ وحوى عظائمَ الأمور النازلةِ بـاليمن إبان وبعيد الحرب العا لميةِ الأولى وطلبنـا إلى الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحيـة، أستاذَ التاريخ بجامعةِ اليرمـوكِ، دراسته وتحقيقَه، وما خطـرَ ببالنا أن يكونِ لنـا عليه إملاءٌ أو تدخلٌ، فكانت له الحريةُ بنزاهةٍ وعدالـةٍ، فكان للرأي الآخرِ مكانَه في الدراسةِ، حتى غطى مساحاتٍ واسعةٍ وكثيرةً من الدراسةِ.

مـا تطلعَ الإمام يحيى إلالـربه معينـاً وللإسـلام ديناً، ولليمن وأهلِـه موطنـاً، ولأمتِه العربية والإسلامية ملاذاً وملجاً.

مـــا مقصـــدى سلمى ولا ليلى ولا هنـــد ولاأنـــا للهـــوى مُغـــرىً بـــه

كـــلاولا للعـــود أهـــوى لحنـــه | يـومـــاً ولا للـراح مشغـــوفاً بـــه
أيضـــاً ولا للمال أ طلب جمعـــه | قـد مـال عن قـارون بل أوذي بـه

لقد كـان رحمه الله مع الصفوةِ من العلماءِ والمشـايخ ذوي الشوكـةِ باليمنِ من الشـوافع والـزيـودِ، كتفاً بكتفٍ، وسـاعـداً بساعـدٍ كـان التطـورُ الـديني والسيـاسي والإجتماعي، يسنـدهـم الكفـاحُ والاصرارُ حتى تحرر اليمن، وتعمق الاستقلال في النفوس.

ما كان هـدفُنا، وما زال مقصدُنا إلاَّ جلاءَ الحقيقـةِ لأولئك الذين لم يقعدوا مقعدَ الشكرِ، ومـا دروا أن الزفّ لايوازن الحجرَ، فـلا ضيرَ أن مضى الإمام يحيى شهيـداً، حيث لقي ربِّه راضيـاً مـرضياً نسـأل الله عـزوجل أن يكـون التحاقـه بالـرفيق الأعلى مع الأنبياء والصـديقين ، والشهداء والصـالحين الذين صـدقوا ماعاهدوا الله عليه وحسن أولئك رفيقا.

إن نصفَ النـاسِ أعـداءٌ لمن　　　ولي الأحكـام، هـذا إنْ عـدَل

ولله درُّ مَنْ قال:

وليس يصح في الأذهـان شيء　　　إذا إحتـاجَ النهـارُ إلى دليل

أضرع إلى الأعلم فوق كل ذي علم أن يهدينا الصراط المستقيم.

وآخر دعوانا، أن الحمد لله رب العـالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين أولاً وآخراً، والله يهدينا صراطِهِ المستقيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد بن الحسين بن يحيى حميد الدين، رحمة الله عليهم

تصويبات مقدمة الكتاب			
السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
١٣	أ	اللإمام	الإمام
١	ج	مطالع	مطامع
١٦	ج	—	والروح الجماعية
١٧	ج	الروح الجماعية	—
٧	د	الشورى	بالشورى
١٠	د	دستورنا	دستوراً
٨	و	وإنه	إنه
٦	ز	يوازن	يوازي

الباب الأول

الإمام يحيى

النشأة والدراسة والمكانة العلمية

الفصل الأول: النشأة والدراسة

المبحث الأول: مشيخة الإمام يحيى.

المبحث الثاني: إجازات الإمام يحيى من علماء العصر.

المبحث الثالث : العلوم العقلية والنقلية التي درسها.

الفصل الثاني: مكانة الإمام يحيى العلمية.

المبحث الأول : تلاميذه وجهوده.

المبحث الثاني : إجازة الإمام يحيى لأحد علماء الأزهر الشريف الشيخ عبد المعطي السقا.

: إجازة الإمام يحيى للعلامة أحمد زكي باشا.

المبحث الثالث : اختيارات الإمام يحيى الفقهية.

المبحث الرابع : مشاركة الإمام يحيى في السياسة والحرب قبل مبايعته بالإمامة.

الباب الأول

الإمام يحيى: النشأة والدراسة والمكانة العلمية.

الفصل الأول

النشأة والدراسة

أجمع المؤرخون اليمنيون، على اختلاف مشاربهم وأهوائهم، على علوِّ مكانةِ الإمامِ يحيى العلميةِ، ونعتوه بأوصافٍ يتضّحُ منها اشتغالُ الإمام يحيى بالعلومِ طوالَ حياتِه فهو «قاموس العلوم، وتيار منطوقِها والمفهوم»[١]، وهو« الإمام للجهابذةِ المجتهدين، وخاتمةُ الأئمةِ من الحُفاظِ والمُحَدِّثين»[٢]، وفي وصفٍ ثالث: «كان عالماً ومحقِّقاً وشاعراً اشتُهِرَ بالقوةِ والشجاعة»[٣]، وقال عنه أحمدُ ابن عبدالله الجنداري إنه «عالمٌ نحرير، بلغَ درجةً عاليةً من الاجتهاد»[٤] و«قصدَتْه أجِلّةُ العلماءِ من الشامِ ومصرَ ومن الهندِ وبغداد»[٥]، ووصفه القاضي إسماعيلُ بنُ علي الأكوع بأنّه «كان علماً محققاً في علومِ العربيةِ والفقه، فروعِه وأصولِه، شاعراً أديباً»[٦]، أما صاحب نزهةِ النظر فذكرَ عن الإمام يحيى أنَّ «له الشعرَ البليغ والاختياراتِ الثاقبةَ في المعاملات[٧]».

إن هذا الاتفاقَ بين المؤرخين يدفعُنا إلى إطالةِ النظرِ في دراسةِ النشأةِ المبكِّرةِ

---

(١) العقد الثمين في شمائل أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى، ق، ٣.
(٢) فرجة الهموم، ١٩٥.
(٣) الثناء الحسن على أهل اليمن للمروني، ٢٨٦.
(٤) الدرة المنتقاة، ق، ٣.
(٥) عمدة القارىء، ق،٦.
(٦) هجر العلم ومعاقله، ١٦٩٦.
(٧) نزهة النظر، ٦٣٠.

للإمام والبيئة التي شبَّ فيها والعلوم التي تلقّاها في صغرِهِ وشيوخ العلماءِ الذين درسَ عليهم وأثرِ هؤلاءِ جميعاً في تكوين شخصيّتِهِ العلميةِ والسياسيةِ فيما بعد.

من المعروفِ أنَّ والدَه الإمامَ المنصورَ باللهِ محمدَ بنَ يحيى حميد الدين، والذي نشرْنا سيرتَه من خلالِ كتابِ الدِّر المنثور في سيرةِ الإمام المنصور، لمؤلّفه عليّ بن عبد الإرياني ماتَ ولم يعقِّب سوى ولدٍ وحيدٍ هو الإمامُ يحيى وبنتاً تدعى أمَّ هانىء، تزوَّجها عبدُ الرحمن بن حسين الشامي[1]، ولذا أوْلى الإمامُ المنصورُ ولدَه وبنتَه رعايةً متميِّزةً فقد دفع بولدِهِ وبنته إلى أجلِّ علماءِ العصرِ بعدَ أنْ أودعَهما ميازيبَ علمِهِ، فقد وُصِفَتْ ابنتُه أمُّ هانىء بأنّها:

عقيلةُ آلِ المصطفى الطُّهْرِ والتي بكلِّ الأمورِ الصالحاتِ تحلَّتِ

أمّا الإمامُ يحيى، فقد وُلِدَ بالحيمةِ في ١٥ ربيع الأول من سنةِ ١٢٨٦هـ/ يونيو ١٨٦٩م[2]. في السنة التي أنفذَ الإمامُ المتوكِّلُ على اللهِ المحسِّنَ بنَ أحمد، والدَه الإمامَ المنصورَ بعصابةٍ من قبائل أرحبَ، لدفعِ الباطنيةِ من بلاد الحيمةِ، حيث أوقعَ بقبائلِ يام الباطنية. وكانَ وزيرُ الصافيةِ والأميرُ الكبيرُ على الأجنادِ. نشأَ يحيى بنُ محمد حميد الدين بصنعاءَ، تحتَ رعايةِ والدِهِ في طلب العلم واكتساب الفضائلِ، فما أنْ بلغ السادسةَ من عمرِه، حتى دفَعَهُ إلى مشايخ العصرِ، فحفظَ القرآنَ وختمه، وظلَّ والدُه يُحبِّبُ إليهِ الاشتغالَ بالعلمِ حتى أجادَ فنونَه، فداومَ على حضورِ حلقاتِ الدرسِ في صنعاءَ وفي جبل الأهنومِ والمَدانِ وشُهارةَ.

المبحث الأول: مشيخة الإمام يحيى

- **والدُهُ الإمام المنصورُ بالله، محمد بن يحيى حميد الدين:**

درسَ عليه الفرائضَ وشرْحَ الأزهارِ وأصولَ الأحكام وبعضَ عقودِ العقيان، كما

---

(١) المرجع السابق، ٨٨.

(٢) نقل الجنداري تاريخ ولادة يحيى من خط والده الإمام المنصور بالله، انظر الدرة المنتقاة، ٢أ.

قرأ على والـدِه النحوَ والفقـهَ والحديثَ وخاصّةً الأسـانيدَ اليحيـوية في علمِ الحديثِ، وأمالي المرشدِ بالله ومجموعَ الإمام زيد وغيرهَـا من العلوم الإنسانيةِ التي أُجيزَ بها الإمام المنصور إجازةً عـامة[1]، وكان الإمـامُ المنصورُ محققاً في المعقـولِ والمنقولِ، مـدقِّقاً في الفروعِ والأصولِ، قد أحرزَ من المعارفِ العلميةِ واللطائفِ الأدبيةِ ما تقرُّ بِهِ العينُ[2].

- **شيخُ الإسلام، علي بنُ علي اليماني الصنعاني ت ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م**

وقد بلغَ رتبـةً عاليـةً من الاجتهادِ، وكـان عالماً فـاضلاً، لـه اشتغالٌ بجميع فنـونِ الفقـهِ والأصـولِ والنحـوِ والتفسيرِ، وقـد أجـازَه كثيرٌ من مشـايخِهِ، منهم القاضي محمـدُ بنُ أحمد العراسي، ورئيسُ العلماءِ أحمد بن محمـد الكبسي والسيدُ الحافظ إسماعيلُ بنُ محسن بن إسحقَ، بعـدَ هجـرتِه إلى طـرفِ الإمامِ المنصـورِ بالله محمدِ بن يحيـى وهو بالأهنوم، وأضفى عليه الإمـامُ يحيى لقب شيخ الإسلام ونصَّبه للقضاء والتصدر على عموم الحكام وقـد أخذ عنه الإمام يحيى في صنعاءَ في النحـــو، حيث درسَ عليه، حاشيةً على متممةِ الآجرومية للرعيني، لمؤلّفها عبدِالله بن أحمد الفاكهي والمعروفةِ بالفـاكهي، ومصباحَ الراغب ومفتاحَ حقائق المآرب، شرح كافيـةِ ابن الحاجب تأليف السيد محمـد بنِ عز الـدين بن صلاح والمعـروفة بحـاشيةِ السيـد، وقطـرَ الندى وبلَّ الصـدى لابن هشام الأنصـاري والايجاز والمعاني لـلإمام يحيى بن حمزة، وقـد لازم الإمام يحيى فترةً طـويلةً، حتى كان صلحُ دَعَّان سنة ١٣٢٩هــ/ ١٩١١م بينَ الإمام يحيى والأتراك، فعادَ شيخُ الإسلام علي إلى صنعاءَ، وصارَ رحلةَ الأعلام في طلب العلم.

وكان الإمامُ يحيى يعهدُ إليه حلَّ المشاكلِ والفصل في الخصوماتِ الشائكةِ، حيث كلَّفـه سنـة ١٣٤٠هــ/ ١٩٢١م بـالفصل في قضيـةِ الأمـوالِ والغيـولِ الموقوفةِ على المساجدِ والمدارسِ في لـواءِ تعز، والتي ادّعى بعضُ أهلِ تعز بعدمِ جوازِ وقفيتها، وطلبوا بردِّها إلى ملكيتهم وقد أصدرَ حكماً جازماً بوقفيتها.

---

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٤.
(٢) المصدر السابق، ٢/ ٥.

وقد كانت له شهادةُ تقريظ في عالِـمية الإمام، إذ قال:

يحيى زعيمُ المعالي مَنْ به حَيِيَتْ   مدارسُ العِلْمِ فهو الأوْحَدُ العَلَمُ[1].

- محمدُ بنُ عبدالملك بن حسين الآنسي ت ١٣١٦هـ/ ١٩٨٩م.

كان علامةً في الأدبِ، وله باعٌ طويلٌ في الفقهِ والنحوِ والمنطقِ والأصولِ، شاعراً، شرحَ الجزريةَ للقاضي زكريا، وقرأ البحرقَ، أي: شرحَ ملحمةِ الإعرابِ للحريري والحاشية على متمَّة الآجرومية للفاكهي ومصباحَ الراغبِ المعروفةَ بحاشيةِ السيد وكتابَ محمد بن أبي بكر الخبيضي في النحو المعروف بالموشح في شرح الكافية وأتقن شروحاتِ العديدِ من كتبِ المنطقِ وعلمِ الكلامِ والفقه، وكان الإمامُ يحيى قد درسَ عليه علمَ المنطقِ، فأخذَ منه في تهذيبِ علم المنطقِ للتفتازاني والمطلعَ في شرحِ إيساغوجي (المدخل في علم المنطق) لزكريا الأنصاري.

ويبدو أنَّ التلميذَ يحيى بن محمد حميد الدين كانَ محلَّ تقديرٍ مِنْ قبل شيخِهِ

فقد حرر يحيى سؤالاً نحوياً إلى شيخه وهو في بضعة عشر سنة قال فيه:

[الطويل]

أيا فاضلاً ما زالَ في العلمِ بارعاً   إماماً لديه مشكلُ النحوِ واضحُ
لقدْ سمعَ المملوكُ بيتَين فيهما   سؤالٌ لأربابِ الجَهالةِ فاضحُ
لنا إبلٌ ما روَّعَتْها الصفائحُ   ولا نَفَّرَتْها بالصياحِ الصوائحُ
إذا سمعت أضيافُنا مَنْ رعاتُها   أتَيْنَ سِرَاعاً يبْتَدِرْن الذبائحُ
فما مقتضى رفعِ الذبائحِ فيهما   ووجهُ وجوبِ النصبِ في الحالِ واضحُ
أجبْ عن سؤالِي واغتنِمْ أَجْرَ سائلٍ   له في صِفاتِ الفاضلين مدائحُ

وقد أجاب عليها شيخُه شعراً، وبيَّن فيه جوازَه بأوجهٍ ثلاث:

أولها: بالرفعِ، فاعلٌ لقولِه إذا سمعتَ أو بدل من فاعلِ الفعل قبلَه

(١) نزهة النظر، ٤٣٨-٤٤٠.

وثـالثهـا مـا قيل في رفع ضـارع من الشاهد المشهور ببيت الطوائح
بتقـديـرِ فعلٍ في إجـابـةِ سـائلٍ ولكنَّ ذا وجـهٌ بـه الضعفُ واضح
وذلـك أنَّ الفعلَ منــــــه مغيّرٌ فتقديرُ فعلٍ فيـه لا شكَّ صالح[1]

وحين بلغ الإمـامُ يحيى العشرين من العمـرِ، كـان من بينِ النبـلاءِ الأدبـاءِ، الذين شاركـوا في بعثِ المحاوراتِ الأدبيةِ واللطائفِ الفنيةِ، التي بـدأهَا شيخُه القاضي محمدُ بـنُ عبدِالملك الآنسي، فقد كانت اعترت الآدابَ والمعـارفَ كآبةُ الخمولِ بسببِ تفشي التركيةِ في الدواوين الـرسميةِ على أيدي المأمورين الأتراك آنذاك، سيّما وأنَّ ارهـاصاتِ التتريكِ بدتْ تطلُّ بـرطانتِها، فكـان من مبتكراتِ محمدِ بن عبدالملك سؤال:

أيُّهما الأفضل في أيام الربيعِ الزهرةُ أم الخضرُةُ؟

وقد قدَّمَ له: حرَّرْت سؤالاً أديباً لقصـدِ مفاكهةِ الإخوان، ورياضةِ الأذهان، ليعلمَ الجَهولُ حينَ يقفُ على الجوابِ، «أنَّ في الزوايـا خبايا وفي الرجـالِ بقايا، وأنَّ محلَّ الأديبِ قشيبٌ وغصنَ روضِه رطيب».

وقـد شاركَ في هـذه المحاورةِ الأدبيـةِ العلامـةُ أحمدُ بن عبدالله الجنـداري، والعـلامةُ أحمد رزق السيَّـاني والعـلامـةُ عبدالله بن إبـراهيم بن أحمد بن الإمـام والعلامةُ، عليُّ بن محسن بن عبد الكريـم بن إسحاقَ، والعلامةُ المؤرِّخُ محمد بن إسماعيلَ الكبسي، والقـاضي عبدالله بن علي الجيـوري والقـاضي الحسن بن علي العريض والفقيه العـلامة عبدالله بن علي عبد القادر وغيرهم كثير وكـان للإمام يحيى مشاركةٌ بين هؤلاءِ الأعلامِ، جبالِ العلم. فقال ضمنَ جوابِه:

(١) أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ٥.

[الكامل]

فأقـولُ صَحَّ الـزهـرُ أبهى منظـراً ... عنـدي من الغصـن الـرطيب وأنضرُ
جمعَ الســوادَ مـع البيـاضِ وخضرةً ... هــذا مع الـــوردِ الـــذي هـــو أحمرُ
مع صفـرةٍ تحكي القطـائفُ لـونَها ... إن زالَ أبيضُـــه أتـــانـــا الأصفـــرُ
من عصفـــرٍ أو أقحـوانٍ نـــاعم ... أو زالَ أصفـــرُه أتـــانـــا آخـــرُ
فـالـزُّهـرُ قــدْ عَمَّ الغصـونَ جميعهـاً ... ودوامُـــه متنـــاولاً لا ينكـــرُ[1]

- زيدُ بن أحمد بن عبدالله الكبسي ت ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م

عـالمٌ في الفقـهِ، وله مشـاركـةٌ في علـوم أخرى، تـولّى التـدريسَ في جـامعِ صنعاءَ، وكـانَ المليَ عن شيخِهِ محمـد عشيِّش، حين كُفَّ بصرُ شيخِه، وُصِفَ بأنّه كان «عا لماً عاملاً، ورعاً تقيـاً ناسكاً فاضلاً، حسنَ الأخلاقِ، كثيرَ الإحسانِ للفقراءِ، وقد أوردت المصـادرُ أنَّ الإمامَ يحيى قدْ أخذَ عن العـلامةِ زيدِ بن أحمد الكبسي في الآمالي ليحيى بـن الحسين بن هارون، أبو طـالـب، الحسني الهاروني، وأنّ شيخَه، حين شرعَ في إملاء ما لقيـه آلُ البيتِ، امثالُ عيسى بن زيد وعبدالله ابن الحسن والقـاسم الرسي، من الشـدائدِ والمحنِ في أثناء تـواريهم، غلَبَ على شيخـهِ البكاءُ العظيمُ حتى لم يتمكنْ من الإمـلاءِ، وتركَ التـدريس لهم في ذلك اليوم[2] وآمالي أبي طالب هيَ كتابُ تيسير المطالبِ من آمالي أبي طالب، ليحيى ابن الحسين بن هارون، في الحديث، جـاءتْ مرتبةً على أربعةٍ وستين بـاباً[3]، كما قـرأ عليـه الأسـانيد اليحيـويـة، المسماةَ بـدررِ الأحـاديث النبـويةِ بـالأسـانيـد اليحيويةِ، ليحيى بـن الحسين بن القاسم والصحيفةَ لزين العابـدين وشطراً من أصول الأحكـام في الحلالِ والحرام وما يتبعُهـا من الأحكامِ لأحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر.

---

(١) أئمة اليمن (سيرة الإمام الهادي) ١٠٠-١٠٨.

(٢) أئمة اليمن، ٢/ ٧٧، نزهة النظر، ٣٠١، هجر العلم ومعاقله، ١٧٩٥.

(٣) انظر فهرس المكتبة الغربية، ٦٩-٧١، وله كتاب (التحرير» مخطوط في المكتبة الغربية، رقم ٧٢ فقه.

- عبد الرزاق بنُ محسن بن محمد الرقيحي ت١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥.

كان عالماً ورعاً، حافظاً واعظاً، جدَّ واجتهد في طلب العلم، وكانَ كثيرَ التهجدِ والصيامِ للأيامِ البيض أي يوم الثالث عشرَ والرابعَ عشرَ والخامس عشرَ من كلِّ شهرٍ[١]، وقد لازمَ التدريسَ والوعظَ في الجامعِ الكبير بصنعاءَ، وهو من مشايخِ الإمام يحيى في الفقهِ، ويُذكر للرقيحي ولوعُه بتقييدِ الشواردِ النافعةِ والظرائفِ واللطائفِ الأدبيةِ والحوادثِ التاريخية[٢].

- محمدُ بنُ علي بن محمد الجديري ت ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م.

كان متبحراً في علم الكلام، أجازه المؤرخُ محمدُ بنُ إسماعيل الكبسي إجازةً عامةً في رجب ١٢٩٨هـ، وقد وُصِفَ بحسنِ المحاضرةِ وكمالِ المروءةِ، اعتاد على تقديمِ الطعامِ لطلبةِ العلمِ والأغرابِ والضعفاءِ والمساكين، واستجازَ منه العلامةُ أحمدُ بنُ عبدالله الجنداري، وقد أخذَ الإمامُ يحيى في علم الكلامِ[٣] عن شيخه الجديري.

- محمدُ بنُ أحمد بن محمد العراسي ت ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م.

كان إماماً في الفقهِ، متصدياً للفتوى، اشتغلَ بالتدريس في جامع صنعاءَ، وقد صنَّفَ تخريجَ أحاديثِ الثمراتِ وشرحَ شفاءَ الأمير الحسين في الحديث، وشرحَ الأزهارَ.

وله منظومتان، إحداهما مفتاح السعادةِ في حكمِ التوحيدِ، والأخرى: في الخصائصِ للسيوطي، وقد أخذَ عنه الإمامُ المتوكِّل على الله في الحديثِ، وكذا في الناظري في الفرائض[٤].

(١) سميت بالبيض لاستنارة جميعها بالقمر.
(٢) نزهة النظر، ٣٥٥، أئمة اليمن: ٤٣-٤٤، سيرة الإمام يحيى.
(٣) أئمة اليمن، ٢/ ٢٧٤، سيرة الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى.
(٤) نيل الوطر، ١/ ٣٧٩، نزهة النظر، ٥٠٢، أئمة اليمن، ٢٦٥ (سيرة الإمام المنصور بالله).

كما درسَ الإمـامُ يحيى على محمدِ بـن أحمد حُميد ت١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م في النحو واللغـةِ، وكان القاضي محمـدُ بن أحمد حُميد قـد هاجرَ إلى الإمـام المنصور محمد بن يحيى حميـد الدين، واستقـرَّ بمدينةِ حُـوث، ويبدو أنَّ الإمـام يحيى قد درسَ عليه عندما كان يدرسُ في الروضةِ[1].

- إسماعيلُ بنُ علي الريمي ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م

وقـد كـان محقِّقـاً في الفـروع وبرعَ فيـه، وشـاركَ في الحديثِ والنحـو، قَعـد للتدريـسِ في جامع صنعـاءَ، فأخذَ عنه جماعـةٌ من الطلبة في الفـروع والحديثِ والنحو، ويبدو أنَّ الإمـامَ يحيى قد درسَ عليه في البدايةِ جـانباً من تلك العلوم، ولكنّه واظبَ على استظهـارِ وتلاوةِ القرآنِ عنـدَ إسماعيلَ الريمي المذكـورِ، فقد عُرِفَ عن إسماعيلَ الريمي قيامُه بحفظِ المصاحفِ وتجويدِه فنَّ القراءات[2].

- سعَدِ بن محمـد بنِ عبدالله بن محمـد الشَّـرْقي ت ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م وولدُه محمد ت ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م

وكان سعدٌ عالماً محققاً في الفقهِ والنحوِ والمنطقِ وغيرها من العلومِ، كان من أخلصِ أعـوانِ الإمام المتـوكلِ محسنِ بنِ أحمدَ، وكذا الإمـامِ المنصورِ محمـدِ بن يحيى حميـد الدين ثم الإمـام يحيى، حيث أجازَ الإمـامَ يحيى، وقد جـاءَ في وثيقةٍ نشرَ صورتها إسماعيلُ بن علي الأكوعُ في كتابه هجرُ العلمِ ومعاقله[3]:

بسم الله الرحمن الرحيم

: ختم أمير المؤمنين

المنصور بالله رب العالمين

ولما كانت أصلابُ الـرجالِ الحميدةُ لا تلدُ إلا الحميـةَ، وأرومـاتُ المناصبِ

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٥، نزهة النظر، ٥٠٦.

(٢) نزهة النظر، ١٩٥.

(٣) هجر العلم ومعاقله، ٢٢٢١.

السعيدةُ لا ينتجُ عنها إلا السعيدُ الرشيدُ، صدَّق هذه الكلي أو كذَّبها مشاهداتُ الأفعالِ في معالي شوامخها أو محكماتِ الأقفالِ في حضيضِ رواتجها، وكاممَّنْ زانَتْه الأعمالُ الشريفةُ والعناصرُ المنيفة القاضي العلامةُ سعدُ بنُ محمد الشرقي المذحجي الكندي فإنّه من عنفوانِ شبابهِ، اشتغلَ بالعلمِ والعَمَلِ، ولازمَ أئمَّةَ الهدى في سرعةٍ أو مهلٍ، وأورَثَ ذلك من بعدِه من الخلفِ فاتّصلَ به العزُّ والشرفُ، وأستحقَّ بذلكَ الامتيازاتِ في المعاملاتِ عندَ من أنكرَ أو عرَفَ، فهو من الأئمةِ وإليهم، معولاً في جميع الأمور عليهم، ثبَّته اللهُ في أقوالِهِ وأفعالِه، وأصلحَ بحميدِ سعيهِ منْ تَعثَّرَ باثقالِهِ

كتبه شهر القعدة عام ١٣٢٠
بمحروس النواش.

والوثيقةُ تبيِّن المكانةَ العلمية التي ارتقى إليها القاضي سعد، أما ابنُه محمدٌ، فقد كانَ بارعاً في النحو والصرفِ والبيانِ والحديثِ والفقهِ، كان حاكماً على حجور وجهاتِها من أيامِ الإمامِ المنصورِ محمدِ بن يحيى حميد الدين، واستمر كذلك في عهدِ الإمام يحيى، وقد أخذَ الإمام يحيى عن القاضي محمدِ بنِ سعد خصوصاً في النحو، وذكرَهُ الإمامُ يحيى نفسُه ضِمْنَ شيوخِه وآخرين[1]، وقد أفادَ القاضي إسماعيلُ الأكوعُ بأنه قد عرفَ القاضي محمدَ بنَ سعد وقال فيه «كان على جانبٍ عظيمٍ من الزُّهد والورعِ وحسنِ الأخلاقِ[2]» ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، فقد وقفنا عندَ ما أوردَه الإمام يحيى في إجازتِه للشيخ عبد المعطي السقا أحدِ علماءِ الأزهرِ، والتي سنتناولها بالتحليل فيما بعد - حيث أوردَ أسماءَ شيوخِه، ومن بينهم عبدالله بنُ علي الحضوري ت١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ومحمدُ بن محمد جغمان المفتي ت بعد ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

(١) نزهة النظر، ٥٣١، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى) ١/ ٣٣٩.
(٢) هجر العلم ومعاقله، ٢٢٢٢.

أمـا مصـادرُ العصرِ فوقفتْ صـامتـةً إزاءَ ذلك، ونحن نميلُ إلى أنَّ الإمـامَ يحيى قد درسَ على هذين الشيخين في سني دراستـهِ الأولى، فقد ذكرَ أنَّ عبدالله ابنَ علي الحضـوري كـان جـاراً لـلإمـامِ المنصـورِ محمـد بن يحيى في صنعـاءَ، ويوصفُ بالفضلِ والورعِ والتقوى والاشتغـالِ بالعلم، ولا ندري إنْ كانَ الإمامُ يحيى قـد درسَ عليه سنـةَ ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، عندمـا وصل عبـدالله بن علي الحضوري يحملُ رسالةً من أحمد فيضي إلى قَفْلَة عِذَر لـلإمام، تلك الرسالةُ التي درسناهـا في الدرِّ المنثورِ في سيرةِ الإمـام المنصور[١]. أما محمـدُ بنُ محمد جغمان المفتي، فقد تولى التدريس بجامعِ صنعاءَ وبمسجدِ صلاحِ الدين، وكان مخلصاً في خدمتـهِ للأتـراكِ، عندمـا تولّى القضـاءَ بناحيـةِ سنحانَ، ثـم في ناحيـةِ بلادِ البُستان وحتى حين كان مفتياً في صنعاءَ، وكـان لعظيم ميلِه إلى الأتراكِ آثارُه في استفـزازِ العديـدِ من أتباعِ الإمـام يحيى ضـدَّه، وقبَلهُ الإمـامُ المنصورُ محمـد بن يحيى، حيث تـرصَّـده رجلان وحـاولا قتلـه، في عهد الإمـامِ المنصـورِ، ثم تحرَّكَ العامـةُ ضدَّه عندما وقعت صنعـاءُ تحتَ سيطرةِ الإمامِ يحيى للمـرةِ الأولى سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ثم كـان قتلُـه حين تـوجَّـه أحمد فيضي إلى شُهـارةَ. ومن الجديرِ بـالذكرِ، أنَّ الإمـامَ يحيى حوَّل لـورثتِهِ بالـدِّيةِ الشرعيةِ سنـة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م. ويبدو أنَّ الإمامَ يحيى قد درسَ عليه إبانَ تدريسهِ في جامع صنعاءَ[٢]. ومن شيوخِه أيضـاً القاضي علي بن عبدالله الإريـاني حيث درسَ عليه سننَ أبي داود وكناقدْ درسناه في الدر المنثور.

يمثِّلُ خروجُ الإمامِ يحيى من صنعاءَ في شوال ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م إلى طرفِ والدهِ، بدايةَ مرحلـةٍ جديدةٍ في سيرةِ الإمامِ يحيى العلمية[٣]، فقد لحقَ بوالدِه إلى الجراف، ثم ارتحلَ إلى غولـة زِنْدَان من بلادِ أرحب، ومنهـا إلى السِنَّارة من جبل

(١) انظر الرسالة في الدر المنثور، ص١٤٠، ١٥٧-١٦٢.

(٢) نزهة النظر، ٥٧٧، الدرة المنتقاة لأحمد بن عبدالله الجنداري، ٨٤ (وفيه أن الإمام قد عفا عنه).

(٣) الدر المنثور، ١/ ٢٣٦.

الأهنوم حيثُ سار الإمامُ يحيى مع عائلةِ والدِه إلى جبل بَرَط وطوال هذه السنوات كان يداوم على حضور دروس والده حتى إذا كانت سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. استأذن والدَهُ في الطُّلوعِ إلى هجرة عُلْمان للدراسةِ على الشيوخِ، سواءً في هجرة مَعْمَرة أو هجرة عُلْمان أو المَدان، وقد كانتْ دراستُه على كلٍّ من الشيوخِ التالي ذكرهم:

- **لطف الباري محمد بن شاكر ت ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م**، وكانَ بارعاً في الأصول والعربيةِ، واستقر به المقامُ في هجرة عُلْمان، عاكفاً على التدريسِ في فنون العلم طوالَ حياته، وخاصة علومَ التحقيقِ والتدقيقِ والنظر[1]، فقد درسَ عليه الإمامُ يحيى، أصولَ الفقهِ، والتفسيرَ والمنطقَ والنحوَ والصرفَ والبيانَ والمعاني، وقضى الإمامُ يحيى خمس سنواتٍ، من سنةِ ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م - ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، ملازماً لشيخه لطف الباري، ينهلُ من معينِ علمِه، وقد شاركه في الأخذِ عن العلامةِ لطف الباري الكثيرَ من الطلبة الدارسين، منهم العلامةُ، أحمدُ بنُ عبدالله الجنداري، والذي وصفَ شيخه لطفَ الباري قائلاً: «شيخُنا الأوحدُ، العلمُ المفردُ، الفقيهُ العلامةُ، والراقي من الفضلِ أرقى سنامه»[2]، وقال عنه تلميذُه محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين «فريدُ العصرِ ووحيدُ الدهرِ، رأسُ أهلِ التحقيقِ وواسطةُ عقدِ أهلِ التدقيق»[3].
- **أحمدُ بن عبدالله بن محسن القُحَيطا المعروف بالجنداري ت ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م.**

كان إماماً متبحراً في علم أصول الدين، وانتهت إليه الرئاسةُ في علمِ الحديث:

---

(١) النظر: مختص بمقدمات الدليل الذي به يحصل العلم النظري، انظر، أحمد محمد صبحي، يحيى بن حمزة، ٢٩١.
(٢) أئمة اليمن، ٣١٣، (سيرة الإمام يحيى)، الدرة المنتقاة، ١، نزهة النظر، ٢٩٣.
(٣) أئمة اليمن، ٣١٤.

عللِـه ورجالِـه وأحـوالِ رواتـه، في عصره، وله اليـدُ الطـولي في علم التفسير وحفظِ أقوالِ المفسرين من الصحـابةِ والتـابعين، هاجرَ إلى قَفْلَـة عِذَر ثم انتقلَ إلى هجرة عُلْمَان بجبلِ الأهنوم زمنَ المنصورِ محمدِ بنِ يحيى حميدِ الدين، وانقطع للتـدريس بجبل الأهنـوم حتى وفـاتِـه. وقد درسَ عليـه الإمـامُ يحيى الثـلاثين مسألة، للـرصاص ت٦٥٠هـ، وآمالي المرشـد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل الشجري ت٤٧٩هـ، والتي تعرفُ بالخميسيـاتِ، لأنه كان يُمليها يومَ الخميسِ من كلِّ اسبـوعٍ، وهي أربعون حـديثاً مشروحـةٌ، ودرسَ عليه الفـرائضَ ومجموعَ السيدِ حميـدانٍ، وهي رسـائلُ في أصولِ الديـنِ في الردِّ على المخـالفين، وحقائقِ المعرفة.

وتقتني المكتبةُ اليمنيـةُ، العديدَ من مـؤلفاتِ الجنداري والتي كان يُـدِّرسُها لطلبةِ العلمِ، منها: سمطُ الجمانِ في شرحِ الرسالة الناصحة للإخوان، شرح فيها رسالـةَ الإمامِ عبـدِالله بنِ حمزةَ في علمِ الكلام[1]، وحاشيـةٌ على العقدِ الثمين في معـرفـةِ ربِّ العـالمين، ونورُ الصّبـاحِ على الإيضـاحِ، وشرحُ نكتِ الفـريـدةِ في تلخيصِ العقيدةِ، وشرحُ أبيـاتٍ للصاحبِ بنِ عبّادٍ، وفي علمِ الحديثِ ورجـالِه له: البرقُ اللّموعُ في الجمـعِ بينَ الآماليين والمجموعِ، وحاشيـةٌ على آمالي المرشدِ بـالله، وأخرى على آمـالي أبي طالـب، وتحفـةُ الاخـوانِ بنظمِ تاريخِ قـرناءِ القـرآن والجامعُ الوجيزُ وغيرُها.

ومنَ الجديرِ بـالذكرِ أنَّ الإمـامَ استجازَ منه إجـازةً عامةً، سنـةَ ١٣٢٦هـ/ ١٩١٧م، وذكـرَ إسماعيلُ بنُ علي الأكوع أنَّ الإمـامَ يحيى كـان من أكثرِ طـلابِ أحمدَ بنِ عبدالله الجنداري انتفاعاً به في علم السنة[2].

---

(١) فهرس المكتبة الغربية، رقم ١٣٥٠، ١٣٣٧.
(٢) نزهة النظـر، ٩٨، أئمة اليمن، ٢/ ١٦، أجود المسلسـلات ١٢-٢١، الدرة المنتقاة، ٢ هجر العلم ومعاقله، ١٤٧٨.

- عبدالله بن أحمد المجاهد ت ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م

إمامٌ في الفقهِ والفروعِ والفرائضِ، محقّقٌ في النحوِ والصرفِ والمعاني: هاجرَ إلى الإمامِ الهادي شرفِ الدينِ بنِ محمد سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، ودرسَ بجامعِ الإمامِ الهادي يحيى بن الحسينِ بصعدةَ، ثم انتقلَ إلى جبل الأهنوم، فعكَفَ على التدريسِ في مدينةِ السَمَدانِ، ثم انتقلَ إلى شهارةَ، بناءً على طلبٍ من الإمامِ المنصورِ محمدِ بن يحيى لإحياء هجرةِ العلمِ بها.

وقد لازمه الإمامُ يحيى من سنةِ ١٣١٥هـ - ١٣١٧هـ، إبان تدريسِه في المَدان، حيثُ درسَ عليه شرحَ الأزهارِ، وحين انتقلَ عبدُالله بنُ أحمد المجاهد إلى شُهارةَ، رافقه الإمامُ يحيى في رحلتِهِ هذه، ودرسَ عليه وشاركه الجنداري في دراسةِ شرحِ السيد الهادي على منظومتِهِ، ودراسةِ ميزانِ الاعتدال في نقدِ الرجال للذهبي، وقد ترجم له الجنداريُّ في الجامعِ الوجيزِ فوصفه بأنه «مفخرُ العلماءِ، ومرجعُ الفضلاءِ، ومنتجعُ الطلبةِ وفارسُ المحقّقين في الحلبةِ، فَتَحَ من الفقهِ مغلّقاتِه، وذلّلَ مستعصياتِهِ[١]».

- عبدُ الوهاب بنُ محمد أحمد المجاهد ت ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م

عالمٌ مبرِّزٌ في الفقهِ والأصولَيْن والنحوِ والصرفِ والمعاني والبيانِ، هاجر مع عمِّه عبدِالله بنِ أحمد المجاهد إلى الإمام الهادي شرفِ الدين بنِ محمد، ثم انتقلَ إلى الأهنوم مؤيداً للإمام المنصورِ باللهِ محمدِ بنِ يحيى حميد الدين، فاشتغلَ بالعلم درساً وتدريساً، وتصدَّر للتدريسِ بعدَ وفاةِ عمِّه سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م. وكانَ من الرجالِ الذين يَعْتَمِدُ عليهم الإمامُ يحيى، إذ أوكلَ إليه القيامَ بالعديد من المهام. ومع أنَّ المصادرَ لم تشِرْ إلى دراسةِ الإمامِ يحيى على عبدِ الوهاب بنِ محمد، إلّا أن إجازةَ الإمامِ يحيى إلى الشيخ عبد المعطي السقا،

(١) أئمة اليمن، ١٣٤ (سيرة الإمام يحيى)، نزهة النظر، ٣٧٠، الدرة المنتقاة، ٢، المدارس الإسلامية، ٣٨١، هجر العلم ومعاقله، ١١٠٠.

قـد ورد فيها اسمُ عبـدِ الـوهاب بن محمـد كأحـدِ المشايخِ الـذين درسَ عليهم الإمام يحيى، فقـد جاءَ فيها: «والعـلامةُ الـزاهدُ، عبدالله بن أحمدالمجـاهد، رحمه اللهُ تعالى، وابنُ أخيـه، علامةُ العصر، القاضي، وجيـهُ الإسلامِ، عبدالـوهاب بنُ محمدِ بن أحمد المجاهد، أبقاه الله[1].

ونحن نميلُ إلى الاعتقادِ، بأنَّ الإمامَ يحيى قد أخذَ عليه بعدَ سنةِ ١٣٢١هـ، ذلك أنَّ الإمامَ يحيى قد بدا له في هـذه السنة ١٣٢١هـ الوصولُ إلى حبور، فبقيَ فيهـا إلى جمادى الأولى ثم نهضَ إلى القفلـةِ، ثم عـادَ إلى الأهنـوم ثم طلعَ إلى شُهـارةَ، فيكـونُ قـدْ حضرَ مجالسَ درسِـهِ خـلالَ فترةِ تنقلـه مـا بينَ الأهنـومِ وشهارة[2].

المبحث الثاني: اجازات الإمام يحيى من علماءِ العصر:

أوردت المصـادرُ إشـاراتٍ إلى خمسِ إجازاتٍ استجـازهـا الإمـامُ يحيى من علماءِ عصرِه، وكـانت واحـدةٌ منهـا استجازهـا الإمـامُ يحيى من العـلامـةِ أحمد عبـدالله الجنداري، حيثُ أجـازَه إجازةً عـامـة سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، وفقِ الشروطِ المعروفـةِ بينَ علماءِ العصرِ، والمستندةِ على صحـةِ النقلِ وضبطِ اللّفظِ، والتوقفِ عنـدَ الاشتباهِ، وأُجيزَ الإمامُ يحيى بـأنْ يروي جميعَ مرويّاتِـه من العلومِ الإسلاميةِ من معقـولٍ ومنقولٍ وفروعٍ وأصولٍ، وكنا قد درسْنـا العلامة أحمد بن عبدالله الجنداري سابقاً، وأما العلماءُ الآخـرون الذين أجازوا الإمامَ يحيى فنذكر نهم:

إبراهيمَ بنَ عبـدِالله الغالبي ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م والذي عُـرف ببراعتِه في العربيةِ والبيانِ والمنطقِ وتدريسهِ شرحَ ايساغوجي المدخل في المنطقِ، تأليف

---

(١) انظر. الإجازة، ٦١ب.

(٢) الدرة المنتقاة، ٣، هجر العلم ومعاقله، ١٣٣٣.

فرفيوس الصوري، وشرحَ التهذيبِ في المنطقِ لسعد الدين التفتازاني، والعلامةَ إبراهيمَ بنَ عبدالله الغالبي وهو صاحبُ المسائلِ الضحيانية، التي امتحنَ بها الإمامَ شرفَ الدين بن محمد وصاحبُ المشكاةِ النورانية، وهي الأسئلة التي وجَّه بها للمهدي محمدِ بن القاسم الحوثي الذي دعا لنفسه في بَرط، وكان إبراهيمُ بنُ عبدالله الغالبي قد ذهبَ إلى بلادِ فيفا وبني مالك من ناحيةِ بني جُماعة، فأقامَ هناك لإرشادِ العامةِ وتفقيههم، وقد كان الإمامُ يحيى قد أخذ عنه بالإجازة[1].

- **محمدُ بن عبدالله الغالبي ت ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م.**

حافظٌ مجتهدٌ، عالمٌ في الفقهِ وأصولِه وعلمِ الحديثِ والنحوِ والصرفِ والمنطقِ والبيانِ، انتقلَ إلى صعدةَ سنة ١٣٠٠هـ، فلازمَ الإمامَ شرفَ الدين بنَ محمد ثم الإمام المنصورَ باللهِ محمد بن يحيى، وقد أخذَ منه الإمامُ يحيى بصعدةَ، واستجازَه وهو يسكنُ في هجرة ضَحْيان، وكان ذلك سنةَ ١٣٢٥هـ/ ١٩١٦م[2].

- **عليُّ بنُ حسين بن حسن المغربي ت ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م.**

نشأ مُجِدّاً في طلبِ العلمِ والمعارفِ، حتى عُدَّعلامةَ عصرِه، ما تركَ التدريسَ ولا ملَّه، تولّى القضاءَ في بلادِ يريم وذمار والطويلة وحجة وصنعاء، وكان نائبَ كَوْكبان وكان ضمن وفد العلماء الذين ساروا إلى استانبول سنة ١٣٢٥هـ البحث في القضية اليمنية مع السلطنة العثمانية، وقد أخذ عنه كثيرٌ من أهلِ العلمِ، واستجازه الإمامُ يحيى واجازه إجازة عامةً[3] في رواية كتابِ الأمم لايقاظِ الهمم لمؤلِّفِهِ إبراهيم بن حسين الكردي وفي اتحافِ الأكابرِ باسانيد الدفاتر.

---

(١) لامية النبلاء، ٥٤، نزهة النظر، ٢٨، هجر العلم ومعاقله، ١٢٠١.

(٢) لامية النبلاء، ٧٠، نزهة النظر، ٥٥٠، هجر العلم ومعاقله، ١٢٠٢.

(٣) نزهة النظر، ٤٣١، أئمة اليمن، ٢/ ٥ (سيرة الإمام يحيى).

- الحسينُ بن علي العمري ت١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

عالمٌ محقّقٌ في علـوم السنةِ روايةً ودرايـةً، تفوّق في العلوم الشرعيـةِ والعقلية والنقليـة، أجادَ فنـونَ علوم العـربية، تـولّى نظارةَ الأوقـافِ في صنعاءَ في العهـد العثماني، وتولّى فصلَ الخصوماتِ بينَ كلِّ مَنْ يردُ إليه من المتخاصمين، وكانَ له شأنٌ في تـرتيبـات صلح دَعَّـان سنـة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. مـا تـرك التـدريسَ والإفـادةَ، وقـد أجـازَ الإمـامَ يحيى في روايةِ كتـابِ الأسـاس لعقـائدِ الأكيـاسِ للقاسمِ بن محمـد وفي إتحافِ الأكابرِ بأسانيـدِ الدفاترِ لمحمد بـن علي الشوكاني وروايةِ كتـابِ الأمم لايقاظِ الهمم لإبراهيمَ بن حسين الكردي وكتـابِ المُطربِ الجامع لأهل المشرق والمغـرب، لمؤلفـه عبـد القـادر بن خليل المدني. ومـا زال الحسينُ بن علي العمري كعبةً مقصودةً لطلاب العلم حتى وفاته.

لقـد بلغَ عـددُ الشيـوخِ العلماء الـذين درس عليهم الإمـامُ يحيى أكثـرَ من عشرين عالماً، تنوعـتْ دراستُه عليهم، وحصَّلَ قدراً متقدماً مـن العلوم وهي ما سنعرض له فيما يلي:

المبحث الثالث: العلومُ العقليةُ والنقليةُ التي درسها:

من خـلالِ تحليلِنا للعلومِ التـي درسها الإمـامُ يحيى على شيوخِـه، سواءٌ في المرحلةِ الأولى من حياتِه أو في مرحلةِ الدراسةِ المتعمِّقة في شبابه، نخلصُ إلى أنَّ الإمـامَ يحيى قد أُعِـدَّ إعداداً علميـاً متميـزاً، إنصَبَّ على دراسةِ وحفظِ القـرآن ودراسـةِ أصولِ الـدين وأصـولِ الفقه وعلـمِ الكلامِ والمنطقِ والحديثِ وفنـونِ العـربيةِ من نحـوٍ وصرفٍ ومعانٍ وبيـانٍ وبـلاغة، ففي أصـولِ المذهبِ، أتقن دراسة العقد الثمين في معرفةِ ربِّ العالمين، لمؤلّفِهِ الأميرِ الحسين بن بدرِ الدين محمـد ت ٦٦٢هـ، وهو كتـابٌ تعليمي، يُعتَبَرُ من أوائلِ الكتبِ الـدراسيـةِ في حقلِ أصولِ الدين، مؤلِّفُهُ من أجلِّ علماءِ الـزيديةِ، وتُعَدُّ كتبُه من أهمِّ الأصولِ

التي يعتمدُ عليها علماءُ الزيدية، ويدرِّسونها كمنهاجٍ مقررٍ، وهو مبنيٌّ على طريقةِ السؤالِ والجواب، ومثالُه:

أيُّها الطالب للرشادِ، والهاربُ بنفسِه عن هوّة الالحاد، فإذا قيل لك مَنْ ربُّك؟

فقل: ربي اللهُ،

فإن قيل لك، بمَ عَرَفْتَ ذلك؟

فقل: لأنّه خلقني، ومَنْ خلقَ شيئاً، كان ربَّهُ.

ويمضي الكتابُ في بسطِ أساسيات المذهب الزيدي بأسلوبٍ سهلٍ سلسٍ، لا يملُّهُ دارسه(١).

ودرسَ الثلاثين مسألةً وهي المعروفةُ بمصباحِ العلومِ في معرفةِ الحيِّ القيومِ، للعلامةِ أحمدَ بنِ الحسنِ الرصاص ت ٦٥٠هـ، وهو كتابٌ مدرسيٌّ أيضاً يختصُّ بأصول المذهبِ، وفي الفقه:

أتقنَ الإمامُ يحيى كتابَ التجريدِ، للإمامِ المؤيد باللهِ أحمدَ بن الحسن الهاروني.

وهو شرحٌ لفتاوي الإمامين: القاسمِ بن إبراهيمَ الرسي، والهادي يحيى بن الحسين، وكذا كتابَ الأزهارِ في فقهِ الأئمةِ الأطهار، وهو المصدرُ المعوَّلُ عليه في فقهِ الزيديه حيثُ بذلَ مؤلِّفه الإمامُ أحمدُ بنُ يحيى المرتضى أكثرَ من ألفين وثماني مئةٍ من مسائلِ الشريعةِ منطوقاً ومفهوماً، وكذا غايةَ السؤلِ إلى علمِ الأصول للحسين بن القاسم بن محمد ت ١٠٥٠ وشروحاته وحواشيه، واتقنَ الناظريَّ في الفرائضِ وأصول الأحكامِ لأحمد بن سليمان بن محمد بن مطهر.

وفي علمِ الكلام: كانت له دراساته الواسعةُ التي شملتْ كتابَ حقائق

---

(١) بحوث في الملل والنحل، ٤٧٨.

المعرفـة للإمام أحمدَ بن سليمان، وكتابَ الأسـاسِ للإمامِ القاسـم بن محمـد وهو كتاب الأسـاس لعقائد الأكيـاس في معرفة رب العـالمينَ وعدلـه على المخلوقين وما يتصل بـذلك من أصول الـدين، وهو من أشهـر كتبه في علم الكـلام، وقد اهتم بشرحه عدد من أعلام عصره.

وفي علـمِ المنطقِ، أتقـنَ تهذيبَ المنطـقِ للتفتـازاني، والمطلـعَ في شرحِ إيساغوجي وكانت له دراساتهُ الـواسعةُ واتقانُه المتميزُ لعلومِ الحديث، وخاصةً آمـالي أحمدَ بنِ عيسى بن زيـد ت ٢٤٧هـ، وقـد طُبعَ بـاسم: رأب الصـدع في ثلاثـة أجزاء، بتحقيق عليِّ بن إسماعيل بنِ عبدالله المؤيدي، وقـد أخرج المؤلِّفُ فيـه ٢٧٩٠ حديثاً عن الرسـولِ والصـادقِ والباقـرِ، وهو كصحيح البخـاري، ودرسَ آمـالي أبي طالب، ويسمى تيسيرَ المطـالبِ، تأليف، أبي طـالب يحيى بنِ الحسين وآمالي المرشـدِ بالله للمرشدِ بـالله يحيى بنِ الحسين بن إسماعيل ومجموعِ الإمـامِ زيد في الحديثِ والصحيفـةَ لـلإمام علي بـن موسى الـرضـا، والأسانيـدَ اليحيوية في علم الحديث، إضـافة إلى ميزانِ الاعتدالِ في نقدِ الـرجال للذهبي، فيكـونُ الإمامُ يحيى قـد بـرعَ في علمِ الحديثِ وعللِه ورجـالِـه وإسنادِهِ ودرايتـهِ وروايته.

أما في علومِ العربيةِ، من نحوٍ وصرفٍ وبيانٍ ومعانٍ وبلاغة، فقد حازَ فيها الإمامُ يحيى قصبَ السبقِ، فمنـذ نعومةِ أظفـارِه اشتغلَ بدراسةِ علومِ العـربية، فـدرسَ الطِّرازَ المتضمنَ لأسرارِ البـلاغة وحقـائقِ الآعجازِ لـلإمامِ عبـدالله بن حمزة. وكذا الكتـبَ الأساسية المعتمـدةَ في علمِ النحـو، مثل الأجروميـة والألفية وقطر الندى بشروحاتها جميعاً وحواشيها والتعليقـات عليها، وكانت له المشاركةُ الأدبيةُ في المحاوراتِ واللطائف.

ولا أراني بحـاجةٍ للحـديثِ عن إبـداعـه في الشعرِ وجـزالـةِ اللغة وتملكِـهِ لنـاصيـةِ البيان. فشِعـرُه مبـذولٌ في معظيمِ مـؤلفاتِ العصر، تحتـاجُ إلى جهـودِ

الأدباء لجمعِه من مظانّه.

وبالاجمالِ، فـالامامُ يحيى يُعَـدُّ وبمقاييسِ العصرِ الـذي عاش فيـه، والبيئةِ التي شبَّ فيهـا، جديـراً بأن يحظى بلقبِ «العـلامـةِ والفقيه». فقـد حصلَ من العلـومِ ما يـؤهِّلُـه لذلك في أصـولِ الـدينِ والفقهِ والمنطقِ والكـلامِ والحديثِ وعلومِ العربيةِ بفنونها المختلفة، علاوةً على حفظهِ القرآن الكريمَ، وحفظِ الكثير من أقوالِ الصحابةِ والتابعين.

إنَّ هذه المكـانةَ العلميةَ المتميِّـزة للإمامِ يحيـى دفعتْه لطلبِ الإجازةِ العـامةِ من نفـرٍ من كبارِ شيـوخِ العصرِ، وقد حازهـا بالفعـلِ، وبلغَ درجةً جعلتـهُ يُجيزُ عدداً من العلماءِ في مختلفِ أنحاءِ العالمِ الإسلامي.

الفصل الثاني
مكانة الإمام يحيى العلمية

المبحث الأول: تلاميذه وجهوده

لم تَحُلْ المهامُ التي كان يكلف بها الإمام يحيى مِـنْ قِبَلِ والدِه أو حتى عندما بويع بـالإمامةِ، دونَ اشتغـالِه بالتـدريسِ والإفادة، فقد داومَ في سنـة ١٣٢٦هـ وسنة ١٣٢٨ على تـدريس كتابِ شفاء الأوام للأمير الحسين بن محمـد، وكتابِ الترغيبِ والترهيب للحافظ المنـذري، وتدريسِ كتـابِ الروضِ النضير، وشرح مجمـوعِ الإمامِ زيـد بن علي، وكذا تـدريسِ الصحيفـةِ وكتابِ الشفـاء كامـلاً، ودّرسَ في مقامـهِ بِقَفلة عِذَر سنـة ١٣٣١هـ صحيفة زينِ العـابدين بن علي بن الحسين[1].

وقـد عُـرف من تـلاميذه: عبـدُ الـرحمن بنُ حسين الشـامي ت ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م فقد أخذَ عنـه الروضَ النضير، وفي الترغيب والترهيب وشفاءِ الأوام(٢) كما أخـذَ عنه أحمدُ بن يحيى بن عـامر ت ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، ومع أنه شـاركَ الإمامَ يحيـى في طلبه للعلمِ والـدراسةِ عند القـاضي لطف الباري بن محمـد بن شاكر، إلا أنّه كانَ يأخذ في بعضِ الأيام في سماعِ بعضِ كتبِ الحديث في حضرهِ وسفرِه في مقـام الإمام يحيى[3]، وكانَ من عادةِ الإمـام يحيى املاءُ كتبِ الحديث في نهارِ كلِّ يوم[4].

---

(١) أئمة اليمن، ١١٨.

(٢) نزهة النظر، ٣٣٩.

(٣) نزهة النظر، ٣٣٩.

(٤) المصدر السابق، ٣٣٩.

ومن المآثرِ التي لا زالت تحتفظُ بها المكتبةُ اليمنيـةُ، ولها دلالتُهـا في تثمينِ جدّيـةِ الإمام في اشتغالـهِ بالعلوم، منطـوقِها والمفهـومِ، دارساً ومدرسـاً، وجودُ نسخةٍ مخطوطةٍ من إزاحةِ الأشكالِ عن ما وردَ عن المعتزلةِ من الأقوال لمؤلفِها، المحسنِ بنِ أحمد الشهـاري، كـان قد نسخهـا الإمـامُ بخطّـهِ سنة ١٣٠٦هـ[1] وتمليكٌ آخر يعـودُ إلى صفر سنة ١٣١٨ يفيـدُ امتلاك الإمـام يحيى لكتابِ «درر العبـارات، وغررِ الإشـارات في تحقيق معاني الاستعـارات لمؤلّفهِ أحمد بن محمـد مكي، شهـاب الدين. ومن نـاحيةٍ أخرى، فقـد زوّدَ الامامُ يحيى مكتبـةَ الجامعِ الكبير بصنعـاءَ، بمجموعـةٍ قيمةٍ من المؤلّفـاتِ المخطوطـةِ، ضمّها إلى مكتبـةِ عبدالله بن زيد الحسيني الموقوفةِ، وأمرَ محمد بن أحمد الحجري بصنع فهارس لها وأذاعَها بينَ الباحثين والدارسين.

وتمت طباعـةُ الفهارس في مطبعةِ المقـام بصنعاء[2]، غيرَ أنَّ عالميـة الإمامِ تبـدو واضحـةً من خلالِ وثيقتين، لا زالتـا محفـوظتين في مكتبـة الجامعِ الكبير، وهما وثيقـةُ إجـازةِ الإمـامِ يحيى إلى عبـد المعطي السقـا، أحـدِ علماء الأزهـر الشريـف، والوثيقـة الثانية: اختياراتُ الإمـامِ يحيى في المعاملات. ولنـا وقفة مع كلِّ واحدةٍ منهما والثالثة رسالة من الإمام يحيى للعلامة أحمد زكي باشا.

المبحث الثاني: إجـازة الإمام يحيى لأحـدِ علماءِ الأزهرِ الشريفِ الشيخ عبدالمعطي السقا:

كـان الشيخُ عبـدُ المعطي السقـا قـد نشرَ الإرشـادات السنيـةَ في الأحكـامِ الفقهيةِ سنـة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م وفي سنةٍ ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م -١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، وقع في مجلّـدين. وقد كتبَ الشيخُ عبـدُالمعطي السقا إلى الإمـام يحيى طالبـاً إجازةَ مرويّـاتِه من العلـومِ الإسلاميةِ، لأخـذِ العلمِ عن أربابِـه، فأجازه

(١) فهرس المكتبة الغربية، مجموع رقم ٩٧ علم الكلام.

(٢) نزهة النظر، ٥٤٣.

الإمـامُ يحيى بكتـابِ الإجـازةِ الـذي أرسلـه إليـه في شـوال سنـة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ولما كانتْ هـذه الإجازةُ تكشفُ جانباً مهماً من شخصيـةِ الإمامِ يحيى العلميةِ، فإننا نوردُ صورةَ الإجازةِ الوثيقـةِ التي لا تزال محفوظةً في المكتبةِ الغربيةِ بجـامعِ صنعـاءَ الكبير، مجمـوع رقم ١١ قـديم، ورقم مجمـوع ٤٨ جـديـد، بين الأوراقِ ٦٠-٦٤.

وجاء فيها:

هذه صورة إجازة كتبها مولانا الإمام أمير المؤمنين
المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين
حفظه الله تعالى، للشيخ العلاّمة عبد المعطي السقا
أحدِ علماءِ الجامعِ الأزهرِ
بمصر في شهرِ شوال، أحد
شهور سنة ١٣٤٤هـ.

٦٠ب في الصـورة التي حرَّرْتُها بخطي لسيـدي العـلامةِ، عمادِ الإسـلام، يحيى بن علي الذاري، وقدّمها إلى الحضرة المشرفة.

بعد البسملة بقلم مولانا أمير المؤمنين ما لفظه:

يقولُ عبـدالله، المفتقرُ إلى عفـوِ الله، أميرُ المؤمنين، المتوكّلُ على اللهِ، يحيى بنُ أميرِ المؤمنين، المنصـورِ بـالله، محمـدِ بنِ يحيى حميـد الـديـن، ضـاعفَ اللهُ لهم الحسناتِ، وغفر لهم السيئاتِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـدُ للهِ الـذي رفعَ درجـاتِ العلماءِ وجَعَلهم قـادةً في الـدين وحُكماء، وشرَّفهم بـالشهادةِ على وحـدانيتهِ وعـدْلِهِ، إبانـةً منه تعـالى لقدرِ العلـمِ وأهلِهِ، وفضّلَهم بوراثةِ الأنبياءِ، وحكَمَ بأنهم أهلُ خشيتهِ الأتقياء،

وأشهـدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَهُ، لا شريكَ لـه، شهـادةً صـادرةً عن محضِ اليقين، خاليةً عن الظنِّ والتخمين، راسخة في الفؤادِ، كافلةً بالفوز في المعاد.

وأشهدُ أنَّ محمـداً عبدُه ورسـوله، أرسلَـه بالحقِّ بشيراً ونـذيراً وداعيـاً إلى اللهِ بإذنِه، وسراجـاً منيرا، وجعله للنبوّةِ ختـاماً، ورفعَ له في الـدارينِ ألويةً ومقـاماً، وأنزلَ عليـه القرآنَ، ونسخَ بـدينِه الأديـانَ، صلّى الله عليهِ وعلى آلِـه، نجاةُ الخلقِ عند كلِّ مـزلةٍ، وعصمتُهم من الفتنِ المضِلّـةِ، ورضي اللهُ عن الصحابـةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصار وعن التابعين لهم بإحسان على ممرِّ الأعصار.

وبعد:

فإنَّ اللهَ تعالى لم يخْلِ عبادَه من قـائمٍ من العلماءِ بحجةٍ، وداعٍ إلى نهجِ الرشادِ وسواءِ المحجةِ، أودعهم اللهُ أمانتَهُ حتى يردُّوهـا إلى نُظرائهم ويزرعوها في قلوبِ أشبـاههم، وإنَّ مِمَّنْ سلـكَ تلك الطـريقـةَ، وحملَ أعبـاءَ تلـك الحقيقـةِ الشيخَ العلامـة الصدرَ الفهـامةَ الحلاحلَ عبـدالمعطي السقا، وهـو أحدُ علماء الجامع

الأزهر، حماهم اللهُ وحاطهم عن الشرّ، فإنّه كتب إلينا على بُعدِ الدارِ، وشطِّ المزارِ مِنْ مصرَ المعزِّيّةِ إلى الديارِ اليمنيةِ؛ طالباً إجازة مروياتِنا من العلوم الدينيةِ الإسلامية، لأخذِ العلم عن أربابِهِ، وحْمِلِهِ عن أهلِهِ ونصابِه، عملاً بقولِه صلى الله عليه وآلِه وسلم: «إنَّ هذا العلمَ دينٌ، فانظروا عمَّنْ تأخذون دينكُم» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يحملُ هذا العلمَ مِنْ كلِّ خلقٍ عُدولُهُ، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويل الجاهلين».

وقد روى الإمامُ المنصورُ باللهِ، عبدُاللهِ بنُ حمزةَ بن سليمان، عليه السلام، بإسنادِه إلى أميرِ المؤمنين عليّ، عليه السلام، أنه قال: أيُّها الناسُ، إنَّ العلمَ الذي أنزله الله على الأنبياء قبلكم في عترةِ نبيِّكُم، فأين يتاهُ بكم عن علمٍ تنوسخَ مِنْ أصلابِ السفينة هؤلاء مثلُها فيكم، وهم كالكهوفِ لأصحابِ الكهف، وهم بابُ السلمِ، فادخلوا في السلمِ كافةً، وهم بابُ حطةَ من دخلَه غُفِرَ له، خذوا عني عن خاتم المرسلين، حجةً مَن ذي حجة «قالها في حجة الوداع: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتُم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي، إنَّ اللطيفَ الخبيرَ نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوضِ». وهذا الخبرُ تسميه علماءُ العترةِ وأشياعُهم خبرَ السفينةِ الكبير.

[الطويل]

إذا شِئْتَ منهاجاً إلى الحق هادياً ... لسالِكِه عند اختلافِ المآخذِ
فلا تعدُ عن نَهْجَيْ كتابٍ وسنةٍ ... وعُضَّ على ما فيها بالنَّواجذِ
ولا تعدُ عَنْ مِنْهاجِ آل محمدٍ ... سفينةُ نوح ملتجى كلِّ عائذٍ
همُ سَيْفُ مظلومٍ وهمْ حتفُ ظالمٍ ... وهمْ غيثُ محتاجٍ وهُمْ غوثُ لائذِ

وراغباً لوصلِ الإسناد الذي هو لحفظِ علوم هذه الأمة خير عماد، قال الإمامُ الناصرُ الكبيرُ الحسنُ بنُ علي الأطروش - عليه السلام- حديثٌ بلا سندٍ كبيتٍ بلا عمدٍ.

وفي روايـةِ الإمامِ المؤيَّـد بالله، أحمدَ بنِ الحسين بن هـرون، عليه السـلام، في خطبةِ شرحِ التجريد، عن الإمامِ الناصرِ، عليـه السلام: الأسانيدُ سلاحُ المؤمنِ، وكلُّ حـديثٍ لا سنـدَ فيه فهـو خلٌّ وبَقْلٌ. وقـال السيـدُ الامـامُ أبو العبـاسِ، إبراهيمُ الحسني، عليه السـلام، «لكلِّ دينٍ فرسانٌ وفرسان هـذا الدين أصحابُ الأسـانيد». وروى الإمـامُ المؤيدُ بـاللهِ، عليـه السلام، في خطبـةِ شرحِ التجريـدِ بإسنـادِه، عن البـاقر عليـه السـلام أنّـه قال: مَـنْ طَلَبَ العلمَ بلا إسنـادٍ فهـو كحاطبِ ليلٍ.

قال المؤيّـد باللهِ، عليه السلام»: والحجـةُ في السّماعِ قولُه تعالى: «فلـولا نَفَر منْ كلِّ فرقةٍ منهم طـائفةٌ ليتفقَّهوا في الدينِ، وليُنـذِروا قومَهُمْ إذا رجعُوا إليهم» فقـرنَ الـروايـة بالسماعِ من نبيِّـهِ، صلّى اللهُ عليـه وعلى آلـه وسلم. ولما جـاءَ عن صـاحبِ الشريعـةِ، صلّى الله عليـه وآله وسلم من قـولِـه: نضَّرَ الله امـرءاً سمعَ مقالتي فبلَّغها، فرُبَّ حاملِ فقهٍ غير فقيـهٍ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه. وقـولِه، صلّى الله عليـه وآله وسلم، «تسمعـون ويُسمَعُ منكم ويُسمعُ ممَّنْ سمِعَ منكم» إلى غير ذلك من الأخبارِ، وأقوال السلفِ الصالحِ والآثار.

فنقولُ: إنّا قدْ أجَزنـا للشيخِ المذكور على الشرطِ الذي بينَ علماءِ هذه الأمة وحفَّاظِهـا يدورُ، وهـو صحةُ النَقلِ وضبطُ اللّفـظِ، والتوقُّفُ عنـد الاشتباهِ، أن يـرويَ عنّا جميعَ مـرويـاتِنا من العلـوم الإسلاميـةِ من معقـولٍ ومنقولٍ وفـروعٍ وأصولٍ، ما تلقّيناه عن مشايخِنا، بحارِ العلومِ، وأطوادِ الحُلومِ، ولنا مشايخُ عدةٌ:

أوّلُهم ودرّةُ تـاجِهم والدُنـا الإمامُ المجـدِّد، أميرُ المؤمنين، المنصورُ بـاللهِ ربِّ العـالمين، محمدُ بنُ يحيى بـنِ محمدِ بنِ يحيى بن محمـد بنِ إسماعيلَ بن محمـد بن الحسين بن الإمام المنصـور بالله، القـاسمِ بنِ محمدِ بن علي بنِ محمـدِ بن علي بن الرشيـد بن أحمد بنِ الأمير الحسين الأملحي بنِ علي بن يحيى بن محمـد العالم بن الإمـام يوسف الأصغـر، الملقّب بـالأشلِ بنِ القـاسم بن الإمام الـداعي إلى الله

٥ب يوسف الأكبر بن الإمـام المنصورِ بـالله يحيى/ بن الإمامِ النـاصر لدين الله أحمد بن الإمـام الهادي إلى الحقِ يحيى بن الحسين الحافـظ بنِ الإمـامِ تـرجمانِ الـدين، نجمِ آلِ الـرسول القـاسم بنِ إبراهيم طبـاطبا الغَمْـر بنِ إسماعيلَ الديبـاجِ عن إبـراهيم الشبـه بن الحسن المثنى الـرضي بن الحسـنِ السبطِ أميرِ المؤمنين بن الـوصي الأنزع البطين، أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طـالب، وابنِ فـاطمـة الزهـراءِ سيدةِ نسـاءِ العالمين، بنتِ رسـولِ الله الأمين محمد المصطفـى المكين، مختارِ ربِّ العالمين، صلى الله عليه وآله وسلم: [مجزوء الرجز]

سلسلـــةٌ مـن ذهَبْ منـوطـةٌ بـالشهبِ
ودوحـــةٌ تـــردَّدَتْ بينَ وصيٍّ ونبـــي

والمولى العلامةُ الربانيّ، شيخُ الإسلام، عليُّ بنُ علي اليماني، أبقاه اللهُ تعالى.

والعلامةُ بدرُ العلومِ الساري، أحمدُ بنُ عبدالله الجنداري رحمه الله.

والعلامةُ ملحق الأصاغرِ بالأكابر، لطف الباري بنُ محمـد شاكر، رحمه الله تعالى.

والعلامةُ جبلُ العلمِ الراسي، محمدُ بن أحمد العراسي رحمه الله.

والعلامةُ المحقّقُ الزاهدُ، عبدُالله بنُ أحمد المجاهد، رحمه الله تعالى.

وابنُ أخيه، علاّمـة العصرِ القاضي، وجيهُ الإسلامِ، عبدُ الـوهابِ بنُ محمد ابن أحمد المجاهد، أبقاه الله.

ومنهم،

السيدُ العلاّمةُ، زيدُ بنُ أحمد الكبسي، رحمه الله.

والسيّدُ العلامةُ، محمد بن علي الجديري، رحمه الله تعالى.

والعلامة الحافظُ، عبد الرزاق بن محسن الرقيحي الصنعاني، رحمه اللهُ تعالى.

والعلامةُ، محمدُ بنُ أحمد حميد، رحمه الله.

والعلامةُ الفاضلُ، إسماعيلُ بنُ علي الريمي عافاه الله.
والعلامةُ عبدالله بنُ علي الحضوري، رحمه الله تعالى.
والقاضي العلامةُ محمدُ بن محمد جغمان

ومنهم:

القاضي العلامةُ، حليفُ العلمِ والجهادِ محمدُ بن سعد الشرقي، أبقاه الله. ووالده القاضي العلامة، سعدُ بن محمد الشرقي.

ومنهم،

المولى العلامةُ، شرفُ الأنامِ، حجةُ الإسلام، الحسينُ بنُ علي العمري، عمره الله تعالى.

ومنهم:

القاضي عليُّ بنُ حسين المغربي، رحمه الله.

ومنهم:

الأخَوان القاضيان العالمان، محمدُ بنُ عبدالله الغالبي وصنوُه إبراهيمُ بنُ عبدالله، رحمهما الله تعالى.

وقد أحَلْنا المُجازَ له في تفصيلِ أسانيدِ مؤلفاتِ العلومِ على ما صحَّتْ لنا روايتُه من كتبِ الأسانيدِ وهي:

إتحافُ الأكابرِ بأسانيدِ الدَّفاترِ، للقاضي العلامةِ، شيخ الإسلامِ محمد بن علي الشوكاني والأممُ لإيقاظِ الهمم، للشيخ إبراهيمَ بن حسين الكردي.

/ والمطربُ المُعْربُ الجامعُ لأهلِ المشرقِ والمغربِ، للشيخِ عبدِ القادر بن ٦٢ أ

خليل المدني.

فطريقُنا في إتحافِ الأكابرِ عن شيخنـا بدرِ العلومِ الساري، أحمدَ بنِ عبدالله الجنداري عن شيخـه السيد العـلامةِ عبدِ الكـريم بنِ عبدالله أبـو طالب، رحمه اللهُ، عن القاضي أحمدَ بن محمـد الشوكـاني، عن والدِه شيخِ الإسـلامِ، محمد بن علي الشوكاني. ح وعن شيخنا أحمدَ بنِ عبـدالله الجنداري عن شيخِهِ عبدِالله أبو طالب، عن القـاضي عبدِالله بن محسن الحيمي عن المؤلفِ شيخ الإسـلام محمد ابنِ علي الشوكاني.

وطـريقُنـا في الأمم لايقـاظِ الهممِ للشيخِ إبــراهيم بن حسن الكـردي عن شيخِنا أحمدَ بن عبدالله الجنداري عن شيخِه عبـدِ الكريم بنِ عبدالله، أبو طالب عن القـاضي أحمدَ بنِ محمـد الشـوكاني عن والـدِه شيخِ الإسـلامِ محمـدِ بنِ علي الشوكاني عن شيخـهِ السيدِ العلامةِ عبدِ القـادر بنِ أحمدَ الكوكباني، عن الشيخِ عبد الخالق بن أبي بكـر المزجاجي عن محمدِ بن إبـراهيمَ بنِ حسنَ الكردي عن والدِهِ المؤلفِ الشيخِ إبراهيم بنِ حسن الكردي ح.

ونرويـه عن شيخِنا أحمدَ بنِ عبـدِ الله الجنداري عن شيخِـه السيدِ العـلامةِ عبدِ الكـريم بن عبدالله أبـو طالب، عن القاضي عبـدالله بنِ محسن الحيمي عن شيخِ الإسلام، محمدِ بنِ علي الشوكاني عن السيـدِ عبدِ القادرِ بنِ أحمدَ الكوكباني عن محمد بن حيوة السندي، عن سـالمِ بنِ عبدالله بن سالم البصري، عن أبيه عن المؤلّفِ الشيخِ إبراهيمَ بنِ حسن الكردي.

وطـريقُنـا في إتحافِ الأكابـرِ، عن المولى القـاضي الحسينِ بن علي العَمْـري، عمَّره اللهُ، عن شيخِهِ العـلامةِ، أحمدَ بن محمد السياغي عن العـلامةِ الحسنِ بنِ أحمدَ بنِ يوسف الرباعي عن المؤلف، شيخ الإسلامِ، محمدِ بنِ علي الشوكاني ح.

وعن العلامـةِ الحسين بن العَمْري عن شيخـه أحمد بن محمد السيـاغي عن

شيخِه السيدِ العلامة الإمامِ، عباسِ بن عبدالرحمن عن المؤلفِ، شيخِ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ح.

وعن العلامةِ الحسينِ بنِ علّي العَمْري عن السيدِ العلامةِ الحافظِ المسندِ محمد بن إسماعيلَ الكبسي، عن المؤلفِ شيخِ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني.

وطريقنا في الأمم، عن العلامة الحسين بنِ علي العَمْري عمَّره الله عن شيخِهِ أحمدَ بنِ محمد السياغي عن شيخِه، الحسنِ بنِ أحمدَ الرباعي عن شيخِ الإسلام، محمدِ بن علي الشوكاني عن شيخِه السيد عبدالقادر بن أحمدَ الكوكباني عن محمدِ بن حيوه السندي عن سالمِ بن عبدالله بنِ سالم البصري، عن أبيه عن المؤلّفِ الشيخِ إبراهيمَ بن حسن الكردي ح.

وعن العلامةِ الحسين بن علي العَمْري، عن شيخِه أحمدَ بن محمد السياغي عن السيد الإمامِ، عباسِ بن عبدالرحمن عن شيخ الإسلام محمدِ بن علي الشوكاني عن شيخه صديق بن علي المزجاجي عن شيخِه سليمانَ بنِ يحيى الأهدل/ عن أحمدَ بنِ محمد الأهدل عن أحمدَ بن محمدِ النحلي عن المؤلفِ ٢٦ب
الشيخِ إبراهيمَ بنِ حسن الكردي.

وعن العلامة الحسين بن علي العَمْري عن السيد العلامةِ المجتهد المسند محمد بن إسماعيلَ الكبسي عن السيدِ أحمدَ بنِ زيد الكبسي عن السيدِ حسنِ بن يحيى الكبسي عن السيدِ قاسمِ بنِ محمد الكبسي عن البدرِ المنير محمد بن إسماعيلَ الأمير عن الخطيب الشيخ محمد بن أبي الغيث، عن المؤلفِ الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي.

وعن العلامة الحسين بن علي العَمْري، عن السيد العلامة القاسم بن الحسين بن المنصور عن السيد العلامةِ محمد بن محمد الظفري عن السيد العلامة عليّ بن أحمدَ الظفري عن شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني عن

السيد العلامة عبد القادر بن أحمدَ الكوكباني عن الشيخ عبدالخالق بن أبي بكرِ المزجاجي عن أبيه عن الشيخِ علاء الدين المزجاجي عن المؤلفِ الشيخِ إبراهيمَ ابن حسن الكردي ح. وعنَ العلامةِ الحسين بن علي العَمْري عن شيخِه أحمدَ بن محمد السياغي عن الحسنِ بن أحمد الرباعي عن والدِه أحمدَ بنِ يوسف الرباعي عن السيدِ عبدالله بن محمد بن إسماعيلَ الأميرِ عن والدِهِ عن الشيخِ محمدَ بن أبي الغيث عن المؤلفِ الشيخ إبراهيمَ بنِ حسن الكردي.

وطريقُنا في اتحافِ الأكابرِ عن القاضي العلامةِ عليّ بنِ حسين المغربي عن القاضي العلامةِ محمد بنِ أحمدَ العراسي عن السيدِ محمدِ بن يحيى الأخفش، عن المؤلف شيخِ الإسلام محمدِ بن علي الشوكاني ح وعن القاضي العلامةِ عليّ بنِ حسينِ المغربي عن السيدِ العلامةِ عبدِ الكريم بن عبدالله أبو طالب عن القاضي أحمد بن محمد الشوكاني عن والدِه المؤلفِ شيخِ الإسلامِ محمدِ بن علي الشوكاني ح.

وعن القاضي العلامةِ علي بن حسين المغربي عن السيدِ عبدالكريم بن عبدالله أبو طالب عن القاضي عبدالله بن محسن الحيمي عن المؤلف شيخ الإسلام، محمد بن علي الشوكاني.

وطريقنا في الأمم،

عن القاضي العلامة عليِّ بن حسين المغربي عن السيدِ عبدِ الكريم بن عبدالله أبو طالب عن القاضي أحمدَ بن محمد الشوكاني عن والده شيخ الإسلام، محمد بن عليّ الشوكاني عن السيد عبد القادر بن أحمدَ الكوكباني عن عبدالخالق بن أبي بكر المزجاجي عن محمدِ بن إبراهيم بن حسن الكردي عن والدِه المؤلفِ الشيخ إبراهيمَ بنِ حسنِ الكردي وعن القاضي العلامةِ علي بنِ حسين المغربي عن السيّدِ عبد الكريمِ بن عبدالله أبو طالب عن القاضي عبدالله ابنِ محسن الحيمي عن شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني عن شيخهِ السيدِ عبدِ القادر بن أحمد الكوكباني عن شيخهِ عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي عن

محمد بنِ إبراهيمَ الكردي عن أبيه المؤلفِ إبراهيم بن حسن الكردي ح.

وعن القاضي العلامةِ عليِّ بن حسين المغربي عن القاضي العلامةِ محمد بن أحمد العراسي عن السيّد محمد بن يحيى الأخفش عن شيخ الإسلام محمدِ بن عليّ الشوكاني عن شيخه صديقِ بنِ علي المزجاجي عن شيخِه سليمانَ بنِ يحيى الأهدل عن أحمدَ بنِ محمد الأهدل عن أحمدَ بنِ محمد النحلي عن المؤلفِ الشيخِ إبراهيمَ بنِ حسنِ الكردي.

وطريقُنا في المطربِ المُعربِ للشيخِ عبدِ القادر/ بن خليل المدني عن العلامةِ الحسينِ عليِّ العمري، عمَّره الله، عن شيخِه أحمدَ بنِ محمد السياغي عن الحسن بنِ أحمدَ الرباعي عن السيدِ العلامةِ عبد الله بن محمد بن إسماعيلَ الأمير عن المؤلفِ الشيخ، عبد القادر بن خليل المدني ح. ٦٣أ

وعن العلامةِ، الحسينِ بنِ علي العمري عن السيدِ أحمدَ بنِ محمد الكبسي عن السيدِ علي بن أحمدَ الظفري عن السيدِ عبداللهِ بنِ محمد الأميرِ عن المؤلفِ ح.

وعن العلامةِ الحسينِ بنِ علي العمري عن السيّدِ أحمدَ بنِ محمد الكبسي عن السيدِ يحيى بن مطهر عن السيدِ عبدالله بن محمد الأمير عن المؤلف ح.

وعن العلامةِ الحسينِ بن علي العمري عن القاضي العلامةِ محمد بن محمدِ العمراني عن السيّد العلامةِ عبدالله بن محمد الأمير بالإجازة العامّةِ عن السيد العلامةِ المحدِّث، شيخ القراءِ عليِّ بنِ أحمدَ الشرفي عن المؤلف الشيخِ عبد القادرِ بن خليل المدني.

هذا: والذي نوصي به المجاز، وفقنا الله وإياهُ إلى رضاه، هو تقوى اللهِ سبحانَه سراً وإعلاناً، فذلك أفضلُ ما تواصى به المؤمنون، والعمل بطاعته، واجتنابِ مساخطهِ، والاعتصام بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ وعترتِه أهلِ بيتِه، فإنَّ كتابَ اللهِ وسنةَ رسوله وعترتِهِ هي أسباب الفوز والنجاة.

روى الإمامُ النـاطقُ بالحقِّ أبـو طالب، يحيى بنُ الحسين بنِ هـارون، عليهم السلام، في أماليه بسنده إلى علي، عليـه السلام، قال: لمّا ثقُلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليـه وآلـه وسلم في مـرضِـهِ، والبيتُ غـاصٌّ بمَنْ فيـه، قــالَ: ادعـوا الحسنَ والحسينَ، قـال: فجَعلَ يلثُمُهما حتى أغميَ عليــه، قـال: فجعلتُ أرفعُهما عن وجـهِ رسـول الله، صلى الله عليـه وآلـه وسلم، قـال: ففتحَ عينيـه وقـال: دعهُما يتمتعانِ منّي واتمتّع منهما، فإنهما ستصيبُهُما بعدي إثرةٌ.

قال: أيُّها النـاسُ، إني قد خلَّفْتُ فيكم كتـابَ اللهِ وسنتي وعترتي أهلَ بيتي، فا لمضيّعُ لكتـابِ الله كا لمضّيعِ لسنتي، والمضيّعُ لسنّتي كـا لمضيّعِ لعترتي، أما إنَّ ذلك لن يفترقَ حتى اللقاءِ على الحوض.

وهذا الحديــثُ مبيّنٌ لوجهِ الجمــعِ بينَ ما رُويَ أنَّ رســولَ الله، صلى الله عليه وآلــه وسلم، ذَكَرَ مع الكتـابِ السنَّــةَ وحدَهــا، وما في صــدورِ حــديثِ الغديــرِ المتواتــر فإنّه ذكَرَ مع الكتابِ العِترةَ فقــط، فلا مُنافاةَ بينَ استخــلافِ السنةِ مع الكتابِ واستخلافِ العترةِ مع الكتابِ، فيكــونُ الثلاثةُ: الكتابُ والسنّةُ والعترةُ مستخلفاتٍ على الدلالــةِ والهدايةِ كما نصَّ هذا الحديثُ، وقد أُخــرجَ حديثُ في «إني تاركٌ فيكم مــا إنْ تمسكْتُم به لن تضِلّــوا من بعدي أبــداً، كتاب اللهِ وعترتي أهل بيتي، إنّ اللطيفَ الخبيرَ نبّأني أنهما لن يفترقـا حتى يـردا الحوضَ، فـانظـروا كيف تخلفـوني فيهما»، ابن سعد والشـافعي وأحمد بن حنبل، وأخرجـه مسلمٌ في صحيحــهِ وأبو يعلى عن أبي سعيــدٍ والترمــذي والطبراني في الأوسطِ والحاكمُ في المستدركِ من ثلاثِ طرق، قـال في كلِّ واحدةٍ صحيحةٌ على شرطِ الشيخين ولم يخرجاه، يعني من تلك الطــرقِ الثلاثِ، وأخرجـه ابنُ عقدةَ في الموالاةِ والطبراني في الكبيرِ والضيا في المختار، وأبو نعيم في الحليةِ، وعبــدُ بنُ حميد بسندٍ جيد وأبو مــوسى المدني في الصحابــةِ، والحافظُ، أبو الفتــوح العجلي في كتابِ الموجــزِ في فضــائِل الخلفــاءِ وابنُ أبي شيبــةَ واسحقُ بن راهــويه بسنــدٍ جيــد والــدولابي في ٦٣أ/

الذرية الطاهرة والبزارُ والزَّرَندي الشافعي.

وغيرهم بألفاظٍ يسيرةِ الاختـلافِ ومتفقةِ المعاني، وفي هذا دلالـةٌ على أنّه لا يخلو كلُّ زمانٍ ممَّن يكونُ أهلاً للتمسُّكِ من أهلِ البيت، العترةِ الطاهرةِ إلى قيام الساعة، وفي الحديث «لا تـزال طائفةٌ من أمّتي على الحقِّ ظاهـرين حتى يقابل أخرُهم المسيح الدّجال».

قال الإمـامُ المتوكلُ على اللهِ، يحيى شرفُ الدين بن شمسِ الـدين بنِ الإمام المهدي بنِ أحمدَ بنِ يحيى المرتضى في القصص: الحقُّ في مدحِ خيرِ الحق.

فنحنُ طائفةُ الحقِّ التي وردتْ فيها الأحاديثُ ممَّا الكلُّ يرويه

قـال القاضي العـلامةُ، عبـدالله بنُ زيد العنسي، رحمه الله تعـالى، ظاهـرين بالحجة والبرهـانِ متولين على بعضِ البلدان، بذلك حكـمَ الرحمنُ. وإنّ بهم يردُّ عن الإسلامِ كيدَ الكائدين، وينفي بِدَعَ المبتدعين.

روى السيد الإمامُ الناطقُ بالحقِّ أبو طالب، عليه السلامُ، بإسناده في أماليه إلى جعفر بنِ محمدٍ عن آبائِه، عليهم السـلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ عندَ كلِّ بدعـةٍ من بعدي يُكادُ بها الإيمانُ -ولياً منْ أهلُ بيتي - مـوكّلاً يـذبُّ عنه، يعلنُ الحقِّ وينـوّره، ويـردُّ كيدَ الكـائدين، فاعتبروا يـا أولي الأبصارِ وتـوكلوا على اللهِ، وقد رواه السيـوطي عن أبي نعيم في الحليةِ، وأبي نصر السجزي في الإبـانةِ بلفظ: إنَّ عندَ كلِّ بدعـةٍ كيد بها الإسلامُ وأهلُه وليـاً صالحاً يذبُّ عنه، ويتكلَّمُ بعلاماتِه، وهو في هذه الروايةِ مطلقٌ مقيّدٌ بأهلِ البيت كما في روايـةِ الإمامِ أبي طـالب فيُحْمَلُ المطلقُ على المقيَّدِ؛ لأنهما وردا في حكمٍ واحـدٍ، وهـو الإخبارُ عن النبيِّ، صلى الله عليـه وآلـه وسلم، بما ذُكِرَ، كما هـو مقَرّرٌ عنـد أهل الأصولِ، ولقـد خصَّ اللهُ هذه العترةَ بفضائلَ لا تُحصى كثـرة، وفيهم نزلتْ آيةُ المودةِ والاصطفـاءِ والتطهرِ والمبـاهلةِ والإطعامِ والسـؤالِ من اللطيفِ الخبيرِ

ووردَتْ فيهم الأخبارُ الصحيحةُ والآثارُ الواضحةُ الصريحةُ، وعصمَ اللهُ إجماعَهُمْ عن الخطيئاتِ، وشرعَ الصلاةَ عليهم في تشهّد الخمسِ الصلواتِ، معدنُ النبوةِ والوصايةِ والخلافةِ والواجبُ حبُّهم وبغضُ أعدائِهم على الخلْقِ كافة، ولما نزل قولُه تعالى: «قل لا أسألكم عليهِ أجراً إلا المودة في القربى»، قيل: يا رسول الله: مَنْ قرابتُكَ هؤلاءِ الذين وجبتْ علينا مودَّتُهم؟، قال: عليٌّ وفاطمةُ وابناهما.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: من أحبَّ أنْ يحيا حيوتي ويموتَ مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتولَّ علياً وذريتَهُ من بعده، فإنهم لن يخرجوكم من بابِ هدى ولن يُدخلوكم في باب ضلالةٍ، أخرجَه الباوردي وابنُ منده عن زياد بنِ مطرِّف، وفي روايةِ أبي نعيم. وليعتمدْ بالأئمةِ من بعدي فإنهم عترتي، خلقوا مِنْ طينتي ورُزقوا فهماً وعلماً، فويلٌ للمكذِّبين بفضلِهم من أمتي، القاطعين منهم حبلي لا أنالهم اللهُ شفاعتي، وأخرج الحاكمُ في المستدَركِ عن ابنِ عباسٍ: النجومُ أمانٌ لأهل الأرضِ من الغرقِ، وأهل بيتي أمانٌ لأمتي من الاختلافِ، فإذا خالفتْها قبيلةٌ اختلفوا فصاروا لحزب الشيطان.

قال الحاكمُ: حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخين ولم يُخرجاه، وأخرجَ ابنُ عديّ في الكاملِ عن أنسٍ وأبي داودَ عن ابنِ عباسٍ والترمذي وقال: حسنٌ غريبٌ، والبيهقي في شُعَبِ الإيمانِ والحاكمُ في المستدركِ. وقال صحيحٌ، على شرطِ الشيخين ولم يخرجاه، أحبّوا اللهَ لما يغذوكم بهِ من نعمةٍ، وأحبّوني لحِّب اللهِ، وأحبوا أهلَ بيتي لحبي، وأخرجه الحاكمُ الجشمي في جلاءِ الأبصارِ عن عليٍّ، عليه السلامُ، وإلى هنا وقف شرطُ القلم.

والحمدُ للهِ على ما أنعَمَ وما خصَّ به وعمَّ، وصلَّى الله على مَنْ به يبدأُ الذكرُ الجميلُ ويُختَمُ، وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم.

ونستمدُّ من المجازِ لـه، وممَّن وقفَ على ما حَرَّرناه من العلماءِ العاملين والفضلاءِ الصالحين الدعواتِ لخير الدارين، وبأنْ يحفظَ علينا دينَ الإسلام

ويحميَه وأهله عن كيدِ أعدائِه اللئام، وأنْ يجعلَ خيرَ أعمارِنا آخرَها، وخيرَ أعمالِنا خواتِمها. وخيرَ الأيامِ يومَ لقائِه، آمين اللهمَّ آمين، وسلاماً على المرسلين.

والحمد للهِ ربِّ العالمين وحرِّر في شوال سنة ١٣٤٤.

ومن خلالِ دراستِنا لوثيقةِ الإجازةِ، فإننا نسجِّلُ الملاحظاتِ التالية:

أولاً: المؤلّفاتُ التي أجازها الإمامُ يحيى لشيخ الأزهرِ عبد المعطي السقا هي:

- اتحافُ الأكابرِ بأسانيدِ الدفاتر لمؤلّفه شيخِ الإسلام محمدِ بن علي الشوكاني، وهم معجمٌ بأسماءِ الكتبِ مرتّبٌ على حروفِ المعجم، وقد قام قطب أحسن محمود بتصحيحه وإعدادِه للطباعة، وطُبع ضمنَ مجموعةٍ في الأسانيد الهنديةِ، الدكن، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف النظامية سنة ١٣٢١هـ/ ١٩١٠م.

- الأممُ لإيقاظِ الهمم، للشيخ إبراهيمَ بنِ حسن الكردي، وهو يتضمَّنُ أسانيدَ الصحيحين والسننَ الأربعةَ وما تيسَّرَ من كتبِ الحديثِ وغيره.

- المطربُ المعربُ الجامعُ لأهلِ المشرقِ والمغربِ للشيخ عبدِ القادرِ بنِ خليل المدني ت ١١٨٧هـ بمدينةِ نابلس من فلسطين، وكان مهتماً بتلقّي الحديثِ وجمعِ رجالِه ماهراً في الإسنادِ، فجمعَ من ذلك شيئاً كثيراً، وشرعَ في عملِ المعجم لشيوخِه بعدَ أنْ جالَ البلادَ شرقاً وغرباً، دخلَ مصرَ وغزةَ والرملةَ والقدسَ والشامَ وآيدين والاستانة، ودخلَ زبيد ناشراً فيها علومَ الإسنادِ[1].

ثانياً: كانَ الإمامُ يحيى قد نالَ حقَّ روايةِ كتابِ الإتحافِ من ثمانيةِ رواياتٍ استجازَها من العلامةِ أحمدَ بنِ عبدالله الجنداري والعلامةِ الحسينِ بنِ عليّ

---

(١) فهرس الفهارس ٧٧٢.

العمري والعلامةِ عليّ بنِ حسين المغربي.

كما استجازَ روايـةَ الأمم من عشرِ رواياتٍ من العلماءِ الشيـوخِ الذين سبقَ ذكرُهم بإسنادٍ متّصلٍ بالمؤلّـفِ إبراهيمَ بنِ حسن الكردي، واستجازَ روايةَ المُطربِ المعربِ لعبدِ القـادرِ بنِ خليل المدني بسبع رواياتٍ، أخذَها من الحسينِ بن علي العمري.

ثالثـاً: كانتْ الإجازةُ من حيثُ أسلـوبِ صياغتها وشروطها متفقـةً مع مثيلاتها من إجازاتِ العصرِ، فقـد أجازَ الإمامُ يحيى الشيخَ عبـدالمعطي السقا على الشرطِ الذي بينَ علماءِ الأمةِ وحفّاظِهـا، وهو صحّةُ النقلِ وضبطُ اللفظ، والتوقفُ عند الاشتباهِ.

رابعـاً: أوردَ الإمامُ يحيى في الإجـازة أسماءَ مشـايخِهِ الذيـن أجازوه بـذلك، وبلغ عـددهم عشرين عـالماً، ثم تناولَ إسنـادةَ في روايـةِ كلّ كتـابٍ بسندٍ تـامٍّ كاملٍ، يصلُ إلى مؤلِّف الكتاب نفسِه، وكانَ حريصاً على نقدِ السَّندِ.

خـامساً: أوصى المُجـازَ بتقوى اللهِ سّراً وإعـلاناً، والعمل بطـاعةِ اللهِ واجتنـاب سخطِه والاعتصام بكتابِ اللهِ وسنّة رسـولِه وعترتِهِ أهلِ البيتِ، فإنَّ كتابَ اللهِ وسنـةِ رسـولـِه وعترتـه هي أسبـابُ الفـوزِ والنجـاةِ، وحـولَ هـذه الوصيـةأوردَ العديد من الأحـاديثِ المسنَدَةِ وأفـاضَ في تخريج الأحاديثِ، وحقِّ العترةِ في الذَّودِ عن الـدينِ، وإعلانِ الحقِّ، ومن ثَمَّ ذكَـر فضائلَ آلِ البيت ووجوبَ مناصرتِهم ومحبَّتِهم ومنقبةِ اصطفائِهم.

سـادسـاً: استمدَّ من المُجـازِ لـه ومنَ العلماءِ الـذين وقفوا على هـذه الإجـازةِ، الدعـواتِ الصالحات لخير الـدارين، وأنْ يحفظَ اللهُ دينَ الإسـلام ويحميَهُ وأهلهُ من كيدِ أعدائهِ اللئام.

وختَم الإجازةَ بقولـه «وأنْ يجعلَ خيرَ أعمارِنا آخرَها، وخيرَ أعمالِنـا خواتِمَها،

وخيرَ الأيام يومَ لقائِه».

ومن نـاحية أخـرى، فقد أوردَ صاحـب فهرس الفهـارس والاثبات[1]، أنه وقفَ على إجازةٍ كتبها الإمام يحيى بن محمد حميـد الدين سنة ١٣٤٥هـ للعلامة أحمد زكي باشـا فيها «إن طـرق روايتنا لما نحن بصـدده متعددة على قـدر تعدد طـرقهم، ومن أخصر الطـرقِ وأمتعها مـا نرويـه بـالسند المتصل إلى القـاضي العـلامـة أحمد بن محمـد قـاطن اليمني لما رواه عن مشـايخه الأعـلام في مـؤلفـه «الأعلام بأسـانيد الأعـلام»، وهو مـؤلف نفيس حاوي من الأسـانيد ودواوين التواريخ ما يروي الغلة ويزيل العلة.

ونحن نـروي ما حـواه ويتصل سندنـا بمـؤلفه عن شيخنـا العلامـة شرف الدين القـاضي الحسين بن علي العَمْري، عمـره الله، عن شيخـه أحمد بن محمد السيـاغي عن القـاضي الحسن بن أحمد الـربـاعي عن القـاضي أحمد بن محمـد القـاطـن» ثم رفع الإمـام يحيى سنـده من طـريق المترجم إلى سيرة ابـن هشـام واكتفاء الكلاعي وروض السهيلي وكامل ابـن الأثير ووفيات ابن خلكان وأغاني الأصبهاني وفتوح مصر لابن عبـد الحكم، والعقد الحسن في طبقات أهل اليمن لأبي الحسن الخزرجي، صـاحب الخلاصة، وقُـرة العيـون بأخبار اليمن الميمـون وبغية المستفيد في أخبار زبيد لابن الديبع.

وهذا بـاب في دراسة التـاريخ الإسلامي عـامة واليمني خـاصة، وقـد ذكر صـاحب فهرس الفهـارس بأن الإمام يحيى بن محمـد حميد الـدين «لعله خـاتمة ملوك الإسلام الذين أجيزوا وأجازوا»[2].

(١) انظر، الكتاني، فهرس الفهارس، ٢/ ٩٣٩.
(٢) المرجع السابق، ٢/ ٩٣٩.

هذه صورة اجازة كتبها مولانا الامام امير المومنين
المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين
حفظه الله تعالى للشيخ العلامة عبد المعطي
السقا احد علماء الجامع الازهر
بمصر في شهر شوال احد
شهور سنة ١٣٤٤

في الصورة التي حررتها بخط السيد العلامة عماد الاسلام يحيى بن علي الذاري وقدمها الى الحضرة المشرفة
بعد البسملة تعلم مولانا امير المؤمنين ما لفظه يقول عبد الله المفتقر الى عفو الله امير المؤمنين المتوكل
على الله يحيى بن امير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين ضاعف الله لهم
الحسنات وغفر لهم السيئات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رفع درجات العلماء وجعلهم قادة في الدين وحكاما وشرفهم بالشهادة على وحدانيته وعدله ابانة منه تعالى لقدر العلم واهله وفضلهم بوراثة الانبياء وحكم بانهم اهل خشيته الاتقياء واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن محض اليقين خالية عن النطق التخمين راسخة في الفؤاد كافلة بالفوز في المعاد واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وجعله للنبوة ختاما ورفع له في الدارين الرتبة ومقاما وانزل عليه القران ونسخ بدينه الاديان صلى الله عليه وعلى اله نجاة الخلق عند كل مزلة وعصمتهم من الفتن المضلة ورضي الله عن الصحابة الاخيار من المهاجرين والانصار وعن التابعين لهم باحسان على مر الاعصار وبعد فان الله تعالى لم يخل عباده من قائم من العلماء بحجة وداع الى نهج الرشاد وسواء المحجة اودعهم الله امانته حتى يردوها الى نظرائهم ويزرعوها في قلوب اشباههم وان ممن سلك تلك الطريقة وحمل اعباء تلك الحقيقة الشيخ العلامة الفاضل الصدر الفهامة الحلاحل عبد المعطي السقا حرسه الله ذاته وابقاه وهو احد علماء الجامع الازهر حماهم الله وحاطهم عن الشر فانه كتب الينا على بعد الدار وشطط المزار من مصر المعزية الى الديار اليمنية طالبا اجازة مروياتنا من العلوم الدينية الاسلامية لاخذ العلم عن اربابه وحمله عن اهله ونصابه عملا بقوله صلى الله عليه واله وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين [illegible] روى الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان عليه السلام باسناده الى امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال ايها الناس ان العلم الذي انزله الله على الانبياء قبلكم في عترة نبيكم فاين يتاه بكم عن علم تنوسخ من اصلاب اصحاب السفينة هؤلاء مثلها فيكم وهم كالكهف لاصحاب الكهف وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة وهم باب حطة من دخله غفر له خذوا عني عن خاتم المرسلين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وهذا الخبر تسميه علماء العترة واشياعهم خبر السفينة الكبير ٥

ان هذا العلم دين فانظروا عمن تاخذون دينكم وقوله صلى الله عليه واله وسلم

[illegible]

اذا شئت منهاجا الى الحق هاديا ۞ لسالكه عند اختلاف المآخذ
فلا تعدُ عن نهجي كتاب وسنة ۞ وعض على ما فيهما بالنواجذ
ولا تعدُ عن منهاج آل محمد ۞ سفينة نوح ملتجا كل عايذ
هم سيف مظلوم وهم حتف ظالم ۞ وهم غيث محتاج وهم غوث لائذ

والراغب الوصل الاسناد الذي هو لحفظ علوم هذه الامة خير عاذ قال الامام الناصر الكبير الحسن بن علي الاطروش عليه السلام حديث بلا سند كبيت بلا عمد وفي رواية الامام المؤيد بالله احمد بن الحسين بن هرون عليه السلام في خطبة شرح التجريد عن الامام الناصر عليه السلام الاسانيد سلاح المؤمن وكل حديث لا اسناد فيه فهو خل وبقل وروى الامام المؤيد بالله عليه السلام في خطبة شرح التجريد باسناده عن الباقر عليه السلام انه قال من طلب العلم بلا اسناد فهو كحاطب ليل قال الامام المؤيد بالله عليه السلام والحجة في السماع قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فقرن الرواية بالسماع من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولما جاء عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم من قوله نضّر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وقوله صلى الله عليه وآله وسلم تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم الى غير ذلك من الاخبار واقوال السلف الصالح والآثار.

فنقول انا قد اجزنا للشيخ المذكور على الشرط الذي بين علماء هذه الامة وحفاظها يدور وهو صحة النقل وضبط اللفظ والتوقف عند الاشتباه ان يروي عنا جميع مروياتنا من العلوم الاسلامية من معقول ومنقول وفروع واصول ما تلقيناه عن مشايخنا بحار العلوم واطواد الحلوم ولنا مشايخ عدة اولهم ودرة تاجهم والدنا الامام المجدد امير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن الحسين بن الامام المنصور بالله القسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن احمد بن الامير الحسين الاملحي بن علي بن يحيى بن محمد العالم بن الامام يوسف الاصغر الملقب بالاشل بن القاسم بن الامام الداعي الى الله يوسف الاكبر بن الامام المنصور بالله يحيى

بن الامام الناصر لدين الله احمد بن الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين الحافظ
بن الامام ترجمان الدين نجم ال الرسول القاسم بن ابراهيم طباطبا الغمر بن
اسماعيل الديباج بن ابراهيم الشبه بن الحسن المثنى الرضى بن الحسن السبط
امير المومنين بن الوصي الانزع البطين امير المومنين علي بن ابي طالب
وابن فاطمة الزهرا سيدة نسا العالمين بنت رسول الله الامين محمد المصطفى
المكين مختار رب العالمين صلى الله عليه واله وسلم ⊙

سلسلة من ذهب ، منوطة بالشهب
ودوحة تردد ، بين وصي ونبي

والمولى العلامة الرباني شيخ الاسلام علي بن علي اليماني ابقاه الله تعالى ⊙
والعلامة بدر العلوم السارية احمد بن عبد الله الجنداري رحمه الله والعلامة ملحق الاصاغر
بالاكابر لطف الباري بن محمد شاكر رحمه الله تعالى والعلامة جبل العلم الراسي
محمد بن احمد العراسي رحمه الله والعلامة المحقق الزاهد عبد الله بن احمد المجاهد
رحمه الله تعالى وابنا اخيه علامة العصر القاضي وجيه الاسلام عبد الوهاب
بن محمد بن احمد المجاهد ابقاه الله ومنهم السيد العلامة زيد بن احمد الكبسي رحمه الله
والسيد العلامة محمد بن علي الجميري رحمه الله تعالى والعلامة الحافظ عبد الرزاق
بن محسن الرقيحي الصنعاني رحمه الله تعالى والعلامة محمد بن احمد حميد رحمه الله
والعلامة الفاضل اسمعيل بن علي الريمي عافاه الله والعلامة عبد الله بن علي الحضوري رحمه
رحمه الله تعالى والقاضي العلامة محمد بن محمد جغمان ومنهم القاضي العلامة
حليف العلم والجهاد محمد بن سعد الشرقي ابقاه الله ووالده القاضي العلامة
سعد بن محمد الشرقي ومنهم المولى العلامة شرف الانام حجة الاسلام الحسين بن
علي العمري عمره الله تعالى ومنهم القاضي العلامة علي بن حسين المغربي رحمه الله
ومنهم الاخوان القاضيان العالمان محمد بن عبد الله الغالبي وصنوه ابراهيم
بن عبد الله رحمهما الله تعالى **وقد احلنا** المجاز له في تفصيل
اسانيد مولفات العلوم على ما صحت لنا روايته من كتب الاسانيد
وهي اتحاف الاكابر باسناد الدفاتر للقاضي العلامة شيخ الاسلام محمد بن علي
الشوكاني والامم لايقاظ الهمم للشيخ ابراهيم بن حسن الكردي

القاضي العلامة شرف الاسلام

والمطول

والمطرب المعرب الجامع لاهل المشرق والمغرب للشيخ عبد القادر بن
خليل المدني فطريقنا في اتحاف الاكابر عن شيخنا بدر العلوم الساري احمد بن عبد الله
الجنداري عن شيخه السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب رحمه الله عن القاضي
احمد بن محمد الشوكاني عن والده شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني ح وعن شيخنا احمد
بن عبد الله الجنداري عن شيخه السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب عن القاضي
عبد الله بن محسن الحيمي عن المولف شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني وطريقنا في الامم
لايقاظ الهمم للشيخ ابراهيم بن حسن الكردي عن شيخنا احمد بن عبد الله الجنداري
عن شيخه السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب عن القاضي احمد بن محمد الشوكاني
عن والده شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن شيخه السيد العلامة عبد القادر بن احمد
الكوكباني عن الشيخ عبد الخالق بن ابي بكر المزجاجي عن محمد بن ابراهيم بن حسن الكردي
عن والده المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي ح وبه ويرويه عن شيخنا احمد بن
عبد الله الجنداري عن شيخه السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب عن القاضي
عبد الله بن محسن الحيمي عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن السيد عبد القادر
بن احمد الكوكباني عن محمد بن حيوه السندي عن سالم بن عبد الله بن سالم
البصري عن ابيه عن المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي وطريقنا في
اتحاف الاكابر عن المولى العلامة الحسين بن علي العمري عمره الله عن شيخه
العلامة احمد بن محمد السياغي عن العلامة الحسن بن احمد بن يوسف الرباعي عن المولف
شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني. وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن شيخه احمد بن محمد
السياغي عن شيخه السيد العلامة الامام عباس بن عبد الرحمن عن المولف شيخ الاسلام
محمد بن علي الشوكاني ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد العلامة الحافظ
المسند محمد بن اسماعيل الكبسي عن المولف شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني وطريقنا
في الامم عن العلامة الحسين بن علي العمري عمره الله عن شيخه احمد بن محمد السياغي عن شيخه
الحسن بن احمد الرباعي عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن شيخه السيد عبد القادر
بن احمد الكوكباني عن محمد بن حيوه السندي عن سالم بن عبد الله بن سالم البصري
عن ابيه عن المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري
عن شيخه احمد بن محمد السياغي عن السيد الامام عباس بن عبد الرحمن عن شيخ الاسلام محمد
بن علي الشوكاني عن شيخه صديق بن علي المزجاجي عن شيخه سليمن بن يحيى الاهدل

عن احمد بن محمد الاهدل عن احمد بن محمد النخلي عن المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي
ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد العلامة المجتهد المسند محمد بن اسمعيل
الكبسي عن السيد احمد بن زيد الكبسي عن السيد حسن بن يحيى الكبسي عن السيد قاسم
بن محمد الكبسي عن السيد المنير محمد بن اسمعيل الامير عن الخطيب الشيخ عبد الرحمن بن ابي
الغيث عن المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري
عن السيد العلامة القاسم بن الحسن بن المنصور عن السيد العلامة محمد بن محمد الظفري
عن السيد العلامة علي بن احمد الظفري عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن السيد العلامة عبد
القادر بن احمد الكوكباني عن الشيخ عبد الخالق بن ابي بكر المزجاجي عن ابيه عن الشيخ علاء الدين
المزجاجي عن المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري
عن شيخه احمد بن محمد السياغي عن الحسن بن احمد الرباعي عن والده احمد بن يوسف الرباعي
عن السيد عبد الله بن محمد بن اسماعيل الامير عن والده عن الشيخ عبد الرحمن بن ابي
الغيث عن المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي **وطريقنا في اتحاف الاكابر**
عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن القاضي العلامة محمد بن احمد العراسي عن السيد
محمد بن يحيى الاخفش عن المولف شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني ح وعن القاضي العلامة
علي بن حسين المغربي عن السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب عن القاضي
احمد بن محمد الشوكاني عن والده المولف شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني ح وعن القاضي
العلامة علي بن حسين المغربي عن السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب عن القاضي
عبد الله بن محسن الحيمي عن المولف شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني [illegible]
الامير عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب
عن القاضي احمد بن محمد الشوكاني عن والده شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن السيد عبد القادر
بن احمد الكوكباني عن عبد الخالق بن ابي بكر المزجاجي عن محمد بن ابراهيم بن حسن الكردي
عن والده المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي ح وعن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي
عن السيد عبد الكريم بن عبد الله ابو طالب عن القاضي عبد الله بن محسن الحيمي عن شيخ الاسلام
محمد بن علي الشوكاني عن شيخه السيد عبد القادر بن احمد الكوكباني عن شيخه عبد الخالق بن
ابي بكر المزجاجي عن محمد بن ابراهيم الكردي عن ابيه المولف الشيخ ابراهيم بن حسن الكردي
ح وعن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي عن القاضي العلامة محمد بن احمد العراسي عن السيد محمد بن يحيى
الاخفش عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني عن شيخه صديق بن علي المزجاجي عن شيخه
سليمن بن يحيى الاهدل عن احمد بن محمد الاهدل عن احمد بن محمد النخلي عن المولف الشيخ ابراهيم
بن حسن الكردي **وطريقنا في المطرب المعرب** للشيخ عبد القادر

بن خليل

٧ بالاجازة العامة عن السيد العلامة المحدث شيخ القراء السيد علي بن احمد الشرفي ...

بن خليل المدني عن العلامة الحسين علي العمري عمره الله عن شيخه احمد بن محمد السياغي عن الحسن
بن احمد الرباعي عن السيد العلامة عبد الله بن محمد بن اسمعيل الامير عن المولف الشيخ
عبد القادر بن خليل المدني ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد احمد بن محمد
الكبسي عن السيد علي بن احمد الظفري عن السيد عبد الله بن محمد الامير عن المولف
ح وعن العلامة الحسين بن علي العمري عن السيد احمد بن محمد الكبسي عن السيد يحيى بن
مطهر عن السيد عبد الله بن محمد الامير عن المولف ح وعن العلامة الحسين بن علي
العمري عن العلامة محمد بن محمد العمراني عن السيد العلامة عبد الله بن محمد الامير عن والده
السيد العلامة البدر المنير محمد بن اسمعيل الامير عن المولف الشيخ عبد القادر بن خليل المدني

هذا والذي نوصي به المجاز له وفقنا الله واياه الى رضاه هو تقوى الله سبحانه
سرا واعلانا فذلك انفضل ما تواصا به المومنون والعمل بطاعته واجتناب مساخطه
والاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله وعترته اهل بيته فان كتاب الله وسنة رسوله وعترته
هي اسباب الفوز والنجاة روى الامام الناطق بالحق ابو طالب يحيى بن الحسين بن هرون عليه
في اماليه بسنده الى علي عليه السلام قال لما ثقل رسول الله صلعم في مرضه والبيت غاص بمن فيه قال
ادعوا الحسن والحسين قال فجعل يلثمهما حتى اغمي عليه قال فجعلت ارفعهما عن وجه رسول الله
صلعم قال ففتح عينيه وقال دعهما يتمتعان مني واتمتع منهما فانهما ستصيبهما بعدي
اثرة ثم قال ايها الناس اني قد خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي اهل بيتي فالمضيع
لكتاب الله كالمضيع لسنتي والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي اما ان ذلك لن يفترقا
حتى اللقاء على الحوض وهذا الحديث ... الشيخ ... ما روى ان رسول الله صلعم ذكر مع الكتاب
السنة وحدها وما في صدر حديث الغدير المتواتر فانه ذكر مع الكتاب العترة فقط فلا منافاة
بين استخلاف السنة مع الكتاب واستخلاف العترة مع الكتاب فيكون الثلاثة الكتاب والسنة
والعترة مستخلفات على الدلالة والهداية كما نص هذا الحديث وقد اخرج حديث اني تارك
فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان اللطيف الخبير
نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ابن سعد والشافعي
واحمد بن حنبل واخرجه مسلم في صحيحه وابو يعلى عن ابي سعيد والترمذي والطبراني في الاوسط
والحاكم في المستدرك من ثلاث طرق قال في كل واحدة صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه
يعني من تلك الطرق الثلاث واخرجه ابن عقدة في الموالاة والطبراني في الكبير والضيا في
المختارة وابو نعيم في الحلية وعبد بن حميد بسند جيد وابو موسى المديني في الصحابة والحافظ
ابو الفتوح العجلي في كتاب الموجز في فضائل الخلفاء وابن ابي شيبة واسحق بن راهويه
بسند جيد والدولابي في الذرية الطاهرة والبغوي والترمذي ...

وغيرهم بألفاظ يسيرة الاختلاف متفقة المعاني وفي هذا دلالة انه لا يخلو كل زمان عمن يكون اهلاً للتمسك من اهل البيت العترة الطاهرة الى قيام الساعة وفي الحديث لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال قال الامام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الامام المهدي احمد بن يحيى المرتضى عليه السلام في القصص الحق في مدح خير الخلق شعر

فنحن طائفة الحق التي وردت ، فيها الاحاديث مما الكل يرويه

قال القاضي العلامة عبد الله بن زيد العنسي رحمه الله تعالى ظاهرين بالحجة والبرهان مستولين على بعض البلدان بذلك حكم الرحمن وان بهم يرد عن الاسلام كيد الكائدين وينفي بدع المبتدعين روى السيد الامام الناطق بالحق ابو طالب عليه السلام باسناده في اماليه الى جعفر بن محمد عن ابائه عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من اهل بيتي موكلاً يذب عنه يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقد رواه السيوطي عن ابي نعيم في الحلية وابي نصر السجزي في الابانة بلفظ ان عند كل بدعة كيد بها الاسلام واهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم بعلاماته وهو في هذه الرواية مطلق مقيد باهل البيت كما في رواية الامام ابي طالب فيحمل المطلق على المقيد لاتفاق وردا في حكم واحد وهو الاخبار من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما ذكر كما هو مقرر عند اهل الاصول ولقد اختص الله هذه العترة بفضائل لا تحصى كثيرة وفيهم نزلت اية المودة والاصطفاء والتطهير والمباهلة والاطعام والسؤال من اللطيف الخبير ووردت فيهم الاخبار الصحيحة والآثار الواضحة الصريحة وعصم الله اجماعهم عن الخطيئات وشرع الصلوة عليهم في التشهد الخمس الصلوات معدن النبوة والوصاية والخلافة والواجب حبهم وبغض اعدائهم على الخلق كافة ولما نزل قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقال صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول عليا وذريته من بعده فانهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة اخرجه الباوردي وابن منده عن زياد بن مطرف وفي رواية ابي نعيم وليقتد بالائمة من بعدي فانهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذبين بفضلهم من امتي القاطعين منهم صلتي لا انالهم الله شفاعتي واخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس النجوم امان لاهل الارض من الغرق واهل بيتي امان لامتي من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة اختلفوا فصاروا حزب الشيطان قال الحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واخرج ابن عدي في الكامل عن انس وابو داود عن ابن عباس والترمذي وقال حسن غريب والبيهقي في شعب الايمان والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي واخرج الحاكم الجشمي في جلاء الابصار عن علي عليه السلام والى هنا وقف بنا القلم والحمد لله على ما انعم وما خص به وعم وصلى الله على من به يبدأ الذكر الجميل ويختم وعلى آله وسلم ونستمد من المطالع ومن وقف على ما حررنا من العلماء العاملين والفضلاء الصالحين الدعوات في الدارين وبان يحفظ علينا دين الاسلام ويحميه واهله عن كيد اعدائه اللئام وان يجعل خير اعمالنا اخرها وخير ايامنا يوم نلقاه امين اللهم امين وصلى الله على المرسلين والحمد لله رب العالمين تحرير شهر شوال سنة ١٣٤٤ هـ

خير اعمارنا اخرها وخير اعمالنا خواتمها

المبحث الثالث: اختياراتُ الإمام يحيى الفقهية:

الاختياراتُ في الفقـه والأحكام مسألـةٌ معروفـةٌ عندَ الأئمـةِ الزيـديةِ، وهي تتطلبُ اجتهاداً يقومُ على حلِّ بعضِ المشكلاتِ الصعبةِ في المعاملاتِ والأحوالِ الشخصيةِ، وكـان الإمامُ عبدُاللهِ بنُ حمزةَ قـد وضعَ كتابَه «صفـوةُ الاختيارات في أصولِ الفقـه»[1]. لتيسير المعـاملاتِ والتصـدّي لكثيرٍ من مشكـلاتِ عصره، ومثلُه صنَّـفَ الإمامُ المؤيَّدُ بـاللهِ، يحيى بنُ حمزةَ ت ٧٤٩هـ، كتابـة الاختيارات المؤيَّـدية. وكـانت تتصـدّى لحلِّ المشكـلاتِ الاجتماعيةِ وقضـايـا المعامـلاتِ والأحوالِ الشخصيـةِ أيضاً. ومع أنَّ مصطلح «اختيـارات» لا يختصُّ بالضرورةِ بالمعـاملاتِ والأحـوالِ الشخصيةِ، فقد يكـونُ في الأدبِ أو النحوِ أو أيـةِ علومٍ أخـرى، إلا أنَّ ورودَ المصطلح عنـد الأئمـةِ الـزيـديـةِ، إنما كـانَ مقتصراً على المعاملاتِ والأحـوالِ الشخصيةِ، ولا تكونُ تلك الاختياراتُ ولا تـوضعُ للتنفيذِ إلا إذا كانت هناكَ ضروراتٌ اجتماعيةٌ قصوى تقتضي ذلك.

ويبـدو أنَّ سوءَ الأوضـاعِ القضـائية في اليمـنِ إبّانَ العهـدِ العثماني، وتسلَّط المشـايخ على الـرعايـا واللجـوءَ إلى الأعرافِ والتقـاليـدِ عنـدَ أبناءِ القبـائلِ لحلِّ مشاكلِهم بما كانَ يخالفُ أحكـامُ الشريعة الإسلامية مثلَ المبالغة في تقـدير الديّة، أو عدمِ تـوريث النساءِ، مقابلَ إعطـائِهن ما عُرفَ بـالزيارةِ والعيـارةِ وغيرها من الأمور، التي أُطلقَ عليها حكمُ الطاغـوت كانت دوافع أوجبت الاختيارات. ومع أنَّ الاختيارات التي نشرها الإمامُ يحيى بين الحكـام تحدُّ من نفوذِ وسلطاتِ شيوخِ القبائلِ، وتكـونُ عامـلاً لبسطِ سلطةِ الـدولةِ المركـزية في مـواجهة الانتفـاضات القبلية، فإنها مـن ناحيةٍ أخـرى، تقدّمُ بما يُفيـد علوَّ كعبِ الإمـامِ يحيى في ميدانِ الدراساتِ الفقهيةِ، وإدراكَه لطبيعةِ المشاكلِ التي يُعاني منها المجتمعُ اليمنيُّ إثرَ فكاكِهِ منَ السيطرةِ التركيةِ.

(١) أئمة اليمن، ١٠٩.

عمدَ الإمامُ يحيى إلى حكّامِه فألزمَهُمْ أنْ تكونَ أحكامُهم القضائيةُ بموجب الاختياراتِ الفقهيةِ التي بعثَها لهم، ولتقديرِ أهميةِ هذه الاختيارات، سواءٌ من حَيثِ الجهد العلمي الذي بُذِلَ لاستخراجِها، فعُدَّت اجتهاداً للإمام يحيى، أو تيسيرها لأحوالِ العبادِ، وكفِ الظلمِ عن الرعايا، فقد طلبْنا إلى قاضي الأحوالِ الشخصيةِ بالمحكمة الكلية عوض حسين رواجبه، في الكويت والأردن النظرَ في اختيارات الإمام يحيى وابداءِ الرأي فيها، وقد عقد فصْلاً للمسائلِ التي تناولتْها الاختياراتُ، وعلى دراستهِ للمخطوط نتكىء وبناء عليها كانت المسائلُ التي عالجتها هذه الاختياراتُ خمسَ عشرةَ مسألةً هي:

المسألة الأولى:

«لاهبةَ ولا وقفَ لبعضِ الورثةِ دونَ بعضٍ لحديثِ النعمانِ بن بشير[1]، ولقوله تعالى: ﴿**غيرُ مضارٍّ وصية**﴾[2] ﴿**فمن خافَ من موصٍ جنفا أو إثما**﴾[3] ويُستثنى من ذلك، إذا كان الوارثُ ذا عاهةٍ تُعجزُه عن الكسبِ أو من الضعفاءِ الذين لا يملكون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً»، الفقهاء لهم رأيٌ في ذلك، فأبو حنيفةَ يرى التسويةَ مستحبةً وليس فرضاً وحملوا الأمرَ بالعدلِ بينَ الأولادِ على النَّدبْ والنصيحةِ، فإنْ فضَّلَ الأبُ بعضَ الأولادِ على بعضٍ صَحَّ التَفضيل ونُفذ مع الكراهية، أما الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وطاووس والثوري وبعضُ المالكية والشافعية والبخاري وابنُ حزم والظاهري فقد ذهبوا إلى أنَّ التفضيلَ في الإعطاءِ حرامٌ وممنوعٌ سواء في الهبة أو الوقفِ، والاستثناء الوارد في المسألة لسببِ الحاجةِ قاله الإمام أحمد: كأن يحتاجُ الولدُ لزمانتِهِ أي طولُ المرضِ المُقْعِدِ أو لكثرةِ أولادِه أو ركبَتْهُ الديونُ، وصار غارماً، أو لزيادةِ فضلٍ منه على غيرِه، فلا شيءَ في التفضيلِ والنفوسُ لهذا أميل.

وعلى هذا يكونُ اختيارُ الإمامِ يحيى في هذا المسألةِ مثلَ اختيارِ الإمامِ أحمدَ،

(١) حديث النعمان بن بشير، انظره، التاج الجامع للأصول، ٢/ ٢٥٠، نيل الأوطار للشوكاني ٦/ ٨.

(٢) سورة النساء، آية ١٢. (٣) سورة البقرة، ١٨٢.

وفيه نفسُ الاستثناء لنفسِ الغـرض، ولأنّه أرفقُ بالناسِ وأقربُ إلى العـدالةِ، فهو اختيارٌ موفق.

المسألة الثانيةُ : «لا وصيةَ لوارثٍ».

كان اختيارُ الإمـامِ يحيى هذا متفقاً مع نصِّ السنَّةِ ومتابعـةِ مجتهدي السنةِ، لأنّـه أرفقُ وأعدلُ، وحتى لا يكـونَ إضرارٌ بالـورثـةِ بالـوصيّةِ لبعضِهم وإثـارةٌ لعداواتِهم وأحقادِهم. فهو اختيـارٌ متابعٌ لجمهورِ المسلمين وفيه تقليلُ الخلافِ بينهم، وإن كانَ مـذهبُ الزيديـةِ هو الأقـربَ إلى القرآن. فإنَّ هذا الاختيـارُ هو الأقربُ إلى الأحاديثِ المرويةِ المخالفةِ له والناسخة له[1].

المسألة الثالثة: «الكفاءةُ غيرُ معتبرةٍ معَ بلوغِ المرأةِ ورضاها».

الكفاءةُ، المسـاواةُ، ويُقصدُ بها تساوي الـزوجين ومناسبتُهما لبعضٍ، بحيثُ لا يحقـرُ أحدُهما الآخـرُ. ويبدو أنَّ الإمـامَ يحيى قد أخـذَ في هذا الاختيـارِ بنصِّ حديثِ عبدالله بنِ بُريدةَ عن أبيـهِ قال: جاءتْ فتاةٌ إلى رسول اللهِ، صلى الله عليه وآلِه وسلم، فقالـت: إنَّ أبي زوجني ابنَ أخيه ليرفعَ بي خسيستَهُ.

قال : فجعلَ الأمرَ إليها.

فقالت: أجزتُ ما صنع أبي، ولكنْ أردتُ أنْ أعْلِمَ النساءَ أنْ ليسَ إلى الآباءِ منْ الأمرِ شيءٌ. رواه ابنُ ماجةَ وأحمد والنسائي.

لقد تـركَ الإمامُ يحيى في اختيارهِ خلافَ المذاهب في ذلك، كما هـو مذهبُ مالك والظاهرية[2]. ويظهرُ أنَّ الإمامَ يحيى قصدَ منعَ الأولياء من تهديد الزوجِ

---

(١) حول الحديث انظر البخاري ومسلم والترمـذي والنسائي والدارقطني والبيهقي، نيل الأوطار ٦/ ٤٥-٤٧، التـاج الجامع لـلأصـول، ٢/ ٢٦٦، المحلى لابن حـزم، ٩/ ٣١٦، (صـاحب البحر الزخار في فقه الزيدية، فيه تجوز الوصية للوارث).

(٢) المحلى، ١٠/ ٢٤.

بدعوى فسخِ النكاح لعدمِ الكفاءةِ لابتزازِه أو لطردِه، أو لتعطيلِ حظِّ الفتاةِ بالزواجِ حيثُ لم ترضَ الزواجَ على هوى الأولياء.

وهذا أكثرُ تحقيقاً للعدالة، وأبعدُ عن الخصوماتِ والمشاحناتِ وهو قصدٌ حسنٌ موافقٌ للقرآن الكريمِ، قال تعالى: إنّما المؤمنون أخوةٌ»، وقال تعالى: «إنَّ أكرمَكُم عند الله أتقاكم».

لقد كانت مسألةُ الكفاءةِ موضعَ نظرٍ في عقدِ نكاحِ الشريفةِ فاطمةَ بنتِ محمدِ بن هادي المطري، والعاقدُ لها السيدُ صالحُ بنُ عبدالله المطري بالزوج المذكور علي بن حسن مرشد السعودي[1] والذي اعترض عليه ساداتُ غيل مغدف في ٦ ربيع الثاني ١٣٧٩ واستندوا في دعواهم على ما جاءَ في الوابلِ، شرح الأثمارِ للمذهبِ الزيدي في سياقِ الأنسابِ، وسقوطُ المروءةِ ما لفظه: وكذلك الفاطميةُ لا يحلُّ نكاحُها من غيرِ فاطمي ولو رضيت. ورضي الوليُّ؛ لأنّه يتضرَّرُ بذلك في عُرفنا كما يتضرَّرُ بسائرِ الحرفِ الدنيّة. وقد صدَر حكمٌ حرَّرَه حاكمُ خمر، بصحةِ الزواجِ، ثمَّ فسخَ الحكمَ في ١٧ جمادي الآخرة سنة ١٣٧٥هـ.

واسندَ النظرَ فيه بصورةٍ قاطعةٍ للإمام أحمد[2].

لقد كان اختيارُ الإمامِ يحيى في هذه المسألةِ صائباً، فقد خالفَ أولئك الذين اشترطوا الكفاءةَ في النسبِ لصحةِ زواجِ الفاطمية، واتبعَ منهجَ السنةِ ومجتهدي الزيدية، الذين أجازوا زواجَ الفاطميةِ بمن ترضاه ويرضاهُ وليُّها، ويظهرُ أنَّ الإمامَ يحيى قد تأكّد من مشكلةِ العنوسةِ السائدةِ في المجتمع لأسبابٍ عديدةٍ منها: كثرةُ عددِ القتلى من الحروبِ الواقعةِ في اليمنِ، سواءٌ بينَ

---

(١) عمه محسن بن مرشد السعودي، شيخ الشيوخ، المدرس في سودة شَظَب إلى سنة ١٣٥٣هـ ثم انتقل إلى حوُث مدرساً حتى توفي سنة ١٣٦٦هـ، انظر، هجر العلم، ٥٢٢.

(٢) انظر وثائق الحكم في هجر العلم ومعاقله، ١١٠٥، ١١٠٦.

القبائلِ بعضِها البعضِ، أو بينَ أهلِ اليمنِ والقوى الخارجيةِ الطامعةِ في اليمنِ، فكان اختيارُه: «الكفاءةُ غيرُ معتبرةٍ مع بلوغِ المرأةِ ورضاها.

المسألـةُ الرابعـةُ: لا تُقبَلُ شهادةُ شهـودِ المدّعي بعـدَ طلبِهِ ليمينِ المدَّعى عليـه وتحليفِه؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«شاهداك أو يمينُه»، لأنَّ المُرادَ كفُّ الدعوى.

وهـذه مسألةٌ في أدبِ القضـاءِ مذكـورةٌ في كتابِ «نيلِ الأوطـار»[1]، ومثلُه حديثُ وائلِ بن حجر، رواه مسلم والترمذي. وملخَّصُه «أنَّ البيِّنَةَ لا تُسْمَعُ بعدَ الحلفِ، وأنَّ اليمينَ تُسقِطُ الـدّعـوى» وهـذه المسألةُ مـوضعُ خـلافٍ بين فقـهِ الإمامِ جعفرِ الصـادق والظاهريةِ واللقـاني من المالكيةِ وابن أبي ليلى، وإسحاقَ ابنِ راهـويه وأبي عبيـد وأبي علي من الشافعيـةِ، وكذا أبـو حنيفة وابن أبي الـدم وابن فرحـون وأحمدُ بن حنبل وسفيانُ الثوري والليثُ بن سعـد والقاضي شريح. وقد ردَّ على هؤلاء ابنُ حزم في المحلى[2].

وعليه، فـاختيار الإمـامِ يحيى هو الاختيـارُ الصحيحُ، وقد سـارت القوانينُ الحديثةُ عليه كما في كتابِ الـوسيط، شرح القانون المدني المصري، ٢/ ٥٣٤ عند شرحـه للمادةِ ٤١٢ من القـانون، وكـان الأخـذُ بهذا الاختيار في نـصِّ القانـونِ المدني العراقيِّ والسـوريِّ واللبنانيِّ والليبيِّ والفرنسي، وكذلك مـا جاءَ في كتابِ وسائلِ الإثباتِ، لمحمـد مصطفى الزحيلي[3] من ترجيح المذاهبِ القـائلةِ بمثلِ اختيارِ الإمام يحيى.

---

(١) انظر، نيل الأوطار، ٨/ ٣١٣، كتاب الـوسيط، شرح القـانـون المدني المصري للسنهـوري، ٢/ ٥١٤-٥١٤، في الإثبات.

(٢) المحلى، ٩/ ٣٧٢.

(٣) وسائل الإثبات، ١/ ٣٦٤.

المسألـةُ الخامسة: «لا تُشْتَرَطُ الألفـاظُ في البيعِ والإجـارَةِ، إذ المناطُ هـو التراضيَ فكلُّ مـا دلَّ عليـه نفـذَ بـه البَيعُ، إلا مـا نُهيَ عنـه كـالملامسـةِ والمنابذةِ».

هذا الحكمُ هـو قاعـدةٌ كليّةٌ من قـواعدِ الفقـهِ الإسلامي[1]، وكان لفقهاءِ المسلمين رأيٌ في هذا الحكمِ، تنـاوله أبـو حنيفة والشـافعيُّ والزيـديّةُ، حيثُ لا عقدَ بـالإشارةِ إلا مِنَ الأخـرسِ والمصمتِ - من اعتقلَ لسـانُه لمرضٍ أو غيرِهِ، والأعجمِ الذي يسمَعُ ولا يتكلّمُ، وأما مالكٌ فقد أجازَ التعاقدَ بالإشارةِ[2].

وكذا العقـدُ بالمعاطاةِ وهي المبـادلةُ الفعليةُ الدالّـةُ على التراضي. فللفقهاءِ رأيٌ في ذلك، أجازها أبو حنيفة[3]، وأجازها مالكٌ والإمامُ أحمد[4]، أما الشافعي فلم يجزها[5]، والشيعةُ الجعفريةُ مثلُ الشافعي.

وعلى هذا يكونُ اختيـارُ الإمامِ يحيى اختيارَ جمهـورِ المسلمين، وخروجاً على المذهب الجعفـري والزيـدي، وهو اختيـارٌ صحيح، وافقـهُ الفقهُ الغـربي كما في القـانونِ الفـرنسي، وفيه التيسيرُ على المسلمين، وخصـوصاً في الـوقتِ الحاضرِ حيثُ السلعُ مسعّرةٌ، وعلى كلِّ صنفٍ لافتـةٌ بسعرِه، فلو أخذَ أحـدُ الناسِ كيساً ووزنَ فيـه عنبـاً ودفعَ للبـائعِ الثمنَ حسبَ الـلافتـةِ والـوزنِ ومشى كـان بيعـاً صحيحـاً، أما استثنـاءُ الإمـامِ ما نُهِيَ عنـه كـالملامسةِ والمنـابـذةِ، فهو استثنـاءٌ صحيح إذْ لا جِـدَّ ولا رضا في الملامسـةِ والممازحةِ والمنـابـذةِ والتضاحكِ، فـلا يكونُ رضاً وبالتالي لا عقدَ، وهذا كلُّه منهيٌّ عنه، فهو استثناءٌ موفق.

---

(١) انظر مجلة الأحكام العدلية (القواعد)، مادة ٢، مادة٣، الأشباه والنظائر للسيوطي، ص٣٨.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير على مختصر خليل، ٣/ ٣.

(٣) البدائع ٥/ ١٣٤.

(٤) المهذب، ١/ ٢٥٧.

(٥) المغني، ٤/ ٤.

المسألة السادسة:

«ما باعه الفضوليُّ عن الصغيرِ للحاجةِ الماسةِ في سني الشدةِ، فهو نافذٌ عليه من بابِ الصلاحيةِ لتضييقِ الحادثةِ، ولكنْ معَ عدمِ الغُبْنِ في الثمنِ زماناً ومكاناً، ومصيرُ الثمنِ إلى الصغير نفقةٌ لقوله تعالى: ﴿ما على المحسنين من سبيلٍ﴾[1] وهو محسن».

هذه مسألةٌ فقهيةٌ مبنيّةٌ على تطبيقِ القواعدِ الكليّةِ للفقهِ الإسلامي.

- تجدُها في تصرفاتِ الفضولي في البيعِ، وتجدُها في تصرفاتِ النائبِ عن المحجورِ عليه أو في النفقةِ على الصغارِ أو حقوقِ القاصرين.

إن تفسيرَ القرطبي للآيةِ أصلٌ في رفعِ العقابِ عن كلِّ محسنٍ، وبالرجوع إلى القواعدِ الفقهيةِ، نجدُ أنَّ حكمَ هذه المسألةِ مبنيٌّ على أنها حالُ ضرورةٍ واستثناءٌ من القاعدةِ الشرعيّةِ، لا يجوزُ لأحدٍ أن يتصرّفَ في مالِ الغيرِ بلا إذنّه، فقد جاءتْ قواعدُ أخرى تجيزُ التصرفَ في ملكِ الغيرِ بدون إذنِه، مثل الضرورات تبيح المحظورات وقواعدُ أخرى تقيد هذا الجوازَ، وتضعُ له ضوابطَ، وهي:

- لا ضررَ ولا ضرار.
- الضروراتُ تقدَّرُ بقدرِها.
- الحاجةُ تنزلُ منزلةَ الضرورةِ.
- تصرف الراعي منوطٌ بمصلحة الرعية.

وقد جوَّز المسألةَ بضوابطها ابنُ حزم في المُحلى[2]، والإمامُ مالكٌ[3]، وعلى هذا فاجتهادُ الإمامِ يحيى تطبيقٌ لهذهِ القواعدِ واستدلاله بالضرورةِ وبمصلحةِ

(1) التوبة، ٩٢.

(2) المحلى، ٨/ ٣٢٤.

(3) كتاب البهجة لأبي الحسن التسولي، شرح تحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي، ٢/ ٢٩٩ (ط بيروت).

الصغير وبحاجتِه الماسةِ، وبالآيةِ الكريمةِ، كلُّه استدلالٌ صحيحٌ موافِقٌ للوجهِ الشرعيِّ بهذه القـواعد. واستثنـاؤه حالَ الغُبْنِ في البيع حيث مصلحـةُ الصغير وصيرورتُه نفقةً عليـه، وهي من الحاجاتِ الأساسيةِ لـلإنسانِ، كلُّ ذلكَ اجتهادٌ في محله.

ولكنَّ تقييـدَهُ المسألةَ بكـونِها في سني الشـدّةِ، فيـه زيادةٌ، فتكفي الحاجـةُ الماسةُ لبيعِ مالِ الصغير للإنفاقِ عليه أو لحاجةٍ أخرى مبَّررةٍ شرعاً.

المسألة السابعةُ:

«المرأةُ التي غابَ عنهـا زوجُها، وليسَ لـه مالٌ تستنفقُ منـه، وليس لها أيضاً مالٌ، إذا جاوزت غيبـةُ زوجِها ثلاثَ سنين، وجُهِلَ حالُـه، -أحيٌّ هو أم ميتٌ- وأرادت الفسخَ، فلها ذلكَ، لحديثِ أبي هريرة[1]، وحديثُ امرأةِ ثابتِ بن قيس بن شماس[2] لـه دخلٌ في هـذا البـاب، ولقولـهِ تعـالى «ولا تضـاروّهن لتضيّقـوا عليهنّ»[3]، «فابعثوا حكماً من أهلِه وحكماً من أهلها»[4]». ولقولِه صلى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وسلم «في الرجل لا يجدُ ما ينفق على امرأتِه يفرّق بينهما»[5].

هـذه المسألـةُ من مسـائلِ الأحـوالِ الشخصيةِ لـلإنسـانِ، ومن القـانـونِ الاجتماعي للمسلمين، وهي مسـألـةٌ اختلفَ اجتهـادُ المجتهـدين فيهـا على مذاهبَ شتّى إذ لكل مذهبٍ تفصيلاتُهُ وشروطُهُ[6]. وفيها التفريقُ لعدمِ القدرةِ

---

(١) انظره في نيل الأوطار، ٦/ ٣٦٣.

(٢) انظـره في نيل الأوطـار، ٦/ ١٢٧٦ (مشروعيـة خلع المرأة زوجهـا في الإسـلام بحكم القضـاء مقابل تنازلها عن حقوقها.

(٣) الطلاق، ٦. (٤) البقرة، ٢٢٩.

(٥) نيل الأوطار، ٦/ ٣٦٤.

(٦) انظـر أقوال الفقهـاء، رسـالة التفـريق لعـدم الانفـاق في الفقه الإسـلامي وقـانون الأحـوال الشخصية الأردني، قدمها عبد الفتاح عايش عمرو إلى كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

على الإنفاقِ، والتفـريقُ للغيبةِ لمدةِ ثـلاثِ سنوات، وجهـلِ حالِه، أحـيٌّ هو أم ميت.

إن اختيارَ الإمـامِ يحيى في هذه حسمٌ للمسألة، بقـولِه بالفسخِ قـولاً واحداً للجميع، وهو اجتهادٌ جـديد مزيدٌ على كل المذاهبِ في مسألـة التفريقِ لغيابِ الزوج، والتفريقِ لعدم النفقةِ، والتفـريقِ لفقد الزوجِ، وبهذا الاجتهادِ فتحَ الإمامُ يحيى البـابَ للمجتهـدين بعـدَهُ، وثبَّتَ اجتهادَهُـم في إصدارِ قـانـونِ الأسرةِ اليمني رقم ٣ لسنـة ١٩٧٨، الـذي أصـدره مجلسُ قيـادةِ الثـورةِ بقيـادةِ أحمد حسين الغشمي في ٨/ ١/ ١٩٧٨، وهـو أوّلُ قـانـونٍ لـلأسرةِ والأحـوال الشخصيـةِ في البلادِ العـربيـةِ يفتحُ بابَ الاجتهـادِ، ولا يُلـزمُ القاضي بمـذهبٍ معين[1]، وجاءتْ موادُّ اجتهادِ لجنةِ التشريعِ مكمِّلةً لاجتهادِ الإمام يحيى[2].

المسألة الثامنة:

«الهبةُ والنذرةُ ونحوهُما، الواقعـةُ من البائع للمشتري لأجلِ الحيلةِ في إبطالِ الشفعـةِ، لا اعتبارَ لها - لأنّ ذلك لا يكـونُ إلاّ بعـدَ التواطـؤ على ثمنِ الجميع - ويكونُ التعبيرُ بلفظِ النـذْرِ مجرّداً عن إرادةِ المعنى الذي وُضِعَ لـه اللّفظُ - ولو لم يتمَّ بينهما البيعُ لرجوعِ الناذرِ عما نذرَ به على المشتري».

هذه مسألةُ صـوريةِ العقدِ والحيلِ فيها، وهي من مسـائلِ القانونِ المدني في آثار الالتزامِ بـالعقدِ في أبوابِ البيوعِ في الفقـهِ الإسلامي، ولا تجدُ قانونـاً مدنياً إلا وقد نصّ فيه على دعـوى صوريةِ العقد[3]. وتكونُ بعقدٍ ظـاهرٍ وعقدٍ مستترٍ

---

(١) انظر المواد، ١٥٩، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٥، ١١١، ١١٢.

(٢) مواد القـانون تناولت التفـريق لعدم الإنفاق، بـالتمرد أو العسر، والتفريق للغيـاب والتفريق للمفقود. ومن الجدير بالـذكر أن الإمام يحيى من القـائلين بالتفـريق بين الزوجين إذا أعسر الزوج عن النفقة، انظر، نيل الأوطار ٦/ ٣٦٥، سطر ٧.

(٣) حول صورية العقد وشروحاته، انظر الوسيط للسنهوري، ٢/ ١٠٧٣-١١٢٣.

والقصدُ الحيلـةُ، مثل: هبة الرجلِ لـزوجتِه في صورةِ بيعٍ، فـالعقدُ الظاهـرُ هو البيعُ والعقـدُ المتسترُ عليه الحقيقي هـو الهبةُ، ويكـونُ الغرضُ إخفاءَ الهبـةِ عن أعينِ الآخرين من ورثةٍ أو أقاربَ لأيٍّ سبب.

ومثـالٌ آخـر، أن يُكتبَ في عقدِ البيعِ لعقـارٍ ثمنـاً أكثـرَ من الثمنِ الحقيقي تـوقيـاً من الأخـذِ بالشُّفعـةِ، ويحتفظُ المتعـاقـدان بثمنٍ حقيقيٍّ بينهما في ورقـةِ إيصالٍ.

وقد اختلفَ فقهـاءُ المسلمين في ذلك[1]، ولكنَّ اختيارَ الإمـام يحيى في هذه المسألـةِ، واجتهادَه صحيحٌ، وجـاءَ موافقـاً للـوجهِ الشرعي ولمذاهـبِ الشيعـةِ، وتعليلُه صحيحٌ، فهـو ينظرُ إلى العقدِ الحقيقي ويُبطلُ الصّـوريَّ، وهكذا فعلت القوانينُ الحديثةُ.

المسألة التاسعةُ:

«لا تأثيرَ للصُّرّةِ المجهولةِ التي تُضَمُّ إلى الثمنِ لأجلِ إبطالِ الشفعةِ بجهالةِ الثمن - لأنها كالـزيادةِ في الثمنِ، ولا تكونُ إلا بعدَ التـواطؤ بين المتبايعَيْنِ على قدرِ الثمنِ - وإذا فُـرِضَ كونُها من الثمنِ حقيقةً، فالجهـالةُ في مثلِ ذلك يسيرةٌ، يُلزَمُ الشـافعُ قيمتها، لأنَّ جهالتَهـا دونَ جهالـةِ ما شُفِعَ من مبيعٍ كثيرٍ ولا سببَ للشافعِ إلا في بعضِهِ».

هذا اجتهادٌ من الإمامِ يحيى في إبطـالِ إحدى حيلِ الشفعةِ، وتعليلُه في هذا الاجتهادِ صحيـحٌ، ويلحقُ هذا كمثـالٍ في المسألة الثامنـة، وهو مـوافقٌ لمذهبِ المسلمين ما عدا الأحناف[2].

(١) حـوله انظـر، بدائع الصنـائع لعلاء الـدين الكاسـاني، ٥/ ٣٥، الدرر المختـار بحاشيـة ابن عـابـدين، بـاب الشفعـة، ٦/ ٢٤٣، المحلى، ٨/ ٢٨، أعـلام الموقعين لابن قيـم الجوزيـة، ٣/ ١٧١، اللمعة الدمشقية للشهيد العاملي، ٣/ ٤١.

(٢) انظر اجتهاد الأحناف في كتاب تنقيح الفتاوي الحامدية لابن عابدين، ٢/ ١٦٥.

المسألة العاشرة:

«شهادةُ المثلِ مقبولةٌ ما لمْ يُؤْثَرْ عن الشاهدِ الزورُ والدخولُ في الكبائرِ التي تصِمُ وتعمي – وإذا قُبِلتْ شهادةُ الكافرِ عند مظنةِ عدمِ وجودِ المسلم، فبالأولى شهادةُ غيرِ العدلِ عندَ مظنةِ عدمِهِ».

هذه مسألةٌ في البيّناتِ على ما يدّعيه الناسُ أمامَ القضاءِ، وأشهرُ بيناتِ الفقهِ الإسلاميّ شهادةُ الشهودِ، ومستندُها الشرعيُّ قولُه تعالى: «واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإنْ لم يكونا رجلين، فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، أنْ تضِلَّ إحداهما فتذكّرَ إحداهُما الأخرى، ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دُعوا»، وقوله تعالى: ﴿وأشْهِدوا إذا تبايعتم﴾ وقوله في سورة الطلاق **﴿فإذا بلغنَّ أجلَهُنَّ فأمسكوهن بمعروفٍ أو فارقوهن بمعروفٍ، وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم، وأقيموا الشهادةَ للهِ﴾** وتناول هذه المسألة القرطبيُّ في تفسير الآيةِ الأولى من سورة البقرة[1]، وابن رُشدٍ[2] في قبولِ الشاهدِ، أما العدالةُ فذهبَ الجمهورُ إلى أنها صفةٌ زائدةٌ على الإسلامِ، وهو أنْ يكونَ ملتزماً بواجبات الشرعِ ومستحبّاتِهِ، مجتنباً للمحرّماتِ والمكروهاتِ أما أبو حنيفة فعندَه، يكفي في العدالةِ ظاهرُ الإسلامِ، وأنْ لا تعلَمَ منه جرحةٌ، وفي كتابِ اللمعةِ الدمشقيةِ لابدَّ من البلوغِ والعقلِ والإسلامِ، إلا عندَ عدمِ وجودِ مسلمين.

لقد جاءَ في اجتهاد الإمام يحيى التسامحُ في شرطِ التبريزِ في العدالةِ واشتراطِ محافظةِ الشاهدِ على أحوالِ المروءةِ، فهو تقريبٌ من مذهبِ أبي حنيفةَ، وأخذٌ بقولِ المذهبِ القائلِ: الأصلُ في المسلم العدالةُ حتى يثبتَ عليه الفسْقُ، وبذلك يكونُ قد خرجَ الإمامُ يحيى قليلاً عن شروطِ الشيعةِ في

(١) انظر تفسير القرطبي، ٣/ ٣٩٥.

(٢) بداية المجتهد، ٢/ ٤٢٣.

الشاهدِ. أمـا اجتهادُ الإمامِ يحيى في قولهِ: وإذا قُبِلَتْ شهـادة الكافرِ..الخ فهي إشارةٌ إلى الآيات ١٠٦ ، ١٠٧ مـن سورة المائدة، فهذه قدْ أجـازتْ قبولَ شهادةِ الشاهدين غيرِ المسلمين؛ لعدم وجودِ مسلم؛ عندَ الضَّرْبِ في الأرضِ، فشهادةُ المسلم المسترِ الحالِ، الـذي لم يُعْـرَفْ بشهـادةِ الـزورِ، ولا بـالكبـائرِ التي تصمُّ وتعمي أولى. وهـذا قياسٌ صحيحٌ واستـدلالٌ صحيحٌ، والعصر الحالي يؤيـّدُه، وبـذلك يخفُّ الطعنُ في الشهـودِ لتضييعِ الإثبـاتِ على صـاحبِ الحقِّ، وذلك تيسيرٌ وتخفيفٌ في شروط الشاهدِ في الاثباتِ أمام القضاءِ.

المسألة الحاديةَ عشرةَ:

«إجبارُ الزوجةِ على الرجوعِ إلى طـاعةِ زوجها، ولو بالحبس أو حبسِ وليِّها، إذا لم يتحقق الضّرارُ من الزوجِ- وهذا من مواضعِ النظر».

هذه مسألةٌ من الأحـوالِ الشخصيةِ، وهي نشوزُ الزوجةِ عن طـاعةِ زوجِها وإصرارُها على ذلك، وقد وردَ في هذا الموضـوعِ آياتٌ من القرآنِ، وأحاديثُ من السنـةِ واجتهـادٌ من الفقهـاءِ[1]. واجتهـادُ الإمـامِ يحيى في هـذه المسألـةِ يمكن اعتبارَه تـوكيداً وتقـريراً للمذاهبِ الإسـلامية فيما عدا الإمـام مالك، فهـو يقولُ بقولِ المذاهبِ بإجبـارِها بالقوةِ الجبريـةِ، ولو بالحبسِ لها ولـوليِّها، إذا لم يتحقق الإضرارُ بها من الزوجِ، وأما عبارةُ: «وهذا مـن مواضعِ النظر» فتفيدُ بعدمِ الجزمِ في الاجتهـادِ إنْ لم تكنِ العبـارةُ من مـؤلّفِ كتيبـةِ الحكمـةِ أو نـاظمِ أرجـوزةِ الاختيارات.

(١) انظر، سـورة النسـاء، ٣٤، ٣٥، وتفسير القـرطبي، ٥/ ١٧٢-١٧٦، كتـاب مغني المحتـاج للخطيب الشربينـي، ٣/ ٢٦١، معجم الفقــه الحنبلي ١/ ١٥١، المحلى، ١٠/ ٨٧ اللمعــة الدمشقية، ٥/ ٤٢٩.

المسألةُ الثانيةَ عشرةَ: «ما بيعٌ في سني المجاعة لا شفعةَ فيه:

- لحاضرٍ لم يطلب الشفعةَ،

- أو غائبٍ بطلبِ المعيشةِ،

- أو صغيرٍ، لا مصلحةَ له عندَ البيع».

هذه مسألـةٌ من مسائلِ الشفعةِ: وهي إبطـالُ عقدِ البيعِ بينَ عاقـديه، لحقِّ أجنبيٍّ عنهما في المبيع، لاشتراكٍ أو جـوارٍ، وأخـذِهِ المبيعَ بالثمن الـذي بيعَ فيـه بينَ المتعاقـدين، فهو استحقـاقُ الشريكِ أو الجارِ الحصةَ المبيعـةَ في الشركة، أو الملاصقة لجوارِه عند بيعهـا. ودليلُ ثبوتِها السنةُ النبويـةُ لحديثِ جابرٍ عن النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم: «إنما جعلَ النبيُّ، صلى الله عليه وآلـه وسلم، الشفعةَ في كلِّ ما لم يُقْسَمْ، فإذا وقعت الحدودُ وصُرِفت الطرقُ فلا شفعةَ» رواه البخاريُّ وأحمدُ وأبـو داود وابنُ ماجـه، وروى مثلَه الترمـذيُّ وصحَّحه وروى مثلَـه مسلمٌ والنسائي[1]. وقد اختلفَ اجتهـادُ الفقهاءِ فيها[2]. ومنْ مذهبِ العترةِ القائلين بالشفعـةِ في عمومِ المبيعـات، خرجَ اجتهـادُ الإمامِ يحيى وعـدلَ باجتهـاده عن القاعدة إلى الاستثنـاء استحساناً لظرفٍ منـاسب ومصلحةٍ مستوجبـةٍ، وهو حالُ المجـاعـةِ، ففيهـا، على رأي الإمـامِ يحيى واجتهـادِه، يتغيّرُ الحكمُ حتى لا تفـوتَ المصلحـةُ المستوجبـةُ لهذا التغييرِ، وقـد جاءَ مثلُ ذلك في مجلّـة الأحكـام العدليـةِ العثمانيةِ، المشقـةُ تجلبُ التيسيرَ مادة ١٧ وكـان اجتهادُ الإمـامِ يحيى في الأولى: لا شُفعةَ لحاضرٍ لم يطلب الشفعةَ. أخذاً بمذهبِ الإثني عشرية مع قطعِ مادةِ العذرِ، سراعاةً لمصلحةِ وحاجةِ استقرارِ البيوعِ في ظرفٍ مستوجبٍ، وهو سني المجاعةِ.

- وأمـا لا شفعةَ فيـه لغائبٍ بطلبِ المعيشـةِ، فـالأصلُ ثبوتُ حقِّ الشفعـةِ

---

(١) انظر، نيل الأوطار، ٥/ ٣٧٢.

(٢) انظر، المحلى، ٩/ ٨٢.

للحاضرِ والغائب، فإذا عادَ الغائبُ فله أخذُ حقِّه في الشفعةِ.

وعندَ الزيديةِ «يجب متى بلغه البيعُ السيرُ أو إرسالُ رسولٍ، إذا كانت مسافةُ غيبتِه ثلاثةَ أيام فيما دونَها، وإنْ كانت المسافةُ فوقَها لم يجب»! وقال ابنُ حزمٍ في المحلى[1]: وخالفَ هذا الأصلَ إبراهيمُ النخعيُّ، قال: لا شُفعةَ لغائبٍ. وقاله كذلك الحارثُ العكليُّ. وقال عثمانُ البتي: الغائبُ غيبةً قريبةً له شفعةٌ بعكسِ من كانت غيبتُه بعيدةً، فلا شفعةَ له.

وعلى هذا يكونُ اجتهادُ الإمام يحيى في هذه المسألةِ متوسطاً في الأمرِ بين المجيزين والمانعين، والتوسُّطُ هو ما ذهبَ إليه عثمانُ البتي، ولكنه غير مقيّدٍ بزمنِ المجاعةِ، فقيّده الإمام يحيى بزمنِ المجاعةِ، ويكونُ الغيابُ بطلبِ المعيشةِ، وهي غيبةٌ طويلةٌ، فيها تعطيلُ حقوقِ العبادِ في استعمال ما اشتروه، إنْ أُجيزَ الغائبُ غيبةً طويلةً بحقِّه في الشفعةِ، فكانَ في هذا الاختيار التيسيرُ على الناس.

– وأما لا شفعةَ فيه لصغير لا مصلحةَ له عند البيع فيكونُ للأصلُ في الشفعةِ للشريكِ مطلقاً سواء أكانَ صغيراً أو كبيراً، راشداً أو محجوراً عليه، وهي تثبتُ عندَ الشيعةِ الإماميةِ للصبي والمجنونِ والسفيهِ ويتولّى الأخذَ بها الوليُّ مع الغبطةِ في الأخذِ كسائرِ التصرفاتِ، فإن تركَ الوليُّ الأخذَ لهم بالشعفةِ، فلهم عندَ كمالِ رشدِهم الأخذُ، إلا أنْ يُترَكَ لعدمِ المصلحةِ.

قال ابنُ أبي ليلى: لا شفقةَ لصغير، ويظهرُ أنه يُستدلُّ بأنَّ انتظارَ استقرارِ البيعِ حتى يبلغَ الصغيرُ فيه ضررٌ أكثرُ من ضررِ الشريكِ الصغير ليأخذَ بالشفعةِ بعدَ الرشدِ، فهذا ضررٌ محقَّقٌ، وذاكَ ضررٌ متوقَّع أو متوهَّمٌ، والمفروضُ في المسألةِ لا مصلحة للصغيرِ وقتَ البيع.

(١) المحلى، ٩/ ٩٤.

وعلى هـذا، يكـونُ اجتهـادُ الإمـامِ يحيى في هـذه المسألـةِ حسمَ الخلافِ في مسألةٍ فيها وجهـانِ عندَ الشيعةِ الإماميّة، وأخذَ وجـهِ عدم الاستحقاقِ للشفعةِ للصغيرِ إذا لم يكنْ لـه مصلحـةٌ عندَ البيعِ، لأنَّ الأخـذَ بـالشفعـةِ أصلاً مقـرّرٌ للمصلحةِ ويدورُ معها.

ولما لم تكنْ معلـومةً عنـدَ البيعِ فـلا يأخُذُ بها بعـدَ كمالِ رشـده، خصوصـاً والظـرفُ زمنُ مجاعـةٍ، وهـي داعيـةٌ إلى استقـرارِ بيـوعِ النـاسِ واستفـادتِهم بمشترياتِهم على الفـورِ، وكذلك بأثمانِ مبيعاتِهم دفعـاً للمشقّةِ التي تلحقُهم في ذلك الظرفِ الحرجِ.

المسألة الثالثة عشرةَ :

«الغالبُ أنه لا تحقُّقَ للأثمانِ في سني المجاعةِ لعدمِ استقرارها».

هذه مسألـةُ تسعيرِ الأقواتِ وتثمينُ المواد[1]، وللفقهـاء فيها آراءٌ تـراوحتْ بينَ القولِ بالتسعيرِ في ظروفٍ، وعدمِهِ، وقـد جاءَ في اختيارِ الإمامِ يحيى في هذه المسألةِ العملُ بـالسنةِ النبويـةِ، وأخذُه بـالغالبِ في أنَّ الأثمانَ لا تتحقَّقُ بشكلٍ ثابتٍ في سني المجاعةِ لعدمِ استقرارِها.

المسألة الرابعة عشرة:

«العمل بالخطِّ معتبرٌ إذا عُرِفَ الخطُّ ، وكان كاتبُهُ معروفاً بالعدالةِ».

هذه مسـألةٌ منصوصٌ عليهـا في الشرعِ، فهي نقلٌ واختصارٌ لـذلك النصِّ الطويل[2]، ومـا فعلَـه الإمـامُ يحيى هـو تقريـرُ النصّ القـراني الكـريمِ والفقـهِ الإسلامي. ولكنّه أوجزَ العبارةَ.

---

(١) حول هـذه المسألة، انظـر، نيل الأوطار، ٥/ ٢٤٨، الطـرق الحكمية لابن قيـم الجوزية ٣٥٥، الحاوي الكبير، ٥/ ٤٠٧.

(٢) سورة البقرة، ٢٨٢، تفسير القرطبي، ٣/ ٣٨٢، تبصرة الحكام لابن فرحون، ١/ ٣٥٦.

المسألةُ الخامسة عشرة:

«لا عبرةَ بالعُرفِ الجاري في بعضِ الجهاتِ بتأجيل مهرِ الزوجاتِ إلى الموتِ أو الطلاقِ، ما لمْ يذكر التأجيلُ لفظاً فله حكمُهُ».

هـذه مسألةٌ من مسائل المهـرِ في الأحوالِ الشخصيـةِ عند المسلمين، وقـد تنـاولها بـالشرحِ الـوافي ابنُ قيّم الجوزيـة(١) وأورد آراءَ فقهـاءِ المسلمين في هـذه المسألة. ومن خلالِ دراسـةِ أقوالِ الأئمةِ العلماءِ في المسألةِ يكـونُ اجتهادُ الإمامِ يحيى على خـلافٍ مع العلماءِ، ومعَ لجنـةِ تشريـعِ قـانـونِ الأسرةِ اليمني رقم ٣/ ١٩٨٧، المشارِ إليه سابقاً.

كـانت هذه الاختيـاراتُ موضعَ اهتمامٍ وتقـريظِ علماءِ وشيوخِ العصرِ، فقـد نظمَ القـاضي عبـدُ الـرحمن بـنُ علي الحداد، سنـة ١٣٣٩هـ، ارجـوزةً سماهـا «الانتصـاراتُ نظـمُ الاختيـاراتِ»(٢) وقعتْ في ٨٧ بيتـاً، اقتصرت على المسـائلِ الثالثةَ عشرةَ دونَ الرابعةَ عشرةَ والخامسةَ عشرةَ، وله عذرُه فالرابعةَ عشرةَ إنما هي تقريرٌ لما جـاءَ في نصِّ القرآنِ الكريم، والرابعـة عشرةَ، فيها اجتهادٌ مخالفٌ لكلِّ الفقهاءِ والعلماءِ.

والنظـرةُ الشاملـةُ للاختيـاراتِ تفيـدُ بتفتح ذهنِ الإمام يحيى على مشـاكلِ الرعيّةِ وحلِّها بطريقةٍ شرعيةٍ مدنيـةٍ معاصرةٍ. وتظهرُ مدى قدرتِهِ على الاجتهادِ، وتضلُّعه في دراسـةِ المذاهبِ الإسلاميةِ دونَ الانغلاقِ على مـذهـبٍ واحدٍ، ودون حبسِ فكرِهِ في إطارِ المذهبِ الواحدِ، ومـذهبُه الراجحُ هو التيسيرُ على عبادِ اللهِ ورعايةُ مصالحهم.

---

(١) أعلام الموقعين، ٣/ ٩٢.

(٢) انظر، المجموع رقم ٤٨، المكتبة الغربية، بالجامع الكبير بصنعاء ٨١-٨٣.

المبحث الثالث : موقف علماءِ العصرِ من الاختيارات

لقيت اختيـاراتُ الإمـام يحيى الرضـا والقبـولَ من قبلِ العلماءِ والحكـامِ في مختلفِ المنـاطق. وعُبِّرَ عن هذا الـرضا والقبـولِ بأبيـاتِ التقريظِ، التي نظمهـا العلماءُ والحكامُ للثنـاءِ عليها، وإعلانِ فعـالّيتِها في حلِّ العديـدِ من المشاكل أو الاجتماعيةِ القائمـةِ، سواء علـى صـعيدِ المعامـلاتِ من بيــع أو شراءٍ وتسعير أو التصرفِ بالملكيةِ أو الأحوالِ الشخصيةِ وقضايا أدبِ القضاء.

وكان شيخُ الإسلامِ، عليُّ بنُ علي اليماني في طليعةِ منْ قرَّظَ هذه الاختياراتِ فقالَ من قصيدةٍ له:

حوى مـن المسائـلِ المختــارة ما اشتهـرتْ عـن ثاقبٍ أنظاره

أعني الإمامَ بنَ الإمامِ الأعظمِ يحيى، أميرَ المؤمنـين الأفخـم[٢]

وقال حاكم العُدين، حمودُ بنُ محمدِ بنِ الإمامِ في تقريظِه من قصيدة:

منهــم أميرُ المؤمنين يحيـــى من جــدَّدَ الـدينَ لنــا وأحيـا

وبعــدُ فــالمســائلُ المنفّــذة من الإمــامِ عنـدنــا معتمـده

لأنــه يلــزمنــا اجتهــادُه بـأمـــرِهِ في الحكـمِ واعمادُه

ومن يكنْ لـلاجتهــادِ صـالحاً يعـرف فيـه الاجتهـادَ واضحـا

فحـاكم العُدين يـرى في الاختياراتِ تجديـداً وفي صـاحبها إمـاماً مجتهـداً، واجتهادُه واضحٌ بيِّن.

كما أشـادَ بالاختيـاراتِ أحدُ تـلامـذةِ الحسينَ بنِ علي العَمْري، على لسـانِ استاذِه الحسين من قصيدةٍ، منها:

---

(١) انظر المصدر السابق، ٨٣ أ.

وأَوْضَحَتْ منــاهجَ الشريعــة　　وشيَّـــدَتْ حصــونَها المنيعــة
وأنصَفتْ للحـــائرِ المظلـــوم　　مـن كلِّ خبٍّ معتــــدٍ أثيم
مســـائلٌ دليلُهـــا مثلُ القمـــرِ　　جـاءتْ بحسمِ الداءِ في كلِّ نظر
وسهَّلَتْ رفعَ خصـــامِ النـــاسِ　　وأذْهَبَتْ خيَّر هــوى الإلبـاس[1]

فالاختياراتُ في رأيِ الحسينِ بن علي العَمْري، إنما جاءتْ لإنصافِ المظلومِ من كلِّ معتدٍ أثيم، وحسمت الـداءَ الـذي كـان مستشرياً في الأمّـة، ويسرت وسهّلتْ مصالحَ العبـادِ، وأبعدَتْ عنهم الأذى والضرر، وهذه الأبياتُ تـؤكد ما ذهبنا إليه في بدايةِ درسنا لـلاختياراتِ، فما وُضِعَتْ اجتهاداً ونفاذاً إلا للتصدّي لمعـالجةِ مشكـلاتٍ اجتماعيةٍ تـوطّنَتْ في المجتمعِ اليمنـيّ لعقودٍ، سـاد خـلالها قضاءُ الأعرافِ والتقاليدِ، حكمُ الطاغوتِ المضادُّ للأحكامِ الشرعية.

كما قرّظ الاختياراتِ مؤلفُ كتيبةِ الحكمةِ، فقال في قصيدةٍ له:

ما أطلعَ الأنصافُ في أفقِ الفكر　　شمسَ هدىً أنوارُهـا تجلو النظر
مثلَ اختيـاراتِ إمـــامِ الأمـــة　　بحـرِ العلــوم، أوحدِ الأئمــة
يحيـى أمير المؤمنين البـــــدرُ　　خليفــــةُ اللهِ أمـــــامُ العصر
واختـــارَ مـــا رجَّحَ من مســائل　　بـــرهــانُها مِنْ أوْضحِ الــدلائل
حلَّتْ مِـنَ الـــدينِ محلَّ البَصرْ　　وطـــاردَتْ كلَّ ضروبِ الضَّرَر
لـــذاكَ جـــاءَ الخيرُ منهـــا يتْرى　　في حسمِ كلِّ المُعضــلاتِ جَهْـرا

فالاختيـاراتُ ما كانت إلا لإحقاقِ الحقِّ والانصـافِ، وحسمتْ معضلاتِ المشـاكلِ، التي كـانت مـوجودةً، ورسمـت الطـريقَ الشرعيَّ الـواضحَ المعـالمِ للقضاةِ والحكـامِ في مختلفِ البلادِ والنواحي، وكنّـا قدْ أشرنا إلى الأخـذِ بالكثيرِ منهـا في قـوانينِ الأحـوال الشخصيـةِ المعــاصرةِ لأمة الإسـلام، أو حتى عنـدَ

(١) انظر، كتيبة الحكمة، ٢١٢.

الغربيين، مثل قانون الأحوال الشخصية الفرنسي.

وقال فيها القاضي أبو بكر بن علي الحداد شعراً مما لا يخرجُ في فكره ومضمونِهِ عما وردَ قبلاً: فقال:

عمادُ دينِ اللهِ محيي السنة — قلَّدَ أعناقَ الأنامِ المنَّة
بِصْدقِ إنصافَ له ايثارا — للحقِّ فيما قاله واختارا
مرِّجحاً جملةَ مسائلٍ أتتْ — وَفقَ الأدلّةِ كالأهلّةِ أسفَرَتْ
أنوارُها تجلو البصائرَ والبصر — في شرعِ دينِ اللهِ كلُّها دُرر[1]

ولأهميةِ اختياراتِ الإمام يحيى فقد قامَ عبدالله الشماحي بجمعها في كتيِّبٍ عنوانُه» صراطُ العارفين إلى إدراكِ اختياراتِ أمير المؤمنين، وطُبِعَ في مطبعةِ المعارفِ بصنعاءَ سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧، وجرى توزيعه على الحكامِ لاستمرارِ العملِ وفقَ ما جاءَ فيها من أحكام.

المبحث الرابع: مشاركةُ الإمام يحيى في السياسة والحربِ قبل مبايعتهِ بالإمامة:

ومن ناحيةٍ أخرى، فقد شارك الإمامُ يحيى والدَه المنصورَ حياتَه السياسية والحربية. فقد كلَّفه والدُه بالاتصال بالقبائلِ وشيوخها، ينتقلُ من مكانٍ إلى مكان، يعملُ على ترتيبِ الحصونِ والقلاعِ ويجمعُ الجيوشَ.

ففي شوال ١٣٠٩هـ طلبَ إليه والدُه، وكان حينذاك مقيماً بالعِنان - أن يجمعَ عُقّالَ ذي غيلان ويحثَّهُمْ على الجهادِ، وقد نفَّذَ أمرَ والدِه، فجمعَ عُقّال ذي غيلان، وسارَ بجموعِ ذي غيلانَ إلى الحرف[2]. وفي سنة ١٣١٦هـ، قادَ معاركَ الجهادِ في القاهرةِ من الشرفِ الأعلى، وقادَ غزوةَ الشاهل، وهاجم قشلة

(١) انظر، عمدة القارىء، ٣١٦.

(٢) الدر المنثور، ١/ ٤٢٠.

العساكـرِ التركية الشرقيـة[1]، وفي شهرِ رجب من نفسِ السنـةِ عُهد إليـه ترتيبُ مدينـةِ شُهارةَ، حيثُ حصَّنَها، وجعلَ فيها شحنـةً ومؤنةً، وتولّى تقـويةَ وتحصينَ المدينةِ لصدِّ العجمِ عنها، كما قادَ محاربـةَ الأتراكِ في الراحةِ، وأشرفَ بنفسِهِ على توفيرِ الإمداداتِ والمؤنِ للمجاهـدين، حتى نجح بقواتِهِ من محاصرةِ العجمِ في وادي أخرف[2]، وحين قصدَ أحمد فيضي قَفْلَـةَ عِذَر مقـرَّ الإمامِ بقـواتِه يقصـدِ القضاءِ على قاعـدةِ الإمامِ المنصورِ بالله، تولّى الإمامُ يحيى تحصينَ القَفْلَـةِ، فدبَّر المعاقلَ أجلَّ تدبيرٍ، وقوى الأطرافَ، حتى استقرَّ عند الأتراكِ بعدمِ قدرتِهم على اجتثاثِ شأفةِ الإمامِ المنصور وقوّاتِه، فرجعوا من حيث أتَوْا.

وحين عصفت الأحداثُ بمنطقةِ حَبُور في صفر ١٣٢٢ سنة هـ تجهَّز الإمامُ يحيى لتـدبيرِ أمورهـا، حيث مكث خمسـةَ أشهـرٍ، أقامَ فيهـا حكمَ شرعِ اللهِ بينَ أهلها، وأزالَ المناكرَ والمفاسدَ منها. كما استخرجَ أموالاً من صوافي بيتِ المال[3].

وعليه فإنَّ الإمامَ يحيى تولى في عهدِ والدِه الإمام المنصورِ أمورَ بلادِ الشرفين وحجور ومـا إليها، واستفتحَ حصنَ شُهارةَ وبـلادَها، وقـامَ بإعانةِ والـدِه الإمامِ المنصورِ في كثيرٍ من الأمـورِ المهمةِ، وأعانَ في تقـريرِ أيدي عُمّالِ والـدِه وحكّامِ الشريعـة على كثيرٍ من البلاد، وتـولى تجهيـزَ معظم العساكـرِ الإمـامية إلى بـلادِ الخُمَيْس، لتطهير تلك البلاد من الفساد.

وهناك أمران يستحقـان الوقوفَ عندهما وتـدبُّرُهما برويةٍ وتفكـر، كان الأولُّ منها في سنةِ ١٣١٣هـ: حين ارتحل الإمامُ المنصورُ بالله إلى جبـلِ الأهنوم لتدبيرِ حصنِ السِعدان، استنـابَ الإمامُ المنصورُ بـاللهِ ابنه الإمامَ يحيى في المقـامِ بقَفْلَة عِذَر ليقومَ مقامَه في تصريفِ الأعمالِ والإشرافِ على ما يردُ أو ينفذُ من المقَام.

---

(١) الدر المنثور، ١/ ٥٠٠.

(٢) الدر المنثور، ٢/ ٧٠.

(٣) الدر المنثور، ٢/ ١٠٥.

يقابلُ الوفودَ، ويدبّرُ أمرَ المعارك، ويتولى الردُّ على الأمراءِ والعمالِ والحكام.

والأمـرُ الثاني: الاتصـالُ بقادةِ وشيـوخِ وعمّالِ وحكـامِ الجهات، وإصـدارُ الأوامرِ إليهم بعـدَ مشاورةِ والده، والـوثيقةُ رقم ١٩، الصادرةُ منـه بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٣١٨ هـ تُظهِرُ دورَه القياديَّ إبانَ عهدِ والدِه وجاءَ فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيـدي مـولاي عـزَّ الديـن محمدَ بن يحيـى، حفظه الله تعـالى، وحيّـا محيـاه بشريفِ السلام. وزليفِ التحيـةِ والإكرام، واللهُ يحفظُ مولانـا الإمامَ، ويؤيِّـدُ به شرائعَ الإسلامِ، ويجعلُ هذا الشهرَ مرتحلاً بذنوبنا بحق محمد وآله.

وأنه وصلَ كتـابكم الكريمُ، المبشِّرُ بخـروجِكم وسلامتكم التي هي المرادُ، وكما يُقـال: «قنِعَ من الغنيمـةِ بالإيـابِ». ولقـد أصبتم المرقى، ونصبتُم أعمـدةَ السيـاسـةِ العظمى، فما للمهماتِ إلا المطمّاتُ. هـذا وإنّـه لم يتأخـر الجوابُ إلى اليوم، إلا إني أرسلتُ إلى المولى، أيّـده اللهُ، بالكتبِ لأخذِ رأيـه وإعتمادِه، فصدرَ ما ترونَهُ من ا لإمامِ. يكونُ وضع المونةِ التي من لدينا بصناديقها، والتي من الأخ الصفي أحمدَ بن مثنى، وإلى بعدِ العيدِ يُبدي اللهُ ويعيدُ. وإنَّ هذا الدينَ هو دينُ اللهِ، وهـو أولى بنصرتِـهِ وتأييدِهِ، ليـسَ علينا إلا بـذلُ المستطـاع، واللهَ أسألُ أنْ يجعلَ أعمالَنا خـالصةً لوجهِـهِ بحقِّ محمدٍ وآلِـه. والنقيبُ العمادُ والشيخُ منصور متحفان شريف السلام ورحمة الله.

٢٤ شهر رمضان ١٨

مملوكم

يحيى بن الإمام، سامحه الله[١].

والرسالةُ موجهـةٌ إلى السيدِ محمدِ بنِ يحيى بن الحسن محمد بن الإمام الهادي

(١) انظر، وثائق يمنية، ١٧٥-١٨١.

الحسن بن القاسم ت ١٣٣٨ هـ بعدَ عودتِه من إحدى المعاركِ، ولعلها في جبل رازح - يبلّغُـه سببَ تأخيرِه في ردِّ الجوابِ على رسالـةِ السيدِ محمـد بن يحيى بن الحسنِ، إنما يعـودُ لانتظارِه تلقي أوامـرِ والـدِه الإمام المنصـورِ باللهِ بخصـوصِ ذلك الشأن، وكـان الرأيُ «حفظَ الأسلحـةِ والـذخائر التي أرسلتْ مَنَ الإمـام، والتي وصلتْ من أحمد بن مثنى عنتر ت١٣٣٠ هـ في الصناديقِ ثم يكـونُ تدبُّرُ الأمور بعدَ عيدِ الإفطار.

وكـانت اشـاراتُ الإمـامِ يحيى، بـأنَّ هـذا الـدينَ هـو دينُ الله، وهـو أولى بنصرتِـه، ومـا على المرءِ إلا بَـذلُ المستطـاع، رداً على بعـضِ التسـاؤلاتِ التي جاءتْ في رسالةٍ سابقةٍ تخميناً.

وما يهمُّنا من الرسـالةِ، هو قيامُ الإمامِ يحيى بالـردِّ على رسالةِ واحدٍ من أهـمِّ القادةِ، بل وأحدِ أعمدةِ النظام. ولا ندري إنْ كانت هاتان الإشارات. النيابةُ في القفلـةِ، والكتـابةُ بـالأوامـرِ عن الإمـام إلى القـادةِ والأمـراء - تـوحيان بـرغبـةٍ لاستخـلافِ الإمام يحيـى بعدَ والـدِه. ولَكنْ، هلْ لأهلِ الحلِّ والعقـدِ من علماءِ اليمنِ الـرضا بـذلك دونَ تحقيقِ شروطِ الإمـامةِ فيمن يتـولاها. ونحن نـرى أنَّ يحيى بنَ الإمامِ المنصـورِ محمد بن يحيى حميد الدين قـد استكملَ شروطَ الإمامةِ علماً واجتهاداً وجهاداً، فكيف جرى اختيارُه ومبايعتهُ بالإمامة» هذا ما سنعرضُ له لاحقاً.

الباب الثاني
الإمامة والبيعة

الفصل الأول: النهوضُ والدعوةُ

المبحث الأول: منشورُ الدعوةِ

المبحث الثاني: الاستجابةُ للدعوة

الفصل الثاني: معارضةُ الدعوةِ والإمامةِ

المبحث الأول : الداعي المعارضُ حسن بن يحيى القاسمي الضحياني ودعاوي الائتلافِ والاتفاق

المبحث الثاني : الإمامُ يحيى والعودةُ للثورةِ والجهادِ

المبحث الثالث : القضاءُ على حركةِ الحسنِ بن يحيى الضحياني

الباب الثاني

الإمامةُ والبيعة

الفصل الأول

النهوض والدعوة

تقلّدَ الإمامُ يحيى بنُ محمدٍ حميد الدين الإمامـةَ بالطرقِ الشرعيةِ لا بالوراثةِ، وإنما بـالكفـاءةِ والعلمِ والاجتهـادِ، فهـو الإمـامُ الشرعـيُّ بإجماعِ أهل الحلِّ والعقدِ[1].

ولكنَّ المعارَض الضحياني رأى أنّه سبقَ الإمامَ يحيى في النهضةِ والدعوةِ.

في إطـار هـاتين المقـولتين ثـارَ جـدلٌ بينَ الأتبـاعِ والأنصـارِ من جهـةٍ، والمعارضين والمنـافسين من جهةٍ أخـرى، وسرى بينَ القبائلِ والشيـوخِ والعقّال والمناصبِ، بل لقـد امتدَّ التجاذبُ على مدى سبعِ سنـواتٍ ليلفَّ اليمنَ بأزمةٍ

---

(١) الدرر المنتقـاة، ٣، عمدة القـارىء، ٦٤، أئمة اليمن، ٣/ ٥، تاريـخ اليمن للواسعي، ١٩٥، مملكة الإمام يحيى لسلفاتور أبو نتى، ٥٥، ملوك العرب للريحاني، ١/ ١٤٨.

(٢) أورد صـاحب تكـوين اليمن الحديث، ٧٢، وصـاحب هجـر العلم، ١٧٠٠ رواية شفـويـة مفادهـا: أن الشيخ ناصر مبخـوت الأحمر وقد ضرب طوقـاً على أهل الحل والعقد، وقـال: يا سادة! يا فقهاء، مابش معنا غير سيـدي يحيى ولا خرجة لكم من مكانكم إلا بعد مبايعتكم» وهذه الرواية لا تصمد أمـام النقد العلمي، فعلماء اليمن وقادتها لا يمكن أن يخضعوا لضغط شيخ قبيلة، ويتجاوزوا قواعد المذهب ثم إن الـداعي المعارض لم يقل بهذه الرواية طوال فترة=

كانت تصلُ إلى حدِّ القتال[٢].

ولما كان المؤرخ المحـايدُ هـو المدعي والمحامي والقـاضي في آنٍ واحد، فإني سأحـاولُ أنْ أقدّمَ صـورةً معقولـةً قريبـةً من الواقعِ لحدثِ النهـوضِ والدعـوةِ والبيعةِ والمعـارضةِ، مستنـداً على الوثائقِ غيرِ المنشـورةِ بالـدرجةِ الأولى، وعلى المخطـوطاتِ التي لا زالتْ حبيسـةَ المكتبـاتِ العامـةِ والأسريـةِ ولمّا تُبْذَلْ بعـدُ للباحثين، ليكونَ لنا رأيٌ في هذا الحدثِ.

ومن أهمِّ الـوثـائقِ التي سأعـرضُهـا وثيقـةٌ بـريطـانيـةٌ أرسلَ بها الملحقُ العسكري البريطـاني في استانبولَ بتـاريخِ الأولِ من يوليـو سنةَ ١٩٠٦م/ ٢٤ جمادى أول سنة ١٣٢٤هـ.

ورسالـةٌ أخرى بعثَ بها الحسنُ بنُ عبـدالله الضَحْيَاني في سنـة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م إلى الحسنِ بن يحيى بن علي القـاسمي الضحيـاني، الـداعي المعـارض لإمـامةِ يحيى بن محمـد حميد الـدين[١]، وخطابٌ ثـالثٌ وجّهه الإمـامُ يحيى إلى جهـاتٍ كثيرةٍ يحثُّ فيـه اليمنيين على الثـورةِ والجهـادِ ضـدَّ الأتـراكِ في اليمنِ، إضافةً إلى منشورِ الدعوةِ الذي أذاعه الإمامُ يحيى بعدَ وفاةِ والدِه الإمامِ المنصورِ بالله وأعلنَ الدعوةَ والنهوضَ.

ولمّا كان منشـورُ الدعـوةِ قد ضمَّنَـه محمدُ بـن محمد زبـارة في كتابـه «أئمة اليمن، بالقـرنِ الرابعِ عشر، سيرةُ الفـاتحِ الشهيد، الإمـامِ المتوكلِ على الله يحيى ابن محمـد حميـد الـدين» وطبعتـه المطبعـةُ السلفيـةُ ومكتبَتُهـا بـالقـاهـرة سنـة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، فقد قمْتُ بمقـارنتـهِ بمصادرِ العصرِ زيـادةً في التحقيقِ

= الاتصالات ولـو كانت لأوردها في حججـه، وكان نـاصر مبخوت الأحمر شيخ العُصيمات وهي فرع من حـاشد، ولحاشد اتحاد قبـائلها، ولما يرد مثل ذلك لا عنـد الشيخ ناصر ولا غيره من مشايخ حاشد أو غيرهم.

(١) الدرة المنتقاة، ١٨١.

والتدقيقِ. ثم كانتْ لنا دراسةٌ ناقدةٌ للمصـادرِ المعاصرةِ وخاصةً مخطوطةَ الدرة المنتقـاةِ، حيث فحصنـا روايـةَ أحمدَ بنِ عبـدالله الجنـداري المتعلقةَ بـالـدعـوةِ والنهـوضِ، وروايةَ يحيى بن عليٍّ بن نـاجي الحداد في مخطوطـةِ عمدةِ القـارىء وغيرَها من المصادرِ المطبـوعةِ المعاصرةِ للواسعي، والريحاني اللبنـاني وسلفاتور أبو نتي الإيطالي، والتي كان مؤلفوهـا على صلةٍ ودرايةٍ بأحداثِ اليمن وتاريخه. وبعدَ إعمالِ مناهجِ النقـدِ للروايات، أستطيعُ القولَ بأنَّ مـا وردَ في الدرةِ المنتقاة لأحمدَ بن عبدالله الجنـداري كان الأوفى في تنـاوله لأحـداثِ الدعـوة والنهوضِ، فقد أُتيح له الاقترابُ من الحدثِ وكان شاهدَ عيان، وله رأيٌ فيها، بلْ كانَ أحدَ الـذين حضروا مجلسَ العلماءِ، أهلِ الحلِّ والعقدِ، عنـدَ مبـايعةِ الإمـام يحيى بن محمدٍ حميد الدين. والقاضي أحمد بن عبدالله الجنـداري لا نعملُ فيه بالعدالةِ مع عدمِ إغفالنا للعواملِ الذاتيةِ عندَ التأريخِ لأي حدث.

أفـردَ الجنداري للنهـوضِ والدعـوةِ والمعارضـةِ أكثرَ من عشرين ورقـةً من كتابـهِ: «الدرة المنتقاة» من أصلـه البالغ مئـةً وست وثمانين ورقة، وللإحـاطةِ بما وردَ عندَ الجنداري ومقارنتهِ بالمصادرِ الأخـرى، فلا بدَّ من إعداةِ ترتيبِ رواياتِ الحوادثِ وتحليلها ونقدِها. وصولاً لإدراكِ الصـورة الشاملةَ، فإنَّ مَنْ جَهِلَ شيئاً عاداه.

في الـورقـة ٣ أوردَ الجنـداريُّ «وفي صفـر سنـةَ اثنتين وعشرين طلَع الإمـامُ للقراءةِ في الأهنوم، وقـد تعلّق بوالدِه ألمُ الفالجِ، ابتـداؤه في شوالَ قبلَها» وتمضي الروايةُ إلى أنْ يقـولَ: وصلَ كتابُ: «بادر»، فبادَرَ فوجـدَ الإمامَ لا يتكلمُ، ونزلتُ بعدَه -أي الجنداري- فرأيتُه كذلك، وأماراتُ الموتِ ظاهرةٌ عليه».

والروايةُ تفيـدُ بأنَّ أحمدَ بنَ عبدالله الجنداري نفسه رأى الإمـامَ المنصورَ باللهِ محمدَ بنَ يحيى حميـد الدين «مفلوجـاً، لا يتكلمُ وأماراتُ الموتِ ظاهـرةٌ عليه». ونقفَ عنـدَ العبارةِ «مفلـوجـاً لا يتكلمُ» وكأني بالجنـداري يـريدُ أن يـدفعَ عن

لإمامِ المنصور بالله شبهةَ التوصيةِ أو التقريرِ، تلميحاً أو تصريحاً باستخلافِ ابنه لوحيدِ، قولاً وكتابةً.

أما روايةُ زبارةَ في سيرةِ الإمامِ المنصورِ بالله فجاءَ فيها «وفي صفر سنة ١٣٢٢هـ طلَعَ المتوكلُ على الله يحيى بنُ الإمامِ للقراءةِ في جبلِ الأهنوم، والفالجُ قد استمرَّ في الإمامِ المنصورِ بالله، وتعذرت الكتابةُ، وكان يتولى كتابتَه القاضي العلامةُ عليُّ بنُ عبدالله الإرياني، فلما كان في سابعَ عشرَ ربيعِ الأول، جاءَ إلى المتوكل على اللهِ كتابٌ بالليل: «أن الإمامَ صلّى الفجر، ورقدَ وذهبتْ معرفتُه بالدنيا»[1].

ويُدرَكُ من الروايةِ تأكيدُها لما وردَ عند الجنداري أو حتى نقلُها بتصرفٍ إيجازاً وتوضيحاً لما وردَ في الرسالةِ العاجلةِ التي وصلتْ إلى الإمام يحيى، فالجنداري أوجزَها بكلمةٍ واحدة «بادر» أما زبارة ففصّل «أنَّ الإمامَ صلى الفجرَ، ورقدَ وذهبتْ معرفتُه بالدنيا».

وتمضي روايةُ الجنداري لتفيدَ بأن الإمامَ يحيى كتبَ إلى العلماءِ يستدعيهم للوصولِ لطرفه في حصن النواشِ بقفلةِ عِذَرِ الحاشدية، والمبادرةِ لحلِّ تلك العُقدةِ والمشاورةِ، فوصلَ إليه من العلماءِ الأعلام:

لطفُ بنُ محمد شاكر وأحمدُ بنُ قاسم حميد الدين ولطفُ بنُ علي ساري الحوثي، سيدُ أهلِ حوث، وعبدُالوهابِ بنُ محمد المجاهد الشماحي ويحيى بنُ حسن نصار ومن القفلةِ، محمدُ بنُ أحمد حُميد الصنعاني، وعليُّ بنُ عبدالله الأرياني وعليُّ بنُ أحمدَ الخباني وحسينُ بنُ إسماعيلَ الشامي وحسنُ بنُ علي العريض. ومعهم أحمدُ بنُ عبدالله الجنداري الذي كان في حصن النواشِ بصُحبةِ الإمام يحيى.

---

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٤٠٣.

ثم كـانت وفاةُ الإمـام المنصـورِ ليلةَ الخميسِ، وبقيَ يـومَ الخميسِ لا يعلمُ موتَه الناسُ واجتمعَ العلماءُ ليلةَ الجمعـةِ، فنعاه الإمامُ يحيى إليهم وخرجَ عنهم، وهـذه الروايـة تتفق مع ما أوردهُ العـلامة أحمد بن يحيى عـامر وذلك أن الإمـام يحيى حين قضى والـده، رحمه الله تعـالى، جمع مفاتيح المخـازن وبيت المال من أسلحـة ونقـود ومـؤن وغيرهـا، وأرسلهـا إلى جماعـة العلماء وقال لهم: انظروا لـلإسلامِ مَـنْ يقومُ بـه، وأنـا أبرأُ إلى الله - ردّدهـا ثـلاث مـرات بشدة وعـزوف والعلماء في كل مرة يعيدونها إليه حتى يقضي الله أمره فتراجعوا»[1].

والروايةُ لا تخبرُ بـاتصالِ الإمامِ يحيى بشيـوخِ القبائلِ ولا العقالِ ولا العمّالِ أو النظّارِ، وإنما اقتصرت الـدعوةُ على العلماءِ، ذوي الحلِّ والعقـدِ، فهم المعنيون في المقـامِ الأولِ، ورغمَ ذلك فإنَّ الـروايةَ تثيرُ عـدةَ أسئلـةٍ، فلماذا كاتب الإمـام يحيى هـؤلاء العلماءَ دونَ غيرهم، ثمّ لماذا بقي نبأ مـوتِ الإمامِ مكتـوماً، وتأخّـرَ دفنُه، ولم يُذَع بين الناس؟

ومعَ أنّنـا لم تعثرْ في المصـادرِ المعاصرة - فيما انتهى إلى علمنـا - على تفسير لـذلك، فإننـا نعتقدُ بأنَّ الحالـةَ التي كـانتْ مسيطـرةً على الإمامِ يحيى آنـذاك، وصعوبـةَ الاتصالِ بالعلماءِ القـاطنين في المناطقِ الخاضعة للسيطـرةِ التركيةِ مع بُعْدِ الدار ووعثاءِ السفرِ وصعوبـةِ الاتصالِ، كانتْ احدى الأسبابِ المعتبرةِ، ثم إن كتمانَ نبأ موتِ الإمـامِ المنصورِ ضرورةٌ اقتضتها الظروف الحربيـةُ التي كانت سـائدةً في اليمن، فـالصراعُ التركـيُّ - اليمنيُّ لا زالَ على أشُـدّه، والمصلحـةُ تقتضي العملَ وبسرعةٍ على مَلءِ الفـراغِ السياسي والعسكري بعدَ مـوتِ الإمامِ المنصـورِ، كما أنَّ اذاعةَ النبأ بعـدَ تـرتيبِ الأوضاعِ في الجبهـةِ الإمـاميةِ بصـورةٍ سلسلةٍ وبدونِ اضطـراباتٍ ومنازعاتٍ ومشاحنـاتٍ ومنافساتٍ يحدُّ من الأطماعِ التركيةِ في سرعـةِ ابتهالِ الفرصـةِ وتوجيهِ ضربةٍ قـاصمةٍ، تشلُّ حركـةَ القواتِ

(١) انظر رواية سيف الإسلام الحسن بن يحيى وصورة الرسالة مرفقة.

الإماميةِ، سيما وأنَّ الإمامَ يحيى يـدركُ سعيَ البعضِ للخروجِ والدعوةِ لأنفسهم لاعتقادهم بالكفاءة والأهلية وأن شروط تولي الإمامةِ قدْ توفرّتْ فيهم.

أمّا لماذا لم يُراسـل الإمامُ يحيى علماءَ ضَحْيانَ في حينِه ولم يدعهـم للمشاركةِ في حلِّ العُقدةِ والمشاورةِ، فهذا ما سنعرضُ له لاحقاً.

وكانت المراجعـةُ والمشاورةُ في مجلسِ العلماءِ ومنْ ثمَّ حكموا «بأنـه لا يقومُ بهذهِ الخلّةِ أحـدٌ قيامَ ابنِ الإمـام، وأنه من خصـالِ الكمالِ، وكمالِ الخصالِ على التمامِ، وأنّه في عينِ الإنسانِ لها كانسانِ العين»[1].

ويُعْلَمُ مِنَ الحُكم الذي أصدَرَهُ مجلسُ العلماءِ، ذوي الحلِّ والعقـدِ، تزكيةٌ بالكمالِ والأهليةِ من حيثُ الأعلميةِ والأنهضيةِ والكفـاءةِ للإمـامِ يحيى بنِ محمدٍ حميـد الدين وبالنسبـةِ للمناقشـاتِ والمراجعاتِ، ومـا دارَ في المجلسِ المغلقِ فلمْ تتناوَلْـه المصادرُ المعاصرةُ. في حين تمكنتْ الـرواياتُ الشفـوية المبثـوثةُ في المذكّـراتِ الشخصيةِ والتي نُشرتْ حديثـاً من تقديم بعـضِ ما دارَ في مجلسِ العلماءِ المغلقِ، إذْ جـاءَ في بعضِها أنَّ عبدَ الوهـابِ بنَ محمد المجاهد الشماحـي الذماري اشترطَ للمبايعةِ عـدمَ قيام سيفِ الإسلام. محمـد بن الإمـام الهادي شرفِ الدين بن محمـدٍ بالـدعوةِ إلى نفســه، لأنه في نظره أولى بالإمامةِ من غيره، كما ذكرت الروايـاتُ الشفويةُ أيضاً مقولةَ أحمدَ بنِ عبدالله الجنداري بأنَّ الإمامَ يحيى «يصلحُ للإمامةِ لولا بخلِه»[2].

وقـد حـاوَلْنـا قـدرَ جهـدنـــا تحقيقَ الـروايتين من مصـادرَ أخـرى لا سيّما مصنفاتُ الجنداريِّ نفسِه، فلمْ نعثرْ على ما يؤيّدُ ذلك.

ويكمِلُ الجنداريُّ روايتَه فيـذكر: «فأخذَ سيدي أحمدُ بنُ قـاسم حميد الدينِ الطـرسَ وكتبَ البيعةَ، ثمَّ أخـذَها واحـدٌ بعدَ واحـدٍ، كلٌّ كتبَ خطّهُ وبيعتَـهُ». ومعنى ذلك أنَّ العلماءَ، وبالإجماعِ، قـدْ بايعوا الإمامَ يحيى بنَ محمـدٍ حميد الدين

(١) الدرة المنتقاة، ٣.

(٢) هجر العلم ومعاقله، ١٧٠٠.

وكانتْ خطوطُهم شاهدةً بإقرارِهم. ولا اعتبارَ لما ورد عندَ نزيه مؤيد العظم بأنَّ أحدَ أبناءِ عمومـةِ الإمامِ يحيى المدعو أحمدَ بنَ قـاسم حميد الـدين الضَحْياني لم يعترف بإمامةِ المتوكلِ على الله يحيى[1]، فقد وقعَ في خلْطٍ ووهمٍ فأحمدُ بنْ قاسمٍ حميد الدين صنعاني وليسَ ضحياني وهو الذي بدأَ بكتابةِ البيعةِ».

وتسيرُ الروايةُ الجنـدارية وَفْقَ تسلسلِ الحدثِ فتذكرُ: «ثم دخلـوا عليه فامتنعَ واعتلَّ بالتكليفِ وثقلِهِ، فما زالوا به حتى أسعدَ». وهي مسألـةٌ معروفةٌ عندَ العديدِ ممَّنْ تولَّـوا الإمامـةَ، محاولةُ الامتنـاعُ، حتى إذا ما أُلـزِمَ بذلك أجـابَ، ولعلَّ الإمامَ يحيى كان يحاولُ التعرّفَ على بعضِ ما دارَ في الاجتماع المغلَقِ ويتلمّسَ مواقفَ كلِّ عـالمٍ فبنتُ الشّفةِ قـد تدلُّ على المخبرِ، وكـانَ يحيى بنُ عليٍّ ابن ناجي الحدّاد أكثـرَ تفصيلاً من الجنداريِّ في سردِهِ لنفسِ الروايـةِ، فقدْ أوردَ: «فبعدَ أنْ أعلمَ من حضرَ مقامَه الشريفَ من العلماءِ، أنـه كواحدٍ من الناسِ، في بيعةِ مَنْ يقـومُ بالخلافةِ حقَّ القيام، وأنّـه - أي الإمام يحيى - سيبذلُ مجهـودَه في نصرةِ مَنْ يختارونَه وأعـانتَه في كلِّ الأمـورِ، وأنـه غيرُ مترشحٍ لحملِ تلك الأعبـاءِ الجسيمـةِ والمهـامِّ العظيمـة» ويضيفُ يحيى بنُ عليّ الحداد» فلمْ يقبلوا منه الاعتذارَ وألزموه الحجةَ أيَّ ألزامٍ».

والـروايةُ واضحـةٌ في تنـاولها للحدثِ، حيثُ أنَّ العلماءَ لـوّحـوا لـه بإقامـةِ الحجةِ عليه، وألزموه أيَّ إلزام، وتمتْ بيعةُ ذوي الحلِّ والعقد، وكان ذلك في ٢٠ ربيع الأول سنـة ١٣٢٢هـ/ ٦ يونيـو ١٩٠٤م واتخذ لقباً «المتـوكل على الله ربِّ العـالمين»، ثم اشتغل المتـوكل بغسلِ وتكفين والـدِهِ، والصـلاةِ عليـه ودفنـهِ في حوث، وكانَ عليه إعلانُ الدعوةِ واذاعةُ منشورها.

المبحث الأول: منشورُ الدعوة

أعلنَ الإمـامُ المتـوكلُ على اللهِ دعـوتَهُ في يـوم الجمعـةِ ٢٠ ربيع الأول سنـة ١٣٢٢هـ/ ٦ يونيو ١٩٠٤م، وجـاءتْ رسالةُ دعوتِهِ مقرونـةً بإعلانِ خبرِ الوفاةِ

(١) رحلة في بلاد العرب السعيدة، ١٦٣.

رسالةُ دعوتِه وإعلانُ خبرِ الوفاة

أظهر المتوكلُ الدعوة، وكتبَ إلى كلّ الجهات، هذه الأبيات:

[الطويل]

مصـــابٌ أصـــابَ المسلمينَ كبيرُ ... فكلُ مصـــابٍ بعـــد[1] ذاك يسيرُ
ورُزْءٌ أصـــابَ الـــدينَ بعـــدَ كمالِـــهِ ... فَظَهْـــرُ الهدى والـــدين منـــهُ كسيرُ
فيـــا لكَ خطبـاً فـــادحـاً أذهلَ النُّهي ... وفي الجوفِ منـــــهُ أنَّـــــةٌ وزفيرُ
وفي القلب نـــارٌ ليسَ يُطفى لهيبُهـــا ... بـلْ دائماً يـــزدادُ فيـــه[2] سعيرُ
لقـدْ بكَـتِ الأمـلاكُ والأرضُ والسما ... وكـــادتْ رواسي الشـــامخاتِ تسيرُ
فيـــا دهـــرُ بِعْ شأوَ الكمالِ فإنّـــه ... ثـــوى مَنْ بـــهِ كـــانَ الكمالُ ينير[3]
ويا بدرُ لا تطلُعْ ويا شمسُ فارجعي ... ويـــا فَلَكَ الأفـــلاكِ كيفَ تـــدورُ
لقـد هُـدَّ ركنْ الـدينِ والعلمِ والتُّقى ... وكـــادَ عبـــابُ المَكـرُمـــاتِ يغـــورُ
بمـــوتِ[5] أميرِ المؤمنينَ وكهفِهم ... ومَنْ هُـــوَ رُدْءٌ للهـــدى ونصيرُ
أقـــولُ لقـــوم يحملـــون سريـــرَهُ ... وهلْ يَسَـعُ الطـــودَ المنيفَ سريـــرُ
رُوَيْـدَكمـــو يـــا حـــاملينَ لنعشِـــه ... ففي نعشِـــهِ بحـــرُ الكمالِ يمـــورُ
ســـلامٌ على الـــدنيـــا وهجـــرٌ لأهلِهـــا ... فلـمْ يَبْـقَ في وِرْدِ الأنـــــامِ نميرُ
أبَعْـــدَ إمـــام المسلمين وكهفِهم[6] ... نَلَـــذُّ بعيشٍ أو يكـــونُ سرورُ
لقـد كـانَ كهفـاً[7] للضعيفِ وملجأً ... يَـــريشُ الـــذي ينتـــابُـــهُ ويُجيرُ
وكـــان على ذي الجَوْرِ سيفـاً مُهَنّـــداً ... يَصـــولُ عليهم بـــالـــرّدى ويَـــدورُ

(١) في أئمة اليمن، زبارة، سيرة المتوكل على الله يحيى، ٧، «دون».
(٢) زبارة: منه.
(٣) سقط البيت من زبارة. (٤) زبارة، فيا.
(٥) زبارة: لموت. (٦) زبارة: وغوثهم.
(٧) زبارة: ركناً.

فكمْ ظـالمٍ للنـاسِ قـد صـارَ عبرةً وكمْ جـائرٍ نـاواهُ فهـو عقيرُ
وكمْ وقعـاتٍ صـارتِ الرومُ عندهـا تقـولُ لـويـلٍ حـاضرٍ وثبـورُ
ولو رُمْتَ [1]إحصاءً لبعضِ خصالِهِ[1] عجِزْتَ وعـادَ الطَّـرْفُ وهـو حَسِيرُ
فيـا شـامتـاً مـا اللهُ عنكَ بغـافلٍ فـإنَّ لظـيَ للظـالمين مصيرُ[2]
عسى اللهُ يـومـاً أن يَمُنَّ بكـرّةٍ عليهم فتشفى غلـةٌ وصـدورُ
وقلْ للـذي يبغي الغوائلَ للهـدى رويـدَكَ! إني للبغـاةِ نـذيـرُ
ولا بـدّ لي مـا عشتُ من شنِّ غـارةٍ على إثْـرِ أخـرى للعُـداةِ تبيرُ
فهلْ ينفعُ الفُجّـارَ مـوتُ إمـامِنـا على أنّـه ينهـدُّ منـه ثبيرُ
فليسَ إمـامُ الحقِّ أوّلَ ميّـتٍ فكمْ مـاتَ قِـدْمـاً مُـرْسَلٌ وبشيرُ
على أنّـه في الخُلْـدِ جـاوَرَ ربَّـه فـدارَ وربٌّ واسعٌ وغفـورُ
ويـا راحـلاً عنّـا يعـزُّ فـراقُـه إلى اللهِ ربِّ العـالمين تصيرُ
عليكَ سـلامُ الله غير[3] مفـارقٍ لـه في فـراديسِ الجنـان قُصـورُ

وكانت:

نحمدُك يا مَنْ سبقَ كونُه الأكـوانَ، وشملَ علمُه ما سيكونُ وما قد[4] كان، تفرَّدَ بالبقاءِ، وانفـردَ بالعزّةِ[5] والكبرياءِ،[6] وقضى بأنَّ كلَّ ما سواهُ فانٍ، وسبقَ علمُـه بعمـومِ الموتِ على جميعِ الإنسِ والجان، فلمْ يبقَ على ذي شرَفٍ أصيلٍ،

(١-١) زبارة، ولو رمت أن تحصى خصال كماله.
(٢) الدرة المنتقاة، حصيرُ.
(٣) الدرة المنتقاة، خير
(٤) سقطت من الدرر المنتقاة.
(٥) زبارة، العز.
(٦) زبارة، قضى بحكمه بأن.
(٧) زبارة: ولا شبيه له.

ولا صاحبِ قدرٍ جليلٍ، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ لـه، ولا شبيه[٧] ولا مثيلَ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المؤيَّدُ بالتنزيلِ، صلى الله عليه وعلى آلِه المخصوصين بالتعظيمِ والتبجيل.

أما بعدُ،

فصدورُها مخْبِرَةٌ بالخطبِ المهولِ، (١)والمصابِ الذي أذهلَ العقول(١)، والفادحِ القادحِ في القلوبِ زندَ[٢] الحزن، والكارثِ الذي أظلمتْ له جميعُ أقطارِ اليمن. وهو ما اختارَهُ اللهُ وارتضاه لوالدِنا أمير المؤمنين، وسيدِ المسلمين، المنصور باللهِ ربِّ العالمين، تغمّدَهُ اللهُ بجزيلِ رضوانِهِ (٣)وأسكنَهُ أعلى الفردوسِ منْ جنانِه(٣)، من الانتقالِ عن دارِ الأكدارِ والأحزانِ إلى كريمِ جوارِه بأعلى غرفِ الجنان، بعدَ أنْ جاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه، وأقامَ أحكامَ اللهِ في عبادِهِ وبلادِهِ. وجدَّدَ الدينَ وأذلَّ الظَّلَمةَ المعتدين، وجرّع[٤] الغصصَ زُمرَ المفسدين[٥]، فلقدْ أصبحتِ العيونُ بالدموعِ هامية، والجفونُ من بعدِهِ دامية. فإنّا للهِ إليه راجعون. اللهمَّ أجزْهُ عنّا وعمَّنْ شايَعَهُ وبايعَهُ من أهلِ أوانِهِ، أفضلَ ما جزيتَ إماماً عنْ أهلِ زمانِه.

وكانتْ وفاتُه رضي اللهُ عنه في الليلةِ التي أسفرتْ بصبحِ الخميس ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ.

(١-١) سقطت من زبارة.

(٢) في زبارة، نار.

(٣-٣) في زباره، وأسكنه فسيح جناته من الانتقال عن دار الأكدار.

(٤) زبارة، وبعد أن جرَّعَ.

(٥) في زبارة، نقله الله وألحقه بالأئمة السابقين وقد.

وفي اليـوم الثاني، حضرَ العلماءُ الأعـلامُ والساداتُ الفخـامُ إلى هذا المقـام، ولما رأوا منْ أهمِّ الـواجبـاتِ نصْبَ منْ يصلُحُ للقيـامِ بما يكـونُ فيـه صـلاحُ المسلمين والإسلامِ، عـوَّلوا علينا ووجهوا خطـابَهُم إلينا وألزمونـا الحُجةَ، وتحتَّمَ القيـامُ بهذا المنصبِ الشريفِ، وتحملُ تلك الأعباءِ التي فيهـا شـاقَ التكليفُ، فلم نجدْ بداً من الإسعادِ، فتوكلنا على اللهِ في الإصدارِ والإيراد، سائلين منْ بيده الحولُ والقوةُ أن يمدَّنا بعزيزِ النّصرِ والإمدادِ. وأنْ يُصْلِحَ بسعينا العبادَ والبلاد.

وإنا قـدْ نشرْنا في ذلك اليـومَ الدعـوةَ الميمونـةَ التي هي بالخيراتِ مقـرونة، فنُلْزِمُكُمْ أيّها المؤمنون والشيعةُ المودون بما افترَضَهُ اللهُ عليكم من السَّمْعِ والطاعةِ والنصحِ والسلوكِ مسلكَ الجماعةِ، وبذلِ الجدّ والاجتهـادِ والمسارعةِ إلى فريضةِ الجهـادِ. وتطهيرِ أرضِ الله ممنْ يبغي في الأرضِ الفسـادَ. وإلا تفعلوه تكن فتنـةٌ في الأرضِ وفساد. وحسبنا الله ونعمَ الوكيل.

ومن وصلَ والـدنابشيءٍ من القـرآن والدعاءِ فلَـهُ ثوابُ ذلك، فطـالما نصحَ العبادَ، وحمى الشريعةَ بالجدِّ والاجتهاد حتى أتاه اليقين.

والله الموفقُ إلى ما فيه رضاه

وصلّى اللهُ وسلم على محمدٍ وآله الطاهرين.

في عشرين ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ.

ويُلاحظ بأنَّ منشورَ الدعوةِ قد تضمَّنَ الأمورَ التالية، وهي:

- نعيٌ للإمـامِ المنصورِ بالله ورثـاءٌ وتذكيرٌ بما قامَ به في خـدمةِ الإسلامِ ورعـايةِ مصـالحِ المسلمين، ونصرةِ الضعيف والمسكين والأخـذ على أيـدي الجائرين والجهـادِ في سبيلِ الله ضـدَّ البغـاةِ والمفسـديـن وقيـامِـه بإظهـار أحكـام اللهِ وشريعته.
- إعـلانٌ للنـاسِ بما تمَّ يومَ وفـاةِ الإمـامِ المنصـورِ بالله، والـدِه، في الليلـةِ التي

أسفرتْ بصبحِ الخميس ١٩ ربيع الأول ١٣٢٢هـ، ثم حضورُ العلماءِ وما كان منهم إذْ «عوّلوا علينا ووجّهوا خطابَهم إلينا، وألزمونا الحجةَ، وتحتّمَ القيامُ بهذا المنصبِ الشريفِ، وتحمُّلَ تلك الأعباءِ التي فيها شاقَ التكليف».
فالعلماءُ قد رأوا أنّه لا يقومُ بهذا الأمرِ إلا يحيى بن محمد حميد الدين، ومصطلح «عوّلوا علينا» جاءَ في مكانه من البيانِ، يقال عوّلنا على فلانٍ في حاجتنا، أي فزعنا إليه حينَ أعْوَزَنا كلُّ شيء، وعَوَّلْتُ عليه أي أدْ لَلْت عليه، ثم سألوه ذلك، وألزموه الحجةَ وإلا أقاموها عليه، فكانَ لابدَّ من الإجابةِ وتحمُّل هذا العبءِ الشاقِّ بما فيه من تكليف» ويفهمُ من العباراتِ «عَوّلوا، وجّهوا، ألزموا، الإسعاد أي القبول» أن الخطواتِ الشرعيةَ في تولّي الإمامةِ قد اتُّبِعَتْ، وأنَّ البيعةَ قد وقِّعتْ بطريقةٍ شرعيةٍ، رغبةً دون رهبة، ودونَ غصبٍ لحقِّ أحدٍ. وانعقدت البيعةُ له بالاختيارِ لا بالنصِ أو العهدِ ممَّنْ قبلَه.

- في ظلِّ هذه الشرعيةِ التي تحقَّقَتْ، وتكليفِه القيامَ بالخلافة، فإنَّه يُلزِمُ المؤمنين والشيعةِ المودين لآل البيت بما يلي،

- السمعُ والطاعةُ والنصحُ، فقد قرَنَ السمعَ والطاعةَ بالنصحِ والنصيحةِ للأئمةِ، معاونتِهم على ما تكلّفوا القيامَ به في تنبيههم عند الغفلة، وإرشادهم عندَ الهفوةِ، وتعليمهم ما جهلوا، وتحذيرهم ممنْ يريدُ بهم السوءَ، وإعلامهم بأخلاقِ عمّالهم وسيرتهم في الرعيةِ، وسدِّ خلّتِهم عندَ الحاجةِ، ونصرتهم في جمعِ الكلمةِ

- السلوكُ مسلكُ الجماعةِ، بمعنى أن تُجمعَ كلمةُ الأمة وانْ يُترَكَ الخوضُ فيما يفرقها، فالفرقةُ تجرُّ إلى العجزِ عن القيامِ بنصرةِ الدينِ وتثير أطماعَ الأعداءِ والمخالفين.

- يطلبُ إلى المؤمنين والشيعةِ المودين، الجدَّ والاجتهادَ بكلِّ مظاهره في نُصرةِ الدين أو في محاربةِ الفسادِ والظلم وحتى مجاهدةِ أنفسهم بما لحقَها من درَنٍ

المسالكِ، ثمَّ لابدَّ من المبادرةِ لأداءِ فريضةِ الجهادِ، ويُلاحظ بأنَّه لم يذكرْ صراحةً الجهادَ ضدَّ «المأمورين الأتراكِ البغاةِ» وإنَّما أوردَها مطلقةً.

- العملُ على تطهيرِ أرضِ اللهِ ممَّن يبغي في الأرضِ الفسادِ، وهي بمعناها الواسعِ، الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ، ولكنّها تشملُ أولئك الذين تنطبقُ عليهم صفةُ الإفسادِ في الأرضِ، وقدْ حدَّدتها الآياتُ القرآنيةُ الكريمةُ والسنةُ النبويةُ الشريفة.
- وأخيراً يحذِّرُ الإمامُ يحيى المؤمنين والشيعةَ الموديـن بأنَّهم إذا لم يفعلوا بما أَلْزَمَهُمْ به، وغدَتْ واجباً مكلَّفين به، فستقعُ الفتنةُ ويعمُّ الفسادُ. فهم مطالبون بإنفاذِ ما أُلزِموا به.

ثم يستمدُّ الرحمةَ لوالدِه وقراءةَ شيءٍ من القرآنِ والدعاءِ له بالرحمةِ والغفرانِ وأنْ يُسكنه اللهُ غُرَفَ الجنان، وهي خاتمةٌ حسنةٌ تختمُ بها الرسائلُ والخطابات.

المبحث الثاني: الاستجابةُ للدعوةِ.

كانَ لنشرِ الإمامِ يحيى الدعوةَ وبيعتِه بالإمامةِ صدىً بينَ اليمنيين، على مختلف فئاتِهم ومشاربِهم، فقدْ بايعَهُ العلماءُ، ذوو الحلِّ والعقدِ، الذين حضروا إلى حصنِ النواشِ بقفلةِ عِذَر، وهمْ من صنعاءَ وحوث وذمارَ والروضةِ والقفلةِ والأهنومِ وإريانَ وخُبانَ (الناحيةُ الواسعةُ بذي رُعين، شرقي ظفار وجنوبَه)[1].

وغيرها من مناطقِ اليمنِ. ثم وصلت البيعةُ من علماءِ حوث، وهجرة حوث من أقدمِ الهجرِ وأشهرها، تعتبرُ من أهمِّ مدارسِ العلمِ الزيديةِ ثم هي هجرةَ في العصيماتِ الحاشدية من صعدة، ولإظهارِ بيعة علماءِ حوث فقدْ نزلَ جماعةٌ من علماءِ حوث لأداءِ صلاةِ الجمعةِ الثالثة برفقةِ الإمامِ يحيى في القفلةِ،

(١) تعرف اليوم «السَدَّة»، انظر، معجم المقحفي، ٢١٠.

وقد نزلَ منهم، محمدُ بن محمد الشرعي العلامة المجاب الدعوة عند قبيلة حاشد، صاحب المكانة فيها، وعلي بن عبدالرحمن عشيش، ويحيى بنُ محمدِ بن اسحاقَ وعليٌّ بنُ حسن ساري، وعبدالله بنُ يحيى البدري، خطيبُ جامعِ حوث ومحمدُ بنُ المهدي محمد وحسنُ بنُ زيد، المعروفُ بدفاعِه عن السنةِ وغيرُهم.

كما وصلتْ بيعةُ شيخ الإسلامِ عليٍّ بن علي اليماني، شيخ الإمام يحيى، وكذا بيعةُ عبدالله بن أحمدَ المجاهد، شيخَ الإمام يحيى أيضاً. ويلاحظُ أنَّ منْ بينِ بيعةِ العشرين عالماً الذين بايعوه حتى تاريخه كان سبعةٌ من هؤلاءِ من شيوخِ الإمام يحيى نفسِه، فقدْ بايعَ هؤلاءِ الأساتذةُ الشيوخُ على أهليتِه وكفاءَتِه.

والمظهرُ الثاني للاستجابةِ تمثَّلَ بوصولِ كُتُبِ البيعةِ من مختلفِ المناطق ووصول الوفود للمبايعةِ وتتابعِ توافد زمرِ الجنود للمبايعة أيضاً. وهذه المرحلةُ هي ما يُطلقُ عليها: بيعةُ ورضا جمهور المسلمين، والدليل على استجابة جمهورِ المسلمين، على الصعيدين: المدني والعسكري كثرةُ وفود الرجال التي غصّتْ بها القفلةُ حتى امتلأ حوضُها. ولم تعدْ تتسع للمزيد.

ثم ضربُ الخيام على السهولِ والأكامِ، وما منْ يوم إلا وكانت تصلُ فيه وفودٌ من القبائلِ والعساكرِ لأداءِ حقِّ البيعةِ، فقدِ وصلتْ وفودُ حاشد على طبقاتِها، وبني صُرَيم من حاشد وأهنوم همدان من بكيل وذري وسيرانَ منْ بكيل وسفيانَ من بكيل، ووادعةَ وبنو عرجلة من حاشد ووفودُ بلادِ الشرفِ، وبمعنى واضح فإنّ القبائلَ الرئيسيةَ في اليمنِ، حاشدَ وبكيلَ وهمدانَ وقبائلَ الشرفِ، قدْ بايعتْ الإمامَ يحيى بنَ محمدٍ حميد الدين.

ويُلاحظُ أنَّ مناطقَ مهمةً ذاتِ شأنٍ، وقبائلَ ذاتِ شوكةٍ، وعلماءَ لهم باعٌ في الحلِّ والعقدِ، لم يردْ لها ذكرٌ بينَ مَنْ بايعَ الإمامَ يحيى، ولم يصلْ من طرفِها وفودٌ للمبايعة، فصعدةُ وناظرتُها لا يمكن التغاضي عن بيعتِها في مثلِ هذه الحالةِ، وقبيلةُ سحار مِنْ خَوْلانَ وضحيانَ ورحبانَ وساقين ورازح ووادعة ظهران (الشام) وبنو جُماعةَ وبقول أشمل قبائل وبلادُ وعلماءُ القبلةِ (صعدة

وما إليها). فلماذا تخلّفتْ، وكيـفَ كانت استجابتُها لبيعةِ الإمـامِ يحيى بنِ محمدٍ حميد الـدين؟، وللإجـابةِ على هـذه التساؤلاتِ يلزمُنـا دراسةُ حـركةِ معـارضةِ إمامةِ وبيعةِ يحيى بن محمدٍ حميد الدين.

الفصل الثاني
معارضةُ الدعوةِ والإمامة

المبحث الأول:

الداعـي المعارضُ حسنُ بنُ يحيى القـاسمي الضحياني ودعـاوى الائتلاف والإتفاق.

كنا قد أشرنا إلى عدم قيام أحمدَ بن قاسم حميدِ الدين بمعارضةِ إمامةِ وبيعةِ الإمام يحيى، بل هـو الذي أخَذَ الطرس وكتـبَ البيعةَ، فلا تعويلَ على مـا ذكرَهُ نزيه مؤيد العظم في رحلتِه، ومثلُه اقتباسُ سيد مصطفى سالم في كتابه: «تكوينُ اليمنِ الحديث»(١)، وإنما كانت المعارضـةُ من الداعي حسنِ بن يحيى القاسمي الضحيـاني، والذي اتخذَ لقبَ الإمـام الهادي، بينما أشـارتْ إليه بعضُ المصـادرِ اليمنيةِ المعاصرة بلقب «المشاقق»(٢).

والحسنُ بنُ يحيى بن علي من ذريـةِ محمـد بن أبي القاسم بن الإمـام علي بن المؤيـد بن جبريل بن المؤيـد، عـلامـةٌ في الأصـولِ والفقـهِ والتفسيرِ والفـروعِ والنحو، ولـه مشاركـةٌ في عديدٍ من العلـومِ، وله مؤلفـاتٌ عدةٌ مـا زالت المكتبةُ الغربيـةُ بجامع صنعاءَ تقتني رسـالةً لـه بعنوان «مُنيةُ الـراغبِ في معاني كلماتٍ يحتاجُ إليها الطالب»(٣).

---

(١) تكوين اليمن الحديث، ٧٠.

(٢) انظر، سعد بن محمد الشرقي وكتابه تقييد حوادث، ٢٥أ-ب.

(٣) انظر المجموع رقم ١٥٦ الورقات (١٤٤-١٥٥).

إضافةً إلى مؤلفاتٍ كثيرةٍ. مجتهدٌ لا ينكرُ فضلُهُ في العلومِ والفنونِ.

يذكرُ محمدُ بن إبراهيم حورية الحسني المؤيدي الضحياني في ترجمتِهِ لشيخه حسن بن يحيى بن عليّ أنَّ الأجلافَ والأغلافَ حسَّنوا لـه القيامَ والمعارضةَ للإمامِ يحيى[1]، غيرَ أنَّ الوقائعَ تفيدُ بانصرافِه إلى المعارضةِ منذ سنةِ ١٣١٩هـ في زمنِ المنصورِ باللهِ، فقد نُمي إلى الإمامِ المنصورِ باللهِ بمكاتبةِ الحسن بن يحيى القاسمي الضحياني لمشايخِ خولانَ ورازح سراً، وهم يحرّضونَهُ على القيامِ ويتشكَّوْنَ من أشياءَ للاعتراضِ على سيرة المنصورِ بالله محمد بن يحيى حميد الدين، وكانَ أنْ طلبَ الإمامُ المنصورُ بالله من سيف الإسلام، محمدِ بن الهادي شرفِ الدين بنِ محمد التحققَ مما وصلَ إليه وكتبَ للسيد الحسن يحذره من مغبة ذلك، فاستدعاه سيف الإسلام، محمد بن الهادي إلى ساقينَ، ووجده يعترضُ على أمور لا توجبُ الاعتراضَ، كتبَ بها سيفُ الإسلام محمدُ بن الهادي إلى الإمام لينظر فيها، وكانتِ الاعتراضاتُ تدورُ حول فقراءِ الشامِ واليمنِ من القبلةِ والعنايةِ بها، وما أوقعه الإمامُ المنصورُ باللهِ بالنُّظَّارِ في مناطقِ خولانَ ورازحَ، الذين ما قدروا على إمضاءِ العدلِ في مناطقهم - لاتفاقهم مع شيوخِ خولانَ - ورازحَ على الاستئثارِ بالزكواتِ التي كانوا يستحلّونها، ومن ثمَّ أجابَ الإمامُ المنصورُ باللهِ برسالةٍ وردتْ في الدرِّ المنثورِ[2] تاريخها ٣٠ شهر القعدة ١٣١٩ موجهةً إلى سيفِ الإسلام محمد بنِ الهادي والسيد حسن بن يحيى فلما وصلَ الجوابُ، رجعَ السيدُ حسنُ بنُ يحيى القاسمي الضحياني عن مقصدِه وتابَ وعادَ إلى وطنِه ملازماً لسكنِهِ دونَ أن يلحقَه أذىً من الإمامِ المنصورِ بالله محمد بن يحيى حميد الدين.

فلما وصلَ خبرُ دعوةِ الإمامِ يحيى إلى صعدةَ، قامَ السيدُ حسنُ بن يحيى

(١) نزهة النظر، ٢٤٨.

(٢) انظر إجابة الإمام المنصور بالله في الدر المنثور، ٢/ ٢٤١ - ٢٤٣.

القاسمي الضحياني ودعا لنفسه من المزار بفللة معارضاً، وتكنّى بالهادي وذلك يومَ الاثنين ٢٥ ربيع الأول سنـة ١٣٢٢هـ[1] أي بعدَ نهوضِ الإمـامِ يحيى بستةِ أيامٍ بدعوى العيبِ والنقصِ في أهليّةِ الإمامِ يحيى.

ويُفهَمُ من رسالـةِ الحسنِ بن عبدالله الضحياني، التي كـان قدْ بعثَ بها إلى السيدِ حسن بن يحيى بن علي القاسمي الضحياني أنَّ الإمامَ يحيى بن محمدٍ حميدِ الـدين ما تـولّى الإمامـةَ إلا بأمرٍ وتقـريرٍ من والـدِه الإمامِ المنصـورِ بالله، وهـذا مخالفٌ لشروطِ تولّي الإمامةِ عند الزيدية، وتوجبُ الخروجَ على إمامِ الوراثةِ[2].

وتـرتَّبَ على قيـامِ السيـدِ حسن بن يحيـى القـاسمي أنْ رجعَ جـوابُ أهلِ ضَحْيَانَ فيه شِبْـهُ إذعانٍ، أما علماءُ ضحيانَ، فكـانَ منهم التوقفُ عن الرجلين، جاء جـوابهم في ردٍّ على رسالةِ سيفِ الإسـلام محمد بن الهادي دعـاهم فيها إلى الإجـابةِ بعـدَ تبيُّنِ الرشـد، كما أنَّ العلامـةَ أحمَدَ بنَ إبراهيمَ الهاشمي، صـاحبَ الرئاسـةِ العظمى في صعدةَ ونـواحيها، وخطيبَ جـامعِ صعدةَ، قد تـوقَّفَ عن الرجلين في البـدايةِ، وتـوقّفَ أهلُ رحبانَ، أمـا خولانُ وخـاصة سحـارَ والجهوز وبلاد رازح والعامةَ في ضحيانَ وصعدةَ وساقين وغيرها، فقد أجابوا دعوةَ السيدِ الحسنِ، وبـدت الأوضاعُ، فكـانَ هنـاك الإمامُ المتـوكلُ على اللهِ يحيى بنُ محمـدِ حميد الدين وله جهاتُـه، والإمامُ الهادي الحسنُ بنُ يحيى القاسمي الضحياني وله جهاتُـه، وبدأت الفتنةُ يـزدادُ ضرامُها، لا سيما وأنَّ الأتـراكَ كانوا لا يـرغبون في إمـامـةِ يحيى، لأنـه سيسيرُ على سنـةِ والـدِه في محاربتِهم وجهـادِهم، وفي نفسِ الـوقـتِ لا نستطيعُ القـولَ بقبـولِ الأتــراكِ لإمـامــةِ الهادي الحسنِ بن يحيى القاسمي حتى هذه السنةِ ١٣٢٢هـ.

---

(١) ورد عند الجنداري أن تاريخ دعوته وقيامه هو ٢٣ صفر ١٣٢٢هـ.

(٢) انظر الرسالة في مكانها في هذا المبحث.

وتحرَّكَ السيدُ حسنُ بن يحيى بسرعـةٍ، واستولى على حصنِ رازح، بعـدَ طردِ رتبـةِ الإمـام يحيـى، وبـادرتْ جهـاتُ القبلـةِ لمنـاصرةِ السيـدِ حسن بن يحيى القاسمي. وأدركَ الإمـامُ يحيى خطورةَ الـوضع، فالأتراكُ محدقـون به وبقـواتِه، يتربّصون الساعةَ التي تحينُ للإنقضاضِ على المنطقـةِ كلِّها، ثم ها قد تصدَّعَتْ وحدةُ الجبهـةِ الإماميـةِ، ومنافسُهُ السيـدُ حسنُ بن يحيى يتقوّى ويعبىءُ قـواتِه، ولكنَّ الإمـــامَ يحيى لم يكن يميلُ إلى تشتيتِ قـــواتِـه وجهـودِه في فتحِ ميــادينَ جديـدةٍ للقتالِ، ويرى أنّه يمكنُ الإئتـلافُ بالودِّ، والاتفاقُ بـواسطةِ أهلِ الخيرِ والإصـلاحِ من العلماءِ. وتـولّى سيفُ الإســلامِ محمـدُ بنُ الإمـامِ الهادي شرفِ الديـن دعوةَ جماعـةٍ من العلماءِ لقصدِ الإصـلاحِ وتسكينِ النفوسِ، والحيلـولةِ دونَ سفكِ الـدمـاءِ، فسـارَ كلٌّ من: لطفِ بنِ علي سـاري ويحيى بنِ محمـد بن اسحق، وعليِّ بنِ عبدالرحمن عشيش، ومحمدِ بنِ محمـدٍ الشرعي وعبدالوهاب بن محمـد المجـاهـد وحسنِ بن علي العـــريض وأحمدَ بنِ عبـدالله الجنـداري حيث صحبهم سيفُ الإسلامِ محمـدُ بنُ الهادي من السنارةِ إلى رحبـانَ، ولقيهم هناك أحمدُ بنُ إبراهيمَ الهاشمي، فأقـاموا في رحبانَ يكاتبون علماءَ ضحيـانَ ويكاتبونَ السيدَ حسنَ بنَ يحيى الضحياني.

أما أهلُ ضَحْيَـانَ: فقد اعتذروا عن الـوصولِ إليهم، وادعوا أنهم متفـرقون خائفـون ـ وكـانوا يقطنون في منـاطقِ سيطرةِ السيد حسـن بن يحيى القاسمي ـ وأما السيدُ حسنُ بن يحيى القاسمي، فأجاب بما يلي:

- أقرَّ بأسبقيةِ المتـوكلِ على اللهِ يحيى بالدعوةِ والنهوضِ، وبـذا سقطتْ دعوتُه، بأنَّ قيامَـه كان في حياةِ الإمـامِ المنصور بالله سنـة ١٣١٩هـ؛ لأنّه أقـرَّ بخطئهِ آنذاك وتابَ إلى اللهِ عنه.
- ادعى بأنَّ في شخصيـةِ الإمام يحيى عيبـاً ونقصـاً، وبذا لا تتحققُ فيـه شروطُ توّلي الإمامـةِ. وإزاءَ هذه المسألةِ فقد طلبوا إليـه أن يُبيِّنَ ما في الإمامِ يحيى من

عيبٍ، وعليهم إيضاحُه، أو ما بِهِ من نقص وعليهم تبيين كمالِه.

- وكان جوابُـه تجويزَ قيامِ إمامين في عصرٍ واحد، فالمتـوكلُ في جهاتِه، والهادي في جهاتِـه ونحن أبناءُ مَذهبٍ واحـد. وكان معنى ذلك إغلاقُ وإبطـالُ بابِ المناظرةِ.

وخلالَ هذه الفترةِ كانتْ هناك معاركُ تدورُ في صعدةَ وساقين ورازح، وقعَ فيها بعضُ القتلى من الطـرفين، وأُسر أكثرُ من خمسين من أنصـارِ الإمامِ، ولكنَّ بعضَ قـواتِ الإمـامِ يحيى بقيتْ مـراكـزةً لقواتِ السيــدِ حسنِ بن يحيى بن القاسم، تناوشُ مقاتلِي سحـارَ من خولانَ، وتمنعُ امتدادَ نفوذِ حسنِ بن يحيى بن القـاسم لمنـاطقَ أخـرى. وعـادَ وفدُ أعيـانِ العلماءِ من رحبَانَ إلى القفلـةِ بعـد اضطرابِ الأحـوال وانتشارِ حالـةٍ من الفوضى في صعدةَ وسـاقين ورازح زادَها تردِّيـاً مشاركةُ العـامةِ فيها واستفـزازُ العصبيةِ القبليـة حين أوهـم القاسمي بأن سيفَ الإسـلامِ محمـدُ بن الهادي سيـدخـلُ صعـدةَ رغماً عن مقـاومـةِ سحـار، فأقبلتْ سحارُ عـن بكرةِ أبيها ودخلتْ صعـدةَ بالسـلام، وأشاعـتْ حـالةً من الذعرِ بكثافةِ الرمي بالبنادقِ. وإزاءَ ذلك رأى الإمامُ أنْ يقومَ بثلاثِ خطواتٍ:

- الأولى: نقلُ رهائنِ سحارَ من صعدةَ إلى القفلـةِ، ومن ثمَّ إلى شهارةَ وقد تمت العمليةُ بنجاحٍ.
- الثانية: معاودةُ الدعوةِ إلى الاجتماعِ والائتلافِ.
- الثالثة: الحدُّ من حـركةِ الحسنِ بن يحيى الضحياني العسكـرية، وفتح الجهادِ على الأتراكِ باعتبارهم العدوَّ الأولى با لمجاهدة[1].

وداومَ العلماءُ على نُصحِ السيــدِ حسنِ بن يحيى بن القـاسـم على الاتفـاقِ والإئتـلافِ، وكانَ الحسنُ بـنُ عبدالله الضَحْيَـاني واحـداً من هؤلاء النـاصحين

(١) الدرة المنتقاة، ٥ ,٦ ، عمدة القارىء، ٦٣، ٦٤.

وكانت مكانته مرموقةً بين العلماءِ الأعلامِ، وُصِفَ بواسطةِ عقدِ العلماءِ الأعلامِ وخلاصةِ فضلاءِ العترةِ الكرامِ، مجتهدٌ، صاحبُ تصانيفَ كثيرةٍ.

وكان أحمدُ بنِ عبدالله الجنداري قد عثرَ في سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م على الرسالةِ التي بعثَ بها الحسنُ بنُ عبدالله الضحياني(١) سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م إلى الداعي الحسن بن يحيى القاسمي الضحياني. وأثبتَ نصَّها في كتابه: الدرّةُ المنتقاةُ في سيرةِ الإمامِ المتوكلِ على اللهِ وخصالُه المرتضاه(٢): ولما لها من أهميةٍ بالغة، فإني أوردُها هنا، «وقد جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله جلَّ وعلا، الجاعلِ لنا إلى الهدى سبلا، أمَرَنا بالاجتماعِ والاتفاقِ، ونهانا عن التنازعِ والافتراقِ، وجعلَ لازمَ ما أُمِرْنا به ثباتاً ونصرةً، ولَازَمَ ما نهانا عنه خذلاناً وفشلا، حيثُ يقولُ سبحانه: ﴿**واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾. وقالَ جلَّ جلاله: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبْ ريحكم**﴾. والصلاةُ والسلامُ على منْ جمعَ به القومَ الشتاتِ، وألَّفَ بينَ القلوبِ المختلفاتِ وعلى آلِهِ نقايذ الحجِّ. الناطقِ بفضلهم قرآنٌ غيرُ ذي عوجٍ.

وبعد،

فصدورُ هذا المسطورِ إلى فرعِ الضياءِ والنورِ، الأخُ العلامةُ المنظورُ الحسنُ بن يحيى بن علي، الذي هو بكلِّ ثناءٍ جميل حري.

فإني أحمدُ اللهَ إليكم، الذي لا إلهَ إلا هو، وأُهدي إليكم شريفَ السلامِ، ورحمةَ اللهِ وبركاته، وأرفعُ إلى نفسكم الزكية وأوصافكم السنية وفطنتكم الألمعيةِ، أنه قدْ وقعَ ما وقعَ، وبلغنا عنكم ما قدْ بلغَ، ونحنُ لا نشكُّ فيكم ولا في صلاحِ

(١) انظر، نزهة النظر، ٢٢٨، وفاته سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م

(٢) انظر الدرة المنتقاة، ١٨١.

نيتِكُم ولا في إصابةِ نظـركم خلا[1]، إذ الحملُ على السلامـةِ هو الـواجبُ، وفيه السلامةُ.

وقد بلغَ ما نقمتم بـه على من قُدِّسَ روحه ونورُ ضريحه، الإمـامِ الذي ماتت بموتِه سننُ الهُدى، وما نقمتُمْ به فعلى وجهين:

أحدهما: أنْ يكونَ بأمـرِه وتقريـره، فهو الإمامُ ولكلِّ إمـام نظر؛ لأنـه بصددِ رعايـةِ المصالحِ ودفعِ المفـاسد، وقد يخفى ذلك على بعـضِ أهلِ النظر ولا بأسَ ولكنْ مع تكـامـلِ الشروط المعتبرة، واستجماع الأوصـافِ المقـرّرةِ المحـررةِ. لا ينبغي أن يكـونَ ذلك سُلّماً للقدح والخلافِ والطعنِ في السيرةِ. ثم إنَّ الـواجبَ عندَ الخفاءِ وعدمِ الظهورِ على مَنْ لا تسـاعدُه نفسه على التسليم والإغضاءِ عن المسـوا[2]، والبحثُ على جهـةِ الاسترشـاد في ظهـورِ المرادِ لا على جهـةِ العنتِ والعنـادِ، فإنَّ منْ جُعلَ على إمامـةٍ نصبَ عينيـه، لم يرضَ بإمـامٍ قطُّ علي بن أبي طالب.

الوجـه الثاني: أنْ يكونَ ذلك لا عن أمـرِه ولا تقريـره، فالأمرُ فيـه على بعدهِ واضحٌ ولا كلام.

هذا ثمَّ إنَّ الأخَ الشرقيَّ عافـاه اللهُ تعالى - ، قدْ رفعَ رأسَه للخـلافةِ في حيوةِ الإمـامِ المرحومِ، واعتـذرَ عنـدَ ذلك بما اعتذرَ، ولكنْ كيـفَ وقد قيلَ: ثمَّ إنـه لما قُبضَ الإمـامُ، رضوانُ اللهِ عليه، بـادرَ أعيانُ مَـنْ في المقام إلى نصبِ ولـده رقعةً لتلك الثُلمةِ، بعدَ أنْ تمنعَ المذكورُ وأبى أشـدَّ إباءٍ، فلمْ يعذَرْ، مع أنّه لا يأبى من قلـةٍ في أعلميـةٍ ولا أنهضيـةٍ. أمـا العلمُ، فإنّـه مُكبٌّ على الأخـذِ والطلبِ منـذ عرفناه، وهو في أيامِ الصِّبا إلى أنْ قُبِضَ والـدُه، قدِّسَ روحُهُ، مع ما هو عليهِ من

---

(١) الأصوب، خَلَلٌ.

(٢) المساوىء.

الهمةِ والفطنةِ الـوقادةِ، والحرصِ على حَرزِ الفائدةِ أينما وجدَهـا، وأما الأنهضيةُ فأخـذَهـا بتهـذيبِ والـدِه الـذي كـانَ وحيـدَ عصرِهِ في ذلك، فشربها مِنْ عينٍ صافيةٍ، حتى ساسَ الأمورَ، وتولّى الأعمالَ الشاقَّةَ، وقامَ بها أحسنَ قيامٍ.

ثمّ إنَّ دعـوتكم رفعتْ رأسَها ونشَرَتْ رايـاتِها وأسرَجتْ أفراسَهـا، فانتـدبَ المذكورُ لاستـدعاءِ من هنـالكَ من أعيانِ العلماءِ وألـزمهمْ بالنفـوذِ إلى الجهاتِ الصعديةِ واستدعـاءِ علمائها بالمراجعةِ في الأمر والمفاوضـةِ، وفوَّضَ المذكورُ من ذكرَ، وأنصفَ حتى بلـغَ من إنصافِه أنّـه قال لهم: إذا رأيتم خـروجي مما دخلتُم فيـه، فأنـا متممٌ لما رأيتم»، فـدخلَ المذكـورون فوافَـوا على فتحِ الحربِ وثـورانِ الفتنةِ، فراسلوا إلى العلماءِ فما أحدٌ وافقهم.

وبعد،

يا أخي، فإنَّ نيتكَ نيةٌ، ونيةُ الفقهاءِ نيـةٌ، وساداتُ البلادِ ومشايخها نيةٌ غير، فأعيذكَ باللهِ أنْ تكـونَ سبباً لسفكِ الدماءِ، وتحريكِ الدهماءِ ومفتاحـاً للمفاسدِ العظيمةِ والأمورِ الجسيمةِ الوخيمةِ.

ثم أعيـذكَ باللهِ أنْ تكونَ سُلّماً لأهلِ الأهـواءِ يتواسلـون بك إلى نيل الهوى، فما مرامُهم إلا إزاحةُ الأمرِ من تلكَ الجهـاتِ، ورجوعُ الأمرِ بأيديهم كما كانَ فيما مضى، فإنَّ الأمرَ الـذي يحاولون رفعَهُ بـواسطتِك صيرهـم صغاراً بـزعمهم، وقد كانوا كباراً، وفطمهم بعضَ مـا كانوا يرضعون من ألبانِ تلكَ اللقـاحِ، وقد كانوا رضاعَ كلِّ ألبانها.

وأيمُ اللهِ يـا أخـي، لئِنْ تمَّ لهم ذلك المأربُ على يـدكَ، وبلغـوا منـاهم بواسطتكَ ليقلبُنَّ لـكَ ظهرَ المجنِّ وليضرمُنَّ في قلبكَ نارَ المحـنِ، وليكونُنَّ لكَ حـربـاً، تستصرخُ عليهم فـلا تجاب، فتنـدمُ حيث لا ينفعُ النـدمُ، ولعلهـا قـدْ لاحتْ لكَ الآنَ لـوائحُها، ذكرتُ لكَ، وستطلـعُ عليك بعدَ ذلك طـلائعه، ومنْ

تدبَّر بالعواقبِ، صلُحَتْ لـه المبادئُ والعواقبُ، ثمَّ إنَّ السعيدَ من كُفِيَ بغيره، فتحملُ أعباءِ الخلافـةِ أمـرٌ ثقيلٌ لا يتجـاسرُ ذو اللبِّ الدخـولَ فيـه إلا عنـد الضرورةِ مع تكـاملِ الشرائطِ وارتفـاعِ الموانـع، وحيثُ المطلـوبُ إقـامـةُ الحقِّ وإمـاتةُ البـاطلِ، فالغـرضُ حصولُ ذلك على يـدِ منْ كانَ أهـلاً له. ولهذا كـان فضـلاءُ الأوائلِ تحيلُ بعضُهـم على بعضٍ في الفتيـا، دعْ عنك القضـاء في الأحكام! دع عنك الخلافة! التي هي صعبة المرام.

فهـذه يـا أخي نصيحتي أعـرضُهـا على عقلِكَ وعلمك، وإن كـان مثلي لا ينصَحُ مثلَك، وما دخـولي في مثلِ هذا بالنظرِ إليك إلا كـدخولِ المتطفّلِ إلى زادِ غيرِه، وأنتَ رضعتَ لبنَ العلمِ، وربيـتَ في حجـوره، ومـا هـذه إلا شفقـةٌ مني عليكَ، وقضاءُ بعضِ حقٍّ يجبُ عليَّ تأديتُه إليك.

والسلام على أخي ورحمة الله وبركاته

ونعتقدُ أنَّ الرسالةَ جـاءتْ رداً على إيهامِ العيبِ والنقصِ الذي ادعاه السيدُ حسنُ بنُ يحيى بنِ القاسمِ الضحياني في أهليَةِ وكفـاءةِ الإمامِ يحيى لتولي الخلافةِ ونصحـاً للسيـدِ الحسنِ بن يحيى قبلَ وقـوعِ مـا لا تُحمدُ عقبـاه، وكـانَ أهمَّ مـا تناولته ما يلي:

- الدعـوةُ إلى الاجتماعِ والاتفاقِ والنأيُ عن التنازعِ والافتراقِ، تنفيـذاً لأوامرِ الله سبحانه بـالاعتصامِ بحبلهِ ونهيٌ عن التنازعِ والـذي يقودُ إلى الفشلِ، وذهابِ أمرِ الأمةِ.
- خـاطبَهُ بـالأخِ العلامـةِ المنظورِ، بمعنى: أنـه لا يقرُّ لـه بالإمـامةِ ولا بكنيتـهِ الهادي.
- ويجيبه على دعوى العيبِ والنقصِ، حيثُ يفترضُ احتمالين على وجهين:

الوجه الأولُ: أنْ يكونَ الإمـامُ يحيى قد تولّى الإمامـةَ بأمرِ والدِه المنصـورِ بالله

محمدٍ أو بتقريره.

والوجه الثاني: أن يكونَ تولاها لا عن أمرِ والده ولا تقريره.

ويفيده بـالنسبةِ للوجـه الأول بأنَّ لكلِّ إمام نظـراً ورأياً بشأنِ رعايةِ المصالحِ ودفعِ المفاسدِ (قـاعدةُ سدِّ الذَّرائع)، وهذه قد تخفى على البعضِ، لأنَّ الإمامَ، وفيه الرئاسةُ الـدينيةُ والدنيويةُ للأمة الإسلاميةِ، هو الأقـدرُ على تقديرِ ذلك، لإدراكِه ظواهرَ الأمـورِ، ما ظهـرَ منها ومـا خفي، ولكنْ مع تكـاملِ الشروطِ المعتبرةِ، واستجماعِ الأوصافِ المقررةِ المحـررةِ، وما كان يجبُ أن يكـونَ القـدحُ والخلافُ والطعنُ في سيرةِ الإمـامِ مسلكـاً، وإنما البحثُ والاسترشـادُ بآدابِ البحثِ والمناظـرةِ لا العنتِ والعنادِ.

وأمَّا بالنسبةِ للوجه الثاني فالأمرُ واضحٌ ولا كلامَ فيه

- يعـودُ ويذكّـرُه بما وقعَ منه في عهـدِ الإمـامِ المنصورِ بـالله محمدِ بن يحيى حميـد الدين، وإقراره بخطأِ ما وقعَ فيه واعتذاره، وأغفلَ في رسالتِه، توبتَهُ، كنوعٍ من اللين في الخطاب.
- ثم يعيدُ على مسامعـه الكيفيةَ التي تمَّتْ فيها بيعةُ الإمامِ يحيى بعـدَ مراجعاتِ العلماءِ، والزامهم لـه، فكان نصبُه رقعةً لتلك الثُلمـةِ بعدَ تمنُّعِه وإباءً شـديداً منه فلم يُعْذَر.
- ونصلُ إلى الهدفِ من الرسالةِ، فيذكـرُ أعلميةَ الإمامِ يحيى، فقدْ ظلَّ مكَّباً على العلم والاشتغال بـه مذ كان صبيـاً، حتى قبضَ والدُه إلى جوارِ ربّـِه فاشتغلَ وجمعَ نفسَه على العلـومِ لأكثرَ من ثـلاثينَ سنةً، وكـان فيه همةٌ وفطنـةٌ ووقادةُ ذهنٍ وحرصٌ على أخذِ العلم وفوائدِه أنّى وجدها.

- ولعلّها إشارةٌ لاشتغالِه بالسُّنةِ وعلمِ الحديثِ -

- وأما الأنهضيةُ بما حوتْهُ من شجاعةٍ واقدامٍ فقد أخذَها بتهذيبِ والدِه له، وكانَ والدُه وحيدَ عصرِه في الأنهضيةِ - والراسلُ يقصدُ جهادَه وحروبَه ومعاركَهُ مع المأمورين الظالمين من الأتراكِ - وقد شربَ الأنهضيةَ من عينِ والدِه الصافيةِ، وولاهُ والدُه الأمورَ الشاقةَ الصعبةَ فقامَ بها أحسنَ قيامٍ، وكنا قد أشرنا في مكانٍ سابقٍ من الدراسةِ للمهامِّ التي تولاها الإمامُ يحيى لمعاونةِ والدِه في أمورِ السياسيةِ والإدارةِ والحربِ.

- يذكرُ له ما قامَ به الإمامُ يحيى من سعيٍ للاجتماعِ والاتفاقِ، يومَ أنْ أعلنَ حسنُ بنُ يحيى الضحياني دعوتَه، وكيفَ ألزمَ الإمامُ يحيى أعيانَ العلماءِ بالتوجُّهِ إلى البلادِ الصعديةِ، وفوضهم بالمراجعةِ والمفاوضةِ مع علماءِ الجهاتِ الصعديةِ وأكدَ لهم «إذا رأيتم خروجي مما دخلتُم فيه، فأنا متمِّمٌ لما رأيتم» أي: أنّه قَبِلَ حكمَ أعيانِ العلماءِ، وتركَ لهم حريةَ العودةِ عن بيعتِه، والخروجَ منها، إذا رأوا ذلك، بعدَ المراجعةِ» وبالفعلِ وصلوا وراسلوا علماءَ الجهاتِ الصعديةِ فما مِنْ أحدٍ قبلَ أو وافقَ على المراجعةِ والمفاوضةِ».

- وينصحُ الحسنُ بنُ عبدالله الضحياني السيدَ الحسنَ بنَ يحيى القاسمي الضحياني بأنْ لا يكونَ سبباً لسفكِ الدماءِ وإثارةِ الدهماءِ، فإنَّ الذين يحسنونَ له المضيَّ في الخروجِ والقيامِ إنما يهدفون لتحقيقِ مكاسبهم وامتيازاتهم الشخصيةِ «فقد كانوا يرضعون من ألبانِ اللقاحِ» ويسعون إلى جعلِ الإمامةِ فيهم، وهم إنْ نجحوا في ذلك، فسيقلبون لهُ ظهرَ المِجَنِّ، وعندها يستغيثُ ويندمُ فلا مِنْ مجيبٍ ولاتَ ساعةَ مَندمٍ.

- ويُنهي صاحبُ الرسالةِ إلى السيدِ حسنِ بن يحيى بأنَّ الوقتَ قد حانَ للاجتماعِ والائتلافِ قبلَ أن تخرجَ إليه طلائعُ القواتِ الإماميةِ.

- ويذكّره بعزوفِ ذوي الفضلِ الأوائلِ عنْ تحمُّلِ عبءِ الخلافةِ، وحتى الفتيا والتي فيها حقٌّ لعبادِ اللهِ كانوا يتحيلون للتخلصِ منها، يرميها كلُّ واحدٍ على الآخرِ، خوفاً من اللهِ في عدمِ تحقيقِ عدالتِها أو ظلمٍ يلحقُ بالمسلمِ، لا عنْ قصدٍ ومعرفة.
- ثم يخاطبُهُ بصيغةٍ استفهاميةٍ استنكاريةٍ فيها الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر، دع عنكَ القضاءَ في الأحكامِ! دعْ عنكَ الخلافةَ التي هي صعبةُ المرام!
- ويختمُ الرسالةَ بتذكيره بالعلم الذي أتقنَهُ، والبيت الذي نشأ فيه ثم يذكر أنه ما هو مثله حتى ينصحه، ولكنه - أي الحسنَ بنَ عبدالله الضحياني مشفقٌ عليه، وقضاء بعض حق عليه يؤده للحسن بن يحيى.

وخلالَ هذه الفترةِ نجحتْ قواتُ الإمامِ يحيى في التشبثِ بقواعدِها في السنارةِ وصمَّع، الحصنِ المحاذي للسِنَّارةِ جنوبي صعدةَ. وغدا سيفُ الإسلامِ محمدُ بنُ الإمامِ الهادي شرف الدين، مرتباً على سائرِ جهاتِ صعدةَ ومحمدُ بنُ يحيى بن عامر مراكزاً في ساقين، وبصورةٍ أوضحَ، تمكنتْ قواتُ الإمامِ يحيى من احتواءِ قواتِ الحسنِ بن يحيى الضحياني ومحاصرتها، وأيقنَ الإمامُ يحيى بأنْ لا فائدةَ تُرتجى من دعوةِ الحسنِ بن يحيى للاجتماع والآئتلافِ، ومع ذلك فحين وصلَ منْ سيفِ الإسلام محمد بن الهادي وأحمدَ ابن إبراهيمَ الهاشمي مراجعةٌ للاصلاحِ بحيث يتفقُ الإمامُ يحيى والداعي الحسنَ بنَ يحيى على إدمال الجرح ويخرجُ القاسمي ومعه مئة نفر كفايتهم على بيتِ المال، وتكونُ حوث الاجتماع والمقرَّ، شاورَ الإمامُ يحيى أعيانَ العلماءِ، فكان رأيهم «بأنَّ هذه مطاولةٌ وخسارةٌ من غيرِ فائدةٍ ولا عائدةٍ، كيفَ وقدْ وصلَ العلماءُ إلى جهاتِه، فلمْ يلبسْ للإنصافِ أداتَه «وحوّلَ الإمامُ يحيى برأي العلماء إلى الوسيطين.

المبحث الثاني: الإمام يحيى والعودة للثورة والجهاد

كان الإمامُ يحيى لا يخشى حركة الداعي الحسنِ بن يحيى، بعد أن حدَّ من حركتِه بالمحاصرةِ ومنع طرق الاتصال به، مما يؤثرُ سلباً على إمداداته من المؤنِ والسلاحِ، وما كانَ يقلقُ الإمام يحيى هو تثبيتُ أعدادٍ من قواتِه لإحكامِ الحصارِ على سائرِ جهاتِ صعدةَ، في الوقتِ الذي يستعدُّ فيه لإعلانِ الخطوةِ الأكبر وهي فتحُ وإعلانُ الجهادِ ضدَّ الأتراكِ. وإثارةُ الهممِ وشحنُ العزائمِ لهذا الهدفُ الأكبرِ، ولم يكنْ أمام الإمام يحيى غير المضيِّ في تنفيذِ خطته، فكانَ أنْ وجَّهَ مبعوثيه، يحملون رسالتَه إلى جهاتٍ كثيرةٍ التي يدعو فيها المجاهدين للثورةِ والجهادِ، وكانَ ذلك في شهرِ جمادي الأولى سنة ١٣٢٢هـ.

وكان الجهادُ الثاني قد بدأ في عهد الإمام يحيى بن محمدٍ حميد الدين، واستمرتْ معاركه إلى أنْ أسفرت عن عقدِ صلح دَعَّان.. ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، والأحداثُ التاليةُ له ستكونُ موضعَ بحثِنا عندَ نشرِنا لمخطوطةِ أحمدَ بنِ عبدالله الجنداري، «الدرَّةُ المنتقاة»، ومخطوطةِ سعدِ بنِ محمد الشرقي في تقييدِ حوادثِ إنشاءِ الجهادِ الثاني، فإني أكتفي هنا بإثباتِ رسالةِ الإمامِ يحيى بفتحِ الجهادِ والنظرِ فيها، وإلقاء الضوءِ على الجوانبِ المتصلةِ بمعارضةِ الحسنِ بن يحيى القاسمي. فإنَّ الرسالةَ لم تردْ في مصادرِ العصر فيما انتهى الينا.

فقد كتبَ المتوكلُ على اللهِ كتاباً بعدَ نشرِ الدعوةِ وأرسلَ به إلى جهاتٍ كثيرةٍ، وكانَ يهدفُ منه شحذَ عزائمِ المجاهدين ودعوتهم للثورةِ والجهادِ[1].

---

(١) الدرَّةُ المنتقاة، ١٠٥ - ١٠٨، وقدر ذكر الجنداري، ولم أقف عليها فيما مر، فأردت اثباتها ههنا لما كان خبر القادمين من الجهاد، في وصف الابتداء منه والانتهاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها الذين أمنوا استجيبوا للهِ والرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أنَّ اللهَ يحولُ بينَ المرء وقلبه وإنه إليه تحشرون﴾.

﴿واتقوا فتنةً لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصَّةً، واعلموا أنَّ الله شديدُ العقاب﴾.

﴿قلْ إنْ كانَ أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجُكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشونَ كسادها ومساكنُ ترضونها أحبُّ إليكم من اللهِ ورسولهِ وجهادٍ في سبيله، فتربصوا حتى يأتي اللهُ بأمره، واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقين﴾.

﴿ما كانَ لأهل المدينةِ ومنْ حولَهُم من الأعرابِ أن يتخلفوا عن رسول اللهِ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ذلك بأنّهم لا يصيبُهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله، ولا يطئون موطناً يغيظُ الكفارَ، ولا ينالونَ من عدوٍّ نيلاً إلا كتبَ لهم به عَملٌ صالحٌ، إنَّ اللهَ لا يضيعُ أجرَ المحسنين، ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعون وادياً إلا كَتَبَ لَهُمْ ليَجَزِيَهم أحسنَ ما كانوا يعملون﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا هلْ أدلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ إليم، تؤمنون باللهِ ورسولهِ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالِكم وأنفسِكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون. يغفرْ لكم ذنوبكم ويدخلْكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ومساكنَ طيبةً في جناتِ عدنٍ ذلك الفوزُ العظيم، وأخرى تحبونها نصرٌ من اللهِ وفتحٌ قريب وبشّرِ المؤمنين﴾.

﴿يا أيها الذين أمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحنُ أنصارُ الله فآمنتْ طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾.

الحمدُ لله الذي دلّ على ذاتِه بما ابتدعَ من عجيب مصنوعاته. وعلى صفاتِ الكمالِ بالايجاد والاحكام في كلِّ الأفعالِ، وعلى غناه التامِّ بلزومِ الزيادةِ والنقصانِ للأجسام، البصيرِ العدلِ فيما قضى وقدّرَ، المكلِّفِ لعباده دونَ القدر المرسل الرسلَ نذراً للعالمين عندَ إندراسٍ من السُبل، ووفورٍ من ظلم الظالمين، حتى ختمَ اللهُ الرسالةَ ومحاسُبُلَ الجهالةِ، بنبينا محمدٍ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاعذر وأنذرَ

وجاهدَ في سبيلِ اللهِ حتى أتاه الأمرُ المقدّرُ، فماتَ صلّى الله عليه وآلِه وسلّم. وقد بيَّنَ لأمتِه من يجبُ التمسكُ به وطاعتُه، فقال: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا، كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي، إنّ اللطيفَ الخبيرَ نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوضِ».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَثَلُ أهلِ بيتي فيكم مَثَلُ سفينةِ نوحٍ، من ركبها نجا، ومنْ تخلَّف عنها غرِقَ وهوى**».

وقال صلّى اللهُ عليه وآلِه وسلم: «**أهلُ بيتي كالنجومِ، كلَّما أفل نجمٌ، طلعَ نجمٌ**».

وقالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**من سمعَ داعيتنا أهلَ البيت، فلمْ يجبها كبَّه اللهُ على منخريه في قعرِ جهنمَ**».

وقالَ: «**مَنْ أمرَ بالمعروفِ ونهى عن المنكَرِ منْ ذريتي فهو خليفةُ اللهِ في أرضه، وخليفةُ كتابه وخليفةُ رسوله**».

وقال: **إنّ عندَ كلِّ بدعةٍ تكونُ من بعدي يُكادُ بها الإسلامُ، ولياً من أهلِ بيتي موكلاً يعلنُ الحقَّ وينوِّرُه، ويردُّ كيدَ الكائدين، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتوكلوا على اللهِ.**

وقال: **والذي بعثني بالحقِّ نبياً، لو أنَّ الرجلَ منهم لقيَ اللهَ بعمل سبعين**

نبياً، ثم لم يلقَهُ بولاية وليِّ الأمر من أهل بيتي، ما قبلَ اللهُ منه صرفاً ولا عدلاً.

وقال: أنا حربٌ لمنْ حاربتم، سَلْمٌ لمن سالمْتُمْ.

وقال: من قاتلَنا آخر الزمانِ فكأنما قاتلَ مع الدجالِ.

نُنهي كتابنا هذا إلى كافةِ أهل الإسلام.

سلامٌ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، وإنه قد سبقَ الإشعارِ العامَّ بوفاةِ مولانا أميرِ المؤمنين، المنصورِ بالله ربِّ العالمين، رضي اللهُ عنه وأرضاه وأكرمَ نزُلَهُ ومثواه، ثم إنّه وقعَ التعويلُ علينا وتوجيهُ الخطابِ إلينا من العلماءِ الأعلامِ والساداتِ الفخام بالانتصابِ لهذا المنصبِ والقيام. وكلّما حاولنا الاعتذارَ عنْ ذلك ألزمونا أشَدَّ الزام، فنهضنا لذلك وانتصبنا لما هنالك مستعينين باللهِ، متوكلين على اللهِ، ودعونا كافةَ المسلمين إلى كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ وإلى ما سارَ فيه الأئمةُ الطاهرون، وإنَّ مما حدانا إلى القيام، قولِ رسول الله، صلى اللهُ عليه وآلِه وسلّم: «لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنهنَّ عن المنكرِ أو ليوشكُنَّ اللهُ أنْ يبعثَ عليكم عقاباً منه، ثم تدعونَهُ فلا يستجيبُ لكم».

وقولُه، صلى الله عليه وآله وسلم: «أوّلَ ما دخلَ النقصُ على بني إسرائيل، أنّه كانَ الرجلُ يلقى الرجلَ. فيقولُ: يا هذا، اتقِ اللهَ ودعْ ما تصنعُ به، فإنّه لا يحلُّ لك، ثم تلقاه منَ الغدِ، وهو على حالِه، فلا يمنعُه ذلك أنْ يكونَ أكيلَه وشريبه وقعيدَه، فلما فعلوا، ضربَ اللهُ قلوبَ بعضهم ببعضٍ ثم قال: ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيلَ على لسانِ داودَ وعيسى بن مريمَ ذلك بما عصوا، وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهَوْن عن منكرٍ فعلوه، لبئسَ ما كانوا يفعلون، ترىَ كثيراً منهم يتولون الذين كفروا، لبئسَ ما قدَّمتْ لهم أنفسهم، أن سخطَ اللهُ عليهم، وفي العذابِ هم خالدون. ولو كانوا يؤمنون باللهِ والنبيِّ وما أنزلَ إليه ما اتخذوهم أولياءَ، ولكنَّ كثيراً منهم فاسقون﴾.

ثم قال: كلا واللهِ لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرُنَّه على الحقِّ أطراً».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الناسَ إذا رأوا الظالمَ فلمْ يأخذوا على يديه أوشكَ أنْ يعمَّهم الله بعذابٍ من عنده.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ القومَ إذا رأوا المنكرَ فلم يغيروه عمَّهم الله بعقاب.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلّمَ: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا اللهَ فلا يستجيب لكم وتستغفروه فلا يغفر لكم، إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفعُ رزقاً ولا يقربُ أجلاً، وإنّ الأحبارَ من اليهود والرهبان من النصارى لـمّا تركوا الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم اللهُ على لسانِ أنبيائهم، ثم عموا بالبلاءِ.

وقوله: يا أيها الناسُ، إنّ اللهَ يقولُ: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبلَ أن تدعوا فلا أجيب، وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم.

وشاهدنا البلاد التي تولّى عليها أعداءُ الله العجم أدالَ اللهُ منهم، فرأينا المنكرات وقد عمَّتْ، والمظالمَ وقدْ طمَّتْ، والدماءَ وقد سفكتْ، والأموالَ وقدْ انتهبت والفروج وقد استبيحتْ، ولله أبو الطيب المتنبي حيث يقول:

وإنما الناسُ بالملوكِ ولا تصلُحُ عَربٌ ولاتُها عجمُ
لا حسبٌ فيهمُ ولا نسبٌ ولا عهودٌ لهم ولا ذممُ

ورأينا العجمَ، استأصلَ اللهُ شأفتَهُم، وإذا هم لمْ يستغنوا بها قد ضربوا على الناس في كلِّ شيءٍ من الأموالِ، حتى كادوا يأخذون جميعَ ما يحصلُ للعربِ، بلْ بعضُ الناسِ يطلبونَه زيادةً على ما يحصلُ من مالِه، وها هم الآن يطلبون

مـالا يبلغهـم اللهُ إليـه، ومـا نـرجـو أنَّ سببَ زوالهم وجمع المسلمين على قتـالهم، فأوجبَ علينا ذلك القيـامَ، وبذلَ النفسِ في طلبِ رضى الملكِ العلام، فدعـونا النـاسَ إلى إصلاحِ مـا بينهم وبينَ خـالقهم منْ إقـامةِ الصـلاةِ تـامةً بطهـارتها وأركانها. وفي أوقاتها. ومن لم يعرف شروطها وأركانها فالواجبُ عليه أن يسأل كما قال اللهُ: «فاسألوا أهلَ الذكر أن كنتـم لا تعلمون»، ثم المحافظة على الزكوات، فإنه حقٌّ في المال معلومٌ وفـرضٌ محتومٌ يجبُ على كلِّ مسلم أن يحاسبَ نفسه على القفيز والقطميرِ وبها زيـادةُ الخيرات والبركاتِ، وصيانة الأمـوالِ عن النكباتِ، ثم صومُ شهر رمضانَ والقيامُ بفروضـه وآدابه وتجنبِ ما يلحقه من فاحشِ القول والعملِ.

ثمَّ حجُّ بيت الله الحرامِ من استطـاعَ إليـه سبيلا، وإيـاكم والسبـابَ بينكم فإنه من المعاصي.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**سبابُ المسلم فسقٌ وقتالُه كُفرٌ**».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «**سبابُ المسلم كالمشرفِ على الهلكةِ**».

وقـال صلى اللهُ عليـه وآلـه وسلم: «**إنَّ من أكبر الكبـائرِ أنْ يلعـنَ الـرجلُ والديه، قيل: يا رسولَ الله،وكيفَ يلعنُ والديه!**

قال: تسبُّ أبا الرجلِ فيسبُّ أباه ويسبُّ أمَّهُ فيسبُّ أمَّهُ».

وإياكم والنميمةَ: وهي إفشاءُ السرّ، فإنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخلُ الجنـة نمّـامٌ، وإياكم وغيبـةَ المسلمين والوقوعَ في أعـراضهم، فإنَّ اللهَ يقولُ: ﴿**ولا تجسَّسوا ولا يغتبْ بعضكم بعضاً، أيحبُّ أحدكم أن يأكلَ لحم أخيه ميتاً**﴾.

وقـال صلى الله عليـه وآله وسلم: لما عُـرجَ بي مـررتُ بقوم لهم أظفـارٌ من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلتْ: منْ هؤلاءِ يا جبريلُ.

قال: هؤلاءِ الذين يأكلون لحومَ الناس

ويقعون في أعراضهم.

ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاقٍ، نحن نـرزقهم وإياكم، إنَّ قتلَهُم كان خِطأً كبيرا.

ولا تقربوا الزنا، إنه كان فاحشةً وساءَ سبيلاً»

«ولا تقتلوا النفسَ التي حـرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ». ومن قُتِلَ مظلـوماً فقـدْ جعلنا لوليِّهِ سلطاناً فلا يُسرفُ في القتلِ، إنه كان منصوراً».

«ولا تقربوا مالَ اليتيمِ إلا بالتي هي أحسنُ حتى يبلغَ أشدَّهُ»

«وأوفوا بالعهدِ، إنَّ العهد كان مسئولاً».

«وأوفـوا الكيلَ إذا كلتم، وزنـوا بـالقسطـاس المستقيم، ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا»

«ولا تقفُ مـا ليسَ لك به علـمٌ إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كـان عنه مسئولاً»

«ولا تمشِ في الأرضِ مـرحاً، إنك لن تخرقَ الأرضَ ولـن تبلغَ الجبال طـولاً، كلُّ ذلك كان سيّئه عند ربك مكروهاً».

وأدعوكم إلى الجهـادِ، وأدعوكم إلى الجهـادِ، وأدعوكم إلى الجهادِ، الـذي هو سنـامُ الـدينِ، ورهبـانيةُ المؤمنين، أحبُّ الأعمالِ المقـربـةِ إلى ذي الجلالِ، فقـد ضربَ الكفرُ بجـرانه وتطـاردتْ فرسـانه بميـدانه، وشُربَت الخمـورُ ونُكحت الذكورُ، وارتكبَ جميع الفجور.

ماذا تنتظرون وقـد صارتْ أموالكم للأعـاجمِ، وصرتم مع ذلك أذلةً، فكلُّ أسدٍ منك في غـابةٍ واجم، وفسدت الذريـاتُ وانتهكت المحارمُ. وفي كلِّ وقتٍ يُظهـرُ لكم العجمُ بعضاً مـن قوانينهم التي يأخـذونَ بها الأمـوالَ ويذللـون بها

أبطال الرجالِ. وإنا إن شاء الله مُجهِزونَ المقادمة والأجناد مستعينين في الإصدار والإيراد، أخذين على المقادمةِ والأجنادِ صيانةَ العبادِ والبلادِ، فتأهبوا - رحمكم اللهُ لذلك - واستعدوا له واستكملوا عدةَ الجلادِ والمعاركِ، وأخلصوا لله النياتِ، وأصلحوا له الطوياتِ. وأجمعوا كلمتكم وشدّوا بأسكم، واستعينوا بالله ربكم، ولتكنْ منكم جميعاً الإغارةُ عند الحربِ والإعانةُ ببعضِ الأموالِ التي تتقون بها العجمَ، ويتقوون بها عليكم وينفقونها في المعاصي، ومع ذلك، فقد وعدنا اللهُ النصرَ بقوله «إنا لننصرُ رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقوم الأشهاد، وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين»، إن تنصروا الله ينصُركم والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

يا قومُ إني قائمٌ فيكمو ... مجرِّدٌ نفسي لربِّ العباد
قمتُ لأرضي الله سبحانه ... لا لعلوٍّ أو لما يستفاد
أدعو إلى الله وآياته ... وسنةِ المختارِ والاقتصاد
أدعوكم يا قومُ داعي التقى ... وأدعوكم نحو طريقِ الرشادِ
أدعوكم للذب عن أنفسٍ ... أهانها الأعجامُ أهلُ الفساد
والذبُّ عن أولادكم قبلَ أن ... يشملَهم ثوبُ الشعارِ والعناد
يا قومُ قوموا للجهاد الذي ... يرضى به اللهُ ويعطي المراد
فأنتم الأبطالُ لكنكم ... لم تجمعوا عندَ انتشار الجلاد
لولا تراخيكم وتسهيلكم ... يا قومُ لم يفدِ أولي البغي فاد
فشمروا فالعزُّ والفخرُ والعلياءُ ... في ضرب السيوف الحداد
والجبنُ لا يدفع محتومَ ما ... قدَّره اللهُ ولا الانفراد
والحربُ لا يأتي بموتٍ فكمْ ... من رجلٍ شابَ حليفَ الجهاد
فأجمعوا من أمركم واعزموا ... فالحزمُ أعلى خطةٍ تستفاد

انتهى تحرير ذلك

شهر جمادي الأولى سنة اثنين وعشرين وثلثماية وألف.

والرسالةُ جاءتْ مشحونةً بالآياتِ الكريمةِ والأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ التي تحضُّ على إجابةِ الدعوةِ للجهادِ وخاصةً أنها صدرتْ من إمامِ المسلمين، من القربى، آل البيتِ وقد أعادتْ تأكيدَ تولّيهِ للإمامةِ بالطريقةِ الشرعيةِ وبالكيفيةِ المشارِ إليها سابقاً وأوضحَ منهَجهُ في سياسةِ الأمة وهو العملُ بكتابِ الله وسنةِ نبيِّهِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ وسلم ومنهج السلف الصالحِ الطاهرين والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وذكّر بالمظالمِ التي ارتكبها الأتراكُ في اليمن. ودهكِهم للرعية بما اشتطُّوا في فرضِهم للضرائبِ والتعدِّي على الأموالِ بما فيها مالُ اليتيمِ، وانتهاكُ الحرماتِ من شربِ الخمورِ ونكحِ الذكورِ واتيان الفجورِ، وأتى ببيتينِ من الشعر لأبي الطيب المتنبي:

وإنما الناسُ بالملوكِ ولا تصلُحُ عَرَبٌ ولاتُها عَجَمُ
لا حَسَبٌ فيهم ولا نَسَبٌ ولا عُهودٌ لهم ولا ذِمَمُ

والجديدُ في هذهِ الرسالةِ، أنّه ذكّر المسلمين بالآدابِ الإسلاميةِ التي يجبُ أنْ يتحلّى بها المسلمُ، وحَضَّ على القيامِ بأداءِ أركانِ الإسلامِ من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجِّ البيت لمن استطاع إليهِ سبيلاً.

ومن اللافتِ للنّظرِ أنه حين دعا الناسَ إلى إصلاح ما بينَهم وبين خالقِهم قدْ أشارَ إلى إقامةِ الصلاةِ بطهارتِها وأركانِها وفي أوقاتها وهذا يُنافي ما أشارَ إليه البعضُ أنَّ الإمامَ يحيى كان يؤدّي صلاة العصر في غيرِ وقتِها، كما نبّههم إلى البُعد عن السّبابِ وأوردَ أحاديثَ في منعِه باعتبارهِ فسقاً ومن الكبائرِ، ولعلَّ الإمامَ يحيى كانَ يُلمِحُ إلى العادةِ المتبَّعةِ عندَ البعضِ بسبٍّ ولعنِ بعضِ الصحابةِ كمعاوية بن أبي سفيان أو خالدِ بنِ الوليد أو المغيرةِ بن شعبةَ أو غيرِهم من المسلمين في عصرِه، وتمضي الرسالةُ في التذكيرِ بضرورةِ النّأي عن الأخلاقِ السيئةِ كالنّميمةِ وقتلِ الأولادِ خشيةَ الإملاقِ، وقتلِ النفسِ التي حرّمَ اللهُ بغيرِ حقٍّ والحضِّ على القصاص ووفاءِ الكيلِ والميزانِ، والكفِّ عن الخيلاءِ والمرح.

ويثيرُ الإمامُ حميةَ الناسِ بما ارتكبه التركُ بحقِّهم بقولِه «ماذا تنتظرون وقدْ صارتْ أموالكُم للأعاجم، وصرتُم أذلةً»، فسُدت الذرّياتُ وانتُهكتِ المحارمُ». ويعودُ ليتساءَلَ عن القوانينَ التي سوَّدها الأعاجمُ بدلَ شريعةِ اللهِ وحكمِه ويُبلغُهم أنّه بصددِ فتحِ الجهادِ، وتجهيزِ المقادمةِ والأجنادِ وقد أخذ عليهم صيانةَ العبادِ والبلادِ، بمعنى: أنّه سيمنعُ المقادمة والأجناد من التعدّي على أموالِ الرعيةِ أو مصادرةِ أراضيهم وما يطلبُه أعانةٌ ببعضِ الأموالِ ليس إلاّ ثم ختمَ رسالتهُ بأبياتٍ من الشعرِ تبيّنُ أسبابَ قيامِه ودعوتِه للجهادِ، وكان منْ أبلغِ ما قاله بهذا الصّدد:

والحربُ لا يأتي بموتٍ فكم　　مِنْ رجلٍ شابَ حليفِ الجهاد

والرسالةُ تمتازُ بالرَّصانةِ في الألفاظِ والمعاني والفكر والجزالة في العبارةِ والبلاغةِ في التعبيرِ، وتعبُّر عن عمقِ ثقافةِ كاتبها الدينيةِ والأدبيةِ. وأيةِ آدابٍ خلقية يتحلّى بها.

كان لهذه الرسالةِ، بما فتَحتْهُ من بابِ لجهادِ الأتراكِ، صداها في زيادةِ عُزلةِ الدّاعي الحسنِ بن يحيى الضَحْياني، وقدَّمتِ الإمامَ يحيى كقائدٍ وزعيمٍ لمواصلةِ حربِ التحريرِ اليمنية. ثم بدأت المعاركُ مع الأتراكِ، وشعرَ الداعي بتخلّي الأنصارِ مِنْ حولِه. حيثُ انضمَّتْ جماعةٌ من سحارَ إلى الأمامِ يحيى. وزادتْ شكوى تجارِ صعدة بما أحدثَهُ الحسنُ بنُ يحيى القاسمي من ضرائب عليهم. سمّاها الجنداري «بالضريبةِ القاسميةِ» وساءتْ علاقتُهُ ببعضِ المشايخ وخاصةً عليَّ بنَ مسفرٍ، وصارتْ صعدةُ مؤرقةً للقاسميّ، فتهيّأ للانتقالِ منها إلى قفر بني جُماعةَ ومُنَبِّه الشام ووادعةِ الشام. سيّما وأنَّ عساكر الإمام تتوالى على حصارِ صعدة، والرتبةَ تزدادُ قوةً وإحكاماً. ثم كانَ اتصالُه - أي الحسنَ بنَ يحيى القاسمي بالمكارمة من الباطنية[1]، ووقوعُ معاركَ بينَ أهل ساقين والحسنِ بن

---

(١) الدرَّة المنتقاة، ١٤٦، هذا ما أورده القاضي أحمد بن عبدالله الجنداري في الدرة المنتقاة ١٤٦، واتفق معه القاضي عبدالكريم بن أحمد بن مطهر في كتيبة الحكمة، والله أعلم!.

يحيى القاسمي بسببِ المكارمةِ، ولفَّتِ المنطقةَ معاركُ أخرى في بلادِ خوْلانِ الشام بينَ أهلِ ساقين ومعهم جماعةٌ من الكربِ وبينَ الحسنِ ابن يحيى القاسمي وعدلان وخولان. ونجحتْ عيونُ الإمامِ يحيى من التحقُّقِ منْ شروطِ الائتلافِ بين الحسن بن يحيى القاسمي والباطنيةِ بأنْ يكونوا ضدَّ قواتِ الإمامِ يحيى[1].

ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ القواتِ التركيةَ نجحتْ في الوصولِ سنةَ ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م إلى بلاد حاشد، ولم يكن ليتسنى لها ذلك لولا حالةُ الحربِ والفوضى التي تلفُّ البلادَ، وهنا سارَ جماعةٌ من سحار إلى سيفِ الإسلامِ محمدِ بنِ الهادي يطلبون إليه عقدَ الصلحِ بينَه وبينَ حسن القاسمي، فوافق، وكان اقتراحُه أن يصلوا بكتابٍ إلى الحسن بن يحيى القاسمي، ويُخفونَ عنه علمَ سيفِ الإسلام محمدِ بن الهادي ومضمونه[2]:

«إنا نظرنا في المتعارضين، فعزمْنا على اختيار عالمين من القبلة، أحدُهما السيدُ العلامةُ أحمدُ بنُ إبراهيمَ الهاشمي والآخرُ السيدُ العلاّمةُ حسين بنُ علي الحوثي، وعالمين من علماءِ صنعاءَ، أحدُهما: القاضي، عليُّ بنُ علي اليماني ورجلٌ آخرُ، ويجتمعون في أيِّ موضعٍ، ومَنْ صحّحوا إمامَتَهُ صحَّ ومَنْ أبطلوها بطُلَ» فعزموا بذلكَ الكتابِ ووصلوا إلى الحسنِ بن يحيى القاسمي، فأخبروه خبرَ التّركِ وقالوا: قد كتبنا هذا ورضينا به، فنظرَهُ وكتبَ عليه: «رضيتُ إنْ رضِيَ المتوكِّلُ، فأخذوه منه وساروا إلى سيفِ الإسلامِ محمدِ بنِ الهادي، فأرسلَ به إلى الإمامِ، إلى القفلةِ، فلما قرأه، كتبَ عليه:

«ما كنّا نبغي (أيْ هذا ما كنّا نريدُه)، فأعزموا عليه وتمِّمُوا لنا أو علينا».

وأعادَه إلى سيف الإسلام محمدِ بنِ الهادي، حيثُ وصلوا بهِ إلى الحسنِ بنِ يحيى

(١) هذا ما ورد عند صاحب المخطوط، حيث كان المعارض قد منحهم الأمان، ولكنهم اعتدوا فوقعت المعركة التي أشار إليها المؤلف، والله أعلم؟

(٢) الدرَّة المنتقاة، ١٤٦.

القاسمي ولما نظره نقضَ ما أبرمَ وخاطبَهم: «لا أرضى بتحكيم أحدٍ».

والتحليل لهذه الروايةِ يفيدُ بأنَّ الإمامَ يحيى وسيفَ الإسلام محمدِ بنِ الهادي كانا على قناعةٍ بعدم مضيّ الحسنِ بنِ يحيى القاسمي في قبولِ التحكيم وإنما هدفا إلى أمرين:

أحدُهما: إبلاغُ الحجّةِ على الداعي باعتباره الطرفَ الذي رفَضَ التحكيمَ بعدَ الموافقةِ عليه، وبذا يخسرُ المزيدَ من التأييد والأتباعِ وخاصةً من قبيلةِ سحار، عضُدِه الرئيسي.

ثانيهما: إعلامُ العامّةِ بأنَّ الداعيَ لا يلتفتُ إلى مراعاةِ الصّلاحِ ورعايةِ مصالح العبادِ، وحولَ هذا الأمرِ نرى أنَّ الإمامَ يحيى بدأ يميلُ إلى امكانيةِ ذهابِ الدَّاعي لما هو أكثرُ مِنْ الاتفاقِ مع المكارمةِ الباطنية(١)، والذي أفشلَهُ الإمامُ يحيى بتوجيه ضرباتِهِ إليهم، حيثُ يمكُنُ أنْ يلجَأَ إلى الأتراكِ لمعاونتِه، لا سيّما وقد نُقِلَ عن الحسنِ بنِ يحيى القاسمي أنّه كان ينشرُ بين الناسِ، «أنَّ العجمَ إذا وصلوا لا يقفونَ في البلادِ، وإنما يخرجون إلى حصونِ الإمامِ يحيى كالسِنّارةِ والصمعِ وغيرها يخرّبونها ويعودون».

وكان لرفضِ الحسنِ بنِ يحيى القاسمي لهذهِ الواسطةِ أثرُهُ. فقدْ شاعَ أنَّ القاسميَّ قد اتفق مع الأتراكِ، وهو الذي شجّعهم على الوصولِ إلى بلادِ حاشد، مما أدّى إلى تخلّي العديدِ عن مناصرتِه والانضمامِ للإمامِ يحيى، الذي يتولّى عمليّاً مقاتلة الأتراكِ، الأمرُ الذي جعل الإمامَ يحيى يقرِّر أنَّه لا بدَّ مِنَ القضاءِ على حركةِ الحسن بنِ يحيى القاسمي، وبدأ بتجهيز الحشودِ من أرحبَ وذي محمدٍ وبكيلَ وحاشد، لأجلِ دخولِ بلادِ القبلةِ وإصلاحِ تلك الحركاتِ. وأُسنِدَتْ قيادةُ الإمداداتِ لأحمدَ بنِ إسماعيل حميدالدين وعبدِاللهِ بن محمد الضمُين وهما من القياداتِ المجرّبةِ في المعارك، ذوي حنكةٍ ودربةٍ في خوضِ

---

(١) حسب رواية الجنداري السابقة، والله أعلم!

الحروبِ، إضافةً إلى القوّاتِ المرتبةِ أصلاً بقيادةِ سيفِ الإسلام محمد بن الإمام الهادي ومحمدِ بن يحيى بن عامر وفي نفسِ الوقتِ أرسلَ بالعلاّمةِ محمد بن منصور[1] إلى الحسنِ بنِ يحيى القاسمي، ليطرحَ عليه أحدَ الخياراتِ الثلاثة التالية:

١ - ردُّ الأمرِ إلى العلماء واتّباع ما يقولون.

٢ - تركُ الشّقاقِ وأبقاؤه على الولايةِ إن كانتْ هي المقصودةَ.

٣ - أو المعاونةُ بشطرٍ من غلاّتِ تلك البلادِ لمساعدةِ الإمامِ يحيى في الجهادِ.

فلمْ يقبلِ الحسنُ بنُ يحيى القاسميّ بواحدةٍ منها، ونحن نرى أنَّ الإمامَ يحيى لم يكن هدفُه إلاّ التحقّقَ منَ اتفاقِ القاسميِّ مع الأتراكِ، فما كان ليرضي الأتراكَ حتى بمساعدةِ حليفِهم بشيءٍ من المؤنِ والأموالِ لعدوِّهم الإمامِ يحيى، وتأزّمَ الموقفُ بين محمدِ بنِ منصور والحسنِ بن يحيى. ومع ذلك فإنَّ النَاسَ أشاروا بمراجعةِ الحسنِ بن يحيى للمرةِ الأخيرة فإذا انقادَ إلى الحقِّ، وسلكَ في منهج الصدقِ وقعَ الائتلافُ والاجتماعُ وإلاّ فلا جدوى من الاجتماعِ والتشاورِ، فلا بدَّ من استئصالِ شأفتِه، وكان سوقُ العساكرِ والأجنادِ عليه وتمت المفاوضةُ بينَ الداعي الحسنِ والوفدِ المكوَّنِ من، السيد أحمدَ بنِ قاسم حميدالدين وأحمدَ بنِ إبراهيم الهاشمي والسيد أحمدَ العجري وإبراهيم بنِ عبدِالله الغالبي وانتهوا إلى أنَّ الحسنَ بنَ يحيى القاسمي يقبلُ بتحكيمِ عشرةٍ من العلماء.

- ثلاثةٍ من أصحابِه

- ثلاثةٍ من أصحاب المتوكلِ على الله.

- وأربعة متوسطين لا يكونُ بينَهم شرفُ الدين حسينٌ الحوثي.

---

(١) انظر الوثيقة هي رسالة من الامام يحيى بن محمد حميدالدين إلى العلامة محمد بن منصور المؤيدي.

وسلَّم الأمامُ يحيى ابنـه رهينةً ولم يسلم الحسن بن يحيى رهينته، فخـرج الإمامُ يحيى يـوم ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٥هـ ومعـه جمْعٌ من علماءِ حوث وذمـارَ والصَّفقين وصنعاءَ وخبـانَ، فوصلوا إلى الصفـراءَ ثم انتقلوا منهـا إلى المهاذرِ ثم إلى رحبـانَ، وانتظـروا وصـولَ الحسنِ بنِ يحيى القـاسمي ولم يصـلْ «وتنـاقلت المصادرُ السّبَب في عدمِ وصولِهِ إلى أنَّ الحسنَ بنَ يحيى القاسمي كان قد أوحى إليه بعضهم بأنَّ المتـوكلَ على الله ما جـاءَ إلاّ ليأخذَكَ أنتَ ومنْ معك بـالحيلةِ، وأنّه قدْ أخرج لكَ صندوقاً وقيْداً يدخلك فيه. ويحملُك إلى شُهارة».

وقبل فحصِ الروايـات المتّصلةِ بمحاولةِ الإصلاحِ الأخير، لا بـدَّ من الإشارة إلى أن الحسنِ بن يحيى القـاسمي لم يكن واثقاً من قـدرةِ الإمام المتـوكلِ على الله في النفادِ إلى الجهات الصعدية، فالقـوات التركيةُ تترصَّدُه وتغلَقُ وتراقبُ الطرقَ والمنـافذَ وكـان هذا من رأي وزيـرِ الحسنِ بنِ يحيى القاسمي المدعـو: حسنَ بنَ حسين عدلان، وأمـا الإمامُ يحيى فقـد ثبتَ لديه بـالأدلّةِ القـاطعةِ أنَّ الحسنَ بنَ يحيى القاسمي أصبح رهينَ الأتراكِ، فلا يصـدُر إلاّ عن ما يشيرون به عليه، وما يعملون سوى الحيلة، والخداعِ للإيقاع بالإمامِ يحيى بن محمدٍ حميدالدين.

وكان منَ النتـائج التي أسفرتْ عنهـا هذه المحـاولةُ أنْ «تمَّ اجماعُ من حضرَ منَ العلماءِ بصحّةِ إمـامةِ الإمامِ يحيى وعدمِ التعـويلِ على دعوةِ الحسنِ بنِ يحيى القاسمي» وبايعَ العلماءُ الإمامَ يحيى، وكانَ مَنْ بينهم:

العلامةُ أحمدُ بنُ إبراهيمَ الهاشمي. أما دعـوى الصندوقِ والقيدِ فلا أراها إلاّ خدعةً مدبّرةً من الأتراكِ، شـاركَ فيها حسنُ بنُ حسين عدلان ومحمد بن شايمُ والشـاذليُّ من أعوانِ الحسن بنِ يحيى القـاسمي، ومـا يجعلني أرجّحُ هذا الـرأيَ تلك الوثيقـةُ البريطانيةُ التي عثرتُ عليها في سجـلات ووثائقِ اليمن، في الجزء الخامسِ ص٤٨٦، وهي رسـالـةٌ بعث بهـا الملحقُ العسكـريُّ البريطـانيُّ في سفارة بـريطانيا بـالقسطنطينية. (الكـولونيل (H. Conyers Surtees) بواسطة

السفـــير N. O'Conor إلى وزير خارجية بريطانيا The Marquees Of Lands-downe[1] (نبيل لانزداون).

ونظـراً لأهمية هـذه الوثيقـةِ فإني اثبتها مترجمةً إلى العـربية، وأضمّنُ صـورتَها الأصليةَ .

Colonel Surtees to Sir N. O'Conor.

من الكولونيل سورتيس إلى السير ن. اوكنور[2]

رقم ٣٦ القسطنطينية ١ يوليو ١٩٠٦

يشرفّني، وسيكونُ حسناً، لو أنهيتم إلى علمِ السلطـاتِ العسكريةِ المعلوماتِ الملحقةَ التالية حولَ الأوضاعِ العسكريةِ والسياسيةِ في اليمن.

بموتِ الإمامِ محمـد الدين (حميد الديـن)، المنتسب إلى العائلة الزيـدية سنة ١٩٠٤، ظهرَ على المسرحِ مرشحـان للإمامة، وهما: يحيى حميـدالدين ابنُ الإمامِ المذكـور أعلاه والسيـدُ محمد الهاشم الضَحْيَـاني (محمد الهاشمي الضَحْيَـاني)، وهـو في الستين من عمـرِه، قـادرٌ، متعلّمٌ، مثقّفٌ ورئيس قبيلـةِ الضَحْيَـان التي تتمركـزُ في منطقةِ صعـدة. لقد اختـارَ زعماءُ القبائلِ اليمنيـةِ الإمامَ يحيـى الذي أضاف لاسمِـه بعدَ وفاةِ والـدِه، لقبَ حميدالـدين (ولكنّه معروف لـدى الأتراك باسم يحيى محمد) وقد قامَ بحـروبٍ ضدَّ محمدٍ الهاشم الضَحْيَاني، وغزاه وأجبرَهُ على التنـازلِ عن ادّعائِه الحقَّ في جمعِ الضرائبِ من القبـائلِ المجـاورةِ. وعندمـا استعادَ القائدُ فيضي باشا صنعـاءَ في سبتمبر الماضي عادَ السيدُ محمدُ الضحياني للثورةِ ضـدَّ الإمامِ على أملٍ أن يكافِئَـهُ الأتراكُ بدعمِـهِ لتولّي إمامـةِ اليمنِ، وقدْ وقعتْ عـدّةُ اشتبَاكاتٍ بينَ أنصـارِ الإمـامِ وأنصـارِ محمدٍ الضَحْيَـاني وكـانتْ نتـائجها لصـالح الأخير، وتخلّلَ في كثير منَ الأحيـان بعضُ أعمالِ العنفِ ضـدَّ

---

(١) كان اسمه الحقيقي Henry Charles Keith Petty Fitmaurice.

(٢) الشكر موفوراً للاستاذ الدكتور وليد عبدالحي لمشاركته الفعّالة في ترجمة الوثائق، وهو الصديق القريب.

الأتـراكِ من قبل الطـرّفيْن من قبل الضَحْيَـاني والأتـراكـ ضدَّ الإمـامَ ويبـدو أنَّ الإمامَ يحيى كتبَ رسالةً مطوّلةً للضَحْيَـاني يعرضُ عليه الحضورَ لطرفِهِ والقبولِ بشروطِه، ليعملَ معَ الإمـامِ ضدَّ الأتراكِ، عدوِّهم الطبيعي. إلاّ أنَّ إمـامَ صعدة الضَحْيَـاني رفضَ العـرضَ، حيثُ رفضَ الاعترافَ لمنافسِـهِ بـالإمـامة، مبيِّنـاً أنَّ الإمامةَ ليستْ وراثيةً، وإنما توجَّبُ لواحدٍ من الزيديةِ تجاوزُ الأربعين من عمرِه، وهـو شرطٌ لم يستوفِـه يحيى، وليسَ شرطـاً أنْ يكـون الإمـامُ أكثرَ علِماً بمبـادىءِ الإسلامِ، بل الأكثرُ أهليةً في الحروبِ، وإلى جانبِ ذلك فقـد تحدّى الضَحْيَانيُّ منافِسَه بدعوتِه لمناظـرةٍ دينيةٍ، وتعهَّدَ بالاعترافِ بإمامةِ يحيى إذا حُكِمَ بأنَّ يحيى قـدْ تفوَّق عليـه في المنـاظـرةِ. ولّما لمْ يقبلْ يحيى بهذهِ المقترحـاتِ نحا الضَحْيَـانيُّ مسلكاً تـوفيقياً تجاهَ الحكـومةِ التركيـةِ، وطلبَ منها مسـاعداتٍ محدودةٍ وبعضَ الـذخائرِ واعـداً بأنه سيقـاتلُ ضدَّ يحيى، إذا مـا توفَّـر لهُ ذلك. وقـد قدّمَ هـذا الطلب إلى القسطنطينيـة ليتخذَ السلطـانُ قـراره بشأنِـهِ، لكنَّ هذا الأمـرَ لم يجد هـوىً عند السلطـانِ، حيثُ أنَّ الاتفاقَ مع يحيى بـدا بعيدَ المنـال. ليس بسببِ مـوقفِـه المتشددِ فحسـب، وإنما بسببِ الموقف الصـارمِ للزيـديـة، والـذين لا يعترفون بـالسلطانِ أميراً للمـؤمنين. مدّعين أنَّ مثلَ هـذا اللقب إنما هو مقتصرٌ على الـزيديـةِ من العربِ الـذين ينحـدرون من سلالـةِ النبيِّ والسلطانُ تـركيٌّ وليس عربياً.

ومن نـاحيةٍ أخـرى، فإنَّ التوصـلَ إلى اتفاقٍ مع الضَحْيَـاني لا يبدو مشكلـةً صعبةً فالضَحْيَانيُّ لا يتطلّعُ إلى خلافةِ المسلمين كما هو حالُ يحيى.

ويبدو أنَّ ردَّ السلطانِ القائم على دبلوماسيـةِ عدم الثقةِ بأحدٍ. والذي وصلَ منذ حوالي شهر إلى اليمن، نصحَ بالاستجابة لتقديم المساعدات المحدودةِ التي طلبَهـا الضَحْيَاني، أمـا طلبُّـه للأسلحـةِ فلمْ يكنْ بـالإمكـانِ تقديمُ أيِّ تنـازلٍ بشأنِـهِ، لأنّه إذا تحقّق النصرُ للضَحْيَـاني على يحيى، فليس ثمةَ ضمانٌ ألاّ يظهـر الضَحْيَاني كزعيمٍ للقواتِ العسكرية الزيدية.

وفي خلال ذلك تسودُ - البـلادَ - الآن بكاملِها، حالـة من الفوضى، وعرب مناطقِ الهضابِ والـذين يعملون في الزراعة قد تخلـوا عن حصادِ غلالِهم بسببِ حالةِ الفوضى وهم ساكنون الآن، إلاّ أنَّ الصراعَ سيستأنف قريباً.

أمـا الوضع العسكـري فـلا بـارقةٌ تـدلُّ على تحسّنِه، فما زال فيضي باشـا في صنعـاءَ، والقـواتُ العـاملـةُ ليست لديها الامكـانيـاتُ للقيـامِ بأيـةِ عمليـاتٍ عسكـريةٍ، كما أنَّ الأحـوالَ النظـامية في هـذه القواتِ تتـدهـورُ وتتزايـدُ أعمالُ انتهاكِ الحرماتِ.

وفي منتصفِ الشهـرِ الماضي تـركتْ بعضُ قطـاعـاتِ الـرديفِ الموجـودةُ في عَمْرَان مراكزَها واتجهت نحو صنعـاءَ، وادّعوا أنّهم طُرِدوا، كما حدثَ مع رفاقِهم الذيـن سبقوهم إلى صنعـاءَ. وقد قـام فيضي باشـا باستعـراضِ هؤلاءِ الـرجالِ وخطبَ فيهم، وطلبَ إليهم العودةَ لأداءِ واجبِهم، إلاّ أنَّ الكثيرين منهم رفضوا الإصغاء إليه، وقاموا بالانتشـار في أرجاء المدينة، وبعدَ ذلك بقليلٍ تسلَّم الباشا معلومـاتٍ تفيدُ بأنَّ المجندين سيقومـون باقتحام إحـدى بواباتِ مدينـة صنعاءَ ليلاً والسيرِ بعـدَ ذلك إلى الحديدة، ليحصلوا هنـاك على باخـرةٍ يُبحرون بها من اليمن. فقامَ القائدُ فيضي باشا بترتيبِ قواتٍ يعتمدُ عليها مزودةٍ با لمدفعية قُرْب البـوابةِ، وعنـدما اقتربَ طـابـورُ العساكـرِ الهاربين فُتِحَتْ عليهم النيرانُ، فقتل العديـدُ منهم وأُسِرَ الباقـون، حيث وُزِّعوا على الكتـائب الموالية. والقليلُ منهم تمكّن من الفرار وقد يكون بعضهُم انضمَّ إلى الإمامِ يحيى.

وعلى مـا يبدو فإنَّ البـابَ العالي قـد قـرَّرَ السحبَ التدريجي لجميعِ كتـائبِ الرّديفِ المتبقيةِ في اليمنِ وإرسالَ مجندين جُدْدٍ كإمدادٍ وتعزيزٍ، والعددُ المطلوب ١٧ ألفاً.

وتقولُ المعلومـاتُ الواردةُ من أزمير، أنَّ هذه الإمدادات ستـوفِّرُ من المجندين لهذا العـامِ، وسيختارُ الأكثـرُ غلظةً من بينهم، وسيرسُلـون إلى اليمنِ، وإن ثلثي

الذين سيتقدّمون للتجنيد في إزمير قد نُذروا لليمن.

خادمك الكولونيل H. Conyers Surtees الملحق العسكري

وكما يظهرُ من الـوثيقةِ فإنَّ الملحق العسكريَّ البريطـانيَّ في القسطنطينية وقعَ في وهـم ضبطِ الأسماءِ، إما لأنَّ مصـدَرَه الاخباريَّ لم يكنْ دقيقاً، أو لعجمتَـهِ وقد فاتَـهُ ضبطُها ولكنَّ مجملَ وقائعِ الأخبـارِ الواردةِ في الوثيقةِ وتـاريخها تنطبق على الحسنِ بنِ يحيى القاسمي الضَحْيَاني فهو سيّدٌ من أبناء عمومةِ الأمامِ يحيى وهو الداعي.

وفيما يتعلّقُ بالعُمـرِ عند تـوليهِ الإمـامة، فـلا من شرطٍ يقتضي بلوغ الأربعين فالهادي إلى الحقِّ، كان إماماً وعمره خمسٌ وثـلاثون سنة، والمهدي لدين الله أحمدُ ابنُ الحسين كانت إمـامتُه وعمـرُه ثلاثون سنـةً. والمؤيّدُ بـاللهِ يحيى بنُ حمزةَ دعا لإمامتِهِ ولم يتجاوز الواحدَ والثلاثين سنة.

ومن حيث التعاونُ مع الأتراكِ، فالوثيقةُ واضحةٌ في هذه المسألةِ.

Colonel Surtees to Sir N. O'Conor.

(No. 36.)

Sir,

Constantinople, July 1, 1906.

I HAVE the honour to request that you will be so good as to forward, for the information of the military authorities, the following résumé of the actual military and political condition of affairs in the Yemen:

At the death of the Imam, Mohammed-el-Din, of the family of the Zeiditi, in 1904, two candidates for the Imamship appeared on the scene, viz., Yahya Hamid-el-Din, the son of the above-mentioned Imam, and Saïd Mohammed-el-Haschim-el-Dajani, the latter being a man of some 60 years of age, capable, educated, and Chief of the tribe of Dajan, which is located in the Sa'ada country.

The chief tribes of the Yemen, however, chose as Imam Yahya, who on the death of his father assumed the additional name of Hamid-el-Din (but is known by the Turks as Mohammed Yahya), and marched against Saïd Mohammed-el-Haschim-el-Dajani, conquered him, and compelled him to relinquish his claim to collect taxes from neighbouring tribes.

When Marshal Feizi Pasha in last September retook Sana'a, Mohammed-el-Dajani rebelled against the Imam, hoping that the Turks would reward him by nominating him Imam of the Yemen.

Several fights took place between the partisans of the Imam and of Mohammed-el-Dajani, finally resulting in the advantage of the latter. These hostilities were frequently interrupted by intrigues conducted by both parties against the Turks, and also by intrigues between the Turks and El Dajani against the Imam.

It seems that Yahya wrote a long letter to El Dajani exhorting him to come to terms and to operate jointly with him against the Turk, their natural enemy; but the Imam of Sa'ada (El Dajani) rejected the offer, refusing to admit a rival in the Imamship, arguing that it was not hereditary, but should be held by a member of the Zeiditi who was over 40 years of age (a condition unfulfilled by Yahya), and that the Imam should not only be the most learned in the doctrines of Islam, but also the most valiant in war. Moreover, El Dajani challenged his rival to a theological dispute, undertaking to recognize Yahya's authority should it be decided that the latter had vanquished him.

Yahya did not accept these proposals. El Dajani then developed a conciliatory attitude towards the Turkish Government, and applied for a small pecuniary subsidy and some munitions of war, promising if such were granted to fight against Yahya. This offer was submitted to Constantinople for the decision of the Sultan, by wh[illegible] it was not unfavourably received, since a *modus vivendi* with Yahya appeared impossible, not only because of his unconciliatory demeanour, but because of the unbending attitude of the Zeiditis, who do not recognize in the Sultan the Commander of the Faithful, alleging that this title is vested in the Zeid Arabs, who are descended from the Prophet, whereas the Sultan is a Turk and not an Arab. On the other hand, to arrive at an arrangement with El Dajani did not appear to present insuperable difficulties, since the latter did not aspire as Yahya did to the Caliphate.

It seems that the Sultan's reply—characteristic of the usual yielding diplomacy, which trusts no one—was received about a month since by the Yemen authorities, and was to the effect that the pecuniary subsidy could be granted if the Yemen authorities considered it advisable, but that the request for arms could not be acceded to, as, if El Dajani should be victorious against Yahya, there was no guarantee that he would not appear at the head of the Zeiditi in arms against the Imperial troops.

Meanwhile, the whole country continues to be in a state of anarchy. The highland Arabs are at present occupied in agricultural pursuits (the harvest is reported to be abundant) and are tranquil, but the struggle will shortly recommence.

The military situation shows no sign of improvement. Feizi Pasha is still at Sana'a, but with the scant forces available is unable to undertake any expedition, whilst discipline deteriorates and mutinous acts are prevalent.

About the middle of last month some Redif companies of the garrison of Imran left their post and marched to Sana'a, where they clamorously urged their claim to be discharged as some of their comrades at Sana'a had been.

Feizi Pasha caused these men to be paraded and addressed them, requiring them to return to their duty, but many refused to listen to him, and spread themselves over [illegible] after this the Pasha received information that the mutineers intended,

صورة الوثيقة المرسلة من القسطنطينية بشأن الداعي المعارض

5

to force one of the town gates of Sana'a by night and to march out thence to Hodeida, where they hoped to obtain possession of a ship and set sail from the Yemen.

The Marshal thereupon concentrated some reliable troops with artillery near the gate, and when the column of mutineers approached, opened fire. Many were killed, the remainder being made prisoners, and eventually distributed amongst the loyal battalions; only a very few contrived to escape, and these have probably joined Yahya.

It would seem that the Porte has decided to gradually withdraw from the Yemen all the remaining Redif battalions, and to send only recruits as reinforcements; 17,000 are required.

Information received from Smyrna states that these are to be supplied from this year's levy, from which only the most robust are chosen, and a proportion of two-thirds of those presenting themselves at Smyrna are destined for the Yemen.

I have, &c.

(Signed) H. CONYERS SURTEES, *Colonel,*
Military Attaché.

المبحثُ الثالثُ: القضاءُ على حركةِ الحسنِ بنِ يحيى الضَحْياني

يلاحَظُ أنَّ الإمامَ يحيى قدْ نجح عمليّاً في محاصرةِ حركةِ الحسنِ بنِ يحيى القاسمي في منطقةٍ جغرافيةٍ محدودة، وتزايدَ انفضاضُ الأتباعِ والأنصارِ من حولِه بعدَ سيطرةِ قواتِ الإمامِ يحيى على القصبةِ وساقين ومضتْ سنةُ ١٣٢٦ هـ في إحكامِ الحصارِ على الداعي الحسنِ بنِ يحيى، وحُرِّرَت الرسائلُ في جمادي الآخرة من سنةِ ١٣٢٦ هـ منْ مقام الإمامِ بالقفلةِ بشأنِ الداعي حسن بن يحيى ووزيره حسن بن حسين عدلان وأتباعِه حتى إذا كانَ رجب سنة ١٣٢٨ هـ. كان استيلاءُ أصحاب الإمامِ يحيى على هجرة فلله والمزار والعينا وبنى جُماعةَ وغيرها، من المحلات والحصون، وأسرُ وزيره حسنِ بن حسين عدلان والشايمِ والشاذلي، وكادَ أنْ يُقْبَضَ على الداعي الحسنِ وهو محاصرٌ في حصنِ أمّ ليلى، ولكنَّ سيفَ الإسلامِ محمدَ بنَ الهادي المعروفَ بأبي نيب، قائدَ الإمامِ يحيى، أرخى قبضتَهُ في الحصارِ، وترك له مخرجاً لينجوَ بنفسِه، فذهبَ إلى هجرةَ الحرجةِ واستقرَّ بوادي قراضةَ، ونقلَ محمد بن الهادي الأسرى إلى شهارةَ حيثُ أودعوا الحبسَ، واستقرَّ الأمرُ للإمامِ يحيى، خطب خطيبُ المقامِ بقفلةَ، حسين بن أحمد العرشي، يوم الجمعةِ تاسعِ رجب: «عبادَ اللهِ جاءتْ إليكم النِّعَمُ تجرُّ أذيالها، ويتقاذفُ إليكم نوالُها، أراكُمُ اللهُ مِصداقَ قولِهِ ونصرِه، وأركَسَ عدّواً لكمْ كانَ قدْ شدّ أزرَهُ وقوّى ظهرَه ابتغاءُ الفتنةِ والدنيا..الخ[1] وبعدَ سنواتٍ استأذن أحدُ أولادِ الحسنِ بن يحيى، الإمامَ يحيى في السماحِ لوالده بالعودةِ إلى باقم، فرجعَ هو وأولادُه وعاشَ هناك ينشرُ العلمَ تدريساً وتصنيفاً حتى توفي في ٥ جمادي الأولى سنة ١٣٤٣ هـ.

ورثاه الإمامُ يحيى بقصيدةٍ قال من أبياتٍ فيها:

---

(١) نزهة الخاطر ٢٤٤.

خَطْبٌ أثــــارَ تأسُّفـي وتمَلْمُلي		فـالنـومُ منــه على الجفـونِ بِمَعْزِلِ
وغــرابُ بينٍ مفــزعٌ لأُولي النُّهى		بـالنّعيِ للحسـنِ بن يحيى الأفضلِ

فهلْ أيقنَ الأتراكُ بأنَّ الإمـامَ يحيى هو القـوةُ الوحيدةُ والمهَّمـةُ في الميدانِ، أمْ أنَّ التخلّي عن مسـاعـدةِ الحسنِ بن يحيى القـاسمي الضَحْيَاني كـانَ جزءاً من مقـدماتِ صلحِ دَعَّـان سنة ١٣٢٩ هــ/ ١٩١١م؟ سؤال مـا زالَ يبحثُ عن جوابٍ.

البـــاب الثالث

بناء الدولة الحديثة

الفصل الأول: اليمن ونتائج الحرب الكونية الأولى

المبحـث الأول: إخلاء القوات العثمانية من اليمن

المبحث الثانـي: صنعاء، حاضرة الدولة الحديثة

المبحث الثالث : مطلب الاستقرار والأمن والبناء

الفصل الأول

اليمنُ ونتائجُ الحرب الكونية الأولى:

كتبَ أمين الـريحاني في كتابـهِ ملـوك العرب «إنّ اليمـنَ لم تتأثرْ، لا في أثنـاءِ الحرب، ولا بعدَها مـن غلاءِ حاجاتِ المعيشةِ، لأنَّ أرضَهـم، - ولا تُزرعُ كلُّها- تطعمُهُم، وأنـوالُهم تكسيهم، فـلا يحتـاجـون غيرَ القطن وبعضَ الأصبـاغِ من الخارج.

ثم أثبت الريحاني قائمة بالأسعار:

لحم الضأن	الرطل	٤ غروش
لحم البقر	الرطل	١٠ غروش
السمن	ثمن الرطل	٣٥ قرشاً
القمح	ثمن القدح	٦٠ قرشاً
البطاطس	ثمن القدح	٢٠ قرشاً[1]
أجرة البيت		٤ ريالات أو ثلاثـة ريالات أو ريالان حسب نظافته وهيئته.

ولما كـان التأثيرُ لا يقتصر على حاجـاتِ المعيشـةِ وحـدَها، وإنما يمتـدُّ إلى الـوطنِ وتقـريرِ المصيرِ، ورغمَ عـدمَ مشـاركةِ اليمـنِ اشتراكاً رسميـاً في الحربِ

(١) انظر ملوك العـرب، ١/ ١٢٥، القدح يساوي كيلو وثـلاثة أرباع، والريـال النمساوي يقسم مثل المجيدي إلى ٢٠ غرشاً = ١٠ غروش.

الكونيةِ الأولى، فإنها تأثرت بذلك أيّما تأثيرٍ فالأجزاءُ الشماليةُ منها تحتَ السيطرةِ التركيةِ، والجزءُ الجنوبي تحتَ السيطرةِ البريطانيةِ والسلطنةُ العثمانيةُ والأمبراطوريةُ البريطانيةُ في صراعٍ محتدمٍ، والسواحلُ والجزرُ اليمنيةِ أهدافٌ مقصورةٌ للاعتداءاتِ وضاقت الأحوالُ الاقتصاديةُ في مرحلةٍ من احتدام الصراعِ عندما حوصرت موانيءُ اليمنِ إبانَ الحصارِ البحري، وزادت الحالةُ الاقتصاديةُ تردياً باحتلالِ القواتِ البريطانية لميناء الحُدَيْدَة، الذي يعتبر الميناءَ الطبيعي لصنعاء، لقد أصابَ اليمنَ نتيجةَ الحربِ «شرارةٌ» كما يصفه ذلك مؤرِّخُنا عبد الكريم بن أحمد بن مطهر[1] ولقد لفتَ نظرنا ملاحظتان وردتا عند المهتمين بتاريخِ الفترة:

الأولى: وردتْ عند هارولد جيكوب، فأوردَ في أخبارَ يوليو ١٩١٤م، أنَّ الإمامَ يحيى أحسَّ بدخولِ تركيا الحربَ قبل حدوثِه، فهو الذي حذَّرَ المسلمين في ذاك الشهر من مغبّةِ ذلك، ونصحَ المسلمين بمقاومةِ الهجومِ القادمِ على العالمِ الإسلامي، وبصدِّ كلِّ غزوٍ مرتقب[2].

الثانية: وردتْ عند مؤرِّخنا عبد الكريم بن أحمد بن مطهّر ويحيى الحداد في كتابه عمدة القارىء وغيرهما من المؤرخين، بأنَّ الأنكليزَ بذلوا غايةَ مجهودهم في استمالةِ الإمامِ إلى نقضِ ما بينه وبينَ حكومةِ الأتراك، ويرى المؤرخون سببَ عدم نقضه إذ «أبت نفسُه الكريمةُ وحميتُه الدينيةُ والنفثةُ الهاشميةُ إلا الوفاءَ بالعهودِ والاستمرارَ على السعي المحمود»[3].

وإذا ما استقرَّ عندنا بأَنَّ الإمامَ يحيى كان من نوعِ الرجالِ الذين ينطبقُ على الواحدِ منهم «وصفُ رجل دولة». فلا نعتقدُ أنَّ الالتزامَ الأخلاقيَّ وحدَه هو

(١) انظر، كتيبة الحكمة، ١١.

(٢) ملوك العرب، ٢٠٣.

(٣) عمدة القارىء، ١٠، كتيبة الحكمة، ١٤.

السببُ، فقد حاربَ الأتراكَ حتى عقدَ صلح دَعّان سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وعداؤُه للانجليزِ دائمُ الحضورِ منذ احتلالِ الانجليزِ لعدن سنة ١٨٣٩م. فإذا ما أضيفَ إلى ذلكَ ميلُ ميزانِ القوى لصالحِ الحلفاءِ، فإنَّ البحثَ في مسألةِ اليمنِ تبدو ملحةً عندَ الإمام يحيى في هذا الوقت.

وبالعودةِ إلى الوثائقِ العثمانية والبريطانية فقد عثرنا على الوثائقِ التالية:

في ١٩ شوال سنة ١٣٢٩هـ/ ١٢ تشرين الأول ١٩١١م، أرسل الإمام يحيى البرقيةَ التاليةَ إلى السلطانِ العثماني محمد رشاد:

بسم الله الرحمن الرحيم

«بلغني أنَّ بعضَ الأجانبِ يتجاوزون على طرابلس الغرب والحُديدةِ، فأنا على أهبةِ الإقدامِ بمائةِ ألفِ فدائي مبارزٍ، حتى يمنَّ اللهُ بإعلاءِ كلمةِ الله.

المتوكل على الله
إمام اليمن
يحيى»[1].

والأجانبُ الذين يقصُدهم الإمامُ في برقيته هم: الإيطاليون والانجليز.

وليس من بابِ المصادفةِ قرنُ الحديدةِ بطرابلس الغرب، فلعلَّ الإمامَ كان يرغبُ إلى لفتِ انتباهِ السلطنةِ العثمانيةِ إلى العدوانِ الواقعِ على الحُديدة علاوةً على طرابلس الغرب.

وقد ردَّ السلطانُ محمد رشاد على برقيةِ الإمام يحيى بتاريخ ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٢٩هـ/ ١٠ تشرين الثاني ١٩١١ ببرقيةٍ جوابيةٍ جاء فيها:

---

(١) انظر صحيفة الحضارة، العدد ٧٩، ١٩ شوال ١٣٢٩/ ١٢ تشرين الأول ١٩١١.

بسم الله الرحمن الرحيم

«إن ما أبديتمـوه في برقيتكم من الهمةِ والإقدام، قـد أيدَّ خالصَ ثقتي بكم. دولتُنـا متشبثـةٌ بأسبابِ دفعِ الغـوائلِ، وأبين لكم أني سُررتُ من نـوايـاكم التي تستحقُّ الذكرَ، ومن اللهِ التوفيقِ»[1].

كما تلقّى الإمامُ يحيى برقيةً أخرى من الصدرِ الأعظمِ سعيد باشا جاء فيها:

إلى حضرةِ الإمامِ يحيى باليمن.

تلغراف سيـادتِكم الواردُ قد تُلِيَ بمجلسِ النُظّـار، وما أظهرتـوه من الحميّةِ الممتازةِ وغيرتكِم الدينيةِ قد استـوجبا كمالَ السرورِ، ونعلمكُم بأنَّ الدولةَ العلية -بعنـايـة البـاري تعـالى- قـد اتخذت الأسبابَ الـلازمـةَ لـدفعِ الغـائلـةِ. أمـا احسـاسـاتُكم العليةُ، فقـد أيَّـدتْ مـا هو معهـودٌ منكم في الإخـلاصِ، وبهذه الوسيلةِ بادرنا لبيانِ الشكرِ والمنة.

الصدر الأعظم
سعيد[2]

ويُستشفُّ من الوثائقِ البريطـانيةِ والعثمانيةِ أنَّ الإمامَ يحيى قـد مَدَّ الأتراكَ العثمانيين بالأمـوال والمؤن وخاصّـةً بعد إحكـامِ الحصارِ البحـري على الموانىء الخاضعـةِ للسيطـرة العثمانيةِ، كما أنـه تغـاضى عن المتطـوعين اليمنيين الـذين تجنّـدوا للقتـالِ مع العثمانيين، بل وشجَّع المجنـديـن اليمنيين على القتـالِ مع العساكرِ العثمانيـة في حملتِها على لحج، وتمكنَّ من السيطرة على قواتِـه وأبقاها في حالـةِ سكونٍ تـامٍ فترةَ الحربِ، فلم تقمْ لا قواتُـه ولا القبائلُ بأيـةِ هجماتٍ ضدَّ القطـاعاتِ التركيّـةِ الموجودةِ على قـربٍ من المناطق التي يسيطـرُ عليها الإمـامُ

(١) انظر صحيفة الحضارة، العدد ٨٣، ص١٠.
(٢) انظر المصدر السابق ونفس الصفحة.

بموجبِ صلح دَعَّان. وبالرغمِ من ذلك فقد كشفت الوثائقُ البريطانية، الرسائلَ المتبادلَةَ بينَ الإمامِ يحيى والدولةِ البريطانيةِ منذ ٢٣ يوليو ١٩١٧ وحتى توقيعِ هدنةِ موندروس في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩١٨. والتي حاولَ من خلالِها استكشافَ النوايا البريطانيةِ تجاهَ اليمنِ، بعدَ أنْ أوجسَ خيفةً مما يُدَبَّرُ لليمنِ، مقارنةً بما أوقعَهُ البريطانيون بصورةٍ خاصة بالبلادِ العربيةِ، وما يخطِّطُه الفرنجةُ للبلادِ العربيةِ والعالمِ الإسلامي بصورةٍ عامة. فلم يتورعْ جيكوب، المعاونُ الأولُ للمعتمدِ البريطاني في عدن أنْ يعلنَ «اشكر اللهَ على أنّه جعلَ مستقبلَ الأمةِ العربيةِ وديعةً في الأيدي البريطانية»[1].

خلالَ هذه الفترة تبودلت الرسائلُ التالية[2].

- رسالة مع مبعوثِ الإمام، وهو شيخُ بني سِحَام من خَوْلان الطيال، والرسالةُ مرسلةٌ إلى المندوبِ السامي، بالقاهرة بما عرضه مبعوثُ الإمام، وتاريخها ٢٠ يوليو ١٩١٧م. وكان تأريخ رسالة الإمام مع شيخ بني سحام ١٨ يوليو ١٩١٧م.
- رسالةٌ من النائبِ، للشئونِ الخارجية، مُرَّجعة إلى عدن تأريخها ٢٣ يوليو ١٩١٧م.
- رسالةٌ من المقيم السياسي في عدن، الميجر ستيوارت J.M. Stewart, G.B إلى الإمام يحيى وتأريخها ٢٠ اكتوبر ١٩١٧م.
- رسالةٌ أخرى من المقيمِ السياسي في عدن إلى الإمامِ يحيى تأريخها ٢٠ مارس ١٩١٨م.
- رسالةٌ بعثَ بها آرثر جيمس بلفور وزير الخارجيةِ من مقيمية (حامية) رملة

(١) ملوك العرب، ٣١٧.

(2) Records of yemen. (1914-1923). Vol. 6. PP. 269-293.

الاسكندرية فيها التوصياتُ البريطانية واقتراحاتُ السير ريجالندوينجت ورسالةٌ مترجمة من الإمام يحيى إلى السير ريجالندوينجت، وتعليماتُ الإمام لمبعوثه عبد الواحد بن أحمد الخولاني تاريخها ٢٨ حزيران سنة ١٩١٨م، ثم ملاحظةٌ مهمة من اللفتانت كولونيل، هارولد. ف. جيكوب حولَ إمكانيةِ الاتفاقِ مع الإمام يحيى.

نص الرسالة:

من مقيمية عدن
٢٠ يوليو ١٩١٧

(مكررة إلى المندوب السامي في الخارج، القاهرة)

(وصلت إلى مكتب الهند، الساعة ١١ مساءً)

A.P... ٤٠٩

وصلَ مبعوثُ الإمام، وهو شيخُ بني سِحَام، بطنٌ من قبيلةَ خَوْلان الطيال إنَّ الإمامَ على استعدادٍ لعقدِ اتفاقٍ معنا بشروطٍ ثلاثة رئيسيةٍ هي:

أولاً: أن الإمام يجبُ أن يأخذ جميعَ اليمن من نقطةِ حايل (Hali) جنوباً باستثناء عدن فقط، ولكن تشملُ عسير وحضرموت، وأن تُعادَ له جميعُ الموانىء البحريةِ والتي هي من ممتلكاتِ أسلافِه.

ثانياً: أنه يجب طردُ الإدريسي من الجزيرة العربية.

ثالثاً: الا تقومَ الحكومة البريطانيةُ بأيِّ نوعٍ من الاتصالِ مع الشعبِ اليمني، إلا من خلالِه وبمعرفته.

ويدّعي مبعوثُ الإمام، أنَّ الإمامَ بمقدورهِ جعلُ كلِّ اليمنيين ينضوون تحتَ لوائِه بما فيها قبائلُ حاشد وبكيل وكافةُ القبائلِ الأخرى المرتبطة به.

وهناك شروطٌ أخرى بسيطة. وهي:

وضع الأسرى الأتـراك تحتَ تصرفه، وأن تقـوم الحكومةُ البريطـانيةُ بتقـديم المساعداتِ الماليةِ الكافيةِ، وتزويدِه بـالأسلحةِ السريعةِ الطلقات والذخائرِ فوراً إضافةً إلى بعض الخبراء.

إن سلطانَ العبـدلي يعتقدُ بأنَّ الإمامَ يسعى حـالياً لخدمةِ مصـالحِه واختبارِ نوايانا المستقبلية، ولاستكشـافِ المدى الذي يمكنُ أنْ نسيرَ فيه. هذا مع العلمِ بأنَّ الإمام يداخله الشك في إقدامنا على الـوفاء بذلك، ولذا فإن سلطان العبدلي ينصحُ بتمويلِ الإمـام لكي يقبلَ بشروطِنا، فالإمامُ يشكّلُ العـاملَ الأكثرَ أهميةً في المنطقةِ.

وفي رأيي، فإنَّ شروطَ الإمامِ يتعـذرُ الوفاءُ بها، كما أنها لا تـوفرُ أدنى الشروط والأساس للقبول بها، ونـرى بانَ قبضة الإمام على اليمن قد غـدت ضعيفة وأنه يسعى لعرقلـةِ كافةِ الإجراءاتِ من جـانبنا. واقترحُ ارسالَ ردٍّ له نعلمُـه بدرايتنا بشروطـهِ، وبتـوفـرِ الـرغبةِ لـدينـا للتعـاونِ معـه، على أنْ يبقى بحثُ المسـائلِ الاقليميـةِ مؤجـلاً حتى نهايـةِ الحرب، حيثُ إن الادريسي حليفٌ لنا، وقـد نقلَ مبعوثُه مقترحاتِه للاتفاق.

وعلى أيـة حالٍ، فإنَّ أخبـارَ القـلاقلِ والاضطرابـاتِ في اليمن، والتي تجري حالياً، ستتواردُ أخبارُها بانتظامٍ.

وإنَّ عدمَ إرسـالِ ردِّنا لـلإمامِ، سيوجـدُ عنده القنـاعةَ بعـزوفِنا عن العملِ معه.

والرسـالةُ واضحـةٌ في شروطِها لـلاتفاقِ، وتشملُ سيطرتَـه على كلِّ اليمنِ التاريخيـة باستثنـاءِ عدن، على أملِ استعادتِها فيما بعـد، وطردَ وإنهاءَ الكيـاناتِ الموجودةِ في اليمنِ التاريخيـةِ، ثم اعتبارَ العسـاكرِ التركيـة أسرى عندَ الإمام لحينِ

سـدادِه ديـونَـه التي أقـرضهـا للسلطنـةِ العثمانيـةِ خـلالَ الحربِ، حيثُ إنَّ الامـداداتِ من السلطنـةِ لم تصِلْ لعسـاكـرِهـا في اليمنِ طـوالَ أربعين شهـراً، ويطلبُ مسـاعـداتٍ مـاليـةً وذخائرَ وأسلحـةً. وكـان الجوابُ البريطـانيُّ هـو الرفضَ، ولكنْ لا ضيرَ من خداعِه، بـالتأكيدِ على بحثِ المسائلِ الاقليميةِ إلى ما بعدَ انتهاءِ الحرب، ويعتقدُ البريطانيون أنَّ الإمـامَ غدا ضعيفاً، وأنَّ هناك قلاقلَ واضطراباتٍ تعمُّ منطقتَـه وستردُ أخبارُها تباعـاً، بمعنى لجوء البريطانيين للمكرِ والخديعةِ وعملهم لإثارةِ الاضطراباتِ في مناطق الامام.

- وكانت رسـالةُ النائبِ لقسم الشئـونِ الخارجيةِ والمعادةِ إلى عـدن، تاريخ ٢٣ يـوليو ١٩١٧م والتـي استُلِمَتْ في مكتبِ الهند يـوم ٢٤ يـوليـو الساعـة ١١ صباحاً.

سري:

بالإشارة إلى التلغراف رقم A.P. 409. المؤرخ في ٢١ يوليو.

ومع أنَّ شروطَ الإمامِ غيرُ مقبولةٍ، ومستحيلـةٌ، ولكنْ من الخطأ الفادحِ عدمُ انتهازِ هذه الفرصةِ، وإغلاقُ البابِ بوجهِ محادثاتٍ في المستقبل، لأن الإمامَ هو القوةُ الرئيسيةُ المؤثرةُ في جنوبِ الجزيرةِ العربيـة، وتعاونُه معنا سيكونُ له نتائجه القيمةُ والجواب،

يمكنُ أنْ يتضمَّنَ الترحيبَ بالموقف الودّي من قِبَل الإمام، والترحيبَ بعقدِ اتفـاقيةٍ معـه، ولكنْ، يجبُ أن يـوَّضحَ لـه بجديـةٍ، عـدمُ رغبتِنا في التـدخل في الصراعاتِ العـربيةِ، أو أننا سنتخلى عن أصدقـائِنا والذين عملوا معنـا. فالمهمُّ في الوقتِ الحالي هو طردُ الأتراك.

فإذا مـا أبدى الإمـامُ تعـاوناً بهذا الصـددِ، فإنـه سيضمنُ جهـودنا لتـوفيرِ

(1) Records of Yemen. Vol. 6. P. 269.

الاستقرارِ بين الإمام وجيرانه، وفتح الباب للمفاوضات[1].

والرسالةُ ترفضُ شروطَ الإمامِ للاتفاقِ، ولكنّها ترحّبُ بموقفهِ الذي بدا ودياً يمهِّدُ لعقدِ اتفاقيةٍ، ولكن بعدَ طردِ الأتراك.

وتحملُ الرسالةُ تهديداً مبطناً للإمامِ يحيى: ففي حالةِ عدمِ استجابتهِ، فإنه سيواجه اضطراباتٍ وقلاقلَ من جيرانِه ويقصدُ بهم الأدريسي وغيرَه من القوى التي كانت تعمل بصداقةٍ مع الانكليزِ في الجزيرة وجنوبِ اليمن، في نجد والحجاز وسلاطين المحميات والمتعاونون في منطقته، وإن استجابَ فسيضمنونَ للإمامِ بذلَ جهودِهم مع أصدقائهم لتحقيقِ الاستقرارِ والهدوءِ في مناطقِ الإمام.

وفي ضوءِ هذه التوجيهاتِ حَوَّلَ الميجر ستيوارات، وبناءً على ما أمربَه وزيرُ الخارجيةِ لحكومةِ الهند برسالةٍ إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩١٧ تحدِّدُ له الخطوطَ العريضةَ لسياسةِ حكومتِه اتجاهَ مطالبِ وشروطِ الإمامِ يحيى، حيث رحّب بالمنحى الودي للإمام يحيى اتجاه بريطانيا، وأنهى له عدمَ رغبتِهم في التخلي عن السياسةِ التقليديةِ للحكومةِ البريطانيةِ والقائمةِ على عدالةِ النظرة لاستقلالِ العربِ، ولكن بعدَ طردِ الأتراكِ، وتقديمِ العونِ والمساعدةِ لكلِّ عربي يقاتلُ الأتراكَ، مع حرصنا على عدمِ التدخلِ في صراعاتهم المحلية. ويطلبُ إلى الإمامِ يحيى أن يبادرَ فوراً للانضمامِ إلى الأطرافِ التي تقاتل الأتراكَ قبلَ ضياعِ الفرصةِ، وهو، أي ستيورات، ينتظرُ إعلاناً صريحاً من الإمامِ يحيى ببدءِ العملياتِ ضدَّ الأتراكِ[1]. ولمّا طوى الإمامُ هذه الصفحةَ من الاتصالاتِ عاود استيوارت فبعث برسالةٍ إلى الإمامِ بتاريخ ٢٠ مارس ١٩١٨م، جاء فيها،

(2) Records of yemen. Vol. 6. PP. 271-272.

مقيمية عدن No. C- 325

العشرين من مارس ١٩١٨

إلى: سيادة إمامِ صنعاء

تحية:

انهي لسيادتِكم بأني قد تسلمتُ رسالتكم التي نقلها مبعوثكُم النقيبُ عبدُ الواحدِ بن أحمد الخولاني، ولقد حظيتُ -منذ تسلمي إياها، بفرصةِ مناقشةِ الأحوالِ من كافةِ جوانبها، بصورةٍ شخصيةٍ مع المندوبِ السامي لجلالتِه في مصر، سيادةِ السير ريجنالد وينجت، وبطيِّ رسالتي هذه أرفعُ لكم رسالةً شخصيةً من السير ريجنالد وينجت، واثق بأنّها ستوضحُ لكم نوايانا الوديةَ نحوكم، وستكونُ مبعثَ سعادةٍ لكم.

وكمحصلةٍ للمناقشات، فإني في وضعٍ يسمحُ لي بتقديمِ مقترحاتٍ محدَّدةٍ بشأنِ نقاطٍ معينةٍ.

فإذا كان سيادتُكم مستعداً تماماً للانخراطِ في عملٍ لدحرِ الأتراكِ من اليمنِ، فإني مُخَوَّلٌ بإبلاغِكم بأنَّ الحكومةَ البريطانيةَ على استعدادٍ من جانبها لتقديمِ الوعودِ التاليةِ لسيادتكم.

أولاً: التأكيدُ لسيادتكم على ضمانِ استقلالِكم في اليمنِ، كما سبقَ للحكومةِ البريطانية أنْ وعدت الأدريسيَّ بضمانِ استقلالِه.

ثانياً: تزويدُ سيادتكم بالمعداتِ الحربيةِ الضرورية لمحاربةِ الأتراكِ.

ثالثاً: تتركُ الحكومةُ البريطانيةُ لسيادتكم حقَّ التصرفِ بالأسرى من الأتراكِ

وفقاً لما ترونه.

رابعاً: تمويلُ سيادتكم ورجالِ قبائِلكم بالأموال، بقدر ما كان عليه التمويلُ قبلَ الحربِ التركية -من قبل الأتراك-، وستُدفعُ الأموالُ إلى رجالِ القبائِل بواسطةِ سيادتكم، وليس لهم بصورةٍ مباشرة.

خامساً: فتح الموانىء التي لا يسيطرُ عليها الأدريسي للتجارةِ، مثل غُليفقة، أو موانىء أخرى تكونُ بمنجاةٍ عن تدخلِ الأتراكِ، شريطةَ التزامِ سيادتكم ببرنامجٍ محدد للعملِ ضدَّ الأتراك.

وأرجو أن أشيرَ إلى أن المعاهداتِ التي عُقدتْ مع السلاطينِ والشيوخِ خارجَ. نطاق البحث:

فيما يتصل بالادريسي، فإنكم تعلمون أنَّ لنا معه معاهدةً، وأودُّ التأكيدَ لكم أنَّ لدينا كلَّ النوايا للالتزامِ بنصوصِ المعاهدةِ، بعدمِ إقدامِكم على أيِّ عملٍ عدواني ضدَّ الإدريسي من جانبكم.

وحتى لا يقعَ سوءُ الفهمِ بيننا، فإني في وضعٍ يسمحُ لي بإبلاغِ سيادتكم بنصوصِ معاهدتِنا مع الادريسي:

إنَّ معاهدتَنا مع الإدريسي ذاتُ شقّين،، ولها هدفٌ مزدوج:

- الحربُ ضدّ الأتراك.
- تمتينٌ علاقاتِ الصداقةِ بينَ الحكومةِ البريطانيةِ والإدريسي. وتتضمّنُ بنودُ المعاهدةِ أن يقومَ الإدريسي بعملياتٍ حربيةٍ ضدَّ الأتراكِ فقط، وأنْ لا يمارسَ عملاً عدوانياً ضدكم، طالما أنكم لم تتحالفوا مع الأتراكِ، وبالمقابلِ فإنَّ الحكومةَ البريطانيةَ تتعهدُ بضمانِ سلامةِ الموانىء البحريةِ التابعةِ للادريسي، وحمايتِها من أيِّ عدوٍ يسعى لإلحاقِ الضررِ بها، كما تضمنُ له استقلالَه في

منطقتِه، كما جرى الاتفاقُ على إنهاءِ المنازعاتِ بينكما أو مع أيِّ منافسٍ آخرَ بكلِّ الطرقِ الدبلوماسيةِ الممكنة.

هذا، وإنَّ الحكومةَ البريطانيـةَ تؤكّدُ عدمَ رغبتها في توسيعِ حدودها على الترابِ العربي، بل لديها رغبةٌ في رؤيـة العربِ يعيشون في سلامٍ، وتربطهم علاقاتٌ وديةٌ مع الحكومةِ البريطـانيةِ، إلى جانبِ الموافقةِ على استمرارِ التجارةِ مع موانئ الإدريسي منذ لحظة عقدِ المعاهدة.

إن هذه البنودَ تشكِّلُ أسسَ معاهدتِنا مع الادريسي، وإني على ثقةٍ بأن تفسيري هذا سينالُ رضاكم، إذْ أننا وضعنا مصالحكم في الاعتبارِ عندَ صياغةِ بنودِ هذه المعاهدة.

وفي الختام، آملُ من عظمتكم أن تُولوا هذا الامرَ عظيمَ وأولويةَ عنايتكم وإني على يقين بأنَّ تصريحاتِنا ستمحو من ذهنكم أيةَ شكوكٍ بعداوتنا لكم.

وآملُ أنْ أتلقى رداً مبكراً وإيجابياً على رسالتي.

تحيات.

القائد العام
المقيم السياسي في عدن
جي. أم . ستيوارت

والرسالةُ تحملُ بين سطورِها مبرراتِ رفضِها من قِبَل الإمام، إذ تُقرُّ بعدمِ ذهابِ بريطانيا للتخلي عن الإدريسي، والأكثرُ من هذا ضمانُ استقلالِه، والتحالفُ مع الادريسي لصدِّ أيِّ هجوم من قبلِ الإمامِ على مناطقِ الأدريسي أو أي زعيم عربي عملَ مع الانجليز بما فيها الدفاعُ عن موانئ الأدريسي، وهذه إشارةٌ إلى توكيد الحصارِ البحري وتشديدِه على اليمن.

كما أغلقَ الردُّ بصورةٍ قاطعةٍ إمكانيـةَ البحثِ في مصيرِ المناطقِ السفلى من اليمنِ، التي يحكمُهـا السلاطينُ والشيـوخُ والذين عقـدوا تحالفاتٍ ومعـاهداتٍ مع الانجليـز، فهي خـارجَ نطاقِ البحث. ولـوَّحت الـرسالـةُ بقبـولِ بـريطانيـا بتقديمِ معونـاتٍ ومساعداتٍ للإمام، فقد قبلوا بفكـرة تقديمِ السلاحِ الضروري لمقاتلـةِ الأتراك، ولكـنْ بعدَ الانخـراطِ الفعلي في مقاتلـةِ الأتراكِ، كما أنهم على استعدادٍ لتقديمِ الأمـوالِ له مباشرةً ولرجـالِ القبائلِ، بالمقدارِ الذي كـان يدفعهُ الأتراكُ، مع فـارقٍ، وهو أنَّ هذه الأمـوالَ ستُقدمُ لـرجالِ القبائلِ بـواسطتِه ولن تُدفعَ مبـاشرةً لرجالِ القبـائلِ، كما كان يفعلُ الأتراكُ، والبريطـانيون يعتبرون أنَّ هذا تنازلاً منهم، لأنهم بهذا يساعدون الإمـامَ كما يعتقدون على مدّ سيطرتِه على رجالِ القبائل، كما أنهوا للإمام إمكانيـة فتح موانىء جديدةٍ له، مثل: غليفقة أو غيرها، للتخفيفِ من الحصارِ البحري، وتركـوا للإمامِ حريةَ التصرفِ بالأسرى، وأبلغوه أيضاً بعـدمِ رغبتهم في توسيعِ حدودِ سيطرتهم الجغـرافيةِ الحاليةِ، ولكنَّ هـذه العطايـا مرهـونـةٌ بشرطٍ أساسيٍّ، وهـو العملُ الفعليُّ ضدَّ الأتـراكِ وفتحُ العملياتِ العسكريةِ ضدهم[1].

ولخصت الـرسالـةُ التي تحمل رقم ١٣٣ رقم ٩٥٠/ ٥٤٩ بتـاريخ ٢٨ حزيران ١٩١٨م، السيـاسة البريطانية حيالَ الإمـام والمنطقةِ اتجاهَ زعماءِ العربِ المتنافسين، وكذا الدولةِ العثمانيةِ، إذا ما عُقد أيُّ مؤتمرٍ للصلح. وكان الانجليزُ يريـدون توحيدَ مـوقفِ الزعماءِ العـربِ ضدَّ الأتراكِ قبيلَ عقـدِ مؤتمرِ الصلحِ، بعدَ أن أصبحتْ هزيمةُ الأتراكِ واستسلامُهم وشيكـةَ الوقوع. فقد وعدوا الإمامَ بعشرةِ آلافِ جنيـه استرليني شهـرياً على الاتحدَّدَ المدةُ، وهـي إشارةٌ لإمكـانيـةِ منعِها في أيـةِ لحظةٍ، وإنما تعتمدُ على سلـوكِ الإمامِ وحكومتِـه، ومسألةُ البحثِ في الحدودِ الاقليميةِ تظلُّ مـؤجلةً للنظرِ فيهـا مستقبلاً، أما المعداتُ العسكـريةُ

---

(١) انظر صورة الرسالة في الملحق.

والذخائرُ فستكونُ بمعوناتٍ سخيةً.

وحتى قبلَ إعطاءِ هذه الوعودِ المحدودةِ، لابدَّ من دراسة الفوائد التي تعودُ على المصالح البريطانيةِ نتيجةً للاتفاقِ مع الإمام، فإنَّ فكَ ارتباطِ الإمامِ مع الأتراكِ يسهِّلُ رفضَ مطالبةِ الأتراكِ بحقِّ تقريرِ المصيرِ للشعوبِ التي كانت ضمنَ رعايا الدولةِ التركيةِ. وتقترحُ الرسالةُ أحدَ الخيارين للعمل بأحدهما:

- تنفيذُ اقتراحاتِ الكولونيل جيكوب بشأنِ الاتفاقِ مع الإمام، دونَ الإضرارِ بالاتفاقياتِ المعقودةِ مع الأدريسي، وكان جيكوب قد أوصى بمساعدةِ الإمامِ بالأموال وتقديم الأسلحةِ له، والسماح له بتثبيتِ مركزِه في اليمن بشكلٍ عام باستثناء المناطقِ الخاضعةِ للحمايةِ البريطانيةِ أو تلك المتحالفةِ ولها اتفاقياتٌ مع بريطانيا، ويرى جيكوب أنَّ هذه الخطةَ ستمنعُ أيةَ قوى كبرى أخرى من العملِ لملء الفراغ الواقع بعد اخلاء اليمن من الأتراك أو العمل بالخيار الثاني وهو،

- تدعيمُ قواتِ عدن لتمكينها من التقدمِ العسكريِّ في الخريفِ، وإعادةِ رسمِ حدودِ السيطرةِ البريطانيةِ، وترجّحُ الرسالةُ الأخذَ بالخيارِ الثاني وهو، تقدُّمُ قواتٍ عسكريةٍ حولَ مناطقِ نفوذِ الإمامِ وخاصةً ميناءَ الحُدَيْدَة، وتشجيعُ الشريف حسين للتقدم العسكريِّ أيضاً، ومواصلةُ الضغطِ من قبلِ قواتِ الإدريسي على مناطقِ الإمامِ، فإنّ هذه العملياتِ العسكريةَ ستوجدُ وضعاً ضاغطاً على الإمامِ، وستجبرهُ على قبولِ التحالفِ مع الانجليز بشروطٍ أفضلَ من تلك التي هو على استعدادٍ لتقديمها الآن.

وأوصت الرسالةُ بإبقاء بابِ الاتفاقِ مفتوحاً، وإرسالِ هديةٍ معقولة للإمامِ لا تكونُ لافتةَ للنظرِ فيعتبرها رشوةً.

كان هذا هـو المخططَ البريطانيَّ للمنطقةِ، وكان أمراً محتماً أن يـرفضَه الإمامُ ويغلقَ هـذا البـابَ كليـةً، وليتـدبّرَ أمـره من منطلـقٍ آخر، ونظـراً لأهميـةِ هـذه الرسالـةِ، فإني أثبت صورتَها وترجمتها في الـدراسة. لا سيما وان الشريف حسين رفض التقدم العسكري.

المقيمية

رملة　　　　　　　　　　No. 133

٢٨ حزيران ١٩١٨　　　　　　(950/549)

سيدي:

يشرفني أن أرفقَ ثـلاثَ رسائلَ مترجمةً من الإمامِ يحيـى، وهي ردٌّ على رسائلَ مني ومن المقيم السيـاسي، التي أرسلتُ في الحقيبـة رقم ٧٣ (٩٥٠) في التـاسع من إبريل سنة ١٩١٨م.

كما أرفقُ ولمعلوميتكم نسخاً من رسائلَ تعضيديةٍ من المقيمِ السياسي وملاحظةً مهمةً من اللفتانت كولونيل، هارولد. ف. يعقوب (جيكوب) حولَ الاتفاق.

إنني لا أتفقُ البتـةَ مع الإطـراء الـذي يبـديه القـائد العـام ستيـوارت على توجهات الإمـام، بل إني أميلُ لوجهةِ نظر جيكـوب التي ترى بأنَّ الإمامَ يتحّينُ المسوغاتِ التي تلفتُ نظرنا لدفعِنا للاتفاقِ معه فوراً.

وأعتقدُ أننا إذا أخـذنا بالاعتبار ضرورةَ جلـبِ الإمامِ لطرفِنا بحتميـةٍ فوريةٍ فإنَّ الخطواتِ التي يُـوصي بها ويدافعُ عنهـا الكولونيل جيكـوب هي إجراءاتٌ محسوبـةٌ بدقـةٍ لجلبِه لطـرفِنا وهـذه الخطواتُ تتطلبُ منـا أن نضفي على الإمامِ تقديراً عالياً.

أرثر جيمس بلفور

O.M., M.P. etc, etc.

١ - ضمانات اقليمية للمستقبل.
٢- ١٠,٠٠٠ جنيه استرليني شهرياً، ولمدةٍ غيرِ محدودة.
٣- مساعداتٌ سخيةٌ في المعداتِ الحربية.

وقبلَ البحثِ في هذه المقترحات، فإنَّ من الحكمةِ دراسةَ الفوائدِ المترتبةِ، أو التي يمكنُ الحصولُ عليها من هذا التحالفِ مع الإمامِ ومشاركتِه الفعالةِ معنا، وغيرِه من القادةِ العربِ ضدَّ الأتراك. وهي،

أ - تـدعيمِ هيبتِنا في الجنـوبِ الغربي من الجزيـرةِ العربيـة، ونبذِ الـوضعِ غيرِ المرضي في منطقةِ عدن وبالتالي القبول به.

ب- الردُّ على ادعاءاتِ الأتراكِ، القائمة على مبدأ حقِّ تقريرِ المصيرِ للشعوبِ، الذي يمكّنُ الأتراكَ من مواصلةِ سيطرتِهم المدّعاةِ على اليمن.

ومثلُ هـذا الإدعاءِ قد يكـونُ من الصعبِ رفضُـه في مؤتمرِ سـلامٍ إذا ما واصلَ الإمامُ تحالفُه مع الحكومةِ العثمانية.

ج- لتسهيل عقـدِ اتفاقيـةِ أو تسويـةٍ أوليةٍ مـؤقتةٍ بينَ حلفـائِنا، ملكِ الحجـازِ وحاكمِ عسير الادريسي وحاكمِ اليمن الزيـدي، وإنَّ هذا سيدعمُ الظروفَ السياسيـةَ في غربِ الجزيرةِ، ويؤمّن شروطـاً جيدةً للحكومـاتِ المحليةِ مع جيرانِها ويجعلها أكثرَ موائمةً لنا.

د - إن إقامـةَ مثلِ هذه العـلاقاتِ مع الإمامِ ستمكّنُنـا من المساعـدةِ في التنميةِ الاقتصاديةِ لبـلادِه، وتعطي ضماناتٍ ضدَّ التدخلِ من قبلِ أيـةِ قوةٍ أخرى في الشئونِ السياسيةِ في اليمن.

وقـد يكـونُ من الممكنِ أيضـاً، والمفيـدِ سياسيـاً الحصـولُ من الإمـام على اعترافِ رسمي بأوليـةِ الملك حسين، ومـلاحظـاتُ مبعـوثِ الإمـامِ بهذا الشأنِ «إلى الكولونيل جيكوب هي ملاحظاتٌ ذاتُ شأنٍ كبير».

ومع الإقرارِ بـالأهميةِ السيـاسيةِ لعقدِ التحـالفِ مع الإمام، ونظـراً لخطورةِ الوضع غيرِ المرضي، والذي لا مجالَ لإنكارِه وتأخيرِه لفترة طويلة، فإني أرى أنَّ علينا الأخذَ بأحدِ البديلين التاليين:

أ - تنفيذُ مقترحاتِ الكولونيل جيكـوب، دونَ الإضرارِ باتفاقاتِنا مع الادريسي وغيرِه من القادةِ العرب، ودونَ المشاركةِ مع الإمـام في سياستِه القائمةِ على العزلِ السياسي الكامل.

أو

ب- تدعيمُ قـوّاتِنا في عدن، لتمكينِها مـن التقدم العسكريِّ الذي لابـدَّ منه في الخريف، وإعادةِ رسمِ حدودِنا السابقةِ خلالَ الشتاء.

ومن بينِ البديلين، فإني أرجحُ الثـاني، والذي هو بكلِّ المعـايير الأفضلُ لنا حيث أنَّ أيَّ تقـدم عسكري ناجـح لنا من عـدن إضافة إلى نجـاح الشريف في الشمال، وأيضاً مـواصلة الضغط العسكري من قبل الادريسي كل هـذه الأمور مجتمعـةً سوف تجبر الإمـام، على قبولِ التحـالفِ معنـا بشروطٍ أفضلَ من تلك التي هو على استعدادٍ لتقديمها الآن.

وإذا -كما أعتقدُ مخلصـاً-، قررتم الأخذَ بـالبديلِ الثـاني، فإني أقترحُ إرسالَ تعليماتٍ للمقيمِ السياسي بعدمِ خـرقِ إمكانيةِ الاتفاقِ مع الإمـام، بل ترسَلُ له مع مبعوثةَ هـديّةٌ متواضعةٌ ورسالـةٌ تطمينٍ وتسكينٍ لسيده وسأكونُ مسروراً إذا ما أبلغتموني برقياً إنْ أمكنَ بملاحظاتِكم وإرشاداتكم حولَ هذا الموضوعِ.

ولي الشرف مع وافر الاحترام والتقدير
أن أكون خادمكم الأمين والمطيع
ريجنالدوينجت

23866
JUL 20 1918

The Residency

No.133.
(950/549)

20th June 1918

Sir,

I have the honour to enclose translations of three letters from the Imam Yahia. These are in reply to the letters from the Political Resident and myself copies of which were sent you with my despatch No.73(950) of 9th April, 1918.

I also enclose, for your information, copies of the Political Resident's covering despatches and an interesting Note by Lieutenant-Colonel H.F.Jacob on the correspondence.

I do not altogether agree with Major-General Stewart's appreciation of the Imam's attitude; and I am inclined to think (with Colonel Jacob) that he is sufficiently well disposed, but passive and looking to us to show cause for immediate action.

I think that, if it is considered necessary immediately to bring the Imam over to our side, the procedure advocated by Lieutenant-Colonel Jacob is well calculated to achieve this end.

This procedure would require us to give the Imam -

The Right Honourable
Arthur James Balfour, O.M., M.P.,
etc., etc., etc.

صور الرسائل والمراسلات السابقة

(1) Territorial guarantees for the future.

(2) £.10,000 a month for an indefinite period.

(3) Large assistance in war material.

Before considering these proposals it is advisable to set forth the advantages we look to obtain from an alliance with the Imam and his active participation with us and other Arab Chiefs against the Turks.

These are:-

(a) to establish our prestige in South Western Arabia and to clear up the unsatisfactory situation in the Aden Hinterland

(b) to counter a claim by the Turks, based on the principle of self-determination of peoples, to a continuance of their nominal dominion in the Yemen. Such a claim may be difficult to refute at a Peace Conference if the Imam is still in alliance with the Ottoman Government.

(c) to facilitate the creation of an agreement, or a modus vivendi, between our Allies, the King of the Hedjaz and the Idrisi of Asir, and the Zeidi ruler of the Yemen, which can solidify the political conditions of Western Arabia and secure local governments on good terms with their neighbours and well disposed to us.

(d) to establish such relations with the Imam as will enable us to assist in the economic development of his country and will give guarantees against interference by any other Power in the political affairs of the Yemen.

It might also be possible, and politically advan--tageous, to obtain from the Imam a formal recognition of the priority of King Hussein. The Imam's envoy's remarks in this connection to Lieutenant-Colonel Jacob are of considerable interest.

Having regard to the political importance of

obtaining the Imam's alliance, and to the danger of indefinite prolongation of an admittedly unsatisfactory situation, I consider we should now decide upon one of the two following alternatives.

A. Carry out Colonel Jacob's proposals, without detriment to our agreements with the Idrisi and other Arab Chiefs, and without subscribing to the Imam's policy of complete political isolation.

Or

B. Reinforce Aden to enable a military advance thence to be made this Autumn and to re-establish our former hinterland frontier during the winter.

Of the above I consider B. to be in every way preferable.

A successful advance by us from Aden, the effect of Sherifial success in the North and a continuance of pressure by the Idrisi (which should be stimulated by us) will, I believe, combine to force the Imam definitely to accept our alliance on terms more favourable than those he is now prepared to offer.

If, as I sincerely trust will be the case, action under B. is decided on; I should propose to instruct the Political Resident not to break off correspondence with the Imam but to send off the latter's envoy with liberal presents and a further temporizing letter to his master.

I should be glad if your observations and instruc-

-tions

on this subject may be communicated to me, if possible, by telegraph.

I have the honour to be,

with the highest respect,

Sir,

Your most obedient, humble servant,

Reginald Wingate

لقد كشفت هذه الرسائل المتبادلةُ بينَ الإمامِ يحيى وبريطانيا عن الهوةِ الواسعةِ التي تفصلُ الإمامَ يحيى عن إمكانيةِ الإتفاقِ مع الانكليزِ. وقد عبّر عبدُ الكريم بنُ أحمد بن المطهر، كاتبُ الإمامِ عن رأيه في الانكليز بقوله:

«والانكليزُ قومٌ اشتُهروا من بينِ طوائفِ الإفرنج، بالاحتيالِ والتضليل والتمويهِ، بأساليبَ يدقُّ فهمُها على اللبيبِ، فكم غروا بمظاهرِ سلمهمِ طوائفَ الأممِ، وقد نصبوا تحتَ تلك المظاهرِ شباكَ الأصطياد».

ويوضّحُ صاحبُ كتيبةِ الحكمةِ موقفَ الإمامِ يحيى من الاقتراحاتِ البريطانيةِ التي عرضناها. فذكرَ أنَّ ستيوارت حاولَ جَسَّ نبضِ الإمامِ ببعضِ المكاتبةِ، فوجدَ الإمامَ ممنْ لا ينخدعُ ولا تروجُ لديه التمويهاتُ والأضاليلُ، فتركَ المكاتبةَ»(١).

وواجهَ الإمامُ يحيى الموقفَ الأصعبَ عندما وقعتْ إتفاقيةُ هدنةِ موندروس Mondrus في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٨م. وبدأ العملُ البريطاني على إخلاء اليمن من الأتراك.

---

(١) كتيبة الحكمة، ١٥٥ .

المبحث الأول: اخلاءُ القواتِ العثمانيةِ من اليمن.

على متنِ البارجةِ البريطانيةِ سوبيرب الراسيةِ بخليجِ موندروس في بحرايجه، وقع حسين رؤوف باشا، ورشاد حكمت، وسعد الله من الجانب العثماني وآرثر كالثورب من الجانب البريطاني Arther Galthorpe اتفاقية تنهي الحرب، وكانت الترتيباتُ لعقدِ الهدنةِ قد مهد لها أحمد عزت باشا، القائدُ السابقُ للجيوش العثمانية في الشرق، والذي أصبح الصدر الأعظم في عهدِ السلطان محمد السادس، وحيد الدين، حيث اتصلَ بالجنرال تاونشند Tounzend الذي أسره الأتراكُ في كوت العمارة سنة ١٩١٦م وظلَّ في الأسر حتى ١٤ اكتوبر ١٩١٨ وذلك حين نقل إلى قائد الأسطول البريطاني في بحرايجه آرثر كالثورب، الرغبة العثمانية في عقدِ الهدنة، وبدأت المفاوضات في ٢٧ اكتوبر ١٩١٨ واستمرت لمدةِ أربعةِ أيام، وجاءت اتفاقيةُ الهدنة في ٢٥ بنداً[1]، كان البند السادسَ عشر منها: تُسلّمُ القواتُ العسكريةُ الموجودةُ في الحجازِ واليمن وسوريا وكيليكيا والعراق في أقرب وقت ممكن إما للحلفاءِ أو للممثلين من العرب، وبذا انتهت حالةُ الحرب بين الدولةِ العثمانيةِ والحلفاءِ اعتباراً من منتصف يوم ٣١ اكتوبر ١٩١٨م، ليبدأ العملُ بتنفيذِ ما جاء في اتفاقيةِ هدنة موندروس (Mondrus) التي ألقت بثقلِها على الدولةِ العثمانية، وسُلِخَ من دولتها العديد من الولايات والمقاطعات. وبدأت القياداتُ العسكرية البريطانية الاتصال بالقيادات العسكرية التركية طالبةً إليها تنفيذَ البند السادس عشر من بنودِ الهدنة القاضي باستسلام القوات التركية، فأرسلَ الجنرالُ إستيوارت البريطاني خبرَ الهدنةِ إلى على سعيد باشا في لحج، وقام اللفتنت، هوم S.G.W, Hum, القائد البريطاني في ميون بإبلاغِ خبرِ الهدنةِ إلى حقي بك، قومندان بابِ المندب[2] الذي رفعه إلى علي سعيد باشا، قومندان

(١) انظر الاتفاقية في الملحق.

(٢) هدية الزمن، ٢٤٢.

لحج، وكان جوابُ أمير اللواء علي سعيد باشا لقومندان ميون بما يلي:

منطقة الحركات قومندان لغي أركان حربية سي قسم ٣٠/ ٨/ ٣٣٤ لحج (قيادة الحركات العسكرية - قسم أركان الحرب) بواسطة باب المندب إلى جناب قومندان ميون القائمقام هوم، دام بقاؤه، تناولتُ بيدِ السرور تبليغكم المشعرَ بعقدِ الهدنةِ بينَ الدولةِ العثمانيةِ وبين دولةِ انكلترا العظمى وحلفائِها بتاريخ ٣١ تشرين أول سنة ١٩١٨م، ثم وصلنا التبليغُ المذكور بعينِه بعد مرورِ ثلاثين ساعةً من طرفِ حضرةِ والي عدن مؤيداً إشعارَكم، فاشكرُ اهتمامَ جنابِكم على سبقِكم، وأيضاً اقدّمُ لكم تشكراتي الخاصةَ على تلطفكم بالمساعدةِ لمن يرغبُ الوصولَ من ضباطِنا إلى ميون لأجلِ المزاورةِ، وقد أمرنا ضباطَنا بدخولِ من يرغبُ منهم، كما أننا أمرناهم بالاجتناب عن كلِّ ما يسوء الطرفين، فنرجو من الباري التوفيق بعقد صلح شريف مديد.

ودمتم محروسين

قائد الجيوش العثمانية بلحج

أميرا للوا

علي سعيد

كما أرسل القائدُ العامُ للقواتِ البريةِ في عدن ستيوارت .J.M بالخبرِ إلى محي الدين باشا، الحاكم والقائد للقوات التركية في عسير بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩١٨م[1].

كان من القادةِ الأتراك في اليمن، محمود نديم بك والي اليمن، وأحمد توفيق باشا، قائد الجنود التركية، وعلي سعيد باشا، قائد القوات في لحج، وإسماعيل الأسود في جهات تعز. وغيرهم من القيادات. وقد وصل إلى مقر الإمام في

---

(١) انظر صورة الوثيقة وترجمتها في الملحق.

شهارةَ محمـود نديم بك، الوالي العثماني وأحمد تـوفيق باشـا، قائدُ الجيش التركي في اليمن حيث خرج الناسُ لاستقبـالهما، وفي ١٠ صفر ١٣٣٧هـ - ١٥ نوفمبر ١٩١٨، أبلغا الإمامَ «وصولَ تلغراف من لحج، كـان قد بعثه الصدر الأعظم في القسطنطينيةِ أحمد عـزت باشا، بواسطـةِ الانكليز في عدن، محرراً بـالشيفرةِ، ولما حُلّ كان الإخبارُ بـوقوعِ الهزائمِ المتواليةِ على الـدولةِ العثمانيةِ والألمان ومحورهم، ثم إنّ الـدولةَ العثمانيـةَ بعد فـرارِ الـوزراءِ الذين تـولوا أمـرَ الحربِ، طلبتْ إلى الوزراءِ الجددِ المبادرةَ إلى طلبِ الصلح مـن الانجليزِ والفرنسيين، حيث وقعت الهدنـةُ، وشرحـا شروط الهدنـةِ من استســلامِ القـواتِ العثمانيـةَ، وإن الصـدر الأعظم ألــزمَ أميرَ الجنـودِ التركيــة في اليمنِ العملَ بمقتضـاهــا والترامي إلى أحضانِ العدو»[1].

ومن خطورةِ هذا القرارِ على الأوضاعِ القائمـة في اليمنِ، أنه سيوجد فراغاً عسكريـاً بانسحـاب الكوادر العسكـريةَ التركيـة، كما أن كوادر الإدارة المدنيـة يلزمها الـوقت لاتقان فنون الإدارة، ثم إن الإمام لم يتمكن بعـد من بسط سلطته على تلك المنطقـة التي كـانت تخضع لشيوخِ القبـائل بـدون رقـابة، والأخطـار الخارجية تحيق باليمن، فـالادريسي يتحفز لمهاجمة الامام يحيى وبلاده وبـريطانيا وايطاليا في تنافس دائم لمد نفوذهما إلى اليمن.

فكيف واجه الإمامُ يحيى كلَّ هذه الحالةِ التي فرضتْ نفسها على كيانه.

يصفُ عبدُالكريم بن أحمد مطهـر كيفيةَ مـواجهةِ الإمام يحيـى لهذه الأزمة فيقول: «ولما أفـاضَ المذكوران حديثَهما ورفعاه إلى مسـامعِ مولانا الإمـام قابلهما بـالتثبيتِ ولزومِ التأني والتعميمِ على عـدم التسليمِ إلى الكافـر، ووعدهما الإمـامُ بكلِّ جميلٍ، والتـزمَ لهما بالانفاقَ على الجنـودِ، وبقاءِ الأمـور جاريـةً على محورِها المعهود»[2].

---

(١) انظر كتيبة الحكمة، ١٥ .	(٢) كتيبة الحكمة، ١٥ .

فالإمامُ يحيى يريدُ للقواتِ التركيةِ أن تبقى في اليمنِ، وهو يتولى الإنفاقَ عليها، ولا يرى إقدامَ العساكرِ على الاستسلامِ، حتى وإنْ وصلت البرقيةُ المخبرةُ بذلك بالشيفرةِ، فقد يكونُ الأعداءُ قد حصلوا عليها وتمكّنوا من حلّها، فلا يُركنْ لخبرٍ مصدرُه الأعداء.

وحتى لا يضعَ مصيرَ بلادِه تحتَ رحمةِ الاحتمالاتِ، فقد بدأ باتخاذِ خطواتٍ سريعةٍ وحاسمةٍ ومنها:

أولاً: التحركُ بسرعةٍ للسيطرةِ على الأسلحةِ التي بحوزةِ القواتِ التركيةِ حتى لا تقعَ في أيدي المناوئين له، أو تسلَّمَ للقواتِ البريطانية، فأرسلَ عليَّ بنَ عبدالله الوزير يوم ١٦ نوفمبر١٩١٨ إلى حراز لاستلام حصونها خوفاً من الباطنيةِ، وتسلّم السلاحِ من سكانِ حراز، فأخذَ المدافعَ والذخائرَ الحربيةَ[1]، وفي نفس اليومِ سيرَ عبدَاللهِ بنَ أحمد الوزير لترتيبِ قصرِ غُمدان بصنعاءَ، لحوز ذخائرها وسلاحها وتشديد الحراسةِ على صنعاءَ، وأصدرَ أوامرَ أخرى بالحيطةِ علي كلِّ الأماكنِ التي توجدُ فيها المدافعُ والذخائر.

ثانياً: الاتصالُ بسعيد باشا، قائد القواتِ العثمانيةِ دعم ومحاولة ثنيهِ عن المضيِّ في الاستجابةِ لتعليماتِ الاستسلامِ، وفي نفسِ الوقتِ اتصلَ بأهلِ تعز، وطلبَ إليهم تقويةَ الجهةِ التعزية، وجمعَ أكبر مقدارٍ من السلاحِ والسعي لثني سعيد باشا عن الاستسلام.

ثالثاً: فتحُ بابِ المفاوضاتِ مع القياداتِ البريطانية في عدن في محاولةٍ منه لابقاءِ العساكرِ العثمانيةِ في اليمنِ تحتَ سيطرته، باعتبارِهم أسرى أو رهائنَ حتى تؤدي الدولةُ العثمانيةُ ما عليها من ديونٍ، كان قد أنفقها على العساكر العثمانية كقروضٍ بعدَ انقطاعِ اتصالهم مع القسطنطينيةِ، وعدمِ

---

(١) كتيبة الحكمة، ١٥ .

وصولِ مرتباتِهم وأسبابِ معيشتِهم من مؤنٍ وامداداتٍ طوالَ أربعين شهراً، بسببِ الحصارِ البحري الذي فُرِضَ على موانىء اليمنِ.

ومحاولةِ الاتفاقِ مع بريطانيا لحسمِ المشاكل القائمةِ بينه وبينَ البريطانيين.

ونحن نرى أنَّ الإمامَ يحيى كان يسعى لكسبِ الوقتِ، حتى يجدَ متسعاً لترتيبِ أوضاعِه قبلَ إجبارِه على القبولِ بإخلاءِ الأتراكِ لليمن.

ولتنفيذ خطتِه، أرسلَ الإمامُ الخطابَ التالي إلى سعيد باشا بتاريخ ١٧ صفر ١٣٣٧هـ/ ٢٣ نوفمبر ١٩١٨م جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله الإمام يحيى إلى حضرةِ قائدِ المنطقةِ بلحج سعيد باشا، حرسه اللهُ.

بلغَ إلينا من حضرةِ الوالي والقومندان باشا عدمُ حسن تحريرنا إلى والي عدن، ذلك التلغرافِ المرسل بواسطتِكم، لذلك أحببنا الايضاحَ لحضوركم.

اعلموا أنه لما كان الاطلاعُ على مفادِ حضرةِ عزت باشا، وعرفنا مفادَ كتابكم إلى حضرةِ الوالي والقومندان أحمد توفيق باشا، حصلَ معنا **التصميمُ على القتالِ حتى المماتِ من دونِ خوفٍ ولا مراقبةٍ لغير الله**. وحشدنا القبائلَ واتخذنا لذلك جميعَ الوسائلَ، وأمر ما إذا أعداء الله الانكليز هو محفوفٌ بغرابةِ الكذب، لكنه لما رأينا فيما كتبه حضرة عزت باشا من أنه إن لم يكن التسليمُ إلى الانكليز فإن التهلكةَ محققةٌ، فأردنا صونَ جانبِ الحكومةِ ومأموري اليمنِ عن مسئولية الدولةِ، ورضينا تحملَ تلك المسئوليةِ، وتلوْنا قوله تعالى «فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم، ما مِنْ دابةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها، إن ربي على صراطٍ مستقيم» فمثلُ هذا يحملُ على غير خدمةِ الدين والوطن، وهل يرضى أحدٌ من أهلِ الديانةِ والمتانةِ الاسراعَ إلى التسليمِ إلى الكافرين، والدخول

تحتَ ذمتهم، وقـد بقي لـه مجالٌ لمنع ذلك على أن الأمـرَ -كما أسلفنا- محفـوفٌ بغرابةِ الكذب.

ثم إنّه لو فُرِضَ صدقُ ذلك الأمرِ على بعده، وكـانَ منّا جميعاً القيامُ بالدفاع لكانَ استحسانٌ ذلك لـدن الخلافةِ الإسلاميةِ خصـوصاً بعدَ أن نزَّهنـا الحكومةَ ومأمـوري اليمنِ عن المسئوليـةِ. أما مـا بيننـا وبينَ الحكومـة، فالطـريقةُ واحـدةٌ والمسلكُ واحـدٌ والملةُ واحـدةٌ، ولم نردِ التـوصلَ إلى شيءٍ يغيرُ بالحكـومةِ حـالاً ومالاً، بل أردنا دفعَ ذلك كلياً.

أما إذا كنتم مصممين على التسليمِ، كما ظهرَ مَن طلب العائلاتِ إلى لحج، فليكُنْ منكم التصريحُ بـذلك، وأيُّ مـانعٍ عن إرسـال الحكـومـةِ هيئـةً لتبليغ الأوامـرِ الـلازمة التي يغلـبُ الظنُّ بصدقِهـا، ثم أيُّ مـانعٍ لـلانكليـزِ عن بثِّ الجرائدِ الحرةِ لنشر الأخبـار المدّعـاة؟ فـالأمـرُ مفتقـرٌ إلى دقّـةِ النظـرِ وإجـالـةِ سليمات الفكر،

والسلام عليكم

١٧ صفر سنة ١٣٣٧هـ.

ولما كـان سعيد بـاشا قـد ضربَ بكلِّ الأوامرِ والتعليمات التي وصلتْ إليـه بعدمِ التسليمِ عرضَ الحائط، وتـوجّه بنفسِه إلى عدن لمقابلـةِ الجنرال إستيوارت، وتحقّقَ وقـوعُ الهدنة ومغلـوبةُ دولتِـه، أخـذَ يجهزُ نفسَـه للتسليمِ منتظراً وصـولَ عائلاتِ القوات التي بإمـرتِهِ، فقد كتبَ إليه أحمد توفيق باشـا، قائدُ القوات في اليمنِ بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٣٣٧ يأمـره بالانقيادِ إلى الأمرِ وبالطاعـةِ العسكريةِ وعدمِ التسليم، وجاء في رسالتهِ ما ملخصُه:

- إنه لا يثقُ بـالإشعاراتِ الواصلـةِ عن المصادرِ الانكليزيـة، فيحتملُ أنْ تكونَ غالبـاً مصطنعةً من قبلِ الانكليزِ بهدفِ إحداثِ اضطـراباتٍ في اليمنِ، ومن

ثم عودتهم لاحتلالِ لحج، فلائقةَ بأيةِ اشعاراتٍ، ما لمْ تصلْ إلينا من دولتِنا مباشرةً.

- ينّبهُهُ إلى اختراقِه المبادىء العسكريةَ، بذهابِه إلى عدن، مع أركانِ حربِ قواتِه والياور، وإثارتِه البلبلةِ والخوفِ والتشويشِ بينَ العساكر والأجدرُ به أن يفعلَ كما تصرفت باقي القوات الذين لم يقبلوا هذه الإهانةَ، ولا انطلتْ عليهم حيلُ وآلاعيبُ الماكرين.

- يبلغُهُ تعذّرَ جمعِ العائلاتِ المتفرقةِ في أنحاءِ اليمن بهذه السرعةِ، وهم في رعايةِ الإمام، الركنِ الأعظمِ للإسلام والوالي، وهو نفسه، منهم مثلُ أولادِه، وأما الضباطُ فلا يفتكرون إلاَ في العدوّ الذي أمامَهم ووطنِهم وواجباتِهم العسكرية.

- ثم يذكرُ أحمد توفيق باشا لسعيد باشا الراغبِ في الاستسلام مقاديرَ الأموالِ والإمداداتِ التي وصلتْ إليه، ويحدِّدُها بالارقام، ويرى توفيق باشا أنَّ هذه الأموالَ كافيةٌ لو أُحْسِنَ التصرفَ بها، ولما كانَ الوقتُ ليس مناسباً للشروعِ في إجراءِ التحقيقِ والتفتيشِ عن كلِّ هذا، لردَّ دعواه بأنّه ما استسلمَ إلا لأنَّ العساكرَ جياعٌ وعرايا.

- يطلب أحمد توفيق باشا منه عدمَ التسليمِ، ويُصدرُ له أوامرَ مشددةً بعباراتٍ صارمةٍ:

«حافظوا على ثباتِكم كما أمرناكم قبلاً، فأنتم وحدَكم المسئولون مادياً ومعنوياً عن العواقبِ الوخيمةِ التي تنتجُ إذا فعلتم شيئاً من ذاتِ أنفسِكم بدونِ أنْ نأمركم» وينهي رسالتَه بعبارةٍ قوية «وخلاصةُ القولِ، إن الزمانَ غيرُ مساعدٍ للمناقشاتِ القلميةِ الطويلةِ العريضةِ، نأمرُكم بالانقيادِ إلى الأمرِ وبالطاعةِ العسكرية»[1].

---

(١) انظر الوثيقة في هدية الزمن، ٢٤٦-٢٤٧ .

كما ناشدَ بعضُ الموظفين والتجارِ والعلماءِ من لـواءِ تعز سعيدَ باشا عدمَ التسليم مظهرين استياءهم من تبديلِ الحكمِ العثماني في اليمن، موضحين أسبابَ تخوفهم من المصير الذي سيؤول إليه حال اللواءِ التعزي إذا ما عادَ البريطانيون الى لحج، وكان أهلُ لواءِ تعز يعتقدون بأن سعيد باشا يحفظُ لهم مجاهدتَهُمْ معه في حملةِ لحج، ويقدّرُهم الأموالَ والمعوناتِ والامداداتِ التي داوموا على إرسالها لكفايةِ القواتِ العثمانية في لحج، ووقع الرسالة:

مدير صبر	كاتب المحكمة	أمين الصندوق	رئيس الكتاب
عبد العزيز	يحيى بن علي الحداد	عبدالاله	محمد

رئيس البلدية	مفتي لواء تعز	تاجر	تاجر	تاجر	تاجر	عالم
محمد	علي	محمد خياط	نوري	محمد مصلي	على مصلي	عبدالوالي

أما سعيد باشا، فقد قررَ أمرَه على الاستلام، وزيادةً في المماحكة، فقد طيّر التلغرافاتِ في ٢٧ نوفمبر إلى أحمد توفيق باشا بصنعاء وإلى حسين باشا أمير اللواء المتقاعدِ في صنعاء يبرِّرُ أسبابَ إقدامِه على التسليم، مدعياً أنه ينفِّذُ أوامرَ حكومتِه المتبوعةِ المفخمة، ويبدي تبرماً من الوقوفِ عن مساعدتِه، ويطلبُ إليهم أن يرسلوا مَنْ يتسلمُ الأماكنَ التي سيتركُها إن كانوا قادرين، ويبدو أسلوبُه في هذا الموضِع تهكمياً استفزازياً[١].

وفي الوثيقة الرسالة الموضحة لإصرارِ سعيد باشا على إنجاز ما تمَّ الاتفاق

---

(١) انظر رسائله في هدية الزمن ٢٥١-٢٥٥ . وانظر ما ورد في كتاب ملوك العرب لجيكوب ص٢٤٧، سأل جيكوب سعيد باشا، عندما أودع السجن وعساكره في حلوان، عما كان يتصور حدوثه لو أنه رفض الثقة بالإنجليز ورفض الاستسلام استجابة لبرقيته التي أبلغه إياها في عدن، قال سعيد باشا: إن البلاد كانت ستقف إلى جانبه كما أن مصادر تموينه ووسائل تمويله كانت ستتواصل لسنة أخرى، ولكنه اختار الثقة بإعلان الهدنة وفضل تصديق ذلك» وهذا يثبت ما ذهبنا إليه من تواطىء سعيد باشا مع الانجليز بسعي جيكوب لاستسلامه.

بينه وبين الانكليز، خلالَ زيارتِه لعدن بدونِ علم القيادة، تلك الرسالة والتي أرسلت من القيادة البرية في عدن إلى مركز العمليات الحربية، والمرَجَّعة صورتها إلى القيادة البريطانيــة في الهند وإلى الجنرال وينجت في القاهــرة بتاريخ ٣٠/ ١١/ ١٩١٨م. ورقمها ٢٢٠٠/ G/C، ٣٠ نوفمبر. فقد تضمنت الأمور التالية، وفي مقدمتها إن القائد يقول بأنه تسلم المزيد من الاتصالات والمعلومات من سعيد باشا، والتي جاء فيها:

- إن قائد القوات قد منع سعيد باشا بشكلٍ واضح من الاقدامِ على أيّ عملٍ منفردٍ، إلى أنْ يتسلمَ جواباً على البرقيـةِ المذكـورةِ في تلغرافي رقم ٢١٦٩/ G/C، المؤرخة في ١٧ نوفمبر، وكرّرَ قولَه بأنَّ الإمامَ منع استسلامَ أي جندي تركي، ولو بمفردِه وقلّص من مسؤولياته أي سعيد باشا، ووضعَ قريةَ الشيخ سعيد وأماكنَ أخرى تحت قيادةِ قائد القوات مباشرة.
- يقول سعيد باشا: إنه تلقى شخصياً برقيةً من الإمام تلحُّ عليه بمواصلةِ الحربِ، وتعدُه بالمساعدةوإرسالِ الموادِ التموينية والأموال والامدادات العسكرية(١). ونص الرسالةِ اثبتناه في الملحق.
- أبلغ القائد الانجليزي، سعيد باشا بأنه يرى من واجبِ سعيد باشا نحو بلده أن يعملَ بصورةٍ فرديةٍ دونَ التزامٍ بأحد، وأكدَ له أنَّ مثلَ هذا العملَ سيلاقي الدعمَ من قبلِ الحكومةِ البريطانيةِ إذا كان ذلك ضرورياً.
- كتبَ إلى الإمام مرة ثانية، يفيده بأنَّ مستقبلَ العلاقات الودية بين بريطانيا والإمامِ يعتمد على مساعدتِهِ في إخلاءِ الثكناتِ التركية.
- لديه شيء من الشك بأن الوالي وربما قادة القوات أيضاً يراوغون مع الإمام لتجنبِ شروطِ اتفاقيةِ الهدنةِ، وقدأ صدروا بياناتٍ ينفون صدقَ الشروطِ

---

(١) انظر برقية الامام في الملحق.

التي نشرها.

- يرى أنَّ إصدارَ الأوامرِ من قبلِ الحكومةِ التركيةِ لجميعِ كتائبها التركيةِ بالاستسلام بشكلٍ فردي دونَ الالتزامِ بأوامرِ قادةِ القطاعات، وفق ما جاء في برقيته رقم ١٩٦/ G/C ٢٨ نوفمبر، هو أفضلُ السبلِ لإعادتِهم إلى صوابهم[١].

ومضى سعيد باشا، وسلمَ نفسَه ومن معه من الأجنادِ وما لديه من المهماتِ والذخائرِ الحربيةِ والمدافعِ على اختلافِ أنواعها والأسلحةِ الكثيرة والبغالِ والجمال إلى الانكليز وقد تركتْ فعلتُه هذه نقمةً عليه لدى الإمامِ، وعند أهل البلاد، لأنَّ سعيد باشا يعلمُ بمدى احتياج أهلِ اليمن إلى الأسلحةِ للمدافعةِ عن أنفسِهم من تسلّطِ القوى الأجنبية.

لقد أوجدَ استسلامُ سعيد باشا حالةً من الاضطرابِ بينَ الأتراكِ في صنعاءَ وفي جهاتِ تهامة، في محطةِ الزُّهراء من أطرافِ اللحية، كما أنَّ الأوضاعَ في لحج ومنطقتها أصبحت مكشوفةً، وتُهامةُ يتربصها الادريسيُّ المحالفُ للانجليز، وبعد مناقشاتٍ بينَ الأتراكِ، واصرارٍ من الإمام، جرى الاتفاقُ على بقاءِ البقيةِ من الأتراكِ مع دوام رعايتهم من قبلِ الإمام، فالمصلحةُ تقتضي الإبقاءَ عليهم ريثما يتهيأُ إرسالُ جنودٍ مكانهم وتعيينُ ذوي الكفاءةِ لإدارةِ أحوالِ البلادِ، لأنَّ في إخلاءِ اليمنِ منهم ومن أمرائهم دفعةً واحدة ما لا يخفى من الاضطرابِ وصعوبةِ الضبط في آن واحد. غيرَ أنَّ الموقفَ الدقيقَ واجهَه الإمامُ عندما أصَرَّ قائدُ القواتِ التركيةِ توفيق باشا على اللحاقِ بسعيد باشا والتسليمِ للانجليز[٢]، ولكنه سلّمَ ما بقي من الأسلحةِ والمدافعِ والذخائرِ إلى

(١) انظر صورة البرقية في الملحق.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٧ .

الإمامِ، وسافر إلى الحُدَيْدة، حيث أجلوا بالبواخرِ البريطانية وعوملوا معاملةَ الأسرى.

وقبيلَ استسلام أحمد توفيق باشا قامت القواتُ البريطانيةُ من قاعدتها البحرية في عدن بتنفيذ الخيارِ الثاني الذي اقترحَه ارثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطانية في رسالته بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩١٨م، حيث هاجمت القواتُ البريطانيةُ الحُدَيْدَة واحتلتها، في محاولةٍ للتضييقِ على الإمام اقتصادياً، فالحُدَيْدَةُ مدينةٌ تجارتُها واسعةُ وملاحتها عامرةٌ، وبها شبكة اتصالات جيدةٌ، وهي ميناءُ صنعاء الطبيعي، وللتخفيف من غضبةِ الإمام وإبطائه عن العمل العسكريّ ضدَّ الانكليزِ، فقد كتب المعتمدُ الانجليزيُّ للإمامِ غداةَ احتلالِ الحديدة «إننا دخلنا الحديدةَ لنحفظ فيها الأمن والنظامَ وسنعيدُها قريباً إليكم»[١].

ورافقَ ذلك، وصولُ إسماعيل الأسود، أحدُ ضباط الأتراك إلى تعز يبغي الاستسلام للبريطانيين، ولكنه رغبَ في تسليم السلاحِ الذي بحوزتِه للعناصر المناوئةِ للإمامِ، وكادتْ تقعُ معاركُ بسببِ ذلك، ولكن الأسودَ فرَّ إلى ماوية ومنها إلى لحج واستسلم في عدن[٢].

لقد رأى الانكليزُ في احتلالِ الحُدَيْدَةِ عاملَ ضغطٍ على الإمامِ يحقق هدفين في آنٍ واحد، فهو سيجبرُه على سرعةِ إخلاءِ اليمنِ من الأتراكِ من ناحيةٍ، ودفعه للقبولِ بالمقترحاتِ البريطانيةِ للاتفاقِ من ناحيةٍ أخرى. ومن الحُدَيْدَةِ ستكونُ الاتصالاتُ أسهلَ مع الإمام، ولذا سعى الانجليزُ لترتيبِ لقاءٍ مع الإمام. وقد ضمنتْ هذه التوجيهاتُ في الرسالةِ، والتعليماتُ التي تضمنتها الشيفرا المرسلةُ من السير وينجت من القاهرة، جاء فيها.

---

(١) ملوك العرب للريحاني ١٠/ ١٩٩-٢٠٠.

Record of Yemen. Vol. 6 P. 404.

(٢) كتيبة الحكمة، ٣٤، وانظر الوثيقة

الجيش مصر

نوفمبر ١٩١٨

شيفرا من السير وينجت، القاهرة، نوفمبر

الساعة ٩ مساءً

تسلمت ١٫٣٥ صباحاً نمرة ٣٠

رقم : ١٧٨٣

تلغرافكم رقم ١٤١٠، ٢٢ نـوفمبر، طلب من الإمامِ بـإلحاح ضرورةَ إخلاءِ الأتراكِ كما ذكر، فإن مكاسبهُ مستقبلاً تعتمدُ على نمطِ مسلكِه الحالي.

إن مرابطةَ وحـدة اتصالٍ عسكريةٍ بريطانيـةٍ في الحُدَيْدَةِ، سيسهلُ الاتصال بالإمـامِ ويدفعهُ إلى الإذعـانِ، ولا بدَّ من التـذكيرِ بأنّه خلال السنـواتِ القليلةِ الماضيةِ كان قد اعتمدَ اعتماداً كبيراً على الدعمِ والمسـاندةِ التركيةِ لبسطِ سيطرتِه على القبائلِ غير السهلةِ الانقيادِ والتي قد يعوزُها المال.

إنني أرسل إليكم الكولونيل جيكـوب إلى عدن ليبحثَ مع المقيمِ في محاولةِ ترتيب لقاء مع الإمام.

(٣٠, ١١, ٤-١٢).

ولم يبقَ من الأتراكِ في اليمن إلا جماعةٌ مـن الأمراءِ وقليلٌ من الجنودِ، ولكن محمود نـديم بك السوري الكردي، صمَّم على عـدمِ مغادرةِ اليمن، والعمل مع الإمـامِ، وكـان الإمـامُ قـد تسلـمَ صنعـاءَ منـذ ١٣ صفـر ١٣٣٧هـ/ نـوفمبر ١٩١٨م، مبتـدءاً مـرحلـةَ جـديـدةً من تـاريـخِ اليمن الحديث، ألقتْ بعبءِ الاستقلالِ وتدعيمهِ على كاهلِه.

وتحقيقاً للخطـوة الثالثةِ في مـواجهةِ نتائج الهدنـةِ بضرورةِ إخلاء اليمنِ من

الأتراكِ، فتحَ الإمـامُ يحيى بابَ الاتصـالات مع البريطانيين عـارضاً مـوقفَه من مجملِ القضايـا العالقـةِ بينَه وبين البريطـانيين ففي ١٨ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٩١٨م أرسل خطـابـاً إلى الجنـرال ستيوارت جـاءَ فيـه تـرجمة من الانجليزية إلى العربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين
يحيى بن محمد حميد الدين

إلى الجنرال ستيوارت .B.G

المعتمد السياسي، عدن

لقـد أبرقنـا لكم وشرحنا لفخـامتِكم أسبابَ تـوقفِ إخلاءِ قـواتِ الدفـاعِ العثمانيـة المرابطــةِ في قطعـةِ اليمن، مشيرين إلى مـا يترتبُ على مطــالبنـا تجاه الحكومةِ العثمانيـة، وطلبنا معلوماتٍ تتعلقُ بتأسيس حكـومتنا في اليمنِ وفقَ ما كـان زمنَ أسـلافِنـا، فمثلُ هـذا الطلبِ معتَرَفٌ بـه بحيثُ لا يمكنُ إنكـارُه في سجلِ التاريخِ العالمي، وقد رعتْهُ القوى الكبرى في العالم، وأقرَّتْهُ وقبلته.

ونحن نتـوقعُ بغض النظر- عن اتفـاقيـةِ الهدنةِ التي تـوصلت إليها القـوى المتحاربة- ردَّ معاليكم.

هذا وقد علمنا بالهجومِ الذي قامتْ به القواتُ البريطانية ضدَّ ميناءِ اليمن -الحُدَيْـدَة- واحتلالِها القسري لـه. وتـركَ مثلُ هـذا العملِ المفاجـىء انطباعـاً سيئاً، أدى إلى هيجـان وثورةِ غضبٍ بينَ سكـان اليمنِ عامـةً، رغم أننا قـد بينا لكم سابقـاً عدمَ رغبتِنا في إراقـةِ الدماءِ أو إثارةِ مـا يؤدي إلى أفسادِ العـلاقاتِ الوديـةِ بيننا، ولنـا رغبةٌ أكيـدةٌ في استمرارِ العـلاقةِ مع بـريطانيا العظمـى، وقد طلبنا من سيادتكم الحصولَ على القرار النهائي بعدمِ التدخل في شئون حكومةِ

اليمنِ الإمامية مثلما اعتادَ أسلافنا عليه.

وها نحن نؤثرُ تشكيلَ وفـدٍ يضمُّ السيدَ علي بن أحمد بن إبراهيم بنَ الإمام، العضو السابق في برلمانِ اليمن، وبهاء بك عضـوَ المبعوثان، والقاضي عبدالله بن أحمد العـرشي والسيد كـوزكجي مـدير البـانق (Bank)، العثماني من أجلِ بحثِ المسائلِ المشار إليها أعلاه، ولتأكيد صداقتنا، وإزالةِ أسبابِ سوءِ التفاهـم بيننا.

وقد أوفدْنـا اللجنةَ السابقة الـذكر لمقابلةِ سيـادتكم، ونطلبُ منكم إصدارَ أوامرَ مشجعةٍ إلى قائد القوات البريطانيـةِ في الحُدَيْدَة، لوقفِ أنشطتِه وعملياتِه العسكرية، انتظـاراً لنتيجةِ التعاون والتسويةِ، وكلُّنا أملٌ ورغبـةٌ عندَ وصولهم إلى عدن أن تضعـوا حداً لكـافةِ الصعـوباتِ، وتعملـوا كلَّ ما تستطيعـون لتدعيم العلاقاتِ الإنسانيةِ والودية التي نرغب باستمرارها إلى الأبد.

أرفق طيَّه رسالةً موجهةً إلى جلالةِ مليككم، والتي نرجو نقلها إليه والرسالة تحدِّدُ ما يريده الإمام:

- الموقفُ البريطـاني من قيـامِ حكـومـةِ الإمـام في اليمـن، والتي هي امتـدادٌ لحكومـاتِ أسلافِـه، التي أقرتها القـوى الكبرى، ولا يمكنُ للتاريـخِ العالمي إنكارَها.
- يحذِّرُ الإمـامُ يحيى الجنـرالَ ستيوارت من مغبّـةِ احتـلالِ القـواتِ البريطانيـة للحُـدَيْدَة، ويلـوِّحُ باللجـوءِ إلى الحربِ، ولكنه لا يـرغبُ في سفكِ الدمـاءِ، وحريصٌ على إرساء علاقاتٍ وديةٍ مع بريطانيا.
- ويطلبُ إليـه، مناشـدة حكومته البريطـانية، عـدمَ التدخل في شئـونِ اليمنِ وحكومتِه الإمامية.
- يبلغُـه عن إرسال وفـدٍ مكـونٍ من أربعةِ أعضـاء، اثنـان لهما خبرةٌ بالشئـونِ السياسيـةِ، عضوا برلمان، وقـاضٍ متمرس في العقيدةِ ومـدير البنك العثماني،

الخبيرُ الاقتصادي لبحثِ مطالبه و إزالةِ أسباب الخلافِ بل وتأكيدِ الرغبةِ في الصداقةِ والاتفاق.

- ثم يطلبُ منه أنْ يُصدرَ أوامرَه لقائد القوات البريطانية في الحديدة بوقف عملياتِه ونشاطاتِه العسكريةِ، وأنْ يعملَ على وضعِ حدٍّ لكلِ ما يعيقُ إقامة علاقاتٍ إنسانيةً وديةً مع بريطانيا.

- ويلفتُ نظره إلى الرسالةِ التي ضمّنها الإمامُ يحيى لملكِ بريطانيا بشأنِ العلاقاتِ اليمنيةِ البريطانية.

وكانت رسالةُ الإمام يحيى قد وجهت إلى ملك بريطانيا بتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٩١٨م أيضاً، وجاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين

يحيى بن محمد حميد الدين

فخامةَ ملكِ بريطانيا العظمى

يعرضُ المفتقرُ إلى اللهِ، لفخامتكم أنَّ قطعةَ اليمنِ لم تزلْ أمانةَ أجدادِنا منذ ألفِ سنةٍ وزيادة، ولم تكن قطُّ تحتَ حاكميةِ الحكومةِ العثمانيةِ كسائرِ البلدانِ العربية، بل مستقلةٌ بذاتها، ولم يكنْ لها بالحكومةِ المذكورةِ ارتباطٌ سوى ائتلافٍ كان انعقدَ بدورِ سلطنةِ السلطانِ سليمان الأول، بينَ السلطان المشارِ إليه وبين أحدِ أسلافِنا الإمامِ المطهرِ بنِ الإمامِ شرف الدين. وبمقتضاه انجلت الحكومةُ المذكورةُ منها.

ولم تزل الحكومةُ العثمانيةُ تحاولُ الاستيلاءَ عليها وتنجلي عنها بمقاومةِ أجدادنا وبمقاومتنا إلى أن تقرَّرَ بيننا وبينَ الحكومةِ المذكورةِ الائتلافُ الأخيرُ

المتضمنُ إصلاحَ الحالـة بيننا وبينهـا، وانتهاء سفكِ الـدماءِ التي طـالما اهرقت بهذه القطعةِ كما يشهدُ بذلك التاريخُ.

وحسب الائتـلافِ الواقـعِ تراكمت لنـا مطلـوباتٌ بـاهظـةٌ لـدنَ الدولـةِ المذكورة.

فمن الضروري لـزومُ التشبثِ في استحصالها، وقـد كنّـا حرَّرنـا لوالي عـدن تحريراً وتلغرافياً كتبـاً، أسفرنا فيها عن الحقيقةِ عقيبَ تبلغيه لنا المتـاركة الواقعة بين دولِ الائتـلافِ العظمى وتركيـا، وبينّا لـه أنّه من الممكنِ تسليمُ القطعـاتِ العسكريةِ الضاربةِ في اليمن عقيبَ حصـولِ المقررات الدوليةِ القطعية، وتأمين مطـالبنا الماليـةِ الـوفيرة، وطلبنـا منه التـوسطَ لـدن فخامتكـم، وسائر الـدول العظمى بتصديقِ حاكميةِ إمامتِنا باليمنِ، وتأمين سعادتها المستقبلة.

وَقَبْلَ انتهـاءِ المخابـرةِ الجاريـةِ بيننا وبينَ الـوالي المشارِ إليـه مـا شعرنـا إلا بأشغـالِ عساكرِ بـريطانيـا العظمى للحُدَيْدَةِ التي هي المرسى الوحيـدُ لليمنِ بصورةٍ مخالفةٍ لما وردَ من الوالي المشارِ إليه في بيانِ المقررات الدوليةِ في المتاركة.

فوقـعَ هذا الاشغـالُ الفجائيُّ مـوقعاً سيئـاً، وأحدثَ هيجـاناً عظيماً لعـامةِ سكانِ القطـر اليمني، وحيث أنّا طبعـاً حريصـون على عدم سفكِ الـدماءِ، ولم تكنْ منّا ولا من جهـةِ أهلِ اليمنِ مداخلـةٌ في الحروبِ مع تركيـا، ولأنّا نجتنبُ وقوعَ الثورةِ الفوضـويةِ فقد أرسلنا لجنةً مركبـةً من مبعوثِ اليمن السيد علي بن أحمد بن إبـراهيم بنِ الإمامِ، ومبعـوثِ اليمنِ أيضاً بهاء بك، والقـاضي الفخري عبدالله بن أحمد العرشي، ومـدير البانق العثماني موسيو كـوزكجي للمذاكرةِ مع والي عدن، وتأمينِ الحقوقِ المعروضةِ لدن فخـامتِكم والدولِ المعظمة فبناءً عليه أرجو من فخـامتِكم الخادمةِ لـلإنسانيـةِ والأقوامِ العـربيةِ والمانعـةِ لكلّ اعتداءٍ تأمينَ حقوقنا المالِكة باليمنِ وتصديقَها.

وفي الختام، أؤكدُ لفخامتِكم إخلاصي الودي، ملتمساً منها طلبَ اللجنةِ المذكورةِ لمقابلَةِ فخامتكم إذا لم تكنْ لوالي عدن صلاحيةٌ تامةٌ لحلِّ وحسمِ هذه المسألةِ، وأرجو فخامتكم قبول احتراماتي الحبيبةَ وتمنياتي الخالصة.

نقف في ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٧.

والرسالةُ تعرضُ لملك بريطانيا القضايا التالية:

- التأكيدُ على استقلاليةِ اليمنِ منذ ألف سنة وزيادة، وعدم خضوعِها للدولةِ العثمانية كسائر البلدانِ العربية، وحينَ حاولت الدولةُ العثمانيةُ إخضاعها قوبلت بمقاومةٍ عنيفةٍ منذ عهدِ المطهرِ بنِ الإمامِ شرفِ الدين ت٩٨٠هـ/ ١٥٧٢ والذي عقد نوعاً من الائتلافِ مع العثمانيين، ثم لا زالت الدولةُ العثمانيةُ تحاولُ إخضاعَ اليمن، واليمنيون يقاومون، وقد أُريقتْ دماءٌ كثيرةٌ وغزيرةٌ بسببِ ذلك، وكأن الإمامَ يحيى أرادَ أن يوجِّهَ رسالةً إلى الملكِ البريطاني، بأنّهم إنْ فكروا بمحاولةِ إخضاعِ اليمن، فلن يجدوا إلا المقاومةَ، فقد اعتاد اليمنيون على المقاومةِ منذ ألفِ سنةٍ فأكثر. وهذه أحداث تثبتها شواهدُ التاريخ.
- لقد كان الإئتلافُ الأخيرُ مع السلطنة العثمانية، والمقصودُ به صلحَ دَعَّان سنةَ ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، حيث ترتبت أموالٌ لدولةِ الإمامِ على الدولةِ العثمانية، وهو يشيرُ هنا إلى مجموعِ القروضِ التي قُدِّمَتْ للعساكرِ العثمانيةِ، حينَ انقطعَ وصولها بسبب ظروف الحَرب والحصارِ البحري الذي فرض على الموانىء.
- يبلغُ الإمامُ يحيى، ملكَ بريطانيا، أنَّ الإمامَ قد اتصلَ بوالي عدن شارحاً له عدمَ ممانعتِه في إخلاءِ اليمنِ من القطاعاتِ العسكريةِ العثمانية، ولكنْ بعدَ صدور القراراتِ الدوليةِ بصورةٍ قاطعةٍ، وتأمينِ حصولِ اليمنِ على حقوقها في القروض التي قدمتْ للقطاعاتِ العسكرية العثمانية.

ويلاحظُ ورودُ كلمةِ القطاعاتِ العسكرية الضاربة في اليمن، وكأنَّ

الإمـامَ يريـدُ أنْ يُعَرِّفَ الانكليـز أنَّ القـواتِ العسكريـةَ العثمانية المتبقيـةَ في اليمنِ، كـانت كبيرةً في أعدادهـا، وعددها، وهـذا لا ينسجمُ مع مـا وردَ عندَ عبد الكريم بن أحمد مطهر، بأنها كانت قليلةً، ووصفها ببعض مجموعات.

- ينهي الإمـام يحيى إلى الملك البريطـاني طلبـه إلى الـوالي الحصـولَ على قبـولٍ وتصديقٍ واعترافٍ للحكومةِ الإمامية في اليمنِ من قبل حكومةِ بريطانيا.
- ثم يتناولُ الإمـامَ احتلالَ بريطـانيا للحُدَيْـدَة، الميناء الوحيـد لليمن، بصورةٍ فجائيـةٍ، خلافـاً لما ورد في الرسائل والتعهـداتِ البريطانيـة، ويصوِّرُ للملكِ البريطاني غضبَ أهـلِ اليمنِ من ذلك، وهيجانَهم ضـدَّ بريطانيـا، حيث إنَّ اليمنَ التزمت الحيـادَ خلالَ فترةِ الحربِ، ولما كان الإمـامُ لا يرغبُ في سفكِ الدماءِ، ولا يسعى لإثارة أهل اليمن فإنه يرسلُ وفداً للمباحثة في ذلك.
- كان الـوفدُ الـذي أرسله الإمامُ يضمُّ عضـوين من أعضاءِ مجلسِ المبعـوثان، البرلمان، كإشارةٍ لإشتغالِ العضـوين في السياسةِ وأمورِهـا، والقاضي عبدَالله ابن أحمد العـرشي، أكبرَ كتـاب مقامِـه، ومـوضعَ ثقتِه ومـديـر البنكِ العثماني مسيـوكوزكجي وهـو اقتصـاديٌّ بـارزٌ. ومثلُ هذا الـوفـد يمكنُ أنْ يبحثَ في الشئـونِ السياسيـةِ والقانـونيـةِ والاقتصاديـةِ من تجارةٍ واستغلالِ الثـرواتِ، ويبدو أنَّ الإمامَ يحيى كان يبغي من ضمِّ العضوِ الخبيرِ في الاقتصادِ، التلويحِ بإمكانيةِ التعاون الاقتصادي.

ويطلبُ الإمـامُ يحيى إلى الملكِ البريطـاني بعبـاراتٍ عـاطفيـةٍ مشيـداً بـدورِ بريطانيا الإنساني «تأمينَ حقوقِنا المالكةَ في اليمنِ وتصديقَها».

ويختمُ رسالتَه إلى الملكِ البريطاني بالالتماس لمقابلـةِ اللجنةِ وحضورِها لطرفِه للتباحثِ في القضايـا التي طرحَها إذا كان والي عدن البريطاني لا تـوجدُ لديه الصلاحياتُ الكافيةُ لمعالجةِ مثل هذه القضايا والبتِّ فيها.

ويبدو أنّ بريطانيا قد أشاحتْ بوجهِها عن الإمام ومطالبِه، وتصامتْ عن سماعِ القضيةِ اليمنيةِ، وبدلاً من استمرارِها في الحوارِ والتفاوضِ مع الإمام يحيى، فإنها لجأتْ لوسائل جديدةٍ من الضغطِ عليه لمّا تناهتْ أخبارُ الاجراءاتِ التي اتخذها الإمامُ يحيى منذ دخولِه صنعاءَ في صفر ١٣٣٧هـ وحتى ربيع الأول من نفسِ العام، بعدَ أنْ خلتْ ثغورُ البلادِ اليمنيةِ من العساكرِ التركيةِ، فيما عدا محمود نديم بك ومن تبعه من الموظفين والعسكريين الذين أصروا على البقاءِ والعملِ في دولةِ الإمامِ، سيما وأنَّ الإمامَ قد أجرى عليهم الكفاياتِ الفاضلةَ من رواتبَ ومؤنٍ وإمداداتٍ، وأسندَ إليهم بناءَ مؤسساتِ الدولةِ ودوائرِها الإدارية، وهو ما سندرسُه في مبحثنا اللاحق.

وتمثَّل الضغطُ على الإمام يحيى بالتأثير على محمود نديم بك وأتباعِه لدفعهم إلى إخلاءِ اليمن، وكانت رسالةُ مدير الاستخبارات العسكريةِ الموجهةُ إلى وكيلِ وزارة الشئونِ الخارجيةِ واحدةً من وسائلِ الضغطِ، فقد جاء فيها:

مكتب الحربية

القاعة البيضاء White Hall

الختم: ٩ ديسمبر ١٩١٨ ثم رقم التسجيل وتاريخ الارسال:

رقم ٢٠٢٨١٩ ، تاريخ ١٠ ديسمبر ١٩١٨

ثم الأحرف والأرقام (.M.1.2) ١٣/ ٨٢١

يقدمُ مديرُ الاستخباراتِ العسكريةِ تحياتِه إلى وكيلِ وزارةِ الشئون الخارجيةِ، وعطفاً على النسخةِ الملحقةِ من التلغرافِ المرسَل من مقرِّ القيادةِ العامةِ في عدن، فإنّ هناك ما يوحي بالشكِّ أنّ ثمة تحالفاً ين الإمام يحيى وأحدِ أبناءِ العربِ ممن كانوا يخدمون في الإدارة التركية.

إنه الوالي محمود نديم وهو سوري، وذو نزعةٍ قوميةٍ، والكثيرُ من صفِّ الضباط، الذين يعملون مع الأتراكِ هم من القوميين العرب، فيما يعتقد، ورئيسهم هو سيد طه، وهو شقيق ياسين باشا، الموجودِ حالياً في القيادةِ

بدمشق.

ويقترح القائد العام W. Thwaites أنه لما كان الضباطُ العربُ في اليمنِ ليس لديهم معلوماتٌ دقيقةٌ عن توجهاتِ الشريفِ فيصل، فإنهم مستمرون في النظرِ إلى البريطانيين كأعداءَ لهم. فلا بدَّ إذن من لفتِ نظرِ المندوبِ السامي في مصرَ إلى ذلك.

ويمكنُ التنسيقُ بينَ المندوبِ السامي والقائدِ العام للبعثةِ العسكريةِ في مصر، للحصول على رسالةٍ من ياسين باشا إلى أخيه في اليمن، وتبعثُ من خلالِ القائدِ العامِ في عدن.

وبهذه الطريقةِ يمكنُ أن نمارسَ ضغطاً غيرَ مباشرٍ على الإمام ليحولَ ذلك دونَ محاولتِه، احتلالَ لحج أو معارضةِ استسلامِ الثكنةِ التركية في برعدن.

هذا، وإن الجنرال Thwaites سيكون مغتبطاً إذا قام اللورد هاردنجز أوف بنشورست Hardings of Penshurst بإعلامِ السير وينجت بالالتزامِ بما جاء فيما ورد أعلاه.

والسؤال الذي يطرحُ نفسه في هذا المقام. لماذا نحت القيادةُ البريطانيةُ هذا المنحنى، ولجأت إلى وسائلَ جديدةٍ من المكرِ والخداع ووسائلِ الضغط:

إن الإجابة عليه تكمنُ في مسألتين:

المسألة الأولى: الخطواتُ العملية الذاتيةُ التي اتخذها الإمامُ يحيى إثرَ استسلامِ أعدادٍ كبيرةٍ من القواتِ العثمانيةِ وتراميها إلى أحضانِ العدو.

المسألة الثانيةُ: الموقفُ الواضحُ الذي حدَّده محمود نديم والقواتُ التركيةُ التي بقيت تستجيبُ لأوامرِه طوعاً، وقد عبرت ثلاث وثائق ذاتِ الرقم ٢٧١١/ ٢ .G بتاريخ ١٠ حزيران سنة ١٩١٩.

رسالة محمود نديم إلى قنصل الولايات المتحدة في عدن، ورسالتا محمود نديم إلى الصدر الأعظم في استانبول (القسطنطينية). وهو ما سندرسه في الباب الرابع.

Dated 18th Rabi Awal 1337
= 22nd December 1918.

Praise be to God the merciful, the Compassionate.

Seal of Imam Yehia bin
Mohamed bin Hamid-ud-din

To,

General Stewart, C.B.,

Political Resident, Aden.

A.C,

We had telegraphed and explained to your honor the reasons of stopping the withdrawal of the Ottoman defence stationed in the district of Yemen, pointed out the liabilities of our claim against the Ottoman Government, and requested information concerning the establishment of our rule in Yemen in the same way as existed in the time of our ancestors. Such claim is being undeniably admitted by the history of the world and upheld by the Great Powers. While we have been, in spite of the armistice concluded between the Powers, anticipating your honor's reply, we have learnt about the attack made by the British squadron and forces against the important Port of Yemen i.e. Hodeida and its forcible occupation. Such sudden action has made a bad impression and a great agitation amongst the inhabitants of Yemen generally, though we had formerly explained to you that we do not wish any bloodshed or the occurrence of anything which might disturb the friendly relations, we necessarily wish to maintain with the Great British Government. We requested Your Excellency to obtain the final decision of the Great Powers for the non-interference with our Imamic Government in Yemen in the same way as our ancestors use to be.

Now we deem it advisable to delegate a deputation comprised of Sayid Ali bin Ahmed bin Ibrahim bin

Al Imam the (Ex) Member of Parliament for Yemen, Baha Bey (Ex) Member of Parliament for Yemen, Kadi Al Fakri Abdallah Al Arashi and Mr. Karkjee the Manager of the Ottoman Bank in order to solve the questions above referred to, to ensure friendship and remove all causes of misunderstanding between us.

We have deputed the aforesaid commission to meet Your Excellency, and we request you to promptly issue orders to the Commandant of the British Forces at Hodeida to at once stop activities (or operations) pending the result of the negotiation and settlement.

We wish and hope that you will on the arrival (at Aden) put a stop to all the difficulties and do all you can to substantiate humanity and friendship which we desire to maintain for ever

May you etc.

P.S.

Herewith a letter to the address of His Majesty your King, which please transmit to him.

بسم الله الرحمن الرحيم

يعرض المفتقر الى الله لفخامتكم ان مملكة اليمن لم تزل

لحضرة ملك بريطانيا العظمى

امامية اجدادنا منذ الف سنة وزيادة ولم تكن قد رأت حاكمية الحكومة العثمانية كسائر البلدان العربية بل مستقلة بذاتها ولم يكن لها وبين الحكومة المذكورة ارتباط سوى استلاف كان قد وقع في دور سلطنة السلطان سليمان الاول بين السلطان المشار اليه وبين احد اسلافنا الامام المطهر بن الامام ... اليمن ومقتضاه احتلت الحكومة المذكورة منها ولم تزل الحكومة العثمانية تحاول الاستيلاء عليها وتخليصها من يد ورثة اجدادنا ومحاربتنا الى ان تقرر بيننا وبين الحكومة المذكورة الائتلاف الاخير المتضمن لاصلاح الحالة بيننا وبينها وانهاء سفك الدماء التي لم تزل مهراقة منذ القدم كما يشهد بذلك التاريخ وحسب الائتلاف المذكور تركت لنا ملكنا بالاهلية لكن الدولة المذكورة من الضروري لزوم التشبث في استحصالها وقد كنا حررنا الى والي عدن تحريرا وكتابا استفسرنا فيها عن الحقيقة عقيب بلوغه لنا المتاركة [illegible] الائتلاف العثماني وتركيا وبينا انه من الممكن تسليم القطعات العسكرية العثمانية باليمن عقيب حصول المقررات الدولية القطعية وتأمين لنا المالية الوفيرة والمناسبة التوسل لدى فخامتكم وسائر الدول المعظمة بتبديل حاكمية امامتنا باليمن بالتي سادها السيادة المستقلة وقبل انتهاء المخابرة الجارية بيننا وبين والي المشار اليه ما شعرنا الا باشتغال عساكر بريطانيا العظمى الحديدة التي هي المرسى الوحيد لليمن بصورة مخالفة لما ورد من والي المشار اليه في بيان المقررات الدولية في المتاركة فمن اجل هذا الاشتغال الحاصل [illegible] احدث فيما بيننا وبين سكان القطر اليمني وحيث انا لا [illegible] سفك الدماء ولم يكن [illegible] من جهة اهل اليمن [illegible] تركيا والان تنتشر روع الثورة الفوضوية فقد ارسلنا لجنة مركبة من مرشدي اليمن السيد علي بن احمد بن ابراهيم بن الامام ومبعوث اليمن [illegible] القاضي عبد الله بن احمد العرشي ومدير اليازان العثماني موسى كوثر [illegible] للمذاكرة مع والي عدن وتأمين الحقوق المعروفة لدى فخامتكم والدول المعظمة بناء عليه ارجو من فخامتكم الخادمة للانسانية والاقوام العربية والمانعة لكل اعتداء تأمين حقوقنا المالكة باليمن استقلالها وفي الختام اؤكد لفخامتكم اخلاصي واودي بالتماسنا طلب اللجنة المذكورة الا ان فخامتكم اذا لم تكن والي عدن صلاحية تامة لحل هذه المسألة وارجو فخامتكم قبول احتراماتي الجمة وتمنياتي الخالصة نقف في ١٨ ربيع الاول ١٣٣٧

الباب الرابع

استراتيجيةُ الإعدادِ والعُدةِ

الفصل الأول: صنعاءُ ومطلب الأمنِ

المبحث الأول: إحياءُ هِجَر العلمِ

الفصل الثاني: الجيشُ والصناعاتُ العسكريةُ

المبحث الأول: بناءُ الجيشِ المظفرِ

المبحث الثاني: المكتبُ الحربيّ

المبحث الثالث : إعادةُ تشغيل مصنع الأسلحةِ ومعملِ البارود

المبحث الرابع: الاستعداداتُ الأخرى (وسائلُ الاتصال والنقلِ، والطبابةِ).

الفصل الثالث: محمود نديم ومواجهةُ محاولات إضعاف جبهةِ الأمامِ

الفصل الرابع : الادارةُ المدنيةُ لحكومةِ الامامِ

الباب الرابع
استراتيجية الإعداد والعُدةِ
الفصل الأول
صنعاءُ ومطلبُ الأمن

المبحث الأول: إحياء هِجَر العلم:

كانَ الوضعُ الذي آلَ إليه اليمنُ بعدَ استسلام مجموعاتٍ كبيرةٍ مِنَ العساكرِ التركيةِ للقواتِ البريطانيةِ في عدنَ والحُديدةِ مدارَ مداولةٍ بينَ الإمامِ يحيى ومستشاريهِ من أعيانِ العلماءِ وقادةِ المقاتلينَ ومشايخِ القبائلِ، والساداتِ وكبارِ المسؤولينَ الأتراكِ الذينَ اختاروا البقاءَ في اليمنِ، والعملَ مع الإمامِ، ورفضوا مذلةَ الاستسلامِ للبريطانيينَ، وكانَ على رأسِهم، الوالي العثمانيُّ محمود نديم بك وشوكت بكَ وحسني بك الطبيب وكنعان بك وجورجي النصراني النمساوي، المهندس الميكانيكي، وأسفرتْ تلكَ المشاوراتُ عن ضرورةِ انتقالِ الإمامِ يحيى من مركزِهِ في شُهارةَ إلى صنعاءَ لتسلّمِ مقراتِ الحكومةِ التركيةِ هناكَ ودوائرِها ومنشآتِها. وكانتْ هذه الخطوةُ هي الإعلانَ الرسميَّ لقيامِ حكومةِ الإمامِ الإسلاميةِ.

الفصل الأول

صنعاءُ ومطلبُ الاستقرار والأمن

لّما كانَ الإمـامُ يحيى يدركُ حتميةَ تسلّمِهِ مقـاليدَ الأمورِ في نهايةِ الأمـرِ، فقدْ عَمِدَ في فتراتٍ سـابقةٍ إلى إحيـاءِ هجرْ العلمِ في مختلفِ أنحـاءِ اليمنِ مع إيلاءِ المناطقِ الوسطى، وخاصةً تلكَ المحيطةَ بصنعاءَ عنايةً خاصةً.

ومِنَ الجديرِ بالذكرِ أن تعيينَ الحكّامِ (القضاة) في المنـاطقِ الزيديةِ قد أُسنِدَ إلى الإمامِ بحسبِ شروطِ دَعّانَ سنةِ ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م[1]، فقامَ بنشرِ قضاتهِ في مناطقَ واسعـةٍ من اليمنِ، وكلّفَ ذوي الكفاءةِ العلميـةِ بالتـدريسِ والوعظِ في منـاطقِهم. كما أنَّ الشروطَ الأخـرى التي جـاءتْ في الصلحِ، مكّنَتْـهُ من الإشرافِ على الأوقافِ في صنعـاءَ وخارجِهـا والوصـايا، وأُعْفي كلٌّ مـن قبائلِ أرحبَ وخَـولانَ وأهلِ جبلِ الشرقِ مِنْ دَفْعِ الضرائبِ لـلأتـراكِ لمدةِ عشرِ سنواتٍ. وكانَ لهذه الشروطِ أثـرُها في توّفرِ الأمـوالِ لدى بيتِ المالِ، فَخُصِّص منها مـا يلزمُ لإحيـاءِ الهِجرِ العلميةِ التي كانتْ قَـدْ اندرستْ مَعـا لُمها واختفى دورُها العلميُّ بسببِ الصراعِ اليمنيِّ العثمانيِّ، فكلّفَ الإمـامُ يحيى قبيل دخوله صنعاء العلامة أحمد بنَ عبدالله الكبسي ت١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م بالانتقالِ من الأهنومِ إلى هجرةِ سناعٍ – من بلادِ البستانِ ـ القريبةِ من حدةَ في نواحي صنعاءَ – لنشرِ العلمِ فيها وتدريسِ فنونهِ المختلفةِ و إقامةِ الجمْعَـةِ والجماعةِ، والتذكيرِ والإرشادِ، وما التّذكيرُ والإرشادُ إلا وقد قصدَ بـه في أحدِ ميادينهِ، الطاعةُ والولاءُ والودُّ لآلِ البيتِ. وتشيرُ الـوقائعُ التـاريخيةُ إلى نجاحِ العـلامةِ أحمدَ بنِ عبـداللهِ الكبسيِّ فيما كُلّفَ بـه، فَقَصَـدَهُ طـلابُ العلمِ من خـولانَ[2]. وخصص ثـلاثـة ريالات أجرةَ لـه، وكلفَ الإمامُ يحيى أيضاً العلامة اسحقَ بنَ عبدِاللـهِ المجاهد ت١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، بتـدريسِ العلمِ الشريفِ (المذهبُ الزيديُّ)، أصـولهِ

(١) انظر اتفاقية دَعان في الملحق.

(٢) نزهة النظر ١٠٥-١٠٧.

وفروعِهِ في هَجرةِ حصنِ كُحلان تاج الدينِ، المدينةِ الجبليةِ في شمالِ شرقِ حجّةَ بمسافةِ سبعة عشر، كم[1]، فلم يَزلْ مُلازِماً للتدريسِ[2] هناكَ فترةً طويلةً.

وحين تولى إسماعيلُ بنُ إسماعيلَ المروني القضاءَ ببلادِ الحيمةِ سنة ١٣٣٦هـ أمره الإمامُ بالسكني في محلٍّ منها يتوسطُ فيما بينها وبينَ البلادِ الشاحذيةِ شمالَ المحويت وسارع وحراز ونحوِها من البلادِ التي تحتَ سيطرةِ الأتراكِ، فأقامَ إسماعيلُ المرونيُّ هناك، واشتغلَ بنْشرِ العلمِ وإحيائِه في تلك المنطقةِ إضافةً إلى فصلِه في المنازعاتِ والشجارات وغيرها[3].

وقَدْ نَشَرَ سيّد سالمٍ صورةَ رسالةٍ بعثَ بها الإمامُ يحيى إلى العَلامةِ قاسمِ بنِ حسين، أبو طالب، لتحويل واردات أوقاف بعض الوصايا أو الأوقاف التي لا يُعلم أمكنة المنتفعين منها، فيصرف لبعضِ المدرسين منها، وقد خصّص الإمام يحيى للعلامة أحمد بن عبدالله الكبسي ثلاثة ريالات شهرية لإعانته على نشر العلم والهداية وجاء في الرسالة.

(١) معجم الحجري، ٥٣٤.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٤٦.

(٣) نزهة النظر، ١٧٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الخَتْمُ : أميرُ المؤمنينَ المتوكلُ على اللهِ ربّ العالمينَ)

يحيى بنُ محمدٍ حميدِ الدّينِ
الأخُ العلامةُ قاسمُ بنُ حسينٍ أبو طالبٍ
حَرَسَهُ اللهُ والسّلامُ عليكمُ ورحمةُ اللهِ
قدْ كانَ البحثُ منَّا عمّا يكونُ
منِ التقاريرِ للمدرسينَ

وهلْ لذلكَ أصلٌ أم لا
ولا شَكّ أنّهُ قَدْ
تَتابعَ
النّظارُ الأعلامُ
وكانتْ المقرراتُ لبعضِ
المدرسينَ مستمرةً لنشرِ العلمِ
وإحيائِه الذي بِهِ حياةُ الإسلامِ
ولذلكَ وُجِّه، وهو أنَّ ثمةَ في
الوقفِ الداخليِّ ما هو مِنْ
وَصَايا أو أوقافٍ
لا يُعَلمُ مَصْرِفُها
أو
لمساجدَ قد اندرستْ ونَحو هذا
وَمعْ ذلكَ ناسبَ لدينا أن يكونَ للصّنوِ

العلامة أحمد بنِ عبداللهِ الكبسيِّ في كلِّ
شهرٍ ريالان منْ أجرةِ
السَّماسرِ ونحوها ويكونَ
لهُ منْ قباضِ عصرٍ اثنا عشرَ
ريالاً في السنةِ حتى يكونَ
لهُ له كلِّ شهرٍ ثلاثةُ ريالاتٍ
مَنَ الأجرةِ
وعصرٍ
وَنَرْجو إنْ شاءَ الله بذلكَ الثوابَ لإعانةِ الصنوِ الصفيِّ على استمرارِ نَشْرِ العلمِ والهدايةِ فنأمُركُم بهذا مُعْتَبراً

مِنْ غرةِ سنةِ ١٣٣٦ والسلامُ عليكمُ ورحمة الله وبركاته

٤ ذي القعدةِ سنةِ ٣٥.

وقدْ رافقَ تلكَ الخطوةَ التمهيديةَ، حَوْزُهُ للأسلحةَ والذخائرِ التي كانتْ بحوزةِ القطعاتِ العثمانيةِ المتجهةِ للاستسلام، وكنّا قدْ أشرنا إلى ذلكَ في مكانهِ سابقاً. ثمَّ بعثَ عبداللهِ بنُ أحمدَ الوزيرِ بعصابةٍ منَ الجُنْدِ لترتيبِ قصرِ صنعاءَ، غمدانَ، حيثُ قامَ بمهمّتِهِ خيرَ قيامٍ، معداً المدينةَ لاستقبالِ الإمامِ يحيى، فدخلَ الإمامُ صنعاءَ يومَ الأحدِ ١٣ صفر ١٣٣٧هـ/ ١٩ نوفمبر ١٩١٨م وبرفقَتِهِ عقالُ حاشدٍ وبكيلَ وأرحبَ ونِهمَ وخولانَ، واستقبَلَهُ في صنعاءَ الساداتُ والعلماءُ والأعيانُ وعامّةُ الناسِ وأمراءُ الأتراكِ من مدنيين وعسكريينَ وقضاةٍ، ومضَى ركبُهُ إلى جامعِ صنعاءَ الكبيرِ فصلى بهِ شكراً للهِ على ما منَّ بهِ، ثمَّ انتقلَ إلى دارِ حسينِ بن عليِ العمريّ التي اتخذها مقراً مؤقتاً لحكومته،

وأعلنَ بأنّ همَّهُ الأوّلَ، ضَبْطُ الأمـورِ وتحري مصــالح الجمهـورِ وبثُّ الأمـانِ» ووصلتْ إليه الوفودُ مهنئةً، مظهرةً الموالاةَ وانتظـامَ أمرِ الطاعةِ، وبادرَ الإمامُ إلى إرســالِ العمّالِ والقضـاةِ والمأموريـنِ إلى المناطقِ الـوسطى والسفليّـةِ والشماليّـةِ لترتيبِ القـلاعِ والحُصـونِ، وبثَّ فيهـا الحاميـاتِ لإحكـامِ سيطـرتـهِ عليهـا، والحيلولةِ دونَ خروجِ شيوخِها عنْ الإخـلالِ بالطاعةِ. وتشيرُ المصادرُ المعاصرةُ إلى أنَّ الإمامَ قـدْ عينَ في خلالِ ثمانيـةِ أشهرٍ منذُ دخـولهِ صنعـاءَ حتى رمضانَ سنـةِ ١٣٣٧ أكثرَ مِـنْ سبعةٍ وثـلاثينَ شخصيـةً منْ الأمـراءِ والحكام والقضـاةِ والمأمـورينَ في مختلفِ أنحـاءِ اليمنِ. وكـانَ الإمامُ يحيـى قدْ أصـدرَ أمْرَهُ بمنعِ الـدخولِ من أبـوابِ صنعـاءَ بالبنـادقِ، وعينَ أمنـاءَ يقبضونَ البنـادقَ منْ كلِّ داخلٍ إلى صنعـاءَ ليحفظَ الأمـنَ في المدينـةِ ويحولَ دونَ احتمالِ إثـارةِ الفتنِ أو التعديّ على النّاسِ، وكمظهرٍ للأخذِ بأحكامِ الشريعةِ ونبذِ القوانينَ التركيةِ فقد أقامَ حدَّ القَصَاصِ على ابنةِ القاولي بجريمةِ قَتلِ اقترفتها.

غيرَ أنَّ الخَطَرَ الأكبرَ الـذي يتحسبُهُ الإمـامُ يحيى، ذاكَ الخللُ الذي يتـوقعُ وقوعَـهُ منْ مشايخِ المناطقِ التي تفـرّدتْ بالسلطةِ في قبائلهـا لأكثرَ منْ عشرينَ سنـةً، تـراخَتْ خـلالَهَا قبضـةُ الأتـراكِ عليهم، وأغمضَ الأتـراكُ عيـونَهم عنْ ممارسـاتِهم ومظالِمهم، ورأى الإمـامُ يحيى صعوبـةَ تلافي الحوادثِ بما تحتـاجُ إليه الحوادثُ مِن الجنـودِ وسُرْعَـةِ إرسَـالِها. سيّما وإنّ المقـاتلينَ من رجـالِ القبـائلِ تثاقلـوا عَنْ دعْواتِهِ للقتـالِ عندَ الحاجـةِ، وخاصةً بعـدَ تقْليصِ ظلِّ الأتراكِ في اليمنِ، وهو في حاجـةٍ قَصْوَى لجُندٍ نظاميٍّ لصوْنِ البـلادِ من الأخطارِ الخارجيةِ التي تحاصِرُ اليمنَ. واستقرَّ رأيه ومعاونـوه على ضرورةِ بناء جيشٍ نظاميّ، يكونُ قادراً على، «إقـامةِ الشريعـةِ والانتصافِ للمظلـومينَ وإرهَابِ الظـالمينَ، وردْعِ ذوي النفوسِ الطائشـةِ، والعقولِ الضعيفةِ، وَزَجْرِ أولى العُـدوانِ منْ سُلُوكِهم

في تلكَ السُّبُلِ المخيفة»[1] ومعنى ذلكَ أنّ الإمامَ يخطّطُ لمدِّ سلطَتِهِ على البلادِ، وقَمْعِ ثوراتِ القبائلِ، ويضمنُ مواردَهُ الماليّةَ منْ واجباتٍ وعشورٍ وزكواتٍ. بحيثُ يؤمّنُ سُبُلَ الراحةِ ومن ثمّ الاستقرارِ في الداخلِ ليتفرّغَ لمقاومةِ الأخطارِ الخارجيةِ المتوقعةِ من الانجليزِ ومنَ الزعاماتِ العربيةِ المتحالفةِ مع بريطانيا.

ومن الجدير بالذكرِ أنّ الإمامَ يحيى ومنذُ اختيارهِ إماماً كانَ يتخذُ جُنْداً ملازماً لحضرتهِ تسمى «عُكفةُ الإمام» يوكلُ إليها حراسَةُ المقامِ، أما باقي الجندِ فجرَتْ العادةُ على الاقتصارِ على طَلبهم عند الحاجة للقتالِ وترتيبِ البلادِ، وكانوا في معظمهم من رجالِ القبائل، غيرَ أنَّ أعظمَ خطرٍ كان يتوجسهُ من القوى الخارجيةِ الطامعةِ؛ سواءٌ من الانجليزِ في عدن والحديدةَ والذين يقفون له بالمرصادِ، وما كان يتربصه في أنحاءِ الجزيرةِ العربيةِ. وزادَ هذه الأخطارَ إيغالاً ما كان يقال، بأنّه ليسَ عندَ الإمامِ جيشٌ مدربٌ»[2]. وأن سلاحَهُ وذخائرهُ نافذةٌ لا محالةَ بسببِ تناقصها، وعدمِ الاقتدارِ على تعويضها مع شدةِ الحصارِ وإحكامهِ. فقدْ نقلَ الواصلونَ من عدنَ، أنَّ الانجليزَ يستقصونَ عنْ أمرين من دولةِ الإمامِ:

الأولُ: مصنعُ السلاح العثمانيّ ومآلَهُ.

والثاني: الجيشُ وتدريبُهُ. ويُظهرونَ لذلكَ مزيدَ الاهتمامِ.

فالإنجليزُ بصورةٍ خاصةٍ يراهنونَ على نفاذِ الأسلحةِ والذخائرِ مِنْ عند الإمامِ بسببِ صرامةِ الحصارِ ومراقبَةِ ومضايقةِ تجّارِ السلاحِ ومنعِ وصولِهِ إلى اليمنِ بوسائلِ المقاطعةِ التجاريةِ مع الإمامِ.

(١) كتيبة الحكمة، ٢١-٢١، عمدة القارىء، ٣٦-٣٧.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٢.

ثمّ في انتفاءِ جيشٍ محترفٍ مـدربٍ سيوجدُ مَلَـلاً وتعباً لدى رجـالِ القبائلِ من مواصلـةِ الحربِ، فلا يلبثون أنْ ينفضّـوا منْ حولـهِ ويجبروهُ على الاتفاقِ مع الانجليزِ كما فعـلَ مشايخُ وسلاطين المحميّـاتِ من قبلُ، فالحروبُ قـدْ أنهكهم دوامُها[1]. ومِنْ بين هـذه التـداعياتِ كـانَ قـرارُ الإمـامِ بوجـوبِ بنـاءِ الجيشِ النظاميِّ المدربِ.

(١) المصدر السابق، ٣٣.



الفصل الثاني

الجيشُ والصناعاتُ العسكرية

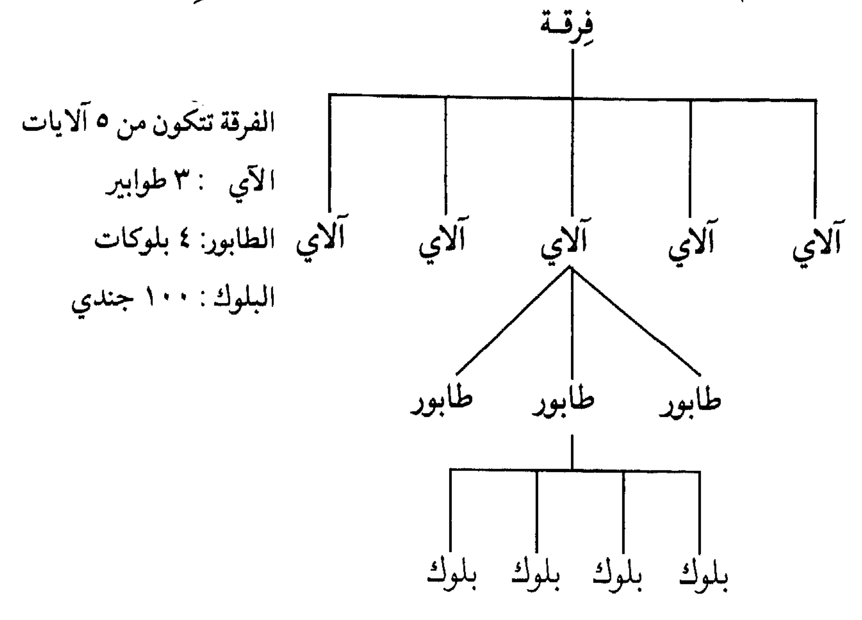
المبحث الأول: بناءُ الجيشِ المظفرِ الأزكى:

عملَ الإمـامُ يحيى على تنفيذِ خطتـهِ في بناءِ الجيشِ، وكـانتْ نواتُـهُ الأولى، اختيارَ جماعـاتٍ من المقاتلينَ النظامينَ الذينَ خـدموا في عكفَةِ الإمامِ وحـراسةِ المقام، ومنْ بقـايا عسـاكرِ الضبطيّةِ اليمنيـةِ والجندرمـةِ التركيّةِ الـذين اختاروا البقـاءَ، ثمَّ طلبَ إلى عمالِ الجهاتِ المجـاورةِ لصنعـاءَ بجمع الجنودِ من قبـائل تلكَ المنـاطق في مدّةٍ قصيرةٍ، وخـاصّةً من قبـائلِ سنحانَ وبلادِ البستـانِ وبني الحارث وبنو حشيش[1]، ثمّ وسَّعَ التجنيـدَ إلى مناطقَ أخـرى من همدانَ وأهلِ الغولـةِ وبيتِ الذيبِ وأرحَبَ. وصـارَ ترتيبُ الجيشِ على قـواعدِ الجيشِ التركيِّ مع بعضِ التعديلاتِ الطفيفةِ. وعينَ الإمـامُ هيئةً للإشرافِ على تكوينِ الجيشِ وإدارة شئونه عُرِفَتْ بإدارةِ القمسيونِ على النسقِ التركي.

وَعَيّنَ لرئاسَتِها، حسين بن عليٍّ عبد القـادرِ، عضوَ مجلسِ المبعوثانِ العثمانيّ سابقـاً ورئيسَ بلديّةِ صنعـاءَ، والقاضي لطفَ بنَ محمـدٍ الزبيريّ، الحاكمَ الأولَ بصنعاءَ، والقاضي حسن بن أحمدَ الشـوكاني، متولي الشهادةِ بـالمحكمة الشرعية وغيرهمُ وحـدّدَ مهماتِ الهيئـةِ، بقيـدِ أسماءِ المجنــدينَ المختـارينَ، وقيـدِ أسماء كفلائهم بإشهاداتٍ شرعيةٍ، والنظـرِ في أمورهم، وكانَ ضمانُ الكفلاءِ في محافظةِ العسكريِّ على حقوقِ بيتِ المالِ مِنْ بندقيّةٍ وعتادٍ وزيٍّ.

(١) المصدر السابق، ٢٢.

وقدْ استعانَ الإمامُ يحيى بحوالي ثلاثِ مئةٍ من الضباطِ والجنودِ الأتراكِ للضبطِ والتدريبِ كانَ من بينهم محمود نديم بك للإشرافِ العامِّ، وكنعان بك الذي اسندَتْ إليه مهمةُ التدريبِ، وأُطلِقَ عليه لَقَبُ «معلمِ الجيشِ» واختارَ الإمامُ لجندِه اسمَ «الجيشِ المظفريِّ، وكانتْ تشكيلاتُهُ، من الهرمِ كما يلي:



وأُعْطيَ كُلُّ جنديٍّ رقماً، وحُدِّدَتْ الرواتبُ، ووضعَ نظامٌ للرتَبِّ العسكريةِ كانتْ كالتالي:

جندي، عريف، شاوش، نقيب، ملازم أول، نقيب ملازم ثانٍ، يوزباشي (أمير مئة). لكل طابور أمير، بكباشي، أمير ألف، أمير، أمير الجيش[1].

وكانَ أمراءُ الجيشِ في البدايةِ مِن الأتراك، وبعضهم من أبناءِ اليمنِ الذينَ كانوا في الوظائفِ المذكورةِ، وتدرّبوا في تُركيّا أو ممنْ تخرجّوا من المدرسةِ الحربيةِ التركيةِ. وعَيّنَ عبداللهِ بن محمدٍ الضمينِ، أميراً للجيشِ المظفرِ، وهو منْ أشرافِ

(١) تاريخ اليمن العسكري، ١٠٨، كتيبة الحكمة، ٢٢.

الحمـزاتِ، سبقت لـهُ الخدمـةُ في الجيشِ التركيِّ وتـرقّى حتـى وصلَ إلى رتبـةِ البكباشيّـةِ، ويليه أميراً، عليُّ بنُ أحمدَ بـنِ إبراهيمَ بن الإمـامَ، وعين كتابـاً بمعيةِ الأميرِ وفي الطوابيرِ والبلوكات، وعين أركانَ حـربٍ لكلِّ البلوكاتِ وفي الطّابورِ، تكـونُ وظيفـةُ أركـانِ الحربِ، تـدبيرَ حركـاتِ الجيشِ حـالَ القيـام بـا لمدافعـةِ والإقدامِ وغير ذلك[1]، وأمَـر الأميرَ بمبـاشرةِ التدريبِ بعـدَ تعيينِ كنعـان بك معلماً للجيش، واتخذَ الجيشُ المبانيَ التي كـانتْ تسكنُها جنودُ الأتـراكِ في الجهةِ القبليةِ من وراءِ سورِ صنعاءَ في العُرضيِّ، سكنـاً للجنودِ، وكانتْ واسعةً ومتقنةَ البناءِ.

وأصدَر الإمامُ أمراً احترازياً بأنْ لا يسـافرَ أمراءُ الأتراكِ إلا ريثما يتسنّى لهم السفـرُ بدونِ الـوقوعِ في أسرِ الإنجليـزِ، بمعنى: لا تركَ للخـدمةِ إلا بعـدَ زوالِ دواعي التسليمِ، وهو بهذا يضمنُ استمرارَ التدريبِ لجيشهِ الناشيءِ ويحولُ دونَ تسرّبِ أسرارهِ في حـالِ عزمِ أحـدِ الأمـراءِ من الأتـراكِ على الاستسلامِ. وكـانَ التدريـبُ يقومُ على خطـةٍ مكثفةٍ للتدريبـاتِ المألوفـةِ تشملُ انتظـامَ الحركاتِ وأصولَ تعبئـةِ الجيشِ والإقدامَ والإنسحابَ (التلاقي والمهـاجمة)، والتوصلَ إلى ارتقـاءِ الحصونِ والمحـالِّ العاليّـةِ، فالنّظـامُ يعني، الزامَ الجنـديِّ بتمرينَ بـدني يكسِبهُ قوةً بدنيةً ومهارةً وتدريبـاً على القتالِ قبلَ حضورهِ ومشاهدتهِ للمعاركِ، وبتعليمهِ ضوابطَ كليّةً فيما يجبُ عليـه، من حسنِ الامتثالِ وفهم أصواتِ النفيرِ وما تشتمـلُ عليه النفيرُ من إشاراتٍ، حيـث تجهيزُ الألفِ منهم في سـويعاتٍ، لأنهم يكـونـون على أهبةِ العـزمِ أبـداً. ويقصـدُ بفهم أصواتِ النّفيرِ الـدرايـةُ والاتقانُ لـلأصواتِ التي تصدرُ منَ البـوقِ، فكلُّ صوتٍ دليلُ إرشـادٍ بأمرٍ من الأمورِ، والانتقالِ من مكانٍ لآخرٍ، وإجراءِ المهاجمةِ والتوقفِ حسبَ الخطةِ التي يدبّرها أميرُ الجيشِ وأميرُ حـالِ الحربِ الواقع. كما تدربَ بعضُهم على المدفعيّةِ،

---

(١) كتيبة الحكمة، ٢٢ تاريخ اليمن العسكري، ١٠٨، ١٠٩.

طوبجيّـةً، حتى بلغَ عددُهم إلى طابورٍ، وعينَ لكلِّ مـدفع أميرٌ صغيرٌ وشاوشٌ، وللطـابـورِ أميرٌ يكـونُ تحتَ نظـرهِ عـدةُ مـدافعَ، وأميرُ المدفعيـةِ، أُطْلِقَ عليـهِ قومَندانُ الطوبجية[1]، وكانَ تدريبُ أفرادِ المدفعيـةِ بالتدريبِ على كيفيةِ دورانِ المدافعِ في حـركاتها، ومـا هيّـةِ الرّمي بها، وألحقَ بـالجيشِ بلـوكاتٍ وطـوابيرَ من المشاةِ الـذين تعلّموا فنَّ الرمي على أصُـولِهِ، وضمّ إلى مشاةِ الجيشِ طـابوراً من الخيـالةِ، ورتّبَ لهـم أميراً مخصـوصـاً، وأجرى لهم ولخيـولهم الجرايـات، الكافلـةَ بـانتظامِ معيشتهم، وخصـص للأمـراءِ والأفـرادِ من الجيشِ الـرواتبَ الكافيـةَ والجرايَاتِ اللازمةَ من طعامٍ وزيٍّ وأسبابِ النظافة.

وفي مرحلةٍ لاحقةٍ شكلَ آلاي من النظـام من تعزَ، فقدْ طلبَ الإمامُ يحيى إلى عليِّ بنِ عبـداللهِ الـوزيرِ، أميرِ اللـواءِ التّعزيِّ في شعبـان ١٣٣٨هـ أنْ يجنّـدَ من منطقـةِ تعـزَ، وكـانَ أنْ جمعَ الجُنـدَ النظـامي من رجـالِ جبـلِ صبرٍ والعـدينِ والحُجريةِ وضواحيها[2]، وكانَ الآي التّعزيُّ مكوّناً مـن أربعةِ طوابيرَ متجاوزاً ما كانَ محُدّداً في البدءِ بحدٍّ أقصى قَدْرهُ ثلاثةُ طوابيرَ.

ومنْ نـاحيةٍ أخرى، يَـرى بعضُ الباحثينَ أنّ تكـوينَ الجيشِ المظفـريِّ كانَ على حسابِ القبائلِ، فشُيوخُ القبائلِ أصبحَوا جزءاً منهُ، ينفذونَ أوامرَ وتعليماتِ أمراءِ الجيشِ فيسهُلُ ضبطُهُم ويتخلخلُ النسيجُ القبليُّ، فقبائلُ خـولانَ ماطَلوا الإمامَ عنـدما طلبَ منهم أنْ يجمعـوا من مقاتليهم عدداً معلـوماً، يكـونونَ من جملةِ النظـام، وكانَ تسويفُهم لأنّهم اعتبروا أن في المبـادرة إلى ذلك انقياداً منهم وفيهِ نوعٌ منَ الذُلِّ إلى أن أصلَحَ عاملُ المنطقـةِ الجديدُ، محمدٌ بنُ قاسم الظُفريّ، ومعَهُ جماعةٌ منْ عُقالِ همدانَ الأمـرَ، واعتذروا وأقبلوا على التجنيدِ، ومثلهم فعلَ أهلُ الغولةِ وبيتُ الذيبِ إلى أنْ توسّطَ عُقّالُ همدانَ وتمَّ التجنيد[3].

---

(١) كتيبة الحكمة، ٢٤.

(٢) كتيبة الحكمة ، ٨٨.

(٣) المصدر السابق، ١٤٢، ١٤٦.

وفي محاولةٍ من الإمامِ لرَفعِ الروحِ المعنويةِ لجيشهِ، ولإظهارِ قوتهِ زجراً للمخالفينَ وردعاً للطامعينَ، فقدْ حرصَ الإمامُ يحيى على تقديمِ عرضٍ عسكريٍّ للجيشِ في كلِّ يومِ جمعةٍ، والخروج لصلاةِ الجمعةِ بموكبٍ منتظم، واستعراض البلوكاتِ والطوابيرِ من عساكره بعيدَ الصلاةِ. بحيث يُشاركُ في العرضِ وحدات من الجيشِ، حيث يتقدمَ الموكبَ، والإمامُ في طريقهِ لإداءِ صلاةِ الجمعةِ في الجامعِ الكبيرِ، طُبُولُ الجيشِ وأبواقُه ثمّ طوابيرُ مِن الجيشِ تسيرُ بانتظامٍ وبكيفيّةِ التعبئةِ الحربيةِ، ثمَّ المدافعُ بأنواعها الأبوزاتِ والسريع وعادي الجبلِ والهاونـاتِ، ومع كلِّ مدفعٍ يسيرُ مأمورُه وطبجيه ومعاونوه ثمَّ الخيالةُ، فعكفَةُ الإمامِ وحرّاسُهُ، وبعد ذلك الإمامُ ومَعَه الساداتُ والعلماءُ والخاصةُ يمشي راجلاً قبلَ الصلاةِ، وعلى ظهرِ جوادِه بعدَ الصلاةِ، ويعودُ إلى بيته في بئرِ العزبِ أو دارِ الصنائعِ، ويُشرفُ على الجيشِ فيمرّون صفوفاً، ويرافقُ الأمراءُ بلوكاتِهم أو طوابيرَهم وآلاياتِهم، أو يتقدّمونهم. وكانَ هذا العرضُ العسكريُّ الأُسبوعيّ مُظاهرةً عسكريةً وإشارةً واضحةً للبريطانيينَ والمتعاونينَ معهم، بأنَّ جيشَ الإمامِ قد أعَدَّ لدفعِ ومقاومةِ أطماعِهم وبأنه علامةُ زجرٍ لكلِّ منْ يعملُ لإثارةِ الاضطرابِ أو الفتنةِ من أهالي البلادِ.

ولرفعِ كفاءةِ الجيشِ المظفريِّ، فقدْ أمرَ الإمامُ يحيى بإعادةِ افتتاحِ المدرسةِ الحربيةِ،

وأطلقَ عليها اسمُ «المكتب الحربي».

المبحث الثاني: المكتبُ الحربي:

لما كانَ الإمامُ يحيى يدركُ أنّ إقامةَ الضباطِ والجنودِ الأتراكِ مؤقّتةٌ، إذ لا بدَّ وأنْ يغادروا في نهايةِ الأمرِ، فقدْ سعى لسدِّ حاجةِ الجيشِ من الضباطِ من اليمنيينَ، وذلكَ بإعادةِ افتتاحِ المدرسةِ الحربيةِ، وعيّنَ المعلمينَ والمحافظينَ

والخَدَمةَ لها، ومع أنَّ نظامَ الدراسةِ فيها استمرَّ وفقَ المنهجِ التركيِّ، لكنّه أمرَ بإدخالِ موادَّ جديدةٍ لابدَّ منْ إتقانِها، وأهمُّها: الكتابةُ والإملاءُ بالعربيةِ، والتاريخُ والعلومُ الدينيّةُ. وكانَتْ الدراسةُ فيها باللغة العربيةِ، فرافقَ كلَّ ضابطٍ تركيّ مُترجِمٌ لتبسيطِ الدروسِ.

وكانَ مكتَبُ الحربيةِ يشتملُ على أربعةِ أصنافٍ، ولكلِّ صنفٍ منهجهُ ومعلموه فصنفُ الضباطِ لا بدَّ من نجاحِ الواحد منهم في القراءة والكتابةِ بالعربيةِ وخصوصاً الإملاء، ثمَّ فنون التعبئةِ العسكرية وفنونِ الأسلحةِ من تدريبٍ على الرشاشِ وبناءِ الاستحكاماتِ والعملِ العسكريِّ فيها والمدفعيّةِ (الطوبجيّة)، ونُظُمِ الإدارة العسكريةِ وقيادة الجنودِ وطبوغرافيا.

والصنفُ الأولُ، كانت دروسهُ تشتملُ على:

الحسابِ والجغرافيا وتعليم البيادة (مشاة) والطوبجية والعلومِ الدينيةِ وقانون الجزاءِ والتاريخ والتربيةِ العسكريةِ والكتابةِ العربيةِ والهندسةِ ونظام السفر (أي تحركاتِ الجيشِ وانتقاله من منطقةٍ إلى أخرى).

وأمّا الثاني، فكان مكملاً لمناهجِ الصنفِ الأولِ من حيثُ إنهاءُ الموادِّ المتبقيةِ من منهاجِ الصنف الأولِ.

وأما الصنفُ الثالث، فكان منهاجُهُ يشتملُ على دراسةِ، تعليمِ البيادةِ والطوبجيةِ (المدفعية) والكتابةِ العربيةِ ونظامِ السفرِ والعلوم الدينيةِ والتعبئةِ والطبوغرافيا وفنِّ الأسلحة وسوقِ الجيشِ واستحكامِ الطوبجية، وتعليم الرقابة للبيادية (المشاة)، والفروسية والحسابِ.

والتخرجُ لا يكونُ إلا بعدَ اجتيازِ المتخرج لامتحانٍ يجيدُ، حسنَ الخط والرسمَ والحسابَ والتاريخَ والعلومَ الدينيةَ ومعلوماتٍ مدنيةً وأخلاقاً وإملاءً ولغةً عربيةً وتعليماتٍ شريفةً (أي أوامرِ وتعليماتِ الضبطِ والربطِ للمجنديين)،

وهي ما عُرِفَتْ بمـوادِّ الجيشِ، حيثُ حدّدَتْ كلُّ مـادةٍ الواجبـاتِ وعقوبـاتِ التأديبِ انْ جـرى التجـاوزُ أو التعـديُ عليها. وكـانت المجمـوعـة الأولى من طلابِ المكتبِ الحربيِّ من السـادةِ وضمّتْ (واحداً وأربعين) طالباً، ستـة أنفارٍ قبلوا في صنـفِ الضباطِ، والصنف الأولُ فيـه سبعة عشرَ نفراً، والصنـف الثاني فيه تسعةُ أنفارٍ، والصنفُ الثالثُ، فيه تسعةُ أنفارٍ، وبعد إنهاءِ هؤلاء لدراستهم، كانوا يعينونَ أمراءَ بلـوكات، إذا حصلوا على الإجازةِ من معلميهم[1]. ويلاحظُ أنّ دائرةَ التعليمِ للفنونِ العسكـريةِ، قد توسعت منـذ سنةِ ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م في برامجهـا وسنواتِ الدراسـةِ فيها وقُبِلَ في المكتب الحربي كلُّ من وجـدتْ فيه الكفايةُ والقابليّـةُ دونَ اقتصارها على السادةِ فقط[2] كما كان عند بداية تشكيل المكتب الحربي.

وتقتنيَ مكتبتي الخاصـةُ ثلاثـةَ كُتُبٍ، كـانت معتمدةً في التـدريسِ باللغـة العثمانيةِ، ومن خلالِ الاطـلاع عليها، فإنَّ منهجَ الاستحكاماتِ والـذي وجدتهُ في كتيبٍ مخطوطٍ، تناولَ الدروسَ التالية:

أقسامُ الاستحكام وخـرائطِه ورسوماتـهِ والخنادقِ الداخليةِ وكيفيـة حفرها، من حيث المسطـح والمقـاطع، ومـواضع استحكـامـات المدافع وأشكـالها ومقاسـاتها، وخطوط الاستحكـامات والمسافـات بينها، وأمـاكن المراسلات في الاستحكـامات ومـدة إنشائهـا والمدة اللازمـة لبنـائها وطُـرق حمايتها و إخفـاء الاستحكامات والدفاع عنها.

---

(١) كتيبة الحكمة، ٢٥، عمدة القارىء، ٣٥.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٠٧.

وأمّا منهـاجُ فنِّ الأسلحـةِ فقدْ اعتمدَ الكتـابُ الذي وضعـهُ حسنُ تحسين، البكباشي، معلمُ المدفعيةِ ط واستانبول سنة ١٣١٣هـ. ومِنْ برامجه التدريسية.

دراسة أنواع الأسلحة الجارحة ومميزات المواد النارية وخاصة البارود الإسود وتركيباته، وأنـواعه بدخان او بدونه ونقله براً وبحـراً وبالقطارات، ثم الأسلحة الخفيفة من بنادق نصف آلية وآلية وصنعها والأسلحة الثقيلة من مدفعية وأنواع المدافع، مثل الأبـوس والهاون، ومـدافـع الجبـال والصحـاري ومـدافع القـلاع ومـدافع حصـار السـواحل والسفن. بالإضـافـة الى صنـاعـة قلل المدافع وفن الرماية والتهديف للأسلحة الفردية أو الثقيلة.

وأما نظـامُ السفرِ فقـدْ اعتمدَ كتـابَ «خدماتٌ سفـريةٌ نظـامنامـة» طبعتهُ مطبعـةُ الـدائرةِ العسكـريـةِ، سنـــة ١٣١٦هـــ/ ١٨٩٨م. فقـد شمل النظـام العسكري والحربي للجيش من حيث تعبئة القوات وتدريبـاتها والقواعد العامة والأوامر الحربيـة في الميدان، والأوامر اليوميـة، والمعلومات والتقـارير والخرائط، والأمن على الطـرقات والخدمـات الأمنية للفرسـان وخطوط اتصـالات الجيش والأرزاق والقـواعد الصحيـة والمشاة والفـرسـان والتلغراف والأمن العسكـري للجيش والضبطية والجندرمة.

ووضعَ للجيشِ نظامـاً للترقيات، وقدْ عثـرنا على صورةٍ لترقيـةٍ نشر صورتها سُلطـان نـاجي في كتـابـه» التـاريخ العسكـريُّ لليمنِ (١٨٣٩م -١٩٦٧م). ص١٣١، دون قـراءةِ مضمونها، والنظـرُ في وثيقـةِ الترقيةِ، يحددُ الأهـدافَ التي قصـدتْ من تكـوينِ الجيشِ، وهـي إقـامـةُ الشريعـةِ، وحفظ الـدين، بـالأمـر بـالمعـروفِ والنهي عن المنكـر، وكل هـذا مترتبٌ على الجنـودِ بشرطِ الطـاعـةِ والانقياد وفقَ الهيكلِ التنظيمي للرتب العسكريـة. وتحددُ الترقيةُ أسبابَ صدورِ الأمرِ بترقيـةِ النقيبِ عزيـزٍ بن يحيى، من بلـوكِ صنعاءَ إلى رتبـةِ الملازم الثاني» بحسنِ ثبـاتهِ وحُسْنِ خـدمَتِهِ وقـدمـهِ، وتضمّنتْ وثيقةُ الترفيعِ بعضَ الـوصايـا

للضـابط المترقي من الحفـاظِ على النظـافـةِ في بلـوكّـهِ وحسنِ النهـوضِ وقتَ الخدمـةِ وضـوابطِ الـراحـةِ أو الإجـازةِ واللبـاسِ والأكلِ، وتعليمِ الطهـاراتِ والحفاظِ على الصلواتِ وأدائِها. وفوقَ هذا كلّـهِ الطاعةُ والانقيادُ، والتحذيرُ من الإخـلالِ والتجـاوز فلا بـدَّ من معـاقبتـهِ أشـدَّ العقـابِ، فالجنـودُ هم الجنـاحُ والسيفُ والرمحُ لدولةِ الإمامِ[1]، ونظراً لما لهذه الوثيقةِ من أهميةٍ، فأثبت نصّها، فقد جاء فيها:

(١) التاريخ العسكري، ١٣١

قَيْدْ. دفترى ١ سنة ٣٨

نمرة ٢١٢

ختم: أمير المؤمنين المتوكل على الله
رب العالمين
يحيى بن محمد حميد الدين

- الحمد لله رب العالمين القائلِ: أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكم، ولما كان قِوامُ الدين واجب لشريعةِ سيدِ المرسلينَ والأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ المخوفِ وحفظَ المسلمين.

- والدفع عنهم وعن أنفسهم وأموالهم، كلُّ ذلكَ مترتبٌ على الجندِ، وكانَ إكمالُ الجندِ، وصلاحُ أحوالهم، وحصولُ المرادِ منهم، مترتب على الطاعةِ والانقيادِ لمنْ جُعلَ عليهم أميراً.

- وكانَ أهلُ اليمنَ هُمُ الشيعةُ الفخامُ، وأنصارُ الآلِ الكرامُ، وأحقُ الناسِ بالقيام لما يصلحُ به دولتهم وبلادهم، أمرنا بتحصيلِ عسكرٍ من الشيعةِ يكونونَ أنصاراً للشريعةِ.

- وأحباباً للحقِّ وأمرنا بترتيبِ أمورهم على الوجهِ المطلوبِ الكاملِ حتى يَعْرفَ الفردُ أنَّ عليه شاوش وعريفه، ويعرفَ الشاوشُ والعريفه أنّ عليهما ضابطاً، ويعرفَ الضباطُ.

- أنَّ عليهِ آمراً ويعرفون الأمراء أنَّ عليهم أميراً، ومراجعة الفرد إلى العريفه ومراجعة العريفة إلى الشاوش ومراجعة الشاوش إلى الضابط ومراجعة الضابط إلى الأمرا ومراجعة الأمرا إلى الأمير ومع

- هذا يتم المراد، ويكون الجُندُ انشاء الله تعالى على أكملِ صفةٍ. ولما رأينا اقتدارَ النقيب عزيزِ بنِ يحيى المنسوبِ إلى بلوكِ صنعاءَ ثباتهِ، وحُسنِ

خدمَتِهِ، وديانَتِهِ.

- وقدمهِ صارَ ترفيعه إلى رتبة الملازم الثاني في بلـوكهِ، وعليه حزمُ أمورِ بلوكهِ في كلِّ أمـرٍ صغيرٍ وكبيرٍ حتى في التنضيف[1] والقيـامِ والقعـودِ واللبسِ والأكلِ وتعليمِ.

- الطهاراتِ، والصلـواتِ، وعلى كلِّ أحدٍ طـاعةُ مـن فوقِهِ، وأنْ تكـونَ عليهم السكينةُ والـوقارُ، وأنْ يعرفون أنهم أفضلُ جنـدٍ تحتَ السماءِ، فلا يحصلُ منهم شيءٌ فيما.

- يخالفُ الديانةَ في شيءٍ من الأقـوالِ والأفعالِ، ثمَّ ليعلمَ الجميعُ أنْ لابدَّ يفتحَ اللهُ بهم البـلادَ، ويوسّعَ عليهم الإمدادَ، ونـراعيهم أتمَّ الرعايـةِ، وتقدّمَهم في كلِّ شيءٍ.

- فيما يلزمُ لهم ومَعْ هـذا فليعلموا أنّـه مَنْ خالفَ أمـرَ أميرٍ فيما يعودُ إلى أوامـرِنا ونواهينا أو اقدام إلى ما ليسَ له فلا بدَّ من معاقبتهِ أشدَّ معاقبةٍ، فإنّا.

- اتخذناهم لنا جنـاحاً وسيوفاً ورماحاً وأمّنـاهم على كلِّ شيء يكونُ ونسألَ اللهَ سبحانهُ وتعالى أنْ يؤيـد دينَهُ القيومَ ويصلحَ شأنَ المسلمينَ وكتبهُ بتاريخهِ. في ١٣ شهر رجب الأصب سنة ١٣٤١

المبحث الثالث: إعادةُ تشغيلِ مصنعِ الأسلحةِ ومعملِ البارودِ العثماني:

وُجِدَتْ أسبابٌ ضـاغطةٌ على دولةِ الإمامِ، جعلتـهُ يُسارعُ إلى إعادةِ تشغيل مصنعِ الأسلحةِ الـذي بناهُ العثمانيـونَ في صنعاءَ خلالَ فترة الحربِ، فـالحصارُ البحـريُّ الـذي مـا زالَ محكماً على الموانىء اليمنيّـةِ يحولُ دونَ وصـولِ البنـادقِ والمدافعِ إلى اليمنِ، حتى عملياتِ تهريبِ الأسلحةِ من قبلِ التجـارِ وصلتْ إلى

---

(١) التنظيفُ.

حدِّ الاستحالـةِ، والحروبُ في لحج وعلى جبهـةِ الإدريسيِّ وفي الحديدةِ المحتلـةِ والمحميـاتِ وعـدنَ، كـانت حـوافزُ لإعـادةِ التشغيلِ، كما أنّ الفـرنجـةَ يبنـونَ خططهم على نفـاذِ الـذخـائرِ من القواتِ العثمانيـةِ بعـدَ استسـلامهـا ومن ثمَّ انعدامِها عندَ الإمامِ يحيى، مما سيضطرُ الإمام يحيى للنزولِ على إرادَتِهم.

وبادرَ الإمامُ لاقتطاع أجزاءٍ من المبـاني المتاخمةِ للمستشفى البلديّ، وهيأها لتكـونَ أمـاكنَ لمصنعِ الأسلحـةِ وعهـدَ إلى شـوكـتْ بك، وحُسْني بك الطبيبِ والمهنـدسِ الميكـانيكـيِّ جـورجي النمساويِّ بمهمـةِ إعـادةِ عمليـاتِ التصنيعِ العسكريِّ، وضـمَّ إليهم جماعاتٍ من أهلِ اليمنِ ليتعلّمـوا فنونَ الصنعـةِ، وكانَ من المشتغلين في المصنع، ضبـاطٌ مـن الجيشِ ذوي الخبرةِ، ومهنـدسـونَ لإدارةِ وتشغيلِ آلاتِ الطحنِ البخـاريـةِ، وتفرّعَ عن المصنعِ آلاتٌ تُعنَـى بتجهيزِ مـادّةِ البارودِ المشتعلِ ومقذوفاتِ التفجيرِ وقابسـوناتِ المدافعِ والرّصاصِ. ولما كانتْ مادةُ البارودِ مـوجودةً في اليمنِ، فقدْ كانَ العملِ لترقيـةِ صناعتِها بحيثُ يمكنُ الاستغناءُ عن البـارودِ الافرنجيّ، وخـلالَ فترةٍ محدودةٍ أصبحَ البارودُ المصنعُ في اليمنِ لا يقلَّ في جـودتـهِ عن مثيلـهِ الأفـرنجي، وقـامـت آلات صنـاعـةِ قُلَلِ ورصـاصِ المدافع بتـوفيرِ كميّـاتٍ كبيرةٍ منـهُ، لا سيما وإنَّ مهنـدسي آلاتِ الطارونةِ - وهـو الاسمُ المعرَّبُ لآلةِ صُنعِ الرصـاصِ والقللِ للمدافع - نجحوا في تطويرِ نوعيّةِ منتجاتِ المصنعِ من القللِ والرصاصِ للرشاشاتِ والبَنادقِ[1].

وَجرَى توزيعُ الأسَاتذةِ والعَـاملينَ كلٍّ بحسبِ اختِصَاصِه، فَفَريقٌ يَعملُ في إنتاجِ قُلَلِ المدافـع، وَفريقٌ لِرصـاصِ البَنادقِ والـرّشاشـاتِ، وفريقٌ في المخـابرِ لإنتـاجِ وتحليلِ المَوادِ الناريـةِ اللازمـةِ للصواعقِ والقـابسونِ، وفـريقٌ يعملُ في إصلاحِ الأدواتِ الخشبيةِ اللازمةِ للمدافعِ وغيرهم لمراكبِ الخيولِ والبغالِ التي تحملُ أو تجرُّ المدافعَ، حيثُ يصنعـونَ السروجَ واللجُمَ واللبَّـادَ ومـراكبَ المدافعِ

---

(١) عمدة القارىء، ٣٩.

على حيوانات الجرِّ، والعجلاتِ وغيرها.

وعُهِدَ إلى خبراءَ لإعادةِ إصلاحِ المدافع والرشاشاتِ والبنادقِ التي قدْ أصابَها عُطلٌ أو ضررٌ، فقد أُصْلِحتَ بعضُ المدافعِ البريطانية التي كانتْ غنيمةَ العثمانيينَ، في اللُّحَيْة، ونجحَ الصناعُ في تطويرِ المدافعِ بحيثُ تكونُ أقوىَ وأقدرَ على بلوغِ مسافةٍ أبعدَ مما كانت عليه، وكذلكَ في تطويرِ مقاساتِ التهديفِ بالرميِّ والإصابةِ للأهداف لتكون أكثرَ دقةً، ونجحوا في تصنيعِ أنواعٍ من المدفعِ المدعوِّ عادي الجبلِ» وحتى القُلَلِ، جَرَى إصلاحُها لتُستعمَلَ مِنْ مدفعٍ لآخرَ.

وبذا أُمكِنَ لِورشِ صناعةِ الأسلحةِ من ابتكارِ نماذجَ جديدةٍ منَ المدفعيةِ والبنادقِ والرشاشاتِ وتعويضِ المقذوفاتِ والرصاصِ خلال فترةٍ قصيرةٍ.

ومِنْ ناحيةٍ أخرى، فقد تمكنَ اليمنيونَ بما منَّ اللهُ عليهم من ذكاءٍ ومهارةٍ مِنْ تشغيلِ مصنعِ الأسلحةِ والبارود، و إنتاجِ نماذجَ جديدةٍ دونَ الحاجةِ إلى خبراتِ الأتراكِ، فالمصنعُ بقيَ يعملُ بطاقتهِ الإنتاجيةِ بعدَ رحيلِ عددٍ من المهندسينَ والخبراءِ الأتراكِ، ويقررُ المؤرخان عبدالكريم بن أحمدَ، ويحيى الحدادِ «بأنّ اللهَ قدْ أقالَ عثرةَ اليمنِ وأهلهِ من الاحتياجِ إلى النَّصارى وخضوعهم لتحكمهِ»[1] ويلاحظُ بأن مصنعَ الأسلحةِ والبارودِ ظلَّ يعملُ في مكانه إلى أنْ وقعَ حادثُ تفجير ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٠م أدى إلى اشتعالِ أجزاءٍ بسيطةٍ من المصنعِ، فأُعدَّ على عجلٍ مكان جديدٌ له في الصافيةِ العدنية، جنوبي صنعاءَ، بمحلٍ بعيدٍ عن تحديث العمرانِ، وكانَ سقفهُ من تنكٍ لتقليل الأضرارِ تحسباً لوقوعِ أيّةِ حوادثَ له في المستقبلِ[2].

(١) كتيبة الحكمة، ٢٨، ٣٦ عمدة القارىء، ٣٩.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٧٩.

المبحث الرابع: الاستعدادات الأخرى (وسائل الاتصال والنقل والصيانة):

ولما كان الاتصالُ يستلزمُ وسائل عاجلة لسرعةِ إنقاذ الأوامر سواءٌ لقواتِ الجيشِ عند تحرّكها أو لمواجهةِ الأخطار الخارجيةِ أو الثوراتِ والتمرداتِ المحليّةِ، وحتى يستطيع الإمامُ إحكامَ سيطرتهِ على مراكزِ المناطقِ والنواحي فقدْ اهتمَّ بإعادةِ أعمالِ وسائل الإتصالِ، فأبدى اهتماماً بالتلغراف، أسلاكِهِ وآلاتهِ ومعداتهِ ومأموريهِ وخدمِهِ، وكانَ العثمانيونَ قد مدّوا أسلاكَ التلغرافِ منْ صنعاءَ إلى الحديدةِ فالأستانةِ، وتولى عبداللهِ الجركسيّ إيصالَ التلغراف إلى ذِمَرمر ويريمَ وإبَ وتعز حتى معبر، وغدتْ أسلاكُ التلغرافِ تربطُ بين صنعاءَ - بر اليمنِ - الحديدةِ - البحرِ الأحمرِ - البحر المتوسطِ - ثم براً إلى بيروتَ فالأسكدارِ حتى الأستانةِ، وقدْ حالَ الإمامُ يحيى دونَ تخريبِ أسلاكِ التلغرافِ، لأنه نافعٌ لإجراءِ المصالح وسهولةِ الإتصالِ والقيام بها وضبط الأمورِ[1] فكانَ أمرُهُ بالمبادرةِ بإصلاحِ التلغرافِ بأسلاكهِ ومكائنهِ التي خلّفها الأتراكُ وآلاته ومعداته، وأمَرَ بترتيبِ المأمورينَ في صنعاءَ ومراكزَ اليمنِ المختلفةِ مثلَ حرازِ وسوق خميس مَذْيور ومَتنَة ومَعْبرَ والمخَادِرِ وغيرها.

وأصدرَ الإمامُ أوامِرَهُ بفتحِ مكتبٍ لتعليمِ التلغرافِ، فانخرطَ جماعةٌ من سكانِ صنعاءَ ومن غيرهم فيه، ومُرِّنوا على تشغيلهِ وصيانتهِ والعملِ فيه، ولم تمضِ مدةٌ حتى مهرَ اليمنيونَ فيه، وصينتْ هذه المصلحةُ من الاضمحلالِ والزوالِ[2].

وفيما بعد استحضرَ الإمامُ أجهزةً للاتصالِ لاسلكيةً عرفت في المصادرِ اليمنيةِ بآلةِ الهليوستةِ، وكما يدلُّ اسمها الايطاليُّ، فقدْ أُحضرتْ من ايطاليا بعد سنةِ ١٣٤١هـ/ ١٩٩٢م وقدْ عرّبها بعضُ اليمنيينَ فاسمُوهَا آلةَ «طارَ الهواءُ» وكانتْ تعملُ بدونِ إشارةٍ (تكْ» وهي المعروفةُ بالمصطلحِ الحديثِ آلةُ

---

(١) كتيبة الحكمة، ٣٠. (٢) كتيبة الحكمة، ٣٢، عمدة القارىء، ٤١.

المورسِ، فاستخـدمَ الإمامُ التلغـرافَ اللاسلكيَّ، وكـانتْ واحدةٌ منهـا في مقامِ الإمامِ بمـدينةِ صنعاءَ، وثـانيةٌ في مقرِ سيفِ الإسلام محمـدٍ بالحديدةِ، وثـالثةٌ في مقـرِّ سيفِ الإسلام أحمد بحجـةِ ورابعةٌ في مقـرِّ الأميرِ علي بن عبداللـهِ الوزيـرِ بـدار النصر بتعزَ. واستخـدم الإمـامُ هذه الـوسيلـةُ، الاتصـالُ بالـلاسلكيِّ في مخابراتهِ مع الدولةِ، في الأستانـةِ وايطاليا وغيرها، ولكنْ بقيتْ في إطارٍ محدودٍ في عددهـا لا يتجاوزُ المحـدودية، ولعلَّ غلاءَ أسعـارها وصعوبـةَ صيانتهـا كانتْ أحدَ أسبابِ عدمِ إدخالها بكثرةٍ في اليمن[1].

حتى الخيـولُ والبغالُ والجمالُ، فقدْ أولها الإمـامُ يحيى اهتمامـهُ، وأدخلها في خدمـاتِ الجيشِ فقدْ استلمَ بعضَها من القواتِ العثمانيـةِ المستسلمةِ، واشترى عدداً آخر من القائدِ العثمانيِّ أحمدَ توفيقِ باشـا عند عزمِه على الإخلاءِ، وأفرد لها مكـاناً قـرب عـرضي المدفعية ورتبَ القـائمين على رعـايتهـا من أمراءَ وكتـابٍ وخَدَمـةٍ وعمالٍ، واستمالَ أحد الأمراءِ من الأتـراكِ ليتولّى تقـديمَ الرعايـةِ الطبيّةِ لها، فكانَ البيطـريُّ التركيُّ يقومُ بفحصِها وترتيـبِ أعلافِها ومعالجةِ أمـراضِها، ومنعِ التصرفِ بها إلا بمعرفتهِ.

هذا بـالإضافة إلى عنـاية الإمام بـالطبابة في الجيش بصفـة خاصة ومـراعاة مصالح الناس بصفة عامة. ونظراً لاشتـداد الحاجة للأطباء في الجيش، فقد أمر بتخصيص جماعـة من الجيش وغيرهم لتعلم فنـون الطب من الأطبـاء الأتـراك، فأمر بإعـادة المستشفى البلدي والعسكـري للعمل كيفما كانـا قبل إخلاء الترك من البلاد.

وعين الأطبـاء والصيـادلـة والفنيين للعمل في المستشفيـات ومخازن الـدواء والصيدليـات، وكان الفقراء وذوي الحاجة يتلقـون المعالجة والأدوية بـدون آجر أما القـادرون والأغنياء فتستوفي منهـم بدلات المعالجة والأدويـة. كما أمر بتعيين

---

(١) عمدة القارىء، ٤٢.

مـأمـــــــــور للطبابة في لواء تعز والحديدة وذمار والمواقع المهمة من المراكز والنواحي[1]. وكان الإمام يحيى يرى بأن الطب والمعالجة وفق الرسوم القديمة لم تعد قادرة على مواجهة الرقي الحديث، فنجح في ابقاء، عزيز بك رئيس أطباء العسكر العثماني والطبيب حسني بك، الماهر في المعالجات الطبية، وسليمان بك من الجراحين بعد أن وسع عليهم في المرتبات، وبذا ضمن انتظام المستشفى بالأطباء والصيادلة والجراحين والخدم للمرضى، وكلف هؤلاء بتدريب ذوي الكفاءة من اليمنيين لتعلم فنون الطب ليقوموا بسد بعض النقص، إن وقع ميل هؤلاء الأطباء والجراحين والصيادلة إلى مغادرة اليمن[2].

كلُّ هذه الترتيباتِ والإجراءاتِ التي نفَّذَها الإمامُ بمعونَةِ ومساعدةِ الضباطِ والموظفينَ الأتراكِ وذوي المهارةِ والخبرةِ من أهلِ اليمنِ، دَفَعتْ الانجليزَ لمعاودةِ الاتصالِ بالإمامِ، يرغبونَهُ تارةً بجدوى الاتفاقِ معهم، وتارةً أخرى بممارسةِ الضغوطِ لإجبارِهِ على إخلاءِ اليمنِ من بقايا الأتراكِ، وكانتْ السنتان ١٩١٩م، ١٩٢٠م، أشدَّ السنواتِ ضغطاً على الإمامِ، حيثُ باشرتْ استانبولُ توجيه الضغطِ القويِّ على محمودِ نديم بك، تدعوهُ لإخلاءِ اليمنِ من كافةِ الضباطِ والجنودِ الأتراكِ.

ومعْ أنّنا لم نعثرْ على الرسائلِ التركيّةِ التي وُجّهتْ إلى محمود نديم، إلا أننا عثرنَا بين الوثائقِ البريطانيةِ على الرسائلِ التي وجّهها محمود نديم إلى الصدرِ الأعظمِ في استانبولَ بوساطةِ القُنْصلِ الأميركيِّ في عدنَ. ويبدو أنّ محمودَ نديم قدْ فقدْ المصداقيةَ فيما وصل إليه عنْ طريقِ البريطانيينَ، فلجأ إلى قنصلِ الولاياتِ المتحدة الأمريكيةِ في عدنَ يرجوهُ بنقلِ رسالتهِ المطولةِ إلى الصدرِ الأعظمِ في استانبولَ والتي يشرحُ له فيها الحالةَ التي وصلتْ إليها بقايا العساكر والموظفينَ المدنيينَ العثمانيينَ في اليمن، ويحدّدُ في رسالتهِ رؤويته لإنقاذِ ما يمكنُ انقاذَهُ في هذه المرحلة.

---

(١) كتيبة الحكمة، ٤١، عمدة القارىء، ٣٧-٣٨. (٢) كتيبة الحكمة، ٢٩.

الفصل الثالث

محمود نديم ومحاولات اضعاف جبهة الإمام

أرسلَ محمود نـديم رسالتيهِ إلى كل من الصدرِ الأعظمِ في استـانبولَ وقُنصلِ الـولاياتِ المتحـدةِ في ٣ مايـو ١٩٢٠م، يطلبُ وجوبَ المسـاعدةِ والعـونِ من الأولِ وفضيلةَ نقلِ الرسالةِ من الثاني.

وكانَ محمـودَ نديم قد انتهز منـاسبةَ عزمِ بعضِ الضبـاطِ على إخلاءِ اليمن بـرفقةِ رئيـس الأركانِ، والقـائدِ العـامِّ في اليمنِ أحمدَ تـوفيقِ باشـا، فطلبَ إليـه ايصالَ الرسالتين إلى قنصل الولايات المتحدة في عدن لبعثها إلى استانبولَ.

وقد جاءَ في رسالةِ محمودِ نديمٍ إلى قنصلِ الولايات المتحدةِ في عدن ما يلي:

ولاية اليمنِ
٣ مايو ١٩٢٠م

من : سيادة: محمود نديم، والي اليمن
إلى : سعادةِ قنصلِ الولايات المتحدة في عدن

صاحبَ السيادةِ:

يطيبُ لي إبـلاغُ سعـادتكم تطلعنَـا إلى حكـومتكم الموقـرةِ، بأنها نمـوذجٌ للإنسانيـةِ ورسولٌ للحضارةِ في هذه الحربِ الكبرى، فقـدْ أدّت الأمّةُ الأميركيةُ قاطبةً واجبها إزاءَ هذه الكارثـةِ المفجعةِ التي أصابتْ العالمَ، وقدمتْ مساهماتها

للـذين عـانوا من ويـلاتها، وكـانتْ سبباً في إغاثتهم، وليس ثمـةُ من دولـةٍ لم تُصلِهـا المنحَ الكـريمـةَ من حكـومتكـم، فأنقـذَتْ الملايينَ من بـراثنِ المرضِ والجوعِ، فـاستحقتْ الحكـومةُ والأمّـةُ الأميركيّـةُ تلكَ السّمعةَ الطيبـةَ، فإنَّ مـا قامتْ به قد سُطرّ بحروفِ المجدِ في تاريخِ الإنسانيةِ والحضارةِ الإنسانية...

إنني لا أبالغُ إذا قلتُ، إنّ جهودهم النبيلـةَّ قد وجهتْ نحوَ الأممِ الشرقية. فأرسلـوا جمعيـاتِ الصليبِ الأحمرِ والبعثـاتِ الخيريـةِ التي أثبتتْ فعـاليتهـا القصوى في كافةِ مناطقِ الشرقِ. فقدْ أنقـذت الكثيرَ من الضحايا الذينَ كادوا يسقطـون في هذه الحروبِ التعيسـةِ. إنَّ هـذه المزايا التي تحدثتُ عنهـا تجعلني أتقـدمُ بطلبي شخصيـاً، وهـو أن تتلطفَ سيـادتُكُم بإرسـالِ طلبنـا المرفقِ إلى البـابِ العـالي في القسطنطينـةِ بأسرع وقتٍ ممكن، والحصـولِ لنـا على الأمـوال الضرورية لإنقاذِ عددٍ كبيرٍ من الرجالِ من الموتِ.

وبقراءةِ طلبنا ستدركونَ الأوضاعَ المأسـاويةَ التي يعاني منها الضباطُ الذينَ تُركوا جـانباً في اليمنِ، والذينَ إذا لم يتلقـوا مساعدةً عاجلةً، فـإنهم سيتعرضونَ للموتِ جـوعاً وعرياً. وفي طلبنـا نتوسلُ السرعةَ في الاستجابـةِ من قبلكم كَرَاعٍ لـلإنسـانيـةِ لإنقاذهم مـن أوضاعهم السيئـةِ، وحتى تكـونـوا سببـاً في تخفيفِ معـاناتهم، فـإذا لم تتمكنوا سيـادتكم من الاستجـابةِ وأنتم تمثلـونَ هذه الأمـة الأميركية، وعنـدكم المؤهلاتُ الكاملةُ لـذلك، فمنْ لديهِ مثلُ هـذه المواصفات غيركم، فواسفاً وعجباً.

في الختامِ، تقبلوا تحياتي، واعتذاري بما أثقلتُ عليكمُ بهذا الطلبِ.

وانما ترانا مجبرينَ على ذلك بسببِ ضغط الظروف والأحوالِ.

محمود نديم
والي اليمن

ويتضحُ من الـرسـالةِ أنّ محمـود نـديم يـرغبُ في جـرِّ الولايـات المتحـدة

للتدخل في معالجة بعض النتائج المترتبة على نتيجةِ الحرب بدوافعَ إنسانيةٍ وحضاريةٍ، وفي ذلك إثارةٌ للتنافسِ البريطانيِّ الأميركي في المنطقةِ، ثمَّ أن الرسالة فيها تخلٍ عن اعتمادِ بريطانيا كوسيطٍ للاتصالِ مع المركزِ في استانبولَ.

أما رسالةُ محمود نديم إلى الصدر الأعظم والتي كانتْ مرفقةَ مع رسالتِهِ إلى قنصلِ الولايات المتحدة في عدن، فقد جاء فيها؛

ولاية اليمن
٣ مايو ١٩٢٠م

من : سيادةِ محمود نديم، والي اليمن
إلى : سيادةِ الباب العالِي، القسطنطينية

صاحب السيادة:

يجولُ بخاطرنا، إنَّه بمجردِ توقفِ الحربِ وتوقيعِ اتفاقيات الهدنة، ستأتي إلينا بعثةٌ، لإنقاذنا من النتائج السيئة جداً للحصارِ المفروض على موانىء اليمن، وتقدمَ الإغاثةَ والعونَ لمن تبقى من ضباطِ العسكرِ والمدنيين الذين عانوا الجوعَ والأذى، وحيثُ أننا قد أصابنا الاحباطُ من وعودكم بتلقي مساعداتكم فقد اتخذنا خطواتٍ عديدةً لتدبير الاتصال بكم تحتَ الظروف القاسية التي نواجهُها، ولكننا لم ننجحْ إلا من خلال ضباطِ هذه القطعة الذين تمكنوا من العودة إلى القسطنطينيةِ، ولا شك لدينا إنهم سيشرحونَ لسيادتكم المعاناة الشديدة التي نعيشها نحنُ وكافة الضباطِ من العسكرِ والموظفين المدنيين، وحالةَ الفقر والجوع التي انحدرنا إليها، والظروف الأليمة التي يصعبُ وصفها ويشقّ تحملها.

وبعد مغادرةِ الضباطِ السابقِ ذكرهم، فإن الأوضاعَ هنا قدْ زادتْ خطورة ولم يعدْ من سبيل للنجاة.

إنَّ الضباط والمدنيين الذين راودتهم فكرةُ الاستسلام كأسرى قد ذهبوا إلى ذلك أملاً بإنقاذ أنفسهم كممثلين للحكومة العلية، وتحملوا بصبرٍ ظروف الفقرِ،

وغدوا يقاسونَ الظروفَ القاسيةَ، وقد لاقى بعضهم الموت نتيجة الجوع والعريِّ، كما أنَّ الكثيرَ منهم يفترشونَ الأرض ويلتحفون السماءَ، وقد باعوا كلَّ ثمينٍ لديهم.

ولم يبقَ شيءٌ يبيعونَـهُ إلا سمعتهم، وأكثـرُ من ذلك، فإنَّ السيداتِ المخدراتِ والتي ما كان للشمسِ أنْ تراهنَّ، أصبحن الآن وأطفالهنَّ جوعى وعرايا فإذا لم تصلْ المعونة والإغاثةُ عاجلاً، فإنهنَّ سيقعنَ في مهاوي المهالك. إنَّ عددَ الضباطِ في اليمنِ ليس قليلاً إلى الدرجة التي تجعلكم تهملونهم وتنسونهم ولا تلقي حكومتهم لهم بالاً.

إنَّ الدورَ الذي لعبوه في هذه الحرب المرعبةِ كان واحداً من أكثر الأعمال مجداً، لقدْ أبانوا عن قوةٍ وشجاعةٍ، رغم أنهم لا يملكونَ المعداتِ، ورغمَ طولِ مدةِ الحصارِ، ونقصِ الموادِ التموينيةِ، فقد واجهوا بجرأةٍ وشجاعةٍ تلكَ الأعدادَ الوفيرة من الإمداداتِ، وحققوا جميعاً انتصارات في المعارك التي خاضوها. فإذا ما أهملتهم حكومتهم بدعوى الصبرِ والتضحيةِ والصمود للحفاظِ على شرفهم وشرفِ حكومتهم حتى الموتِ، فإن هذه خطيئة ومكابرةٌ ونكراناً للجميل.

إن عدداً قليلاً من الضباط والقائمين من هذه القطعة قد أخلوا بصحبة قائد الأركانِ، بينما بقية الهيئة وآخرون، حوالي مئة وكتيبةٍ من المشاة بقوا في صنعاءَ، علاوةً على جماعةٍ من المساكينَ والأراملِ والأيتامِ الخ، قد اختاروا البقاء هنا

إن حياةَ هؤلاء وسمعتهم تعتمـدُ على سمعتكَ ودينكَ، وإنْ وافقتم على موتهم جوعاً أو أن يكونوا ضحيـة القسوةِ، فلن يغفر اللـهُ لكم، وإلا فعليكم الإسراعُ في إرسالِ المساعداتِ التي تصلُ على الأقلِّ إلى عشرين ألف ليرةٍ ببرقيةٍ بواسطةِ القنصلِ الذي قُدِّمت من خلاله هذه الاستغاثةُ.

وخشيـةً من اللـه وخوفـاً من عقابـهِ على التأخيرِ والإهمالِ الذي تبـدونـه، والـذي ستكـونُ عـواقبـهُ مـوتَ المذكـورين من الجوع، أو تعـرضهم لـلأعمالِ المشينةِ. ولا تظنّنَّ أنّ أحداً في اليمنِ سوف يقدمَ بارةً على سبيل الاقتراضِ.

ونحن ننتظرُ منكم الآن، أما ثمن المؤنِ أو رسالةَ الموتِ.

لقد كتبنا هذه الاستغاثةِ بالعربية، وقد أوجبت الضرورة اطلاع واسطة نقلها بالغرضِ الذي كتبت من أجله.

محمود نديم
والي اليمن

والرسالةُ قاطعةٌ في تحديدِ طلباتها، وتوضحُ حالة الضجرِ والمللِ الذي وصلَ إليه محمود نديم، جرّاءَ عدم محاولةِ تركيا إغاثةِ عسكرييها ومدنييها في اليمن، وفيها تقريعٌ للهيئة الحاكمة في القسطنطينية من تنكرهم لبطولاتِ جنودهم في اليمن، بلْ لعلها تلويحٌ بقطع آخر شعرةٍ مع الدولةِ باستانبولَ، لقد طفحَ الكيلُ بمحمودِ نديم من الممارساتِ الرسميةِ للدولةِ العثمانيةِ، ونحنُ لا نعتقدُ بأنَّ الإمامَ يحيى كانَ بعيداً عن هذه الرسالةِ لافي جانبها الرسمي ولا في اختيارِ القنصلِ الأميركيِّ لنقلها.

ولعلنا نرى بأن الرسالة هذه ما كانت إلا اتباعاً لرسالةٍ أخرى كان محمودنديم قد بعثْ بها إلى الصدرِ الأعظمِ في القسطنطينيةِ عن طريق التلغرافِ البريطانيِّ في عدنَ والتي رفعتْ نسخةٌ منها إلى المعاونِ الأولِ للمقيمِ في عدنَ من قبلْ الميجر القائد العام لقواتِ الميدانِ في عدنَ بتاريخ ١٩ حزيران ١٩١٩م وحملتْ الرقم ٢٧١١/ ٢/ .G (سري).

ونعتقد أنَّ هذه الرسالةَ الأخيرةَ، من أوضح الرسائلِ التي تبينُ موقفَ محمود نديم من الهدنةِ وقرار الاستسلام وشروطه، وعلاقاتِ القواتِ العثمانية بحكومةِ الإمامِ ورأيِّ محمودِ نديم في مصداقيةِ الإبلاغاتِ البريطانية عن الهدنةِ والاستسلام، وفيها تفصيلٌ لما كانت عليه أوضاعُ القوات العثمانيةِ في اليمنِ، ومقدارُ المساعداتِ والأموالِ التي قدمت للعساكرِ التركيةِ منحاً وقروضاً ومعوناتُ من أهلِ اليمن للعساكرِ التركيةِ، وقد جاء في هذه الرسالةِ الهامةِ ما يلي:

[illegible]

(C O P Y)

TRANSLATION

The Vilayet of Yemen,

May 3rd, 1920.

From : His Excellency, Mahmood Nadeem, Vali of the Yemen.
To : The Honourable the Consul of the United States at Aden.

Your Excellency:

We beg to inform your honor that we know that your honourable Government has been the model of humanity and the messenger of the civilisation in this great war. The American nation as a whole have made it their duty in these terrible misfortunes which befell the world, to give contributions to the afflicted and sufferers which was the cause of their relief. There is no country which has been deprived of their generous gifts. They have been the cause of saving millions from the evils of diseases and hunger by means of which the glorious American Government and nation have acquired a very high reputation. Their honorable deeds are recorded with the ink of glory in the history of humanity and civilisation. I do not exaggerate, if I say, that their noble efforts have been directed towards the eastern nations. They have sent Red Cross Societies and charitable missions, which have been proved to be of great help in all parts of the eastern country. They have saved from ruination a larger number than those who fell victims in this unfortunate war. This characteristic which

/inspired

رسالة محمود نديم إلى القنصل الاميركي في عدن

inspired you espouse the cause of humanity encouraged us to bother Your Excellency for intervention and for despatching our application herewith enclosed, to the Sublime Porte at Constantinople as soon as possible and to obtain for us money, in order to save large number of men from the death.

On reading the application you will come to know about the calamities which befell the officers who have been left aside in the Yemen. If they do not get an immediate succour, they will be subject to death on account of the existing hunger and nakedness.

Show your haste, oh espousers of humanity, in order to relieve them from misfortune and be the cause of mitigating their sufferings. Should Your Excellency, who is attached to the well known nation, possessing good qualifications, fail to do so, who else would be worthy of such characteristics, else ?

In conclusion please accept our compliments and excuse us for bothering you with this as we are compelled to do so by pressing circumstances and destinies.

Signed/ Mahmood Nadeem,
Vali of the Yemen.

(C O P Y)

TRANSLATION.

The Vilayet of Yemen,

May 3 1920.

From : His Excellency, Mahmood Nadeem, Vali of the Yemen

To : his Excellency, The Sublime Porte, Constantinople.

Your Excellency:

We were under the impression that as soon as the war ceased and the armistice signed, mission will come to us for rescuing us from the great evil consequences of the blockade, and give relief to the remaining military and civil officers, who have been subjected to a state of hunger and harm. As we have been despaired of getting your support, we have adopted several means in order to acquaint you of our distressed circumstances, but we have not succeeded except through the officers of this province who have been able to return to Constantinople. They have no doubt explained to Your Excellency the great sufferings we have been put to, together with all the other civil and military officers and the hunger and poverty we have been reduced to and other pitiful circumstances which are indescribable and intolerable.

After the departure of the said officers, the situation here has become more serious and there are no means of safety.

The officers and officials who thought it degradatory to surrender themselves as prisoners, made up their minds to sacrifice their lives, as representatives of the Sublime Government, and to patiently bear the evils of poverty, have now become subject to a very pitiful circumstances. Some of them died in consequence of hunger and nakedness and many of them are now lying

رسالة محمود نديم إلى الصدر الأعظم باستانبول

lying under the sky and on the ground. They have sold all their precious things, leaving nothing with them to be sold, other than their own reputation, more particularly the purdanashin ladies whose faces were not to be seen by the shining of the day, have now become with their children naked and hungry. If no relief would come to them soon, they would before long fall in the evils of disgrace.

The number of soldiers in Yemen is not a small one so that their government may neglect, forget and throw them away. The part they played in this terrible war is one of the most honorable deeds. They have shown strength while they had no materials and in spite of the long period of the blockade, want of foodstuffs and other necessities, they have boldly faced the large number of their enemies and have all along the battles won victory. If government is neglecting them on account of their patience, sacrifices and steadfastness in preserving their honor and that of their government till they die, it is but a praiseworthy sin and a bad record.

A small party of foociers of this presidency and 5 Kaymakams have left in company of the commander-in-chief while all the staff and other officers and about 150 other officers and battalion of individuals at Sanaa, that is; all the pensioners, widows, orphans, etc. are all still here. Their lives and reputations are dependent on your sense of reputation and religion. Should you agree that they should die of hunger or be in a state of disgrace, God will never forgive you, otherwise hasten in sending your monetary assistance amounting to at least 150,000 by a telegraphic message through the honorable Consul through whom this appeal is submitted. Have regard

/for

for God and fear His punishment for the delay and negligence you have been showing, as the consequence of this will be the death of the above mentioned of hunger or their resortion to disgraceful acts. Do not think that any one in Yemen will give one para on loan.

We are now expecting from you the cost of either foodstuffs or the message of death. We have written this appeal in Arabic, as it is necessary to acquaint the medium with the object for which it has been written.

Signed/ Mahmood Nadeem.
Vali of the Yemen.

رقم ٢٧١١/ ٢/ .G

المقرّ، القواتُ البريةُ، عدنُ

عدنُ، ١٠ يونيو

إلى المعاونِ الأول للمقيم

عدن

مذكرةٌ

تجدونَ بطيه مراسلةً من الوالي السابقِ في اليمن إلى الصدرِ الأعظمِ في القسطنطينية.

الميجر

رئيس أركان القوات البرية

J.M. Stewart

الصدر الأعظم، القسطنطينية

إنَّ تلغرافَ سيادتكم رقم J، المؤرخُ في الأول من مايو ١٩١٨م، والذي تسلمناه في ١٦/ ١٧ مايو ١٩١٨م من خلال قائد القوات البرية البريطانية في الحديدة، والذي طلب فيه بمجرد وصول التلغرافِ إليّ، عليَّ أن أبدأ فوراً بالعودة إلى القسطنطينية، وأنَّ الموظفين الأتراك المقيمين في اليمن سيكونون مستقبلاً تحت إشرافِ القائد البريطاني.

بينما في رسالةِ قائد القواتِ البريةِ المؤرخةِ في ٥ نوفمبر ١٩١٨م، والتي تسلمتُها تنصُّ «إنه طبقاً للبندِ السادس عشر من اتفاقيةِ الهدنةِ المعلنةِ من قبل قيادة القواتِ في عدن، فعلى القطعات العسكرية في اليمن وعسير أن تستسلمَ

لأقرب قيادةٍ تابعةٍ للحلفاءِ وأنّ على الحكومة المدنيةِ أن تخضع لذلك».

وفي ردّي بتاريخ ٣ نوفمبر ٣٣٤ (١٦ نوفمبر ١٩١٨م) فإنّي أشيرُ لعدم تسلّمنا أيّةَ أوامرَ إلى الولايةِ حتى حينهِ من قبل حكومتِنا، إلى جانبِ ذلك، فإنّه ليسَ هناكَ أدنى إشارةٍ في البندِ المذكورِ تتصلُ بإخلاءِ الإدارة المدنيه للحكومةِ.

وإنّ رخاءَ هذا البلدِ وسعادتِهِ مناطةٌ بالكليةِ بسيادةِ الإمامِ، ونحن على كلِّ حالٍ في أمسِ الحاجةِ لمساعدَتِه، وإذا كان مطلوباً منا التوقفُ عن العمل، فمن الضروري الحصول على موافقته أولاً، كما أنّ من حقنا الاتصال بحكومتنا طبقاً لبنود اتفاقية الهدنةِ، وعليه، فقد طلبتُ أن تتخذَ الخطواتُ الضروريةُ لتلقي أوامرَ واضحةً بالشيفرا، تكونُ بالشيفرا المعتمدة بينكم وبين سيادة الإمام، ويلزمُ لذلكَ موظفٌ من لدنْ القسطنطينيةِ، وذلك لضمانِ اطمئنانِ المسؤولينَ والشعبِ الذي أترأسه.

وفي ردّهِ المؤرخُ في ١٨ نوفمبر ١٩١٨، جاءَ فيهِ «إنّ التلغرافاتِ التي تخصُّ البابَ العاليَّ والمتصلةَ بالظروفِ المذكورةِ، كانت ترسلُ سلكياً من خلالِ معالي وزيرِ الحربِ للحكومةِ البريطانية في لندن.

ورغمَ أنّ الوفاءَ بوعدِهِ قدْ طُلِبتْ مراراً من القيادةِ البريطانيةِ في عدن بالتلغرافات التي أرسلتْ ٨/ ٩، ١٨/ ١٩، وفي ٢٣ ديسمبر برقم ٣٣٤، وكذلك منك ومن وزير الداخلية ووزير الحرب بواسطة القيادةِ العسكرية البريطانيةِ المذكورةِ، ولكنْ دونَ تلقي رداً مقنعاً منسجماً مع الحلفاء، مصدقاً من قبل الجمعية الوطنية، قائماً على الشرفِ والكرامةِ، فإنَّ سيادةَ الإمامِ يتوقعُ الإعلانَ الرسميَّ من قبلَ الحكومية التركيةِ بتأكيد مطالبها.

ومن الواضح تماماً، حقُّ الولايةِ، انتظارَ أوامرَ محدودةٍ وموثوقةٍ من القسطنطينيةِ تصلُ عن طريقِ شيفرةِ سيادةِ الإمامِ، في هذا الوقتِ الهامِّ والدقيقِ

مثل ما هو في أهميةِ ودقةِ وصولِ الموظفِ التركي الخاص بالشيفرا، حتى لو كان النصُ الواردُ في اتفاقيةِ الهدنةِ والمتعلقُ بهذا المكانِ قدْ كُتِبَ بواسطةِ الشيفرا السابقة الذكر، ونؤمرُ فيه بالإخلاءِ، ونحصلُ كذلك على موافقةِ سيادةِ الإمامِ. ومع ذلكَ فسيكونُ صعباً على المسئولين في الولايةِ ومراكز الولايات التي تتكون من ٢٤ مقاطعة و٦٠ ناحيةٍ جمعهم من مسافاتٍ تبعُدُ من ٨ــ١٠كم عن الشاطىء وفي ظروف وأوضاع مزريةٍ. مع العلم أنَّ رواتبَ الولاية لم تدفعْ من مدةِ أربعين شهراً، إضافةً إلى تجهيزاتنا السيئة. ولما كنَّا نعاني ظروفاً صعبةً، فقد طلبنا قرضاً لحفظ وتسكينِ الجيشِ، مما غرّقنا في الدين حتى أعناقنا.

وفي ظلِّ هذه الظروفِ، فمن العسيرِ إخلاءُ الولايةِ قبل تسويةِ ديوننا، مع استمرار دوامِ الدائنين في المطالبةِ بديونهم، كما أنّ على سيادة الإمامِ أن يوفرَ ٣٠٠ ألف ليرةٍ للتجار والناس، و١٥٠ ألف ليرةٍ لضرائب الحرب والمديونية. والمسؤولون الموجودونَ حتى هذه اللحظة في صنعاءَ، غيرُ المسؤولين في المراكزِ والحديدةِ وتعزَ يطالبوننا بمبلغٍ يصلُ إلى ٢٠٠ ألفِ ليرةٍ.

وفي ضوءِ هذا الواقعِ، فإننا في حاجةٍ ماسةٍ لتأمين نفقاتِ الرحلةِ، ولذا فإنه من الضروري، وفي جميعِ الأحوالِ، إرسالِ مبعوثٍ خاصٍ من هنالك.

إنَّ المسؤولينَ والأيتامَ والمعوزين الذين يعيشونَ في ظروف غايةٍ في القسوةِ والاضطرابِ أو الذينَ هم غارقونَ في ديونهم، فإنهم لن يتركوا أحراراً ما لم يوفوا ديونهم طبقاً للشروطِ، وقدْ فُهِمَ ذلك من جباتِهم الملحينَ في المطالبةِ بذلك دوماً. وقد أبلغَ ذلكم مراراً ببرقيةٍ مؤرخةٍ في ١٨/ ١٩ ديسمبر رقم ٣٣٤، من خلال القائدِ البريطاني في عدنَ، وبعيدَ ذلكَ أصبحَ معلومٌ أنَّ شيئاً من هذا لم ينجزْ لا لي ولا لسيادةِ الإمامِ فيما يتصلُ بطلبي السابقِ من الحكومةِ التركيّةِ بواسطةِ الكابتنِ عُمَر صوفي أفندي، الذي نزَلَ في ميناءِ الحديدةِ، غير معروفِ الأوصافِ، والذي حملَ كتابَ تعيينهِ من مقرِّ القيادةِ، الفرعِ الأول.

ومن الضروري، في كلِّ الأحوالِ أن يكونَ الإعلانُ الرسميُّ وبالتنسيق مع حلفاءِ الحكومةِ التركيةِ، بواسطةِ الشيفرا المعتمدةِ لسيادةِ الإمام، كما يجبُ أن يُرسلَ الموظفَ التركيَّ المختصَّ لتلقيها وحلِّ رموزها. وبصفتي ممثلِ الحكومةِ التركيّةِ هنا، فإن كان من الضروري والواجب إخلاءُ الولاية والمغادرة، فإنَّ من المهمِّ إرسالَ الموظفِ وإرسالَ الأمرِ بالشيفرا، فقدْ ظلّتْ هذه الأمورُ غامضةً، ولم يبعثْ شيئاً لسيادة الإمام.

وفي ضوءِ ذلكَ، فإرسالُ الأمرِ المناسبِ بالشيفرا لتوضيح المسألةِ سيؤثرُ إيجابياً على الحالةِ، وليس من اللائقِ تركُ المسؤولين والأيتامِ والمدنيين والعسكريينَ وغيرهم من الفقراء يلاقون الجوع والبؤس والعري، وقد عانوا من كافةِ أشكالِ الحرمانِ وهم منذُ سنينَ يتوقعون انتصارَ الحكومةِ التركيةِ، وهم الذين أدّوا واجباتهم، وباعوا مقتنيات بيوتهم لدليلٌ على إخلاصهم ووفائهم. وكُنْتُ قد شرحتُ لكم الظروفَ المشارَ إليها أعلاهُ في تلغرافٍ مراراً منذ ٤ يناير ١٣٣٤، من خلال القائد البريطاني في عدن، والتي ذكرنا لكم فيها بأن المبالغ المذكورة أعلاهُ يجب وبكلِّ الطرق وبإلحاح إرسالها، مثلما هو أساسيٌّ شرحُ وتفصيلُ هذه الحقيقة.

وعليه، ومن خلال طلبي المرسل لكم عبر القيادة العسكرية في عدن، أتوقعُ مساعدةً ومعونةً عاجلةً ذاتَ شأنٍ لمعالجةِ مشاكلنا وأوضاعنا الحالكة السواد.

إنَّ إخلاء اليمنِ من قبل قائد القواتِ قد تسببَ في هيجانِ سكانِ اليمنِ، وباستثناءِ مفوضي المقاطعاتِ الثانية والثالثة الذينَ انضموا إلى الجيش، فإنَّ بقية المسؤولين ما زالوا على رأس أعمالهم كما كانوا سابقاً في المقاطعات والنواحي بفضلِ مساعداتِ وإرشادات سيادة الإمام، الذي كان يدعوهم باستمرارٍ لإظهارِ إخلاصهم والاستمرارِ في خدمةِ الحكومةِ التركية حتى آخر

نفسٍ. وإنهم لن يقبلوا أن يكونوا أسرى، بل سيبقوا في اليمن حتى يحلَّ السلامُ، وإنني أقبلُ إرشاداتِ ونصائح الإمام، وأُشاركَ العساكرَ رأيهم واقتراحاتِهم. وقد بُرهِنَ على ذلكَ من خلالِ رسائِلهم المحفوظةِ في الملفاتِ وبعثت من نواحي تعز، ويافعَ وحضرموت وقيدان ومن القبائلِ والتي تفيدُ بمشاركتِهم التوجهاتِ الوطنيةِ للموظفينَ الأتراكِ.

ورغمَ وعدِ حكومةِ عدنَ بإرسالِ الضباطِ والعائلاتِ والرجالِ الذين استسلموا مع سعيد باشا قبلَ ستةِ شهورٍ، وكذا ضباطِ قادة الوحداتِ والمدنيينَ والعائلاتِ الذين استسلموا مؤخراً، فإنهم ما زالوا في معسكراتِ المضيقِ وعدنَ وكمرانَ التابعةِ لليمن.

ثم إنّ أهلَ اليمنِ وكذا سيادة الإمامِ لا يرغبون في تخليتنا لدقيقة واحدةٍ، إلى أنْ يستردوا ديونهم وقروضهم، والتي تشكلُ مبالغَ كبيرةٍ ومتراكمةٍ عندهم استقرضناها حتى أيامنا الأخيرة.

وعليه، فمن أجلِ الحفاظِ على الجيشِ، وما لم تصلْ لنا أوامرٌ واضحةٌ، وما لمَ يصلنا مندوبٌ من القسطنطينية، فإنّ الموظفين الذين تُركوا في اليمنِ تحت رئاستي لن يُقْدِمُوا على الاستسلامِ ولن يَسيروا ولو خُطوةً واحدةً إلى أقربِ نقطةٍ، وحتى تظلَّ اليمنُ على موالتها للحكومةِ التركيّة، فإنَّ الشعب اليمني يبدي احتراماً خاصاً للمسؤولين أكثر من ذي قبل.

وإنَّ الموظفين البريطانيين، ومنْ أجلِ خداعِ العامةِ ليصبحوا إلى جانبهم ويؤيدونهم، يضغطون على ممن لا حولَ لهمُ في الحديدةِ لإرسالِ المذكراتِ المطبوعةِ لمشايخ القبائلِ يذيعونَ عليهم بأنهم يجرونَ وراءَ السرابِ بتأييدِ الحكومةِ التركيةِ، ولا أملَ لهم، ويعلنونَ بأنهم من أجلِ إنقاذِ الشعبِ من طغيانِ الحكومةِ التركيةِ وظلمها فسيتركون اليمنَ حُرّاً بعدَ إخلاءِ القوات التركية.

ولكنْ وبُعيدَ اتفاقيةِ الهدنةِ قاموا بشكلٍ مفاجيءٍ باحتلالِ الحديدة واللحيةِ وما زالوا فيهما حتى هـذه اللحظة، وهذا فعلٌ مخالفٌ للقانـون الدوليّ ونصوصِ اتفاقيـةِ الهدنةِ، كما أنهم لا زالوا يُواصلـون حصارهم المحكمَ أشدَّ مما كـان أيامَ الحربِ ويحتجزون العسكريينَ والمدنيينَ والعـائلاتِ في المضيقِ وكمرانَ في قيادةِ الكرنتينةِ.

ولما نتلقى رداً على العـديـدِ من المذكـراتِ وإنما أرسلـوا أوامـركَ بصـورةٍ واضحـةٍ ومباشرةٍ وفي الصحـافةِ المصريـةِ والتي وصلتْ إلينا في الأيـام الأخيرةِ ووزعتْ في كلِّ مكـانٍ، وردتْ أبناءٌ تفيـدُ بوقـوعِ مظاهـراتٍ كثيرةٍ جداً تجتـاحُ مصرَ والهندَ تنـادي بضرورةِ التزام الحكـومة البريطـانيةِ بـالوفـاءِ بتعهداتِها التي وقعتْ عليهـا في شروط الهدنة، كما أنَّ السلطـات البريطـانية تفـرضُ رقابـةً على الضبـاط المرافقين لسعيد بـاشـا وتمنعُ وصولَ رسـائلهم التي كتبـوها من عـدن وكمرانَ لعـائلاتِهم وأقاربهم وأصدقائهم الـذين بقوا في صنعاءَ. وكـذلك منعوا الموفدين لاستقصـاء أخبارهم الصحية من إجـراء أيّةِ مقابـلاتٍ معهم، وحظروا على التجـارِ بشكلٍ صارمٍ من الـذهابِ إلى جـدةَ وسواكنَ ومصرارةَ، وكلُّ هـذا أوجد اعتقاداً بعدمِ جدوى وفعاليةِ شروطِ الهدنةِ ولا حتى أوامركم.

وقد أرسلَ سيادةُ الإمام إلى القيادة العسكـرية في عدنَ في مناسباتٍ متعددةٍ استعداده للحفـاظِ على الائتلافِ مع الحكومـةِ التركيةِ شريطةَ أنْ تُبلِغَـهُ بذلك بشيفرته الخاصةِ.

ولذا، فإنَّ تسـويةَ مطـالباتِ سيادةِ الإمـام، وتوفيرِ المبـالغِ المذكورةِ سـابقاً والتي أُسْتلفَتْ كقـروضٍ أو تلكَ الخاصـةِ بضرائب الحربِ (معـونـةِ الحرب)، التي جُبِيَتْ منَ النـاسِ وديـونِ المنتفعينَ والأيتام إلى آخـره، ورواتبِ المسـؤولينَ غيرِ المدفوعـةِ والتي تعينهم على مواجهـةِ حاجـاتِ العيشِ حتى يجدوا وظائفَ جـديدةٍ في المستقبلِ أو تتـوفرَ لهُم ظـروفٌ معيشيةٌ تـؤمّنُ المستقبلَ لهم، ومثلهم

المندوبون، أهلُ الثقةِ والمعروفونَ بإخلاصهم، وكبارِ الموظفين.

كلُّ ذلكَ يجبُ إرسالُهُ مع الوثائقِ الخاصةِ بذلك لطرفي ولسيادةِ الإمامِ على شيفرةِ الإمامِ.

وفي ظلِّ الظروفِ السابقةِ، فإنَّ المندوبين السابقينَ يجبُ أن يتمتّعوا بالصلاحياتِ لمنعِ المسؤولين من التصرفِ الفرديِّ لقبولِ الأسرِ الكريه للمنتصرينَ، لا سيما وإنّهم ملزمينَ بذلك بموجب شريعتهم الدينية، حيثُ تفيدُ جميعُ الوثائقِ والرسائلِ التي أُرسلَتْ من قبل المشايخِ والعُقّالِ بأنهم لنْ يتخلوا عن الحكومةِ التركيةِ ولا عنْ الإمام. وهناكَ يجري اعداد وفد محايد لتحري أي الحكومات يقبلونها وإزاءَ هذه الأسبابِ المعقولةِ المبينةِ أعلاهُ، فإني أُبلغكم «ما لم تصلْ الأوامرُ بالشيفرا والمبعوث الموظف المختص، أُبْلغكُم استحالةَ البدءِ بالإخلاء من أيِّ مكانٍ في اليمنِ حتى يتمَّ تحقيقُ السلام.

محمود نديم

حاكمُ اليمنِ

١٠ مايو ٣٣٥

٢٣ مايو ١٩١٩

والرسالةُ في مضمونها تثيرُ العديدَ من القضايا نجملها بما يلي:

- تحاولُ الرسالةُ توضيحَ التناقضِ والتضاربِ في دقةِ التعليماتِ والأوامرِ التي أُبلغتْ لمحمود نديم عن طريقِ الانجليزِ في عدنَ، وتذهبُ إلى أنّ الأوامرَ أفادتْ بإخلاءِ واستسلامِ القوات العسكرية، وأمّا الإدارةُ المدنية فغيرُ مشمولةٍ في اتفاقية الهدنةِ، وكانتْ هذه المحاوراتُ قد ثارتْ بين القيادةِ العثمانيةِ والولايةِ في اليمنِ من طرفٍ، والقيادةِ البريطانيةِ في عدنَ من الطرفِ الثاني.

- أوضحتْ الرسالةُ حاجةَ العساكرِ والموظفين والمدنيينَ العثمانيينَ في اليمنِ وكذا عائلاتهم وأسرِ الشهداءِ، الأيتامِ لحاجةِ ومساعدةِ الإمامِ، إذْ لا بُدَّ منْ موافقتهِ على أية خطوةٍ تتخذُ بهذا الخصوص.

- أشارتْ الرسالةُ إلى حقِّ ولايةِ اليمن بتلقي الأوامرِ بصورةٍ سريةٍ وواضحةٍ من خلالِ الشيفرةِ الخاصةِ بالإمامِ، وليس من خلالِ مراكزِ التلغرافِ البريطانيةِ، وحيثُ يمكن للأتراكِ الاتصال على شيفرةِ الإمامِ، وذلك بعدَ تعيين موظفٍ عثمانيٍّ خاصٍّ يعرفُ حلَّها في استانبول ثمَّ يسافرُ إلى اليمن لتلقيها على تلغرافِ الإمام، وحلِّها في مقامِ الإمامِ، وتكونُ واضحةً لا لبسَ فيها ولا غموض ولا يتطرقُ الشكُ لعدمِ مصداقيتها.

وتثيرُ الرسالةُ جملة من المصاعبِ التي تحولُ دون تنفيذِ عمليةِ الإخلاءِ المبكرِ للقواتِ التركيةِ حتى لو أرسلَ الموظفَ المختصَّ، ومنْ هذه الصعوباتِ، عدم القدرة على جمعِ العساكرِ والموظفين المدنيينَ والعائلاتِ والأطفالِ من أربع وعشرين مقاطعةٍ وستين ناحيةٍ في زمنٍ قياسيٍّ، وعزمهم للاستسلامِ، وكذا فإنَّ الديونَ المترتبة للإمامِ كقروضٍ ومعوناتٍ جهاديةٍ أثناء الحربِ وديونَ التجارِ والأهالي التي اقترضها العثمانيون على مدى أربعين شهراً، لم تصلْ خلالها أيةُ أموالٍ أو مؤنٍ أو امداداتٍ إلى القواتِ الموجودةِ في اليمن بسببِ حالةِ الحصارِ المفروضةِ على موانىء اليمن إبانَ فترة الحربِ، والتي زادت إحكاماً وتشدداً حتى الوقت الحاضرِ، هذه الأموالُ والمطالبات قد بلغتْ حداً كبيراً، فالأموالُ التي للإمامِ والتجارِ والأهالي بلغتْ أكثر من ٦٥٠ ألف ليرةٍ، علاوةً على نفقاتِ ومصاريفِ رحلةِ العودة، ورواتب الموظفين، وكلها تحول دون عودتهم ما لم تسددْ تلكَ الديونُ.

تعودُ الرسالةُ للتأكيدِ على ضرورةِ صدورِ أوامر الإخلاء بالتنسيقِ مع الدول الحليفة لتركيا وأن تكونَ مصدقةً من قبل الجمعية الوطنية التركية لتكتسب

الصفة القانونية الملزمة.

- تشير الرسـالةُ إلى قلـةِ عددِ الـذين استجـابوا لـدعوات الاستسـلام وعزوفِ الكثيرينَ عنْ هذا الفعل الكريه، وتشيدُ بالدعمِ والترحيبِ الذي لاقاه هؤلاء الـذين رفضـوا الاستسـلامَ والـوقـوعَ بـالأسر من قبـل أهلِ اليمنِ، ومن قبل حكومةِ الإمامِ، وتصفُ الرسالةُ حالةَ الهوانِ والذلِ والمعاملةِ الفظةِ والأوضاعِ الصحيةِ السيئـةِ التي يعاني منها أولئكَ الـذين استسلموا وما زالـوا محتجزينَ في مضيق عدن وفي كمَران وعدن في مراكز الكرنتينة.

- أوضحتْ الرسـالةُ موقفَ الضبـاطِ والمسؤولينَ الذين اختاروا البقـاءَ، وفضلوا الـدفـاعَ حتى آخـر نفسٍ لحفظِ شرفهم وشرفِ الحكـومةِ التركيـةِ، والأهـالي يـدعمونَ التـوجهـاتِ الـوطنية لهؤلاء وغير راغبين في التخلي عـن الحكومـةِ التركية ولو للحظةٍ واحدةٍ.

- تخبرُ الـرسـالةُ بـالممارسـاتِ البريطـانيـةِ بحقِّ الـذين استجـابوا، وبـالتعبئـة البريطـانيةِ القـائمـةِ على خداعِ أهـالي الحديـدة واللحيـةِ الذين وقعـوا تحت الاحتـلال البريطاني بعـد تـوقيعِ اتفاقيـة الهدنة، وكـان هـذا الاحتلال مكـراً وخديعةً ومخالفاً لكلِّ الأعرافِ والتقاليـدِ والقوانين الدولية. ويوهمونَ الناسَ، بأنهم مـا جـاءوا إلى الحديـدةِ واللحيـة إلا لتخليصِ اليمنَ من بـراثنِ المظـالم التركية، وإنهم سيتركون أهلَ اليمن أحراراً ولكنْ بعـد إخلاء العساكرِ التركية من اليمن.

- أوحتْ الرسالـةُ إلى الصدر الأعظم بأنَّ هيجاناً وثـوارناً يتأججُ في مصر والهندِ بسبب التعسفِ البريطاني ضـد العساكر التركيـة، وسوءِ الأفعال البريطـانية المخالفة لبنودِ اتفاقيةِ الهدنـة، ثمَّ إنَّ هناك حالةً من الهيجانِ في اليمن بسبب احتلال الحديدة واللحية.

- وتبلغ الرسالة الصدر الأعظم بأنَّ الإمامَ يحيى قدْ خابر القيادة البريطانية استعداده بالالتزام بما اتفقَ عليه بين الأتراكِ والانجليز، ولكنْ بعد تسلمه هو مباشرةً الأوامرَ المرسلةَ للقياداتِ التركية في اليمن عن طريقِ الاتصال المباشرِ به من خلالِ شيفرته الخاصة وليس عن طريق التبليغات الانجليزية.

- ويطلبُ محمود نديم ضرورةَ إلغاء الأوامرِ السابقةِ التي تقتضي بحرية التصرف المنفردِ من قِبل الضباط والموظفين بشأنِ الاستلام دون الالتفات للتعليمات والأوامر السابقة التي تقتضي الالتزامَ بأوامرِ القيادات العليا، ومن ثمَّ منح تلك القيادات صلاحية منع الاستسلام حتى التأكد من سلامة العساكرِ والموظفين وعدم وقوعهم في الأسر، وهذا لن يتحقق إلا عندما يحلُّ السلامُ بعد عقد مؤتمر الصلحِ فيما بعد.

- وتحملُ الرسالةُ المطالبَ مرةً أخرى من ديونٍ ورواتبٍ ومعوناتٍ ومؤنٍ وبدونها فلا استجابةَ لأية أوامرَ إلا بعد وصول المبعوث، الموظف المختص بالشيفرا واستقبال الشيفرا على تلغرافات الإمام دون سواه.

- لقد كانتْ الرسالة صارمة في أسلوبها، وتنذر القسطنطينية بعدم الالتزام بأوامر المركز في استانبول إلا وفق ما تراه الأوضح والأسلمَ.

S E C R E T.

No.2711/2.G.

Headquarters,Aden Field Force,

Aden.....10th....June....1919.

To,

The First Assistant Resident,

A D E N.

MEMORANDUM.

Herewith copy of communication from the ex Vali of the Yemen to the Grand Vizier at Constantinople.

H. G. Grant

Major,

12/6

General Staff,Aden Field Force...

12.6

أهم رسالة بعث بها محمود نديم إلى الصدر الأعظم في القسطنطينية

COPY.

26-5-19.

To,

The Grand Vizior, Constantinople.

Your Excellency's telegram of 31st May 1918, received on 16/17th May 1918, through the British Commandant of Hodeida of G.O.Commanding A.F.F. in which it was ordered that on the arrival of the telegram, I must at once start, for returning to Constantinople, and the Turkish Employees, staying at Yemen, will, in future, be under the control of the General, to the British Government. Whereas, in the letter of G.O.Commanding A.F.F. of 5th November, 1918, received by me, it was stated that in accordance with the Clause 16 of the Armistice, announced by the G.O.Commanding Aden, the Garrisons at Yemen, and Asir should surrender to the nearest Allied Commandants, and the Civilian Government should be subject to this.

In my reply of 3rd November, 334 (16th Nov. 1918) I stated that no order has come until now to the Vilayet from my own Government, and besides this, there was not a slightest sign in the said Clause, to the effect of the evacuation of the Civilian Government, and that the prosperities of this place, is entirely in the hands of His Excellency the Iman, and we are, in every way, in need of his assistance, and if it was required to retire, it would be necessary to obtain his consent firstly; and as it was our right to communicate with our Government, by the Clause of the Armistice, I hade requested, that the necessary steps should be taken to get a distinct order in the cipher, existing between you and His Excellency the Iman, and that a Turkish Employée should be asked from Constantinople, for the convenience of all the officials, and people, headed by me. In his reply of 18th November 1918, it was stated that the telegrams concerning the Sublime Porte, containing the said circumstances, have been wired through the Minister of War, of His Highness, The British Government at London; Although the fulfilment of his promises, were repeatedly requested from the G.O.Aden, by the telegrams of 8/9th., 18/19th., and 23rd December, 334 and so from you, and from Minister of Interior and Minister of War, through the said G.O. but received not a satisfactory reply in accordance with the alliance, certified by the National Committee, and based upon the honour and dignity, His Excellency the Iman is expecting the official announcement by the Turkish Government for the assurance of their claims.

It is quite evident, that the right of the Vilayet is to expect a definite, and in every way trustworthy order from Constantinople, in the Cipher of His Excellency the Iman, in this important and delicate time as well the arrival of the special Employe. And if ever the clause of the Armistice, relating to this place is written to us with the above cipher, ordering our evacuation and to start as well as obtaining the consent of His Excellency the Iman, yet it will be difficult that officials in Vilayet, and the central Vilayets, consisting of 34 Districts, and 60 Nahiehs, to descend from a distance of 8,10 days to the shore, in a miserable condition, owing to the fact that the Vilayet officials' salaries are outstanding for 40 months, and owing to the badly requirements, we are all undergoing up to date, and as we made a loan for the secure and maintain of the Army, and thus we got into debts until our throats.

Under this circumstances, it will be difficult to start from Vilayet, before settling our debts, owing to the certain rush of the creditors upon us. Besides this, His Excellency the Iman, has to secure over £300,000, the merchan--ts and the people, have to receive, £150,000 for the Taxes of the War and loan, and the officials, who are to-day at Sana excluding Central, Hodeidah, Taiz Livas claim amounting to £300,000. Under these circumstances, it is badly necessary to secure the voyage expenses et. And it is in anyway necessary to send a special employe from there. The officials, orphans and pensioners who are suffocated extremely in the misery, and trouble and who are also extremely choked in debts, will not be left free by the conditions, unless they settle up their debts. This is understood from their constantly appliances, made from now in a strict way. This was repeatedly informed to you by my telegram of 18/19th December, 334, through the G.O. Commanding Aden. Soon after this, it is understood that nothing was intimated, neither to me, nor to His Excellency the Iman regarding my previous request, from the Turkish Government, by one Captain Omer Suphi Eff. who was landed at Hodeidah Port, whose description was unknown, and who was bearing the appointment of Headquarters, 1st Branch. In compliance with the alliance, of the Turkish Government, it is in any way, necessary, that the official announcement in His Excellency the Iman's cipher should be sent, as well as sending an Employe. As I am being the representatime of the Turkish Govt. here, and if it has become necessary to evacuate the Vilayet and to retire, it would be necessary to send the Employe, as well as sending us the order in cipher. Whereas all these points were left dark. Also nothing has been sent to His Excellency the Iman. Under these circumstances the suitable order in cipher explaining the case, will nicely effect the circumstances. Also it will not be proper to leave the officials, orphans and the civilian and military pensioners, and other poor people, in such a miserable, hungry and naked condition, who have suffered every deprivations ~~six~~ since years, expecting the victory of the Turkish Government and who have performed their duties more than necessary, and their faithfulness and sincereness by selling their house articles.

The above circumstances were sent to you by my telegram repeatedly of 4th January 1334, through the G.O. Commanding, Aden, stating that the said sums should in any way and pressingly sent, as well explaining the fact. Therefore, upom my requests, sent to you, through the G.O. Aden I am expecting a pressing trustworthy help and aid to cure our severe trouble and dark position. The evacuation of Yemen by Corps Commander, has caused the serious effect on the inhabitants of Yemen. With the exception of 2.3 District Commissioners who have joined the Army the rest of the officials are in their duties as before at the districts and Nahoihs by the assistance and guidance of His Excellency the Iman, who are insistingly propose to show their faithful-ness and services to the Turkish Government, until the last breath, and they will never accept to be prisoners, and that they will stay at Yemen until the peace. I also accept and join this proposal. Even it is proved by the letters which have former files, of Yafi, Hidir-Month and Novahi Tina, Guiders and tribes, that they will join the patriotic intentions of the Turkish Employes.

3.

Although the Aden Government had promised to send the officers, Families and men, surrendered with Said Pasha, 6 months ago, as well as the Corps Commander officers, civilians and Families, who have lately surrendered, they are still under the pressure at Isthmus, Aden, Kamaran Camps which are belonging to Yemen. The inhabitants of Yemen who are not willing to part even one minute from our own Government, as well as from His Excellency the Iman, unless settling up their debts, amounting to enormous total to the people, as well as the loan made until the last days, for the upkeep of the Army and unless the arrival of a distinct order, as well as the delegates from Constanti - nople, all the Turkish Employes left at Yemen, headed by me, will not march a pace even to the nearest point.

In order to secure Yemen, to be under the Turkish Government, the people are showing special respects to the officials, more than before. The British Employes, in order to deceive the public views, to wish a warrant in their favour, by pressing some helpless people, at Hodeidah; Their sending printed Memorandums to the tribes, and Mentaiks of Yemen, telling them that they are not following any hope, but as if to save the people from the atrocity of the ottoman Government, as although they had declared and published that after the evacuation of Turkish Forces, they would leave Yemen as free; as soon after the Armistice, their suddenly occupying, until now, Hodeidah, and Louhia, contrary to the International Law and the Armistice terms; and they are keeping the blockade more strictly than being in war time; and the Military, civilian and families, who were taken by them, are being kept, as aforesaid stated, under pressure at Isthmus, and Kamaran quarantine quarters, and no reply is being sent to many notices, but sending this your order in clear and direct; and in the English papers published at Egypt, which came in our possession in the last days, and being declared and presented everywhere, states that a very big revolutions are prevailing in Egypt and India, and as the British Government has accepted the peace terms, she is being forced by all the Great Powers to sign it; and the prohibition of sending letters, even subjected to censor, by the officers, accompanied Said Pasha, and by the officers, civilians and others, who have lately started from Aden and Kamaran, belonging to Yemen to their families, relations and friends, left at Sanaa; and those who want to bring the news of the officers health at Aden are being disallowed not only to interview them, but to come in contact with them, and they are being strictly prohibited; and even they are preventing the merchants to go to Djeda, Sovakina and Mougara; have caused here the belief to the ill-health of the Armistice terms, and of your order. His Excellency the Iman has wired to G.O.Comm -anding Aden, on different dates, stating that he is prepared to keep the terms of the alliance, and that he ought to be informed by the Turkish Government in his own ciphers.

Therefore, in order to settle up the claims of His Excellency the Iman as well as of the aforesaid sum, being taken on loan and as taxes of war from the people; debts of Pensioners, orphans etc; the outstanding salaries of the officials enabling them to live on until to obtain fresh appointments in future or until to find a livelihood adouring their futures; a well known and trustworthy delegates, composed of high ranks, bearing the sufficient necessary sums, should be sent with the concerning documents to me and to His Excellency the Iman, in His Excellency the Imans cipher.

4.

Under the above circumstances, the said delegates shoul have the power to facilitate the officials freedom, as they never accept the hateful prisonment being victorious here, and being not obliged to undergo this, by their religion of service; and as all the documents are being kept, sent in by all the Meshaiks and wise people, to the effect that they will not part from the Turkish Govt. and His Excellency the Iman, an another separate delegates to be sent to discover the fact that under which Govt. rule they are desirous to accept. Under the reasonable reasons as laid down, if my suggestions are not acceded to, and if no orders in cipher are being sent by the t delegates, I inform you that it will be impossible to star anywhere else from Yemen, until the peace is concluded.

Sd. Mahmoud Nedim,

Governonr of Yemen.

10th May. 335.
23rd May 1919.

الفصل الرابع

الإدارة المدنية لحكومةِ الإمام

حرصَ مؤرّخنـا عبدالكريم بن أحمد مظهر على ذكـرِ التعييناتِ التي تصدرُ عن المقامِ الإمامي (مقـر الدولة) في كتابةِ «كتيبةُ الحكمةِ» وقـد نسجَ على منوالهِ يحيى الحدّاد في عمـدةِ القـارىء، وكـذا أحمدُ بنُ عبـدالله الجنـداري في الـدرة المنتقاة. وقـد حاولنـا قدر جهدنـا التقاط هـذه التعييناتِ وتصنيفهـا في جداولَ ليسهلَ على القـارىءِ والباحثِ، النظـرَ فيها وتحليلها، وذلـك لوضع إطـارٍ عام للجهازِ الإداري من حيثُ مـوجباتُ التعيين ونوعية المتولين لهذه الـوظائف من حيث الكفاءةُ وعدمها، وتوصيفُ الوظائف والمهامِ الموكلة إليهم.

ويتضحُ مـن قـراءة الجدول المرفـقِ أن الشكل العـــام لـــلإدارة في زمنِ العثمانيين استمر معمـولاً به في دولةِ الإمـام مع تغييراتٍ في المسمياتِ، و إلحاقِ أو انقاصٍ للصلاحياتِ المخولةِ إلى أحدِ المكَلفين بالوظيفة.

بقيت اليمنُ مقسمـةً إدارياً إلى ألـويـةٍ تتبعهـا أقضيـةٌ، والأقضيـةُ تتبعهـا النواحي فـالوحـدةُ الإداريةُ هي النـاحية ومجمـوعُ النواحي يتشكلُ منـه القضاءُ ومجموع الأقضية تكـونُ اللواءَ وقد استبدلَ سنجـاغي باللواء والقضـاء والنـاحية بقيت كما هي. ومع ذلك فتورد المخطوطات المعاصرةُ مصطلحَ الجهة والمخلاف في التصنيف الإداري أمـا العزلُ فلم يـردُ لها ذكـرٌ في مخطوطـاتنـا التي ندرسهـا، ويبدو أن مقـرّ الدولةِ كـان في السنواتِ الثلاثِ التي أعقبتْ انتقـال الإمام إلى صنعاءَ وتوليه أمورَ الدولـةِ بعد انحصار ظلِّ الدولةِ العثمانيةِ من اليمنِ، محدوداً في موظفيـه ودوائره، وقد اتخذت عـدداً من المباني المتـواضعةِ كـدوائر لتصريفِ الأعمالِ، إذْ كانَ الاهتمامُ منصرفـاً إلى تكوينَ الجيشِ وتـوفير احتياجـاته، فـالمقرُّ الرسمي للدولةِ اكتملَ بناؤه سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م ومنْ ثمَّ نقلتْ إليه دوائر الدولـة، مثلُ دائرة المحاسبـة ودائرة مأمـوري التلغراف ودواوينِ عكفـةِ الإمام،

ونقل إليها المعاونون، بل وجلبت لها آلاتُ الاضاءةِ من جيبوتي، ومدَّتْ في الدار السعيدةِ، دار العزِّ، أسلاكُ النورِ إلى كلِّ مكانٍ في الدارِ وإلى مجالسِ المقامِ وسائرِ ملحقاتها[1]، ولكنْ كيف نظمت الإدارة قبيلَ ذلك:

أعادَ الإمامُ يحيى العمل بنظامِ الإدارةِ الإسلامية، وألغى القوانين التي كانت قدْ طبقها العثمانيون بموجب قوانين الولايات ومجلة الأحكام العدلية، فكان يصدرُ أوامرَهُ بتعيينِ الأمراءِ والعمالِ والمأمورينَ والقضاةِ والحكامِ والكتابِ

ففي الألويةِ عينَ لها الأمراءَ والحكامَ (القضاةَ)، ورؤساء الماليةِ والكتابَ وفي الأقضية، عينَّ لها، العمالَ والقضاةَ (الحكام) والمتولينَ لإدارة المالِ والكتابَ والمأمورين، وقريباً من ذلك في النواحي.

ويلاحظ أنَّ الإمامَ قد اعتمدَ في إدارته في المركز على مجموعةٍ من النوابِ المعاونين، القضاةِ وفئةٍ من القضاةِ المنشين، وفئةٍ من الكتابِ، ممن يلازمونَ المقرَّ (المقام الشريفَ)، ويشرفونَ على انتظامِ مصالحِ الجمهورِ، ولكنْ بعدَ عرضِ كلِّ الأمورِ على الإمامِ لأخذِ رأيه وإصدارِ الأوامرِ والتعليمات المناسبة، وكان هؤلاء بمثابةِ دوائر مجلس الوزراء في زماننا دونَ إطلاقِ التسمية عليهم، فالوزارةُ معنويةٌ في مثلِ هذه الحالة.

ففي المقام: كان يتولى الإشرافَ على شئون القصر (المقام) أميرٌ عهدت له إمارةُ القصرِ وإدارة شئونه الداخلية من تنظيمٍ واحتياجاتٍ، يلحقُ به جماعةٌ من المعاونين والخدمة.

ثم المعاونون للخدماتِ والكتابة والاستشارة، وكان لرئيس محكمة الاستئناف، والأعضاء، مثل الحاكمِ الأول في صنعاء والحاكم الثاني، وشيخ

---

(١) كتيبة الحكمة ٢٤١.

الإسلام، وغيرهم مكانتهم في مركزية القرار الذي يصدر عن المقامِ أو القصرِ.

وكانتْ جميع التعيينات الإدارية لا بدَّ وأن تصدرَ عن الإمام مباشرةً بعد موافقةِ النوابِ المعاونين وأمراءِ الألويةِ، لا سيما وإنْ كانوا ممن أطلقَ عليهم السيوفُ، وكانوا على الأغلبَ من الهاشميين والأشرافِ والسادة وكبارِ المقادمةِ وبعض شيوخِ القبائلِ الذين أظهروا مصابرةً وجلاداً في معاركِ الجهادِ، ففي النواحي يعينُ العاملُ والقاضي أو الحاكمُ والذي أطلقَ عليه في الكتابات اليمانية: «حكومةُ ناحية» و«مأمورُ المال» و«كاتب العامل» وفي الأقضيةِ يعينُ بالإضافة إلى ما ذكرَ، المفتيُ أحياناً، إذ عينَ القاضي أبا بكرٍ بن علي الحدادِ سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م مفتياً في قضاءِ إب، ولعلَّ مهمته في الدرجة الأولى الإفتاءُ في الأمورِ الماليةِ مثلِ شرعيةِ الاجراءات المتخذةِ في تحصيل الواجباتِ، وقضايا ومصالحِ الوقفِ.

إلا أنَّ هذا التنظيمَ لا يغدو ذال بالٍ في الظروفِ والأحوالِ الطارئةِ، وخاصة عند وقوع الثورات والتمرداتِ والفتنِ التي يترتبُ عليها نبذُ الطاعةِ والخروج على دولةِ الإمامِ، وعندها قد تضمُّ نواحي وأقضيةٌ إلى أخرى ويوكلُ أمرَ الحكومةِ والعمالِ والماليةِ والواجباتِ وحتى إمارةِ الجندِ وإمارةِ اللواءِ لشخصيةٍ واحدةٍ، بحيثُ تبدو الإدارة وكأنها مركزيةٌ صارمةٌ.

فعُمّالة حجور اليمن والشرفين وباقي اليمن الأعلى وجميع اليمن الأسفل، ما عدا الأطرافَ النائية أُسندتْ سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م إلى محمد بن عبدالله جحافٍ، وتولى عليُّ بنُ يحيى بن عليّ العتمي، زميلُ الإمام في الدراسةِ، قبائلَ الشرفين سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م وكانَ يتولّى عن الإمامِ أكثر وظائف الحكومةِ. وأحمدُ بن عليٍّ بن عبدالجبارِ (الباشا)، تولّى عمالةَ تعزَ وملحقاتها وبلادَ العدينِ في صفر ١٣٣٧هـ، وعبدالرحمن بن علي الحداد تولى القضاءَ والإشرافَ على كافةِ اللواءِ التعزيِّ في نفسِ السّنةِ ومحمدُ بن أحمد الوزيرِ، اسندَ إليه عمالةُ وصابِ

العاليّ والإشرافُ على واجباتِ وصابِ السافلِ سنة ١٣٣٧هـ.

ويظهر نموذج عدمَ الاستقرارِ الإداري في القماعـرةِ ومخاليف الحجرية، فقد كانت تضافُ مخاليفُ كانت في الأصل لا تلحقُ بـا لمنطقة لتكبير الولاية، فحين وليَ محمـد بن نـاصر مقبل أكبرُ الشيـوخِ في المنطقـةِ سنـة ١٣٣٧هــ، شملتْ عمالته، القماعـرة ومخاليف من الحجرية ومخاليفَ من صُهْبَـان ومخاليفَ من بلادِ قعطبةِ والحشا، وحينَ توفي أُسنِدَتْ عمالةُ القماعرةِ سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م إلى ابن أخيه قايد بن صالحٍ.

وكنمـوذج آخـرِ لعدم الاستقـرارِ الإداري بسبب اضطـراب حبل الأمن في المنطقة، نذكرُ أنّ عمالة قضاء حرازِ جمعيه بما فيه صعفانُ وناحية الحُجّيلة تولاها أوائل ربيعِ الأول سنة ١٣٣٧هـ، عليٌّ بن عبدالله الأكوع، لإصلاح أحوالها بعد تمرداتِ الباطنيـة فيها ثم في مرحلـة لاحقةِ سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م تـولّى عمالةَ صعفانَ وحدها

وتـول أمورَ الجنـدْ على الناحيـةِ، عباسُ بن عليٍّ بن أحمدَ بن اسحق، ومثلـه قضاء رداعٍ، فقد عين لها عاملٌ وحكومـةٌ حتى إذا ما اضطربَ حبلُ الأمنِ فيها، وغدا الاستقرار مهتـزاً، عُهدَ بنظرِ أعمالِ الجهةِ الرداعيةِ وواجبـاتها وحكومتها في أواخر سنـة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٠م إلى قاسم الـوجيهِ. وفي السنة التـالية، فصلتْ إدارةُ الأموال في الجهة الرداعيةِ وتولاها محمد بن لطف السرحي.

ويلاحظ أنَّ هناكَ جملـةً من الأمور كانت تراعى في التعيينـاتِ، مثل مكانة متـولّي الوظيفـة الاجتماعية والعلميـةِ فقد أُسنـدَت الوظـائف إلى سادةٍ وقضـاةٍ وشيوخِ قبائل وفقهاءَ ومقدمينَ نقباءَ وسيـوفٍ، ولوحظ شرط قبولِ أهالي المنطقةِ بمن يعين عليه(١)، ولو اقتضى الأمـرُ تعيينَ شخصيةٍ ذاتِ صلةِ قربىِ بـالعامل السابقِ المتوفى، فقـد عينَ السيدُ محمد الكبيرُ بن النهاري خلفـاً لمحمود النهاري لعمالة ناحيـة الجعفرية، وعين قايد بن صالحِ مقبلٍ خلفـاً لعمه الشيخ محمدٍ بن

ناصرِ مقبلِ على عمالـة القماعـرة، وأعادَ الإمـامُ تعيينَ حسن بن عبدالـوهـاب الـوريث سنــة ١٣٣٩هــ/ ١٩١٩م على حكـومــةِ القماعـرةِ والإشرافِ على واجباتـه لما عرفَ عنه من نـزاهةٍ وعدالةٍ وقـربه من الناس وإشـادتهم بتقواه، بل إنـه أبقى أحمد بن عبدالـرحمن بن حسن الأنبـاري على حكومـة زبيـد منذ سنـة ١٣٣٧هــ وحتى وفاتـه سنة ١٣٦٦هــ، لأنَّ سيرتَهُ كـانت محمودةً بين النـاس وإحكامَهُ منظماً تنظيماً فائقاً، وكتابته للقضايا تتصفُ بحسن السبّكِ والدقةِ.

كما حـرصَ الإمـامُ يحيى على تعيين القضـاةِ في المنـاطقِ من فقهـاءَ وقضـاةِ المذهبِ نفسهِ، فالمناطقُ التي يسكنهـا الشوافعُ، عينَّ عليهم قضاةً من الشوافع وحتى عمالَ ومأموري أموال وكتـابِ المنطقة من الشوافعِ، وكنَّا سابقـا قد أشرنا إلى اختيـاراتِ الإمامِ يحيـى الفقهيةِ التي ألـزمَ القضـاةَ على العملِ بها، وهي كما بيناه سابقاً اجتهادٌ أُخِـذَ من كلِّ المذاهبِ الإسلاميةِ دونَ اقتصارها على المذهبِ الزيدي مثلاً.

أمّـا بلادُ صعـدةَ وجهـاتها، رازح والسنارةِ وسـاقينَ وبنـو جماعة فقـد عُين لإدارتها ناظرٌ، وأُسندتْ في أغلبِ الأحيانِ لأحدِ السيوفِ، باعتبارها معقلاً هاماً من معاقلِ الـزيديـة، وهجرةٍ قديمـةٍ من هجرِ العلمِ، ولـوحظَ أنّ مناطقَ رازحِ والسنارةِ وساقينَ والتي قـد عينَ الإمامُ لكلّ واحدةٍ منها نـاظرٌ طلب إليه، تلقي الأوامـر، بمـراجعة أحـد سيـوف الإسـلام، وهو محمـدٌ بن الإمـامَ الهادي شرف الدينِ، وكانَ ذلكَ خلال السنـواتِ ١٣٣٨هـ، ١٣٣٩هـ، حين أصاب المنطقة الشقاق بسبب حركة الداعي حسن بن يحيى الضحياني قبل عشر سنوات.

أما الإدارةُ الماليةُ للإمامِ يحيى فكان يحكمها مقولةٌ للإمام يحيى.

«منْ شروطِ السخاءِ وضعُ الحقـوقِ في موضِعها وليس بـالتبذير» ولـذا فقدْ اتخذَ بيت مـالٍ، له وكيلٌ لبيتِ المالِ، يـراقبُ مـواردَ بيت المالِ ومصارفـهُ ودائرةَ

(١) انظر كتيبة الحكمة، ٢٧٦.

المحاسبة، ومأموري الأموالِ في الالويـه والأقضيةِ والنواحي يقومونَ على تحصيلِ الواجباتِ من المكلفين والتي تشمل:

أعشـارِ الأراضي وتـدفعُ عينـاً، وكـذا المخضرات أيّ الثمار، والقـاتَ يثمنُ فيـدفعُ أصحـابها العشرَ نقـداً. وزكـاةَ المواشي والـدواجنَ والقـراشَ، وزكـاةَ التجارةِ، وزكـاةَ الفطرِ وزكاة حليِّ النساءِ من ذهـبٍ وفضةٍ، ومعونةَ الجهـادِ عند الحاجةِ، والجزيـةَ المفروضةَ على أهل الـذمةِ، إضافـة إلى واردات الجمارك ورسوم مرور القوافل.

وكـان بيتُ المالِ يخضعُ للرقـابةِ المبـاشرةِ والدقيقـةِ من قبل الإمام، وكـان صارمـاً في معاقبـةِ كل من يحاولُ التعدي على أمـوالِ بيت المالِ، فلا تصـلُ إليه اليد الآثمة.

وكان لا يستثني أحداً من المحاسبةِ والتـدقيقِ، وعذرُهُ إنه يبني دولةً تحيطُ به الأخطارُ من كلِّ جانبٍ، دولـةً لا تجدُ العونَ إلا باعتمادها على مواردهـا الذاتية، سيما وإن النفقـاتِ والاحتياجـات للسلاحِ والـذخيرة والتمـوين ورعايـةِ العلم وأهلِهِ والانفـاقِ على الضعفاءِ والمساكين والأيتامِ والجنـود وغيرهم تطلب أموالاً هائلة مع قلة الموارد الطبيعية من ثـرواتٍ معدنيةٍ وتعطلُ التجارةُ بسبب الحصارِ والتضييقِ الاقتصادي لإجباره على القبول بما يعرضه عليه الفرنجةُ للاتفاق.

وقد كتب الإمام يحيى إلى القاضي حسن العريض جواباً منه:

مـــا مقصـــدي سلمى ولا ليلى ولا	هنـــد ولا أنـــا للهـــوى مغـــراً بـــه
كـــلا ولا للعـــود أهـــوى لحنـــه	يـــومـــاً ولا للـــراح مشغـــوفـــاً بـــه
أيضـــــاً ولا للمال أطلب جمعـــــه	قـــد مـــال عن قـــارون بل أوذى بـــه

والجدول المرفقُ يبين التعييناتِ للـوظائفِ الإدارية التي صـدرتْ عن المقامِ الإماميِّ بين السنواتِ ١٣٣٧هـ - وحتى منتصفِ سنة ١٣٤١هـ.

أعمال تعز وملحقاتها وبلاد العدين	٢٧ صفر ١٣٣٧هـ	أحمد بن علي بن عبد الجبار (الباشا)
القضاء والاشراف على كافة اللواء التعزي	٢٧ صفر ١٣٣٧هـ	عبد الرحمن بن علي الحداد
عامل قضاء إب وجهاته	٢٧ صفر ١٣٣٧هـ	إسماعيل بن محمد باسلامة
قائم بأعمال النادرة وتوابعها مخلاف الشعر وعمار مديده إلى مخلاف العَوْد وضمه إليه	قبل ٢٧ صفر ١٣٣٧هـ بعد رجب ١٣٣٧	يحيى بن محمد بن عباس بن الإمام (أمير الجيش)
عامل حراز في القضاء جميعه بما فيه صعفانَ وناحية الحجيلة	أوائل شهر ربيع الأول ١٣٣٧	علي بن عبدالله الأكوع
إمارة القصر السعيد	حتى ربيع الأول ١٣٣٧هـ	عبدالله بن أحمد الوزير
إمارة القصر السعيد	بعد ربيع الأول ١٣٣٧هـ	أخوه محمد بن أحمد الوزير
عمالة قضاء الحجرية	شهر ربيع الأول ١٣٣٧هـ	عبد الوهاب بن نعمان مقبل
عمالة الجهة الآنسية	شهر ربيع الأول ١٣٣٧هـ	أحمد بن أحمد الجرافي
السُّوَدة وشهارة	٢٣ ربيع الأول ١٣٣٧هـ	سيف الإسلام، أحمد بن الإمام يحيى
عمالة جبل بُرَع	شهر جمادى الأولى ١٣٣٧هـ	السيد علي بن أحمد بن إبراهيم بن الإمام
القضاء بجبل برَع	شهر جمادي الأولى ١٣٣٧هـ	عزي بن عطاء الله
عمالة ناحية جهران	= = = =	عبدالله بن أحمد العرشي
عاملاً على صنعاء	= = = =	حسين بن علي عبد القادر
حكومة خولان	في هذه الأشهر ١٣٣٧	محسن بن يحيى الجبري
حكومة قضاء إب	= = = =	يحيى بن محمد الإرياني
حكومة قضاء رداع	= = = =	أحمد بن زيد بن علي الديلمي
حكومة صَعْفَان	= = = =	محمد بن قاسم الظفري، والواجبات بنظره، والرئاسة للشيخ عبدالله بشر
عمالة زبيد وأعمالها	رجب ١٣٣٧هـ	محمد بن علي الذاري
عمالة وُصاب العالي والاشراف على وصاب السافل	= = =	محمد بن أحمد الوزير
حكومة وصاب العالي	رجب ١٣٣٧هـ	هاشم بن يحيى المرتضى
حكومة ذمار	١٣٣٧هـ	حسن بن عبدالوهاب الوريث

حكومة زبيد	من ١٣٣٧هـ حتى توفي ١٣٦٦هـ	أحمد بن عبدالرحمن بن حسن المساوي الشهير بالأنباري (كانت محكمته من أحسن المحاكم تنظيماً، وحسن سبك ودقة في الكتب التي ترفع لمحكمة الاستئناف بصنعاء)
عمالة قعطبة	شعبان ١٣٣٧هـ	أحمد بن محمد الأنسي على أن يعود في أمره إلى يحيى بن محمد بن عباس، صاحب النادرة.
القماعرة ومخاليف من الحجرية ومخاليف من صهبان ومخاليف من بلاد قعطبة والحشا		محمد ناصر مقبل، أكبر الشيوخ وأوسعهم بلاداً.
الحكومة في القماعرة والمخلاف		حسن بن عبدالوهاب الوريث
عمالة قضاء العُدين	رمضان ١٣٣٧هـ	الشيخ حمود بن عبدالرب بن قايد بن سنان
عمالة جبل حُبَيش	رمضان ١٣٣٧هـ	الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن محمد بن قاسم
عامل على قضاء رداع	أوائل ١٣٣٧ هـ	علي بن محمد المطاع
حكام المحويت	١٣٣٧ هـ	إسماعيل بن حسن الوادعي
مأمور الإجراء	١٣٣٧هـ	حسين أحمد حنش (البحث عن المجرمين)
المفتى (رئيس العلماء)	٢٥ صفر ١٣٣٧هـ	علي بن حسين المغربي (الحاكم الأول في صنعاء). المحكمة الاستئنافية عضوا
ناظر السنارة	١٣٣٨	أحمد بن علي السياغي ـ مربطون بنظر وأشراف سيف الإسلام، محمد بن الهادي
ناظرة ساقين	١٣٣٨	محمد بن حسين الوادعي
ناظر رازح	١٣٣٨	محسن بن حسين العوامي
ناظر جُماعة	١٣٣٨ هـ	محمد بن يحيى العزي
عامل شُهارة	١٣٣٨هـ	محمد بن محمد الكبسي

عامل ظليمة	١٣٣٨ هـ	القاضي محمد بن سعد الشرقي
عامل حجور اليمن والشرفين، وباقي اليمن الأعلى وجميع اليمن الأسفل، ما عدا الأطراف النائية		محمد بن عبدالله جحّاف
عمالة جبل ريمة	أوائل ١٣٣٨ هـ	محمد بن علي الشامي (الأكبر)
قضاء جبل ريمة	أوائل ١٣٣٨ هـ	محمد بن حسين الكبسي
مأمور الأموال في قضاء جبل ريمة	أوائل ١٣٣٨ هـ	علي بن حسين الشرفي
عمال النواحي التابعة لجبل ريمة		
عامل كُسْمة	أوائل ١٣٣٨ هـ	حمود بن غالب بن الإمام
عامل السلفية	أوائل ١٣٣٨ هـ	علي المنتصر
عامل الجعفرية	أوائل ١٣٣٨	محمود النهاري ثم السيد محمد الكبير بن علي النهاري
قائم بالأعمال وأمور الواجبات	أوائل محرم ١٣٣٨ هـ	عبدالله بن يحيى أبو منصر
في عمالة الشعيب (من اليمن الأسفل)	ربيع ١٣٣٨ هـ	محمد بن علي بن أحمد بن اسحق
أمير الرُكب	شعبان ١٣٣٨ هـ	زيد بن علي بن الإمام المتوكل
عامل جبل راس	شعبان ١٣٣٨ هـ	الجنيد بن عبدالله النور
عامل زبيد	قبل سنة ١٣٣٨ هـ	فتح الله بن عبدالوهاب المحبشي
واجبات جبل صبر وواجبات حجة وبلادها وكُحلان تاج الدين وبلاده ١٣٣٨ هـ وقضاء كوكبان ما عدا شبام	حسين جبالة	
أميراً على حجة	١٣٣٩ هـ	سيف الإسلام أحمد بن الامام يحيى
عمالة صعفان، وإمارة الجند على جميع أمور الناحية، عاملاً وحاكماً	١٣٣٩ هـ	عباس بن علي بن أحمد بن اسحق
كاتب الناحية	١٣٣٩ هـ	الحاج علي صلاح الدين
عامل المحويت وبلاده وجبل حفاش	١٣٣٩ هـ	النقيب أحمد بن يحيى حبيش
حكومة حُفاش	١٣٣٩ هـ	القاضي لطف بن محمد الحيمي
عامل على ناحية حَيْس	أوائل ١٣٣٩ هـ	الفقيه محمد بن عبدالله الشامي

حكومة حيس	أوائل ١٣٣٩هـ	القاضي محمود بن محمد الزيبري
حاكم ناحية شرعب	أوائل ١٣٣٩هـ	القاضي عبدالرحمن بن أحمد المعلمي الشافعي
حكومة قضاء القماعرة والأشراف على واجباته	١٣٣٩هـ	حسن بن عبدالوهاب الوريث
عمالة القماعرة	١٣٣٩هـ	محمد ناصر مقبل نعمان
عمالة جبل الحُشا	١٣٣٩هـ	الشيخ قايد صالح
عمالة ناحية سبرة	١٣٣٩هـ	القاضي عبدالله يونس
حكومة ناحية سبرة	١٣٣٩هـ	السيد يحيى بن حسن الوريث
عامل جبل صبر	١٣٣٩هـ	القاضي عبدالعزيز بن يحيى المجاهد
مفتي قضاء إب	١٣٣٩هـ	القاضي أبو بكر بن علي الحداد
حاكم جبل صبر	١٣٣٩هـ	محمد بن عبدالله بن الإمام
حاكم ناحية شرعب	١٣٣٩هـ	الشيخ محمد بن حسان
حاكم ناحية مقبنة	١٣٣٩هـ	الشيخ عبدالله عثمان
حاكم في جبل راس	١٣٣٩هـ	القاضي أبو الخير المزجاجي
حكومة ناحية جبلة	١٣٣٩هـ	علي بن حسين بن الإمام
حاكم ناحية المخادر	١٣٣٩هـ	محمد بن علي الصديق
دائرة المحاسبة	١٣٣٧هـ - ١٣٣٨هـ	عبد الرحمن بن أحمد بن محمد شرف الدين الكوكباني
عمالة بلاد البستان	محرم ١٣٣٩هـ	علي بن علي السراجي
عمالة زبيد	شعبان ١٣٣٩هـ	علي بن عبدالله الشامي
مأمور المالية في إب	١٣٣٩هـ	محمد بن يحي مداعس
عامل همدان	١٣٣٩هـ	محمد بن قاسم الظفري
رئيس مالية تعز	١٣٣٩هـ	القاضي أحمد بن محمد الأنسي
عمالة الطويلة وبلادها	١٣٣٩هـ	راجح بن راجح بن سعد بن صالح
عمالة قعطبة	١٣٣٩هـ	القاضي علي بن محمد الأنسي
عمالة القماعرة	١٣٣٩هـ	قايد بن صالح مقبل
قبائل الشرفين	١٣٣٩هـ	علي بن يحيى علي النعمي (زميل الإمام في الدراسة يتولى عن الإمام

		أكثر وظائف الحكومة)
ناظر السنارة	١٣٣٩هـ	أحمد بن عبد الكريم حجر
أعمال قضاء ريمة	أوائل ١٣٤٠هـ	أحمد بن محمد الجرافي إضافة إلى ما بيده من الجهة الآنسية
عمالة ناحية كسُمة	١٣٤٠هـ	السيد الوجيه عبدالكريم بن إسماعيل من بني شمس الدين، أهل كوكبان وشبام)
عمالة بلاد الطعام ورئاسة الأجناد وأعمال الجهاد	١٣٤٠هـ	الشيخ المقداد علي بن عمر المقداد
حكومة المخا	١٣٤٠هـ	القاضي محمود بن محمد الزبيري
مأمور المال في جبل ملحان	١٣٤٠هـ	أحمد بن علي الحيفي
كاتب العامل	١٣٤٠هـ	محمد بن علي الحلالي
عامل رداع	١٣٤٠هـ	علي بن محمد المطاع
المقام الأمامي (كاتب)	١٣٤٠هـ	يحيى بن علي الذاري
أعمال الشرفين وحجور	١٣٤٠هـ	سيف الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين بن محمد حميد الدين
أعمال زمام ريمة وجهادها	أواخر ١٣٤٠هـ	علي بن محمد الشامي
نظر أعمال الجهة الرداعية (واجباتها وحكومتها)	١٣٤٠هـ	قاسم الوجيه
عمالة كسمة والكشف على أعمال مأموري المالية	١٣٤١	عبدالله بن حسن الديلمي
حاكم السلفية	١٣٤١هـ	القاضي محمد بن حسين العيزري
إدارة الأموال في جهات رداع	١٣٤١هـ	محمد بن لطف السرحي
عمالة المخا	١٣٤١	صمصام توفيق بن عبدالله، مملوك الإمام

البـــاب الخامس

الدولة والمجتمع وحروب الوحدة

الفصل الأول: حركات المعارضة

المبحـث الأول: الأسباب

المطلب الأول: التصدي والمعالجة

المطلب الثاني : المعارضة الداخلية

الفصل الثاني: الإمام وتثبيت الاستقلال

الفصل الثالث: تدعيمُ الاستقلال (التوحيد والتحرير)

المطلب الأول: الحروب في تعزَ واليمنِ الأسفلِ

المطلب الثاني: الامامُ وحروبهُ مع الانجليز والتحرير

الباب الخامس

الدولة والمجتمع وحروب التوحيد

الفصل الأول

حركات المعارضة

المبحث الأول: الأسباب العامة

منذُ صفر ١٣٣٧هـ/ نوفمبر ١٩١٨م، وهو الشهرُ الـذي تسلّم فيه الإمام يحيى رئاسة «الدولة الإسلامية اليمنيـة»، واجه الإمامُ يحيى جملةً من الصعوبات والتعقيداتِ النـاشئةِ عـن القوى الخارجيةِ الطـامعةِ في اليمن وهـي: بريطـانيا، إيطاليـا، فرنسا، ومن بعض القوى المحليـةِ الراغبةِ في إنشاءِ الإمـاراتِ المستقلةِ تحتَ ستارِ التباين المذهبيّ حينـاً أو عدم قبول البعض بالرضوخِ لطـاعةِ الإمام يحيى حيناً آخـر، وإن كانتْ من نفسِ المذهبِ. ويبدو لي أنَّ الإخـلاءَ المفاجىءَ للقواتِ التركيـة من اليمنِ على أثـرِ هزيمـةِ الدولـة العثمانيةِ في الحرب الكـونيةِ الأولى، كان من أهمِّ أسبـابِ هذه المشـاكلِ، فإنَّ صلحَ دعّان سنـة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، قد أوجـدَ صعوبـاتٍ جمةً للإمـامِ في هذه الفترةِ، اتصلـــتْ بقـدرةِ الإمامِ على فـرضِ الأمنِ والاستقرارِ في المناطقِ التي كانت تحتَ نفـوذِ الأتراكِ، فاليمنُ كانت مجزأةً وفقَ بنودِ صلح دعَّانِ إلى منـاطقَ خالصةٍ للإمامِ يحيى، تمتدُّ من حدودِ عَمـْرَانَ إلى صعدةَ، ومناطقَ بالمشاركةِ مع الأتراك، من عَمـْرَانَ إلـى سُمارةَ، وثالثـةِ للأتـراكِ خالصـةٍ من سُمارة إلى الـراهدةِ، إضافـــةً إلى منطقـــةِ

تُهامة[1]، والإخلاءُ التركيُّ أوجـدَ حالةً من الفوضى الإداريـةِ والإرباكِ السياسي، وخـاصةً عنـدَ شيـوخ وعقـالٍ ومناصبِ المنـاطقِ التي كـانت خـاضعةً لنفـوذِ الأتراكِ، لا سيما وأنَّ السلطـةَ في مناطقِ المشـايخ كانت بـدونِ رقابـةٍ، فالشيخُ حظيَ بامتيازاتٍ بالغةِ الأهميـةِ، فهو الذي يعطي الأرضَ للفلاحين، ويقدمُ لهم القروضَ التي يستوفيها من المحصولِ، وهو الذي يتولّى جمعَ الضرائبِ والعشورِ والزكـواتِ، وما يـدفعه للخزينـةِ التركيةِ لا يتعدّى القليلَ مما جمعه، والحكـومةُ التركيةُ قـانعةٌ مـا دامت الأحوالُ سـاكنةً، والمأمـورون الأتراكُ راضـون ما دمت الهدايا والتقدماتُ الشخصيةُ يحصلون عليها لأنفسهم.

ثم إن الانجليـزَ الذيـن أخذوا على الإمـام مـوقفَه المسـانـدَ لـلأتراكِ إبـانَ سنواتِ الحربِ، ومماطلتـه لهم في الاستجابةِ السريعةِ لشروطِ الهدنـةِ، قد عملوا على حصرهِ في منطقـةٍ معـزولـة بعيدة عن مصـالحهم الحيـويـة في البر والبحـر، المتمثلة في المحميـات والتجارة والاقتصـاد، فتحركـوا في عدةِ اتجاهـاتٍ، منها: التحالفُ مع الإدريسي في مناطقِ تهامةَ، وقبـولُ الاتصالاتِ مع مشايخ المناطقِ المتاخمة لهم، والتلـويحُ بقوتهم العسكـريةِ في بعضِ الأحيـانِ واستخدامُهـا فعلاً ضد الإمامِ في مـراتٍ أخرى، لذا بقي الإمامُ يحيى خـارجَ دائرةِ النفوذِ البريطاني فأخذوا يرون فيه القوة الوحيدة المؤهلة لنفاذ القوى الكبرى، إيطاليا وفرنسا، من خـلاله إلى اليمـن كما أن الادريسي ظهرَ في المنطقـة وكأنـه المدافعُ عن المذهب الشـافعي بـالرغم من وصمـهِ بـالتحـالفِ والتناصرِ مع الكفـرةِ الإيطـاليين ثم الإنجليز. وغدا الإدريسيُّ خطراً يهدّدُ تهامةَ ويحولُ دونَ تطويرِ اليمنِ، من خلال تنفيـذهِ لما أوكله الانجليـزُ إليه من أحكـامِ الحصارِ البحـري على دولةِ الإمـام، ومهاجمته للمراكزِ والألويةِ اليمنيةِ. وأصبـحَ الحصارُ البحريُّ خانقاً لدولةِ الإمامِ بعد حرمانها من مينائها الطبيعي الوحيـد عندما أقدمت القواتُ البريطانيةُ على

---

(1) زورق الحلوى، ٤٩.

احتلالِ الحُدَيْدةِ ثم تخلّيها فيما بعدُ عن الحديدةِ لصالحِ الإدريسي، وكذا فإن عدن تحتله بريطانيا والمحميات التسع تحتمي بالانجليز، فإذا ما أضفنا إلى كلِّ ذلك الصعوباتِ المحليةَ في الطرفِ الإماميّ، عندما أشغلتْ ثوراتُ القبائلِ وتمرداتُها قواتِ الإمامَ واستنزفتْ قدراً كبيراً من قوتها في الرجالِ والعدةِ والسلاح، وحتى عندما أخذَ الإمامُ يحيى في بسطِ سلطته على أنحاء اليمن - بقيتْ بعضُ الجهاتِ سائبةً لترددِ أهلِها فيمن ينتمون إليه، فحتى سنةِ ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، كانت صَعْدةَ وجميع بلادها إلى باقم والنظير من أطراف رازح كانت تحت طاعة الإمام ومناطقُ أبو عريش وصبيا واللحيةِ وما بينهما وبعضُ حجور كانت تحتَ نفوذِ محمد بن علي الإدريسي، والحديدةُ وعدنُ تحتَ سيطرةِ الإنجليز[١].

ولما كان شيوخُ القبائلِ ورؤساءُ المناطقِ الأكثرَ حركةً لتثبيتِ مراكزهم، وكانت بريطانيا هي القوةَ التي انفردتْ بالمنطقةِ فقد بادر هؤلاء الشيوخُ والرؤساءُ للاتصالِ بالسلطاتِ البريطانية في عدن يريدون الدعمَ لمراكزهم، والاعتراف بهم أمراءَ مستقلين في مناطقهم، ويتضحُ ذلك من خلال الرسائلِ الإخباريةِ News Letter التي كان يبعثُ بها المقيمُ السياسي في عدن، أو القائم بأعماله إلى المندوب السامي البريطاني في القاهرة، فقد اتصل كلٌّ من عبدالله عبدالرحيم بن قاسم وأحمد أمين بن قاسم حكامُ الحجريةِ، يطلبون المساعدةَ ضدَّ عبدالوهاب نعمان، وطلبَ الحماية ناجي بن صالح الفتاحي من دُبا الدريجة[٢]، وعبدالوهاب نعمان، قائمقام الحجرية، أرسلَ الشيخَ عبدالحق الأغبري إلى عدن ليتأكد من مسلك الحكومةِ البريطانيةِ اتجاهَ اليمن، وأبلغَ بأن عبد الوهاب نعمان سيكون إلى جانبِ من يعترفُ به كحاكمٍ في بلاده[٣]. ومثلُ

(١) كتيبة الحكمة، ٥٨.

(2) Records, vol. 6. 439, 444.

(3) Recods, Uol. 6.p. 43b.

ذلك فعلَ بعضُ المبعوثين من طرفِ حاشدو بكيل الذين قابلوا Major Reilly، من أهالي سُهارةَ والمخادرِ وشرقها والعُـدَيْن، ورأوا أن تكونَ بينهم وبينَ الإنجليز علاقاتٌ مباشرةٌ، فهم لا يريدون سلطةَ الإمـام، لأنهم يعيشون في وسطَ مناطقِ الشوافع، ومنذ زمنٍ لا يخضعـون لسلطة الإمام[١]. وأهالي ماويـةَ وتعز، يفضلون الأتراكَ على سلطـةِ الإمامِ أو زعـامةَ محمد نـاصر مقبل، قائم مقـامهم السابق، وأي زعيمٍ محلي[٢]، وسليمانَ بخيت من شيوخي جبـل بُرع من الدبعـوس، قبائل القُحرى، والـزرانيق يهددون بالاستعانةِ بـالبريطانيين إذا ما حاولَ الإمـامُ فرضَ سيطرتِه عليهم[٣]، إلا أنّ كلَّ هذا الاتصـالات لا تنبىءُ بقبولِ أحدٍ لـلانضواءَ تحتَ حمايةِ الانجليـز، وفقَ النموذج العدني أو المحميات، وإنما تـوحي برغبتهم بالاستعانةِ بالبريطانيين لإنشاءِ إماراتهم الخاصة.

ولما كنا لا نبغي في هـذا المقامِ التفصيلَ في معـاركِ الإمامِ، سـواء في المنطقةِ الوسطى أو المنطقةِ الشمالية، والشماليـةِ الشرقية، ولا في اليمنِ الأسفل، لأن هذه المعاركَ والحروبَ التوحيديةَ قـد دُرستْ من قبل العديدِ من الباحثين[٤]، وذهبَ كلُّ باحثٍ إلى درسها، إمـا من خلالِ إطارها الاجتماعي والاقتصـادي أو بُعْدها المذهبي أو السيـاسي، وهي دراساتٌ ذهبت إلى الإشـادةِ بالمعـارضةِ والتنـديد بحكم الإمام فإنَّ مـا نقدّمـه في هذا الفصلِ إنما هو محاولـةُ عرضِ الـرأي الآخر

---

(1) Record, Vol. b. pp. 434.

(2) Record. Vol. b. p. 433.

(3) Ibid. Cp. 446.

(٤) انظر حياة الأمير، علي بن عبدالله الوزير لمؤلفه، أحمد بن محمد بن عداالله الوزير، منشورات ط، العصر الحديث، زورق الحلـوى في سيرة قـائد الجيش وأمير اللـواء، لمؤلفـه حمود بن محمـد الـدولة، تحقيق زيـد بن علي الـوزيـر، ط منشورات العصر الحديث، سنـة ١٩٨٨، التـاريخ العسكري لليمن، سلطـان ناجي، ط ١٩٧٦، معالم تاريـخ اليمن المعاصر، عبد العزيـز قائد المسعودي، ط صنعا، ١٩٩٢، الثنـاء الحسن على أهل اليمن، محمد بن عبد الملك المروني، ط بيروت ١٩٩٠م، وغيرها كثير.

من خلالِ المصنّفـات المعاصرةُ استناداً لبعض الوثـائق. ولتيسيرِ الإلمام بأسبابِ قيامِ حـركةِ المعارضةِ سـواء في المدن والأرياف والجبال، عند القبلي الـرعوي أو الحضري المدني لا بدَّ للبـاحثِ المنصفِ من قراءةٍ دقيقـةٍ للحوادثِ التي وقعتْ في اليمنِ إبّـانَ العهـدِ التركي وحتى عهـدِ الاستقلالِ، من قتل وسرقـة وحـربِ لقطعِ السبيل، وفقـدانِ لـلأمنِ والأمان في أنحـاءِ اليمن، مع مـا رافقَ ذلك من حزم وتشدد في جبـايةِ الضرائبِ والواجباتِ والزكوات، وصرامـةٍ في المحاسباتِ وتدقيقٍ لسجـلاتِ ودفاتـرِ الوارداتِ والمصروفـاتِ. ثم محاولاتِ الانفصالِ عن الدولةِ وتكـوينِ السلطاتِ المحلية بعيداً عن المركـز، مما يؤثرُ في هيكليـةِ الدولةِ المستقلةِ إذا ما تقوّضَ إطارُها الجغرافي والبشري وحرمت من مواردها تحت وطأةِ معاولِ التجزئة ومشارط التقطيع: في المناطق الوسطى والشمالية والشرقية.

ومن الجدير بـالذكـر، أنَّ وسائلَ الإمامِ في تحقيـقِ الأمنِ والاستقرارِ والعملِ بما تقتضيه الشريعـةُ، كانت تتراوحُ بين النصحِ والوعظِ والإرشـادِ إلى الكتابةِ بالـزجرِ والنهي وتسيير القواتِ لبسطِ الأمن عند اقتراف ما يوجبُ القصاصَ. ومن نماذجه:

- تسويفُ ومماطلةُ قبيلةِ هَمْدَانَ بجمعِ مقـاتلين من بينهم ليكونـوا مجندين في الجيش المظفـري أُسوةً بغيرهم من قبـائلِ صنعاءَ، وحـذو أهلِ الغُولـةِ وبيتِ الـذيب حذوَ هَمْدانَ في عـدمِ الإستجـابةِ لـدعـواتِ التجنيدِ، فكـان الحزمُ من الإمـام لمراجعيـه من عقّـالِ هَمْدانَ، والغـولـةِ وبيـت الـذيب بـوجـوب ذلك، والامتثال بكلِّ مـا يأمرهم بهِ، وكـانت هذه القبائلُ تـرى في إجابةِ الطلبِ نـوعاً من الإذلالِ والانقيادِ، لا سيما وقـد اعتادوا عـدمَ الإذعانِ لطلبـاتِ الأتراكِ بهذا الصـدد، غير أنّ سيـاسةَ الإمـامِ الحازمـةَ معهم نجحت في قبـولهم التجنيـدَ في الجيشِ، وأكثر من ذلك في تحصيلِ المتأخرِ من الـواجباتِ المرتبة على القضْبِ لما مضى من السنين، وعين الإمام على كلِّ قريةٍ مقداراً من المال لإيفائه[1].

(١) كتيبة الحكمة، ١٤٢.

- ولـوّح الإمامُ بـالعزمِ بطـوابيرَ من الجيشِ لقبيلـةِ أرحبَ، التي قبلت لجوءَ ثلاثةِ جنـودٍ نظاميين فرّوا لطرفهم، فكتبَ إليهم زاجراً ونـاهياً، ولما لمْ يستجيبوا، سيَّــر وكيلَ الجيشِ، عليَّ بنَ أحمد بن إبـراهيم بعـدةِ طـوابيرَ من الجيشِ، وأمـرَهُ بمنـاجـزتهم بالحربِ إنْ لم يحصل الانقيـادُ، إذ لا تسـاهلَ في ذلك، وإلا انفـرطَ عقدُ الجيشِ، فسلّموا الفارين وأذعنوا بعدمِ قبولِ الفارين[1] مرةً أخرى.

- ويـرى عبـدُ الكـريم بن أحمد مطهـر بأنَّ قـواتِ الإمـامِ قـد عملت على تأديبِ أولئك الـذين تورّطوا في مضـائقِ القبائح، مثلِ القتلِ والسرقـةِ والتعدي على المسافـرين وقطعِ الطرقِ وإخـافة السبيل، فكـانت حملاتُ الإمامِ على أهلِ جبالِ عيـال يزيـد من بكيل في ٢٥ شوال ١٣٣٦هـ تأديباً لهم لإجبـارهم على تسليمِ الغرامـاتِ المفروضةِ عليـه، بسببِ تعدّي البعضِ منهم على المسـافرين، وتحصيلِ القروض الواجبةِ الاستحقاقِ التي اقترضوها من بيت المالِ، وتسليمٌ ما بحوزتِهم من سـلاحٍ لبيتِ المال، حيث أخربتِ الحملـةُ بيوتَ منْ فـرَّ، وساقت البعضَ إلى حبسِ شهارةَ، وتسلمتْ رهائنَ مختارةً فوقَ رهائنهم السابقة[2].

وعملتْ قـواتُ الإمامِ بقيادةِ محمـد بن علي الشامي على ضبطِ جهـاتِ بني بُخَيْت والحدأ ضبطـاً محكماً، وسـاقتْ جماعـاتٍ إلى الحبـوس في صفـر من سنـة ١٣٣٧هـ، لأنـه ظهر منهم العـدوانُ، بكثرةِ إيـذائهم لجيرانهم، وإلفِهم للغزوِ والتسلقِ إلى الـدورِ والامتناعِ عن دفـعِ الضرائبِ والواجبـاتِ، حتى ضُربَ بهم المَثَلُ في العدوانِ، وقد نجح محمد بن علي الشـامي في إصلاحِ تلك الجهاتِ من الحدأ إلى كَوْمان المحرق[3].

وكانت ثورةُ حجـةَ من أخطرِ ما تعرضتْ له جهودُ الإمـامِ في فرضه وبسطهِ

---

(١) كتيبة الحكمة، ٢٤٢.

(٢) كتيبة الحكمة، ٣.

(٣) كتيبة الحكمة، ١٧، ٣٦.

لسيطرةِ الدولةِ، مع أنَّ مؤلفنا وصفَ سببها «بخطبٍ» قد وقعَ فيه يحيى بن ناصر شيبان الذي أوكلَ إليه الإمامُ أمورَ الأموالِ وجبايةَ وتحصيلَ الواجباتِ في حجةَ وقضائها وكحلان تاج الدين وقضاءِ كوْكبَان ما عدا شبام، ومن ثمَّ أظهرَ التكلؤَ في المحاسبةِ مدعياً عدم وجودِ دفاترِ المحاسبة لديه، وأنه يرغب بالعزمِ إلى حجةَ لإحضارها، الأمرُ الذي رفضه الإمامُ وأمر بابقائِه سجيناً حتى تحضرَ الدفاترُ وتنجزَ المحاسبةُ. ولما كان الشيبانيون يتولونَ إمارةَ حجةَ منذُ أكثرَ من عشرين سنةً، فقد أنابَ يحيى أخاه محسن للقيام بأعمالِهِ، فأعلنَ الخلافَ ونبذَ الطاعةَ عندما علم بسجن أخيه وصادف في ذلكَ الوقت تجمعُ حوالي أربع مئةٍ من رجالِ حاشد يقودهم محمد بن غالب القديمي على مقربةٍ من حجةَ، كانوا في طريقهم للالتحاقِ بالإدريسي، لمناصرةِ شيخهم ناصر بن مبخوت الأحمر والذي سبقَ له الثورةُ على الإمامِ وقتلَ عاملَ الإمامِ بنيسا القاضي حمود محسن، وزادتْ خطورةُ الثورةِ حين استنجد محسن شيبان برجالِ حاشد ومكنهم من مدينةِ حجةَ وحصنِ نعمان، وأعلنَ ولاءَه للإدريسي، مما يعطي الإدريسي الذريعةَ للنفاذِ إلى المنطقة الوسطى من دولةِ الإمامِ، وهنا سيرَ الإمامُ ثلاثَ حملاتٍ كبيرةً على حجةَ تولّي قيادتها العامة ابنُه سيفَ الإسلام أحمد، وشاركَ في قيادةِ إحدى الحملاتِ محمد بن محمد زبارة، والأخرى حزامُ بن عبدالله الصعر، وجرتْ حروبٌ كان التوسطُ في نهايتها على خروجِ محمد بن غالب القديمي والسيد محسن بن ناصر شيبان ومنْ معهم من البلادِ، وتسليمُ ما في يدِ محسن بن ناصر شيبان من الأموالِ والذخائرِ، وهدمُ بيتِ يحيى بن ناصر شيبان في مبين، وأسندتْ نظارةُ حجةَ إلى سيفِ الإسلامِ أحمد[1]، الذي أخمد ثورة خولانَ فيما بعد.

وحين تمَّردَ أهلُ مِلْحَانَ من المحويت، الذين كانوا يتبعون متصرفيةَ الحُدَيْدَة

(١) كتيبة الحكمة، ٨٩.

في العهـدِ التركي - وحـاصروا حـاكمهـا من قبلِ الإمـامِ، إسماعيل بن حسن الـوادعي، سير الإمامُ إليهـم القائدَ العسكـريَّ المجـربَ عبدالله بن يحيى أبـو منصر، طالباً إليه مراسلتهم وانذارهم ومحاولةَ استمالةِ من يرى فيه اللينَ، ومن ثمَّ محاربـةَ منْ يستمرُّ على عنـاده[1]، وكـان هذا الموقفُ الليِّنُ من الإمـامِ اتجاهَهُمْ، بسببِ رغبتـهِ الإبقـاءَ على طـاعتهمِ عنـدمـا تحين الفـرصـةُ لـلانقضـاضِ على الحُديـدةِ، المحتلـةِ من قبلِ الانجليـزِ، في قـادمِ الأيـام سيما وأن جبلهم منيع - حصين يشرف على المهجم من تهامة ويعاند جبلَ حُفاش من الغرب -

إضـافةً لتبـاعـدِ عهدِ انقيـادهم بما اعتـادوا عليـه، زمنَ الأتراكِ، من عـدمِ الطاعةِ، وتسـاهلِ الأمراءِ الأتراكِ في الحديدة معهم، حتى عندما كـانوا يعتدون على عمالِ الأتراكِ في بلادهم[2]، وقد أمكنَ فرضُ الأمـنِ وأبقيتْ رتبةٌ -محطةٌ- من جنـدِ الإمـام لحفظِ الأمن تـزيـد عن ألفٍ وتحصيلُ الأمـوالِ من نـاحيتهم، الخصبةِ، ذاتِ الغَيولِ والوديانِ والتي تكثرُ فيها زراعةُ الحبوب واللبنّ.

وقد كـان للإمامِ يحيى لقـاءٌ مع شيوخِ الجبلِ سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م أثرَ مـراجعـةِ علي بن يحيى الأصـابع لـلإمـامِ في صنعـاءَ مستـدعيـاً تخفيفَ محطـةِ العساكر، وتخفيفَ عـددِ الرهائنِ المسلمةِ إلى الإمام منهم، وشكـا من شدةِ محمدِ ابن عبدالله وقسوتِه، ويبـدو أنَّ الإمامَ قد اطمأنَّ إلى استقرارِ الأمن في بلادهم، فرغب في تقليل الأعبـاءِ الماليةِ التي كانت تنفقُ على عسـاكرِ المحطة الثـابتة من بيتِ المال، والاستفادة من غالبيـةِ أفرادِ المحطةِ في ميادين أخـرى، فكان اللقاءُ مع شيـوخِ الجبلِ، ومحاولةَ ابـرام اتفاقٍ معهم، يقضي بـاستعدادهم على صـونِ الجبلِ من الأعداءِ، وابقاء رتبةٍ معقـولةٍ قادرةٍ على حفظِ الأمنِ في حصونِ الجبلِ بقيـادةِ أحدِ أُمـراء الجيشْ، فعيّن كبيرهـم علي يحيى الأصـابع عامـلاً على الجبلِ،

---

(١) كتيبة الحكمة، ٥٩.

(٢) المصدر السابق، ٣٠.

وعينَ أحمد بن علي الحيفي مأموراً للمال، ومحمد بن علي الحلالي، كـاتباً له[1]. ولما لم يستجيبوا بما يطمئن إليه الإمـامُ، توجَّهَ عبداللـه بن يحيى أبو منصر إلى هناك، وقامَ بعمارةِ الحصونِ الـلازمةِ لقواتِ الإمامِ وتقويـةِ المحطات. وفرض الأمنَ في المنطقة الوسطى من الجبل، دونَ الأطراف.

ونعتقد أنَّ وراءَ عدمِ استجـابةِ شيوخِ الجبلِ للوفـاقِ مع الإمامِ، القوى التي كانتْ متـاخمةً للجبل من جهةِ تهامـةَ، والمغربة، وجماعـاتِ حاشد الـذين لحقوا بـالشيخ نـاصر بن مبخـوت الأحمر، فلـم يقع الاتفـاقُ واستمـرت المعـاركُ بين التهـاميين المناصرين لـلإدريسي، والمقاتلين مـن حاشـد في الأطرافِ المحيطـةِ بالجبلِ، حيث لحقتْ هزائمُ بقواتِ الإمام فيما بعد.

ومن نـاحيةٍ أخـرى، فقـد واجـه الإمامُ بعضَ الفتنِ التـي ثارتْ بينَ قبـائلِ عيـال سُريح من بكيل وبينَ قبـائل حـاشـد سنـة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢، بسبب نزاعاتٍ بين سكانِ الحدودِ من الفـريقين أدَّتْ إلى معاركَ وقتلى، برويةٍ وحكمة، فما كان منـه إلا الارتفاعُ إليهم وبمعيتـه كبارُ أعيانِ مقـامِه من سيـوفِ الإسلام والأعـوانِ والكتـابِ والنقبـاءِ والمقـدمين، واجتمعَ بـزعمائهم وعـاملهم بـاللينِ والرّفقِ؛ لأنه يـرعى لهم حقَّ الإيواءِ والمناصرة في الزمنِ السـابق، ولكن لابدَّ من حسم أسباب الفتنـة واحلالِ الصلح والسلامِ والنـأى عن كلِّ ما يلحقُ الضررَ بالفريقين[2].

ولحاشد وبكيل مكانتها في اليمن، فهما جنـاحا الإمامةِ، وعمادُ اليمن المتين. كما نجحَ في إعادةِ الهدوءِ وفـرضِ الصلحِ بين المتنازعين من بطونِ خَـوْلانَ، سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، فقـد كـانَ الخلافُ والقتـالُ قـد ثـارَ بين قـروي (نصري

(١) كتيبة الحكمة، ٢٠١.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٥٦.

وسعيـدي) أحـدِ بطـون خـوْلان وبين بني سِحَـام والسُهْمَان مـن بطـونِ نفسِ القبيلـة، فسيّرَ الإمـامُ عليَّ بنَ أحمدَ بن إبـراهيم، وكيلَ الجيشِ، مع طـابـورٍ من الجنـدِ النظامي بمـدافعِه، وشرعَ في ضبطِ العقّـالِ والمشايخ، وتسـويةِ أسبـاب الخلاف[1].

ولم يتوانَ الإمـامُ عن الاهتمامِ بقضايا القتلِ الفردي وإنفـاذِ القصاصِ، وفقَ أحكام الشريعةِ، دونَ سواها من الأعرافِ التـي اعتادها شيوخُ القبائلِ، وهي ما عُـرفتْ بحكم الطـاغـوتِ، وذلك حينَ قتلَ سفيـةٌ من بني النـويـرةِ من أهل الخبْت أحد أقَاربِ النقيبِ محمد بن علي رَدْمان من أرحب، وخيَّر النقيبَ، وهو المطالبُ عن ورثـةِ القتيلِ، باختيـار أحدِ الأمرين: القصـاصِ أو الديـةِ، إلا أنه اشتطَّ في الطلبِ، لأن المقتول نقيبٌ والقتلُ كان غيلـةً فهو يريدُ مضاعفـةَ الديةِ عملاً بما اعتـادَه أرحبُ من طريقةِ حكمِ الطاغـوت، ولكنَّ الإمام لم يقبلْ إلا بما يلـزمُ شرعاً، فـاستنجـدَ النقيبُ بقبـائلِ حاشـد وبكيل ليغـزوَ أهلَ الخبتِ بمن اجتمع إليـه، غيرَ أنَّ الإمامَ سـارعَ إلى تعيين أحدِ قـادتهِ، وهـو الشيخُ راجح بن سعد للعمالةِ، وأنفـذَ أوامرَهُ إلى الجهاتِ التي قد تمرُّ منهـا جموعُ النقيب محمد بن علي ردمان بحـراسةِ حدودهم وحفظهـا أمام جموعِ النقيب محمـد ردمان، إلا أنَّ حاشد وبكيل لم تستجب له، ولم يكن الإمامُ بعيداً عن عدم استجابتهم.

ونحن نرى في الكيفيةِ التي واجـهَ بها الإمامُ خلافَ أحدِ نقبـائِه الذين أبْلَوا في القتالِ لجانبِه، أنه إنما كان يهدفُ في الأصلِ إلى تأكيدِهِ العملَ بأحكامِ الشرعِ وإبطالِ القضاءِ بالأعرافِ، وبالتالي الحدّ من سلطاتِ شيوخِ القبائلِ وتعويدِهم على الإذعانِ والانقيادِ لأحكام اللهِ وشريعته دون غيرها.

---

(١) كتيبة، ٢٤٢.

المطلب الثاني: المعارضة الداخلية

كان من أخطرِ حركاتِ المعارضـةِ الداخليةِ، حركـةُ مُحُمد بن علي بن أحمد الوزير سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م والتي يستشفُّ من مخطوطنا، أنَّ مُحُمد بن علي الـوزير نـابَ عن أبيه في قبضِ واجبـاتِ جبلِ اللـوز، لكنَّه شجعَ بعضَ عُقَّـالِ جبل اللوز على الامتنـاع عن الاجابـةِ لدفعِ الواجبـاتِ، ووعدَهم بـالمدافعةِ عن الجبلِ إذا ما هاجمته قواتُ الإمـام، حتى إذا ما ارتفعَ إليه وكيلُ أميرِ الجيش أنكرَ ذلك وتـركَ العُقَّالَ يـلاقون مصيرهم، فقـادَهم مقيّدين بـالأغلالِ إلى صنعـاءَ، حيث أبقاهم الإمام في صنعاءَ ومنعهم من العـودة إلى جبلِ اللوز، وأما مُحُمد بن علي الـوزير فعـاد إلى بيته في السرِّ، ثم عـاود الانتقـالَ إلى جبل اللوز وقـد تجمع حولَه جماعةٌ من بني جبر وخولان وبني بهلول، وشرعَ في بثِّ رسائله إلى الجهاتِ معترضـاً على سيرةِ الإمـامِ يحيى في الحكم، فما كـان من الإمـامِ إلا مبـادرتُـه بالنصـائحِ والتحذيـرِ من مغبةِ ما يُقـدمُ عليه، وكـذلك نصحَهُ العقـلاءُ، ولكنَّه أصرَّ واستفحلَ خطـرُهُ، فصدرَ الأمـرُ إلى وكيلِ الجيشِ علي بن أحمد بن إبـراهيم بعزمِـهِ مع جندٍ كثيفٍ مـن طوابيرِ الجنودِ النظـامية، والتنكيلِ بـه وبمن اجتمعَ لديه.

وسـار وكيـلُ الجيشِ بجنـودهِ النظـاميـة وجمعَ قـدرَهُم مـن مقـاتلي الحدأ والأهنومِ ومعه مدفعان، وحـاصرَ أطرافَ الجبلِ لمنع هروبِ أحدٍ من المخالفين، وصعد إلى الجبـلِ، ولما أدركَ مُحُمد بن علي الـوزير استحـالةَ المواجهةِ، مـع هذه القوةِ المدججـة انسحب واتباعـه من الطريق الشرقيـةِ المائلةِ إلى جهـةِ الجنوب الخالية من جنـدِ الإمام، وفلتَ مُحُمـد بن علي من قبضته وكيلِ الجيشِ، فما كان من وكيل الجيشِ إلا الانتقامُ ممن آواه، فهدمَ دورهم وسـاقهم إلى الإمامِ مقيدين، وسـارَ إلى هجرةِ السر ومسكنِ السـادةِ بني الوزيـر، وألـزمَ والدَه بـالوصـولِ إلى طرفِ الإمامِ، حيث أقنعـه الإمامُ بضرورةِ مثولِ ولده في المقامِ، تائبـاً مما كان منه

من التحركِ الوبيل ثم يكونُ النظـرُ في أمره خيراً، وإزاءَ ذلك تنقّل مُحُمد بن علي الوزيرُ في جهاتٍ بني جبر وبلادِنهم، حتى إذا كانَ في زيارته لأهل بيته في السر، أحـدقتْ بـه قـواتُ وكيلِ الجيشِ، الـذي كـان يترصدُهُ لتنفيـذِ الأمـر الإمـامي بتصيـده واقتنـاصِـه، حيث ألقى القبضُ على بعضِ أصحـابـه، ثم عليـه وقـد اعتصمَ في بيتِه وبعـدَ محادثاتٍ ونصائح استلسم ونقل إلى صنعـاءَ حيث أودعه الإمامُ دارَ الأدبِ، السجن، بالقصرِ.

وروايةُ مـؤرّخنا تصفُ مُحُمـد بن علي بن الوزيـر، بأنه قد اعترتـه لوثـةٌ في ما ظهرَ من الأعمال من جهتِـه، وصوَّرتْ حركتَهُ بأنها ما كـانت إلا لتحقيقِ مطامحَ شخصيـةٍ وانـه كـانَ يحاولُ أنْ يكونَ من جملـةِ عمّالِ الإمـام، فهـو لا يقلُّ نسباً وكفاءةً وسناً عن ابن عمه، عبدالله بن أحمد الوزير، ولا عنْ قريبه أميرِ لواءِ تعز، عليّ بن عبـدالله الـوزير، وقـد حازا من الـرياسـةِ وعلّو الكلمـةِ والجاهِ واتّساع الأعمالِ ما يُغبَطا عليه، أما هو فلمْ ينلْ منهـا شيئاً، وتمضي روايةُ مؤرخِنا، فتذكرُ كيفَ كـانَ يعـرضُ نفسَـه على الإمـامِ ليوليـه الأعمالَ، فينصحُـهُ الإمـام بلـزومِ المدارسِ والعكوفِ على القـراءةِ، والتي مـا طاب له البقـاءُ في ملازمتِهـا لتعلّقِ نفسِـه بالإمـارة، فطلبهـا من قـريبةٍ علي بن عبـدالله الـوزير الـذي ولاهُ بعضَ الأعمال فما حمد منـابَه، وسعـى عندَ عبـدالله بن أحمد الـوزير فما رضي الإمـامُ. وحينما يئس من ذلك ر␣بَ غاربَ العدوان.

ويبلغُ مـؤرِّخُنـا حـدَّ النزق وقـد اطلعَ على بعضِ منشـوراتِ مُحُمـد بن علي الـوزير التي يعترضُ فيهـا على سيرةِ الإمـامِ يحيى في الحكم، مما جعلـهُ يخرجُ في كتابته عن حـركةِ مُحُمد بن علي الوزير، ويـوردُ أكثرَ من صفحتين، من النقدِ المرّ لهذه الـرسائلِ - السخيفـةِ في الموضوع والمعـاني، ركيكـة المباني، حسبَ رأيـه، وضمَّن هـاتين الصفحتين تـذكيراً بشمائلِ وفضـائلِ ونـزاهـةِ وعـدالـةِ الإمـام. «وقصدُه» إزالـةُ ما يسبقُ إلى الأوهامِ من إمكانِ اشتمالها على مـا هو من صحيح

الكلام، المعبّر عن الواقعِ لذوي الأفهام»[1].

وعلى الرغم من النهايةِ المخففةِ لحركةِ مُحُمد بن علي الوزير، فإنَّ الإمامَ قد حفظَ حقَّ حرمةِ الرعايةِ، باعتبارِ بيتِ الوزير من السادةِ آل البيت: أهل علم، ثم رعايةً لابن عمه عبدالله وأميرِ جيشِه علي، مع ملاحظةِ أنَّ مُحُمد بن عليّ الوزير لم يتسببْ في قتل أحدِ خلال ثورتِه، وانتهتْ بعد مطارداتٍ، وبعدها أودعَ مُحُمد بن علي الوزير دارَ الاعتقالِ بالقصر.

وقد عثرنا على صورةٍ من رسائلِ مُحُمد بن علي الوزير التي بثّها في الجهاتِ اليمانية معترضاً فيها على سيرة الإمام يحيى في الحكم، نشر صورتها إسماعيل بنُ علي الأكوع في كتابِهِ هجر العلم ومعاقله[2] دونَ العنايةِ بنشرها كما فعلَ بالعديدِ من صور الوثائقِ التي ضمّنها أجزاءَ كتابِه، ولعلَّ رداءةَ خطِّها، وتلفَ جزءٍ يسير من ورقها وما لحقَها من ثقوبٍ، وعدمِ ترميمها حالَ دونَ ذلك. وقد بذلنا جهدَنا في قراءَتِها حتى تمكّنا من قراءةِ اعتراضاتِه على سيرةِ الإمامِ يحيى في الحكمِ، والتي حدَّدها بثمانيةَ عشرَ أمراً، هي، كما جاءتْ في المنشور:

الأمر الأولُ: اتخاذُ الإمام المضلّين عضداً، وقد كانوا يسمون الإمامَ شقياً وأصحابَه أشقياءَ ويتصفون بأنهم سعداء، ما الموجب لتقريبه إياهم، هل هو فضلُهم أم علمُهم أم أعمالهم الصالحة، لم نعلَمْ في واحدٍ من هؤلاءِ، في واحدٍ منهم الصلاح والحالِ، أنَّ الإمام منْ أهلِ الفضلِ فلِمَ قربهم إليه، وقد عرفَ عدمَ فضلِهم وعلِمَ خيانتَهم وعدمَ ديانتهم، كما قد سمعَ منه، ولكنْ لا شكَّ في صدقِ ما قاله الشاعرُ

وعينُ الرضا عن كلِّ خيرٍ كليلةٌ ... ولكنَّ عينَ السخطِ تُبدي المساويا

---

(١) كتيبة الحكمة، ٢٤٢-٢٤٨.

(٢) هجر العلم ومعاقله، ٢٠٩.

ومن ادّعى صلاحيةَ تقديمه أكذبَهُ الواقعُ، فإنا لمْ نعلمْ بأمرٍ قدْ صدرَ كما ينبغي من عندِ اتخاذِهم إلا العكس.

الأمر الثاني: عدمُ تقريبِهِ أهلَ الفضلِ وعدمُ مشاورتِهم كما أمرَ اللهُ تعالى ورسولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم. بقولِه جلَّ وعلا في الآية الكريمة ﴿**وشاورهم**﴾ فظاهرُ الأمر يقتضي الوجوبَ، وأيضاً أنَّ العالمَ بما يكون الباري، جل وعلا، قد بالغَ في شرعيةِ الاستشارةِ باستشارتِه الملائكةَ الكرامَ في خلْقِ آدمَ عليه السلام.

الأمر الثالث: عدمُ تعهّدِ العالمِ والمتعلمِ ورزقُهما من بيتِ المالِ ليفرغا إلى العلمِ كما أمرَ اللهُ تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم في قوله: ﴿**وما كان المؤمنون لينفروا كافة**﴾، والعلمُ من الجهادِ كما قال صلى الله عليه وعلى آلِه وسلم: ﴿**لولا العلماءُ لما عُبِدَ تباركَ وتعالى**﴾. ومنَ المعلومِ أنه بوجودِ العلماءِ صلاحُ جميع الأحوالِ وجريها كما يجبُ بإرشادهم الناسَ ووعظِهم وتذكيرهم وأمرهم بالمعروفِ ونهيهم عن المنكرِ الممزق.

الأمر الرابع: عدمُ تعهّدِ الضعفاءِ فيما يحتاجون إليه من اعطاءٍ أو انصافٍ من ظالم، والمرادُ بالضعفاء من لا يتصلُ به من النساء والصبيانِ والمرضى والمساكين ما [ها...][(١)] وتغافلٌ عن اعطاءِ منْ وصل إليه واحدٌ لشانيه وعن الإنصاف لمظلومٍ من ظالمِه بعدَ اتصالِه به واحدٌ لشانيه[(٢)].

الأمر الخامس: عدمُ تعهد المصالحِ والبحثِ عنها.

الأمر السادس: أخذه غلاتِ الأراضي الموقوفة على بيت مال.

الأمر السابع: التزاماتُ الزكواتِ وذلك محرّمٌ عقلاً وشرعاً لعدمِ التوقفِ على قبضِ ما يجبُ، فإنّ بعضَ العمالِ أو الرؤساء يلزم زكواتِ الناسِ بجملةٍ

(١) غير مقروءة في الصورة.

(٢) الأصح شأنه.

معلومةٍ من الإمـامِ ومن بعضِ الولاةِ، ويعزم الملتزم بجعل فوقَ ما التـزم به شيئاً معلومـاً ويفرقُ الجَميع على أهل كلِّ محلّ من البلادِ صرةٌ معلومـةٌ، ثم يفرّقُ أهل كل محل على صرتـه بـدون قياس فيكـونُ على بعضِنـا شيءٌ كثيرٌ ولا يجبُ عليهم والبعض منهم قليل، حتى إنّ مِنْ جملةِ حـاصلِ ثمرتِه ثـلاثَ مئةِ قدحٍ، ألـزموه تسليمَ خمسين قدحاً، ولم يكنْ من الإمـام بحثٌ ولا تعقيبٌ على الملتزمِ، بل شكا إليـه الضعفاء والفقـراءُ ولم يُنْصِفْ، بل أصدرَ أمـرَه في الحزم بالتحصيلِ، طـالما سلّم عليه ويُسلِّم لبيتِ المال بعضاً، ويقول البقيةُ لـدن الرعيةِ ويحرِّر بياناً كيف ما أراد، ويرسلُ العسكرَ لتحصيلِ ما في البيان، حتى إنّا قد سمعنا من كثيرٍ من الـزراعِ يبغون الخلاصَ بتسليم نصفِ مـا حصلَ لـه أو أكثـر ولا يلحقُ غرامـة عسكرٍ وأخذَ وحُبس ونحوه، ولَم يكنْ ملتزماً توقف على قبضِ ما يجب فقط وإن قال وشُرط عليه.

الأمر الثـامن: التـزامات الـردايد المسماة فيها سبق ميري من كلِّ سـوقٍ من أسواقِ المدن والبوادي، وبيانُها أنّ الإمامَ أو أحدَ ولاتِـه يلزمُ بعضنا مثلاً بجملةٍ معلومـةٍ، على أنْ يقبضَ من كلِّ ما بيع أو يبـاع شيئاً حتى من الحطب والبيض والبسباس.

الأمر التاسع: الزامُ النـاسِ بتقديم عُشْــر ورُبع وثُمنٍ، وعلى كلِّ مئةِ رأس غنم نصفُ الثمنِ وجزّةُ صوف، وعلى كـلِّ رأسِ بقرٍ نصفُ ريالٍ وعلى كلِّ جملٍ ريالان

الأمر الثامن والأمر التاسع وما فـاض من الأمر ملكٌ لصاحبه وليس للإمامِ استحصالُه من خـالصِ الملك إلا بما هو فاضلٌ عن كفاية السنـةِ ولا من كفايةِ بيتِ مال. ولا يمكنُ من شيء يستحقّه واستعمال الحقـوق وقرض بحد قضاه في المستقبل واستيصال قطـر من أقطار المسلمين، أما هـذا فمعلوم غنى بيت المال وكثرة دراهمه الموجودة المنهوبة ألوفـاً، واجناس أُخر كثيرة، وطالما ان الإمام أجل

وأحسن وأولى من به يقتدي فما بـاله يأمر بالاعـانه ولا يعين، بل يكتسب بألوف عديدة، ولنا أن نطلب الحساب، اختشاء بالله تعالى، من عند عذر مظلوم.

الأمر العاشر: المغاني بـالمزيكة المحرّم سماعهـا وتعليمُ مغانيهـا لأهلها من بيت المال، وبلغ أنَّ الإمـامَ قال في القفلـة أو في السودة من حضر عنـد المزيكة فلا تصح الصلاة مطلقة.

الأمر الحادي عشر: عـدم انفـاق الصـدقـات على مستحقيهـا من الفقـراء والمساكين والعـاملين عليها وفي الرقـاب والمؤلفة قلـوبهم والغارمين وغيرهم ممن يستحق بنص القرآن الكريم.

الأمر الثاني عشر: عدم تنـزيل كل أحد في منـزلته وعليها الإيضـاح والبيان والبراهين لهذين الأمرين ان حصل انكار مثل كثير من العلماء والعُقَّال.

الأمر الثالث عشر: تولية من لم يجز توليتـه، فإن بعض الحكام قد حكم بحد وهـو واجب عليهم، وهـذا سببـه عـدم استعانتـه بمن يصلح واتبـاعـه مشـور المضلين.

الأمر الرابع عشر: عزله من لا يستحق عزلـه، وغير خاف ما ورد فيه، مع أني أحمد الله تعالى على عدم طلبي لها، فإني بحمد الله لم أطلبها منذ صلحت لها بل أقسمت أيماناً لـلإمام أني موطن نفسي على عـدم التوليـة ما حييت بهذا اللفظ، وقبضت الأمانة، ويشهد الله سبحانه

الأمـر الخامس عشر: عـدم بعثـه للمعلمين الـواجبـات وتأخيرهـم من بيت المال

الأمر السادس عشر: ذهاب الشريعة وجعلها سلماً لأخـذ أموال العام بدون حق بل بباطل يعلمه، وكلمن (كل من) شكـا من الضعفاء المظلومين أُرجِعَ إلى ظالمه، حتى إن كل من له حق يترك الطلب لعلمه عدم البلوغ إليه.

الأمر السـابع عشر: إجبار بعـض من الناس لإصلاح طـرق لا تجب عليهم دون غيرهم

الأمر الثـامن عشر: مسألـة النظام واجبـار بعض القبلي دون بعض، وتوليـة الظلمـة عليهم مثل الكتـاب والـزبـاط (الضبـاط) يخوضـون عليهم ويسرقـون معاشاتهم، ويمنعونهم في بعض الأحوال عن الصلاة وعن الأهل والأقارب.

كم من أمـور كثيرة قد علمها كثير مـن الناس لا يليق ولا ينبغي. ولـو كتبنا وجاء في صـدر الرسـالة المنشـور: بعد البسملة والحمـدلة ديبـاجة اختـارَها من آيات القـرآن الكريم، تأمرُ بـا لمعروف وتنهى عن المنكر، وتـذكرُ بالعـدلِ وتنذرُ الظـالمين، ثم نبّـه إلى أنّ ما سيـذكـرُه في الـرسالـةِ لا ينبغي أن يفسرَّ بأنـه لمز في الصدقاتِ، فإنْ أُعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا هم يسخطون، وأشارَ إلى معرفةِ الناسِ معرفةً تامةً بكثرة دراهمنا ومحمولاتنـا وملبوساتنا ومأكولاتنا وكثرةِ أموالنا، ولعله يقصـدِ غنى وثراء أسرتِـه، وبالتالي فـإنما هو بلاغٌ للنـاسِ وأمْرٌ بـا لمعروف ونهيٌ عن المنكر.

ويُلاحـظ على رسالتهِ (البـلاغ)، أنها تناولت عـدةَ أمورٍ اتصلتْ بمصـالحِ الرعيةِ يمكنُ اجمالُها بما يلي:

- عدمُ رضـاه عن معـاوني الإمام وصحبته مـن رجالِ المقـامِ أو العمّالِ والحكام وضرورةُ الاستعانـةِ بصالحي الأعـوان، ولعلّه يشيرُ بـذلك إلى الأعوانِ الـذين اتخذهم الإمـامُ ممَّنْ كـانـوا في غـالبيتهم يعملـون في الإدارة التركيـةِ قُبيْلَ الاستقلالِ، ولهم مواقفُ معروفةٌ من الإمامـةِ إبانَ معاركِ الجهادِ ضدّ الأتراك، سـواءٌ في الجيشِ أو الأجهـزةِ المدنيـة. وقـد كـانَ للقـاضي لطف بن محمـد الـزبيري، أحدِ حكـامِ الاستئنافِ إشـارةٌ إلى ذلك وردت في قصيـدةٍ له قـالها

(١) كتيبة الحكمة، ٢٥٦.

بُعَيْدَ إصلاح الإمامِ لذيـول الفتنةِ التي ثارتْ بين قبائلِ عيالِ سُريح من بكيل وبينَ قبائلِ حاشـد المتاخمة لها[1]، وكذا في عدمِ تقـريبِ الإمام لأهلِ الفضلِ ومشـاورتِهم، وما أراه في هـذه المسألـةِ إلا متقولاً، فقـد اختـارَ الإمامُ الأفـرادَ الأفـذاذَ لتنفيـذِ الأحكـامِ وإدارةِ المنـاطقِ، وكـان أغلبُهم من البيـوتِ المتـوسطـة[1]، ومُحمد بن علي الوزير يشيرُ إلى توليةِ من لا يستحقُّ التولية بسببِ إقامةِ الحدِّ على بعضهم فيما سبق، وعزل مَنْ لا يستحقُّ العزل.

- وتشيرُ الـرسـالةُ إلى عـدّةِ قضـايـا اقتصـاديةٍ مهمـةٍ تتصلُ بغـلاتِ الأرضِ الموقوفةِ، ومشروعيتـه بالعملِ بنظامِ الالتزام في جمعها، وهو النظـامُ الذي كان معمولاً به في الدولةِ العثمانيةِ قبلَ صدورِ أنظمة الاصلاحاتِ العثمانية، وكان خـاصـاً بـالضرائبِ وليس الزكـاة، وكـذا الضرائبُ التي فـرضتْ على أمـوالِ الميري، المسماةِ في اليمنِ بـالـردايـد، ومـا جُعلَ ضريبـةً على الأغنـامِ والبقـرِ والجمالِ. وكلُّها قضـايا مهمـةٌ تؤثـرُ على اليمني بصورةٍ مبـاشرة، ولعلَّ الإمام كان يواجهُ ظـروفَ دولتهِ الصعبةَ، المتمثلة بقلّةِ مواردِهـا الطبيعيةِ من معادنَ واختناقِ اقتصـاده بالحصارِ البحري وكثـرةِ الأعباءِ المالية، التي يتطلبُهـا بناءُ دولتهِ وإعدادُ جيشِـه وتسليمه لمواجهةِ الأخطارِ المتربصةِ بـه في تهامةَ وعدن، بمثلِ هذه الإجراءات الضرائبية.

- وتنـاولَ المنشـورُ الضعفاءَ والمسـاكينَ والمصـالحَ والبحثَ عنهـا، وقـد وردتْ إشاراتٌ عديدةٌ في مخطوطنا، يعرفُ منهـا العنايةُ بهذه الفئة في مجالات الرعايةِ الصحيـةِ المجانيـةِ في المستشفى والإنفاقِ عليهـم، وكانت المواجهـةَ اليوميـة التي يحرصُ الإمـامُ عليهـا في كلِّ صباحٍ في سـاحـةِ المقـامِ لقضاءِ الحاجـات والانتصارِ للمظلومين والضعفاء والمساكين.

---

(١) من مقدمة البردوني لكتاب معالم تاريخ اليمن المعاصر، ١٣.

- وجاءَ في المنشورِ (البلاغ). عـدمُ تعهدِ العالمِ والمتعلمِ وتأخيرُ بعثِ واجباتهم، وهي مسائلُ تـردُ إشاراتُها في ثنايـا مخطوطتِنا، ولا أرى الكثيرَ من دولِ عـالمنا المعاصرِ إلا ولها المسلكُ المشابهُ.

- ونـاقشَ المنشورُ (البـلاغ)، مسألـةَ إجبار بعض النـاسِ على إصلاحِ الطـرقِ وتعزيلها وإجبارِ القبليِّ على التجنيدِ في العسكرِ النظاميّ دونَ البعضِ الآخرِ، وهـذه مسائلُ تتصلُ بتخيُّرِ العسكـر وفقَ رؤىً مسبقـةٍ، في مقدمتهـا الموالاةُ والطـاعةُ، ومـا أحسب مُحُمد بن علي الوزير إلا أنّه يداعبُ مشاعرَ الناسِ في مناطقِه، الذين اعتبروا التجنيدَ النظاميَّ خضوعاً وانقياداً وإذعاناً.

- وأشـارَ المنشورُ (البـلاغ)، إلى تعليمِ الموسيقى والإنفـاق على أهلِهـا من بيتِ المالِ، ويبدو أنَّ إدخالَ فرقِ الموسيقى في الجيشِ وتعليمَهـا لنفرٍ من الجندِ قد قوبلَ بالاستهجانِ من قبلِ العـامةِ، إلا أنَّ الإمامَ أصرَّ عليه وأدخله في الجيشِ من بـابِ تعلّم إشـاراتِ النفير كأداةِ اتصـالٍ وتنبيـهٍ عنـدَ التعبئـةِ والاقـدامِ والتراجعِ وابلاغِ الأوامرِ والتعليماتِ بسرعةِ سماعِ الصوتِ.

ولكنَّ الإمـامَ ومعـاونيـه وضبـاطَـه من الأتـراكِ واليمنيين جعلـوا من الموسيقى أداةَ إعدادٍ للحـروبِ وإثارةِ الحماسِ للجهادِ أكثرَ منهـا أداةَ تسليةٍ وطربٍ ولهو.

- وجاء في الأمر الـرابعَ عشرَ من المنشور (البلاغ) مـا يفيدُ عزوفَ مُحُمد بن علي الوزير عن تولي المناصبِ أو السعي إليهـا مع تلميحِه لصلاحِه لها، ويذهـبُ إلى أكثرَ من ذلك، بأنّه أقسم باللهِ العظيم، بلفظِ أوردَ نصَّـه، بأنّه موطنٌ نفسَهُ على عدمِ التوليةِ ما بقيَ حياً حتى يقبـضَ اللهُ أمانته (روحه). وهذا مخالفٌ لما أورده مؤرِخُنـا من إظهارِه وكأنّه متهـالكٌ على التوليـةِ، حاسدٌ لأقـاربه لأنَّهم تولَّوها دونَه.

ولعلي أرى أنَّ أهميةَ معـارضةِ مُحُمد بن علي الوزيـر لا تكمُن في منشوره ولا في حـركته من حيثُ اتسـاعُها أو عـدمُه فقـد تم احتواؤهـا بأقل ضررٍ وإنما في انبثاقِ المعارضةِ من أحـد أبناء السادة، وكانَ أخطرَ ما وردَ فيـه ما جاء في الأمر التـاسع: «ولنـا أنْ نطلبَ الحسـابَ، اختشـاءً باللـهِ تعـالى من عـذر مظلـوم». فسمألـةُ الاحتسابِ على الإمام» طُـرِحَتْ لأولَ مـرةٍ في هذه المرحلةِ المبكـرةِ من عهدِ الإمـام يحيى سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، وهو مـا زالَ يعملُ لبناءِ «الـدولة الإسلامية اليمنيةِ» الحديثة. ثم كانتْ مـن محمد بن محمد زبارة سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، حيث نصبَ نفسه محتسبـاً، وطالبَ تأليفَ هيئـةٍ من كبارِ العلماءِ على رأسِها زيدُ بنُ علي الديلمي لتنظرَ في موضوعِ الاحتسابِ على الإمامِ، ولكنّه تبَّرأ من طلبه فيما بعد[1].

ولعلّه من المفيدِ الإشارةُ إلى استمرارِ مُحُمد بن علي الوزير في نهجه المعارضِ للإمام يحيى وتنقلِـهِ بينَ ذمارَ وصنعاءَ والسرِّ وعدن وتعز وقيادتـه حملةً عسكريةً ضـدَّ قواتِ الإمـام أحمدَ بعـد نجاح مـؤامـرةِ اغتيالِ الإمـام يحيى، حيثُ أُلقي القبضُ عليـه وأُعـدمَ في سـاحـةِ حـوْرَةَ من حجـةَ، ٣٠ جمادي الأولى سنـة ١٣٦٨هـ. أخذاً بمؤامرة الاغتيال.

---

(١) الثابت أن أحمد بن محمـد زبارة قد أرسل رسـالة الى الإمام يحيى يشتم منهـا طلب الاحتساب فحوّلها الإمام يحيى إلى والده العلامة محمـد بن محمد زبارة، فما كان منه إلا أن اصطحب ولده أحمد إلى المقام واعتذر وقضي الأمر.

الفصل الثاني

الإمامُ وتثبيتُ الاستقلال

كانت السنواتُ ١٣٣٧هـ -١٣٤٢هـ (١٩١٨م-١٩٢٣). وهي الفترةُ التي اختصَّ بها مخطوطنا، من أهمِّ وأخطرِ ما مرّ على اليمنِ في تاريخها الحديث، وذلك بسبب جسامةِ الحوادثِ التي تعرَّضَتْ لها، فالأخطارُ المحدقة بها كان عظيمةً والقوى المتربصةُ لها كانت كبيرةً، ومعاولُ الهدمِ الناحتةُ لكيانها كانت حادّةً، ومقصّاتُ التجزئة كانت مشحوذةً. والباحثون عن الزعامةِ والمنافع كانوا أكثر. ولو أرادَ مراقبٌ منصفٌ أنْ يرسمَ صورةً لما كان يدور حولَ اليمن، لا يرسم إلا صورةً لفريسة تتناوشُها وحوشُ الفلاةِ من كلِّ صوبٍ وحدبٍ، الإدريسيُّ، حليفُ الانجليزِ، يتخطَّفُ تهامةَ اليمن بمعونةٍ ضخمة ممن يوجهون حركتَه، فما كان قتالُه إلا لمنفعةِ حلفائِه من البريطانيين.

وبعضُ شيوخِ ورؤساء اليمنِ الأسفلِ ينتفضون ضد اليمن الواحد يداعبُهم بريقُ الإمارةِ والسلطةِ، وبريطانيا ترسلُ طائراتِها إلى الدريجةِ لتصبَّ لهيبَ قذائفها على عساكرِ الإمامِ الساعيةِ لتحريرِ المحتلِّ من الوطنِ وتخليصِه من ربقةِ مستعمريه.

ولما كانَ مخطوطُنا قد صُنِّفَ أساساً لإظهارِ هولِ الأخطارِ المحيطةِ باليمنِ، ومن ثمَّ ابرازِ النجاحاتِ الإماميةِ بهذا الصدد، فإني لا أجدُ كبيرَ فائدةٍ في معاودةِ تفصيل تلكَ الحوادثِ من حروب ووقائع، وإنما أتركُها مبذولةً في ثنايا المخطوطِ كما سجلَها مؤلفنا، ولكنّي أحاولُ قراءةَ الصورةِ بشموليةٍ، مع

محاولتي تحليلها بعيداً عن تشويه واقعِ المجتمع اليمني، وفي اعتقادي، فإنَّ أخطرَ ما تعرَّض له اليمنُ في هذه الفترةِ، تلك التحرشاتُ والمناوشاتُ التي كانتْ نشطةً في تهامةَ والتي رأسَها محمد بن علي الإدريسي، وتولّت قيادتُه العسكريةُ تنفيذَها بمعونةٍ متحالفةٍ مع الانجليزِ، وبمؤازرةٍ من أعوانِهم، وأولها:

الحروبُ مع الإدريسي:

لا يبذلُ الباحثُ كبيرَ عناءٍ ليتوصَّلَ إلى الحقيقةِ الثابتةِ، بأنَّ محمد بن علي الإدريسي المتغلبِ على أجزاءَ من تهامةَ كان صنيعةً لينةً بأيدي القادةِ العسكريين البريطانيين، لا يحرِّكُ ساكناً إلا بأوامرهم، ولا يفعلُ شيئاً إلا برضاهم، ولعلَّ في القراءةِ السريعةِ للوثائقِ البريطانيةِ ما يذهب بنا إلى العدد الكبير من اللقاءاتِ والاجتماعاتِ التي كان يعقدها قادتُه وأمراءُ عسكره مع القيادات البريطانيةِ، ويدهشُ القارىءُ للعددِ الهائل من التقاريرِ الاستخباراتية التي كان يبعثُ بها قائدُ الإدريسي النافذُ، مصطفى بن السيد عبد العلي الإدريسي لمسؤوليه في أجهزةِ الاستخباراتِ البريطانيةِ، ويذهلُ الباحثُ من طواعيةِ مصطفى الإدريسي في تنفيذه للأوامر البريطانية.

ولما كان ذاك الإمامُ المشاقُّ يرغبُ باستمالةِ المناطق المتاخمة له من اليمنِ مثلِ منطقةِ جبل بُرع وزبيد وتعز وحراز واليمنِ الأسفلِ وهي في معظمها شافعيةُ المذهبِ أو باطنيةٌ تفتق ذهنُه عن نفسية تعملُ على إثارةِ الخلافاتِ المذهبيةِ، وذلك ليُظهر نفسهُ وكأنه المدافعُ عن الشوافعِ، وهو من ناحيةٍ أخرى الحامي لحريةِ الاعتقادِ والمذهبِ لاجتذابِ باطنيةِ حراز، فإذا أضفنا لذلك الذهب وكميته الجارية بين يديه، واغداقَها على المنتمين إليه، صدقَ عندها القولُ الجاري عن أهلِ اليمنِ آنذاك «الإمام يحيى عنده المذهب والإدريسيُّ عندَه الذهب» والاختيار متروك لكل ما يريد.

ومنذُ سنةِ ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، ومحطاتُ الإدريسي العسكريةُ منتشرةٌ ما

بينَ الحُمـرةِ حتى عُبـال، والحروبُ مستعـرةٌ من سمهـرَ حتى وادي المرقـوع، والحربُ سجـالٌ بين قـواتِ الإمـامِ والإدريسي في العينِ والجمجمـةِ من بني الحمادي وجبلِ الطرواح[1]، وكانَ إخـلاءُ الانجليزِ الحديـدةَ في محرم ١٣٣٨هـ/ أيلـول ١٩١٩م وتسليمها لـلإدريسي الحدثَ الأخطـرَ على الـدولةِ الإسـلاميـة اليمنيةِ، فقـد أُحكمَ الحصارُ البحريُّ على اليمنِ، ولمْ يكن أمامَ الإمـامِ إلا القتالُ أو الاستكانةُ كرهينةٍ للمصالحِ الانجليـزية، ولما اختارَ الإمامُ الطريقَ الأولَ وهو القتـالُ والكفاحُ لصـونِ الاستقـلال وتثبيتِ الوحـدةِ ودحـرِ قوى الانفصـالِ، نشطتْ قوى الإدريسي وأعـوانُه للعمل في جهـاتِ حُفاش وحراز وزبيـد. وكانَ أعـوانُ الإدريسي قـدْ امتـدتْ أيـديهم في بـاجل إلى الـزرانيق الشمالي، وذلك باستمالـةِ عقّالهم، والهدفُ إزالـةُ الحواجزِ الحائلـةِ بينهم وبينَ زبيد، وقـد أحبطَ هذه المحاولـةَ القواتُ التي أرسلها الإمامُ بـامرةِ عبدالله بن أحمد الـوزيرِ، حيثُ كـانتْ معاركُ في جبـل راس، وفي ديارِ قبيلـةِ المعـاصلةِ وفي بـلادِ الـرُّكبِ من وصابِ السافل، لمعـاودةِ فرضِ الطاعةِ، والتصدي لـلاختراقاتِ الإدريسية على هـذه الجبهةِ، ومحاولـةِ الوصـولِ إلى ميناء المخـا أو خوخـةَ للتخفيفِ من ضررِ الحصارِ البحري الخانق[2]. والمخامـرسي اليمنِ تمرُّ من أمامها مـراكبُ الإفرنجِ لقصـدِ بـلادِ الهنـدِ والصين وكـافـةِ ممـالكِ الشرق الأقصى، وهي حـاصرةٌ على مضيق باب المندب، على مقـربةٍ منها الانجليز في بـريم، والإفرنسيون في عصب وجيبـوتي، فأهميَّتُها استراتيجيـةٌ ملحَّةٌ، يمكـنُ منها تهديـدُ السفنِ الفرنجيـةِ أو جعلها منفـذاً لدخول البضائع، وخـاصةً الأسلحةَ والـذخائرَ والمؤنَ، ويستطيعُ التجارُ تصديرَ بضائعهم إلى الخارج[3].

---

(١) كتيبة الحكمة، ٧٠.

(٢) حول المعارك انظر، كتيبة الحكمة، ٥١، ٨٥، زورق الحلوى، ٢٣٩.

(٣) كتيبة الحكمة، ٤٧-٤٨.

ومع أنَّ أهالي زبيـد. منذُ دخولِ الإمـام إلى صنعاءَ، راسلـوا الإمامَ في رجب ١٣٣٧هـ/ أبـريل ١٩١٨م يعلنـونَ الطـاعةَ والانتماءَ إلى الـدولـةِ الإسـلاميـة اليمنيةِ، فقـد شكوا إلى الإمام تمرّدَ أهلِ وصـاب العالي ووصـاب السافل، حيث تمكنتْ قـواتُ الإمام من فـرضِ النظام والطـاعـةِ في مناطقِ جبل راس ودُبـاس وحَيْسٍ ومرسى خـوخة، ولكنَّ أخطرَ مـا كان حين تحرَّكَ عوضُ بنُ علي الـزربة، شيخُ مشايخِ الـرُّكب، ذو النفوذِ القـوى في وصاب، وخاصـةً بعد تحققِ الأطماعِ الادريسيـةِ في زبيد فـواجههـا الإمامُ بقـواتٍ كبيرةٍ، حيث أطبقتْ على المنطقـةِ جيوشٌ ثلاث، من أهلِ العُدين وبني جبر ومن جوب في العدين وامداداتٌ من المقامِ فافشلتْ تلك القوةُ الكبيرةُ الخطةَ البريطانيةَ الإدريسية[1].

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، فقد تنـاهتْ إلى الإمامِ يحيى طبيعةُ المراسلاتِ الدائرةِ بين عبدالله بشر، صـاحبِ النفوذِ والرئاسـةِ في صعفانَ ومدول، وعلي طاهر رضوان، أحدِ قـادةِ الإدريسي، بواسطةِ مساوي بن عبـدالرب، صاحبِ شـويع، وكانت تلك المراسـلاتُ تدورُ على ضرورةِ تصنُّعِ عبـدالله بشر الـذرائعَ للتخفيف من وجودِ محطاتِ العساكرِ الإماميةِ النظاميةِ في حراز، حتى تتمكنَ قواتُ الإدريسي المتعاونـةُ مع عبدالله بشر من السيطرةِ على جبل حـراز المقابلِ لتهامةَ بسهـولةٍ ويُسرٍ، بالحيلـةِ والخداعِ دونَ المقاتلـةِ والنزالِ، وقد نجحَ عبـدالله بشر بما قـدَّمهُ للإمامِ من تسويدِ صحيفةِ عاملِ متـوَح محمد بن قاسم الظفري، فقد نسبَ إليه تنفيرَ الرعايا، وعدمَ ملائمتهِ النـاحيةَ لما عليه من جميع السجايا، ويقصدُ بذلك حريـةَ المعتقدِ للباطنيـة – وقد استجابَ الإمـامُ لشكواه مع شكِّهِ في سيرتِـه مذ كان حاكماً في عهـدِ العثمانيين، فقدْ كان عبداللهِ بشر مـرَّن نفسه على إبقاء الجزء الأكبر من الواجبـاتِ لنفسه وتسليم القليلِ للدولةِ العثمانيـة، وحين انتهى أمرُ المراسلاتِ بين عبـدالله بشر وقائد الإدريسي علي طـاهر رضـوان، أعملَ الرأيَ

(١) انظر، كتيبة الحكمة، ٣٩، ٥٢، زورق الحلوى، ٢٤٥-٢٤٦.

فيما يكـونُ فيـه الصـلاحُ دونَ الحسمِ العسكـري، فأرسلَ محمـود نـديم، الـوالي العثماني السابقَ، والـذي بقي في خدمـةِ دولةِ الإمـامِ الإسلاميـةِ إلى مناخـةَ علّه ينجحُ فيما يكونُ بـه حسمُ الشرِّ الذي استطالَ شررُه في أطـرافِ حراز وما قـابلَه من تهامـةَ والتـوصّل إلى استمالـةِ أولئك القبـائل بواسطـةِ سـادةِ تهامـةَ من بني الأهدلِ، لعلَّ ذلـك يدفعُ الشرورَ ويجلبُ السكـونَ، ولم تنجحْ بعثةُ محمود نـديم بسببِ التدخـلاتِ البريطانيـة وانضمَّ أهلُ صعفان لقـوات الإدريسي، فما كان من الإمـام إلا أنْ سيَّرَ حملـةً بقيـادةِ عبـدالله بـن محمـد الضمين، نجحتْ في إخضاعِ حراز، وأفسدتْ على الادريسي خطته[1].

وكان لـلإدريسي تدخُّلُه في جبلِ ريمـةَ وبلادِ الطعام وسـاعدهم على ذلك قواتٌ وصلـتْ من طرفِ شيـوخِ الضالع، حيثُ قـادَ الحملةَ ضدَّ الإمـامِ شيخُ جبل ريمةَ محمد أمين، والذي سنتناول كتابـه للبريطانيين في فصل علاقة الإمام يحيى مع بريطـانيا، وكانَ محمـد أمين بن محمد أحمد قـد تسنّمَ ذُرى الحلِّ والعقدِ في العهدِ العثماني، ووصلتـهُ الامداداتُ من باجل وعُبـال ومنْ قواتِ الإدريسي، وخاضَ معاركَ مع القـواتِ الإماميةِ بمساعـدةِ محمد طاهر رضـوان الذي عاودَ الهجومَ على ريمةَ أواخرَ شعبان ١٣٣٩هـ/ أبريل ١٩٢٠م[2].

وكانَ مِنْ أخطـرِ ما واجهـه الإمامُ منـاوشاتُ الإدريسي لأطـرافِ جبل بُرع وبلادِ الطعـام، فالمنـاوشاتُ مستـديمةٌ، ولا بـدَّ لعاملٍ قـادرٍ على إصلاحِ جبل ريمةَ وأطـرافِ ناحيةِ الجعفـرية، لأنَّ أطرافَ تلـك الناحيةِ متصلـةٌ بقضاءِ بيتِ الفقيهِ بن عجيل، ثم إنّ جبلَ بـرع في جهةِ الجنوبِ الشرقي من بـلاد الطعامِ من أعمالِ ريمـة، شمالَه وادي سهـام الـذي يفصلُ جبلَ بُـرع وبلادَ القَحُـرى ومن الغربِ بـلادُ العبسيةِ من نـاحيةِ المراوعـةِ ومن الشرق بلادُ الطعـام وريمةَ ومن

---

(١) كتيبة الحكمة، ٩١، ٩٦، ١١٩، ١٢٠.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٣٠.

الجنوبِ بغرب بلادُ الرافقة. وقد حاولَ أعوانُ الإدريسي استغلالَ الخلافِ الذي وقعَ بينَ علي بن أحمد بن إبراهيم أميرِ العسكر وحاكمِ الجبلِ عزي عطاء الله، حتى إذا اشتدَّ الصراعُ، عيَّن الإمامُ عبدالله الصائغ حاكماً على الجبلِ، وعندها اندلعت المعاركُ بين قواتِ الإدريسي والإمام وكانتْ حرباً ضروساً[1].

ولم تخمد منطقةُ جبل بُرع إلا أوائلَ سنةِ ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، حيث رماها الإمامُ بقواتٍ كبيرةٍ من حاشد وخولان والحدأ وجبالِ عيال يزيد بقيادةِ يحيى ابن علي الذاري فدخلوا حصنَ المنامةِ، وراسلوا مَنْ في بُرَع، ولما كانت البيئةُ وخيمةً، فقد فشت الأمراضُ في قواتِ الإمام، واتصلَ أهلُ الجبلِ بالإدريسي وخادَعوا يحيى بن علي الذاري بإطالةِ أمد المراسلةِ انتظاراً لوصول الإمداداتِ من الإدريسي، وقد أصيبتْ قواتُ الإمامِ وعادتْ إلى صنعاءَ ولم تحققْ ما ترجوه من اخضاعِ أهلِ الجبلِ[2].

كما أنَّ قواتِ الإدريسي شجَّعتْ أهلَ ملحانَ، وخاصةً عُزلةَ الشويع وقَيْهمة على الخروجِ والتمرّدِ، إلا أنّ عساكرَ الإمام أسرعت إلى احتواءِ تمردهم، فدخلتْ حُفاشَ والمحويتَ وأرباعَ بني قيس، وأخضعَ أحمدَ بنُ قاسم حميد الدين تمرُّدَ ملحانَ بصورةٍ تامةٍ في ٧ صفر ١٣٤٢هـ[3].

لقد كان موتُ محمدِ بن علي الإدريسي، في شعبان ١٣٤١م بصبيا، بدايةَ تفككِ إمارةِ الإدريسي، فقد نُصِّبَ ابنه الصغيرُ علي مكانَه ولم يتجاوز الخامسة عشرةَ من عمره، وتفجّر الصراعُ بينَ قياداته العسكرية -حتى آل أمرُها إلى الزوال فيما بعد.

---

(١) كتيبة الحكمة، ٦٧-٦٩.
(٢) كتيبة الحكمة، ٢٤٩، ٢٥٠.
(٣) كتيبة الحكمة، ٢٩٩.

الفصل الثالث

تدعيمُ الاستقلالِ (التوحيد والتحرير).

المطلب الأول: الحروب في تعز:

دأبت الـزعامـاتُ المحليةُ في لـواءِ تعـز منذُ صلح دَعَّـانَ سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، على تثبيت كيـانــاتها وذلك عن طـريقِ زيـادةِ ثــرواتِها من الأمـوالِ والحبوبِ، نتيجة تحكمِها في مصادرِ الانتاجِ في مناطقها المعروفةِ بخصبِها ووفرةِ محاصيلها، ثمَّ استحواذِها على الكثيرِ من الأَسلحةِ والمعداتِ والذخائر.

وقـد ساعـدَها في تحقيقِ ذلك، تـراخي قبضةِ الـولاة الأتراك عنهم، وقبـولُ هؤلاء الولاةِ الـرشاوي منهم، والقنوعُ بالقليلِ من الأموالِ لخزينةِ الـدولةِ ما دام هـؤلاء الشيـوخُ والــرؤسـاءُ قـادرين على ضبطِ منـاطقهـم وعـدم ثـورتِها على العثمانيين. وحينَ وقعَ إخـلاءُ اليمنِ من العسـاكـرِ العثمانيـةِ بمـوجبِ هـدنـة موندوروس، اشتدّتْ عواملُ التنازعِ والتنافسِ بينَ الزعامات المحلية.

وبرزَ محمـد بن حسَّان، شيخُ الطريقـةِ الشاذليـةِ الصوفية، كـواحدٍ من أهمِّ الزعماءِ المتنافسين في قضاءِ المخاعموماً، وفي ناحيةِ مقبنةَ وشرعبَ وأطرافِ بلادِ العدين وجبلِ حبشي وجبل صبر، وعلى الـرّغم من هزيمته في حروبـه مع الدولةِ العثمانيةِ التي قادَها الياس الجركسي، وفراره خـارجَ البلادِ اليمنية، فإنّه عادَ بعدَ رحيلِ العثمانيين، وأعلنَ انتماءَه لـدولـةِ الإمـامِ يحيى كغيرِهِ من زعماءِ لـواءِ تعـز الذين هدفوا من موقفِهم تجاه الإمام يحيى تعـزيزَ نفوذِهم في مناطقهم أكثرَ منه

ولاءً حقيقياً، يُسهمُ في تقويـةِ الدولةِ اليمنيةِ الحديثة. وقد ظهرتْ نـوايا محمد بن حسـانَ، عنـدما دخلَ في صراعٍ مع علي عثمان، عـاملِ المخـا، بسبب رغبتـه في الاستحواذِ على بعضِ المدافعِ التّي أبقاها العثمانيون لدى العاملِ[1].

وكـانَ محمد نـاصر مقبل، أكبرَ مشايـخِ لواءِ تعز في العهد العثماني نفـوذاً، يحكمُ القماعرةَ ومخاليفَ من الحجـريةِ وبلادِ قعطبـة وناحيةِ الحُشـا، ويضعُ يدَهُ على المدافعِ والجبخـانـةِ وكثيرٍ من الأسلحـةِ، يعمـلُ على تأديبِ كلِّ مخالفٍ[2]. وشيـوخُ الحَجريـةِ أولاد نعمانَ مقبل يحاولـون دعمَ نفوذهم بمـزاحمة على عثمان، عاملِ المخا، على الأسلحـةِ والمدافعِ والذخائر، وينافسهم نـور الدين بن حسان الصوفي على زعامة جبل حبشي، وكان يعملُ للانفرادِ بزعامةِ الجبل.

ولما كانَ الإمـامُ يحيى يُدركُ نزوعَ شيوخِ لـواء تعز للرئاسـةِ، ويعرفُ تخوُّفهم من امتدادِ سيطرةِ الـدولةِ اليمنيةِ الإسلاميةِ إلى منـاطقهم، فقد حاول التخفيفَ من تـوتـرهم بإسنـادِ بعضِ الأعمالِ الإداريـةِ إليهم، فقـد أسنـدَ عمالـةَ تعـز وملحقـاتها وبلاد العـدين إلى أحمد بن علي عبدِ الجبـار الباشـا، وأسندَ القضـاءَ والإشرافَ على كـافةِ اللـواءِ التعزي إلى عبـدالرحمن ابن علي الحداد، وعمالـة إب وجهاته إلى إسماعيل بن محمد بـاسلامة، وعمالة قضاء الحجريـة إلى عبدالوهاب ابن نعمان مقبل، ولمحمـد نـاصر مقبـل عمالـةَ القماعـرةِ ومخاليفَ من صهبـانَ ومخاليفَ من الحجـريـةِ ومخاليفَ من بلادِ قَعطبـةَ والحبشـا، فقـد حاولَ الإمـامُ ارضـاءَهم، وعدمَ التصـدي لمطامِعِهم في هذه المرحلـةِ المبكـرةِ من بناءِ دولتـه الحديثة.

ويرى كلٌّ من محمد بن علي الأكوع، وزيد بن علي الوزير بأنَّ مشايخَ اليمن الأسفل قـد تداعـوا لعقد مـؤتمرٍ، للنظـرِ في أوضاعِ بلـدهم في ضوء انتصـارات

---

(١) كتيبة الحكمة، ٤٣.

(٢) كتيبة الحكمة، ٤٤.

الحلفاء، ومن ثـمَّ فقـد التأم شملُ المؤتمرين في آخـر شهـر محرم ١٣٣٧هـ في العماقي، القريةِ الـواقعةِ على الطريقِ بين القاعدةِ وتعز، وكانـتْ بمثابةِ استراحةٍ للمسـافرين. ويـذهبُ الباحثـان «إلى أنّ المحادثـاتِ الجانبيةَ بينَ المؤتمرين قـد انتهتْ إلى تشكيلِ حكـومةٍ لا مـركـزيـةٍ» «ولا تـرتبطُ بصنعـاءَ إلا في أحـوالٍ استثنائيةٍ حدَّدوها»[١]. وقد أختلفت المصادرُ في النتيجةِ التي أسفرَ عنها المؤتمرُ، فالأكوعُ يعـزو فشلَ المؤتمرِ إلى تغيبِ محمد ناصر الصراري[٢]، ويحيى منصور[٣] يعزو فشلَ المؤتمر إلى محمد نـاصر مقبل الذي أصرَّ على الطاعةِ لـلإمامِ والإذعانِ له. وتنفردُ وثيقة بـريطانيةٌ بنجاح المؤتمر[٤]، واختيارِ المؤتمرين محمد ناصر مقبل رئيساً بهدفِ مقاومـةِ الزيديين، أما مـؤرّخُنا عبدُ الكريم بن أحمد مطهـر فيذكر: ومنهـا أنّـه في أثنـاء ظهـورِ الخلافِ من أهل حبيـش، كثُـرَ من مشـايخ اليمن الأسفل التــلاقي إلى محلاتٍ مخصــوصـةٍ، ومن أكبرِ اتفــاقهم مـا حصلَ في اجتماعهم في القاعدة، وتـداولهم للمراجعة والإفادات للخطـة التي يبنون عليها شئـونهم، وكــانـوا ينفصلــون على غيرِ رابطٍ كما بلغ، ولم ينتظم لهم أمــرٌ ينـافي المصالح الأمـاميةَ، بل لم يَـجرأ أحـدهم على إظهارِ رأيه فيما يخالفُ الطـاعة»[٥] ويضيفُ عبدالكريم بن أحمد بـأنهم تنافسوا على الزعامـةِ والتصدر، فكانَ ذلك من أقـوى الأسبـابِ في فشلِ مؤتمرِ القـاعـدةِ. وهـو ما يتنـاقضُ مع مـا وردَ في الوثيقةِ البريطانيةِ المشارِ إليها سـابقاً، ويبدو أنَّ جهودَ القاضي علي بن عبدالله الأكوع قـد أثمرتْ في تـوجيه المشـايخ نحو طـاعةِ الإمـامِ والإذعان لـه. بعد أن

(١) حول ذلك، انظر، حيـاة عالم وأمير، محمد بن علي الأكوع، ٢٧٤، زورق الحلـوى، حمود الدولة، تحقيق، زيد بن علي الوزير، ٩٨، الوثيقة البريطانية رقم FO 371/ 4407/ 85217.

(٢) حياة عالم وأمير، ٢٧٦.

(٣) شعر وذكريات، ٥٢.

(٤) انظـر الوثيقـة البريطانيـة السابقـة والوثيقـة رقم FO. 371/4207/ E125033/ ME/44. زورق الحلوى، ٩٩.

(٥) كتيبة الحكمة، ٤٤.

حذرهم من مغبةِ الارتماءِ في أحضان النصارى، أعداءِ الملةِ والعرب وإلا جلبوا سبةَ الدهرِ ولعنةَ الأجيالِ وعارَ الدنيا والآخرة، والإمامُ ليس بتاركهم حرباً أو سلماً، بل فتح لهم طريقَ الاتحادِ مع الجماعةِ، ويدُ اللهِ مع الجماعة. وبالفعلِ فقد استجابَ مشايخُ اليمنِ الأسفل، ووصلوا في ١٣ صفر ١٣٣٧هـ/ ١٧ نوفمبر ١٩١٨م، إلى مقرِ الإمام بصنعاءَ، حيثُ وصلَ كلٌ من أحمد بن علي باشا وعبد الرحمن الحداد وإسماعيلَ باسلامة وعبد الواسع نعمان والشيخ علي ناصر الكمراني مندوباً عن محمد ناصر مقبل، وأربعةٌ من أولادِ الشيخ عبدالله بن سعيد بن أحمد بن علي سعد من مشايخ العدين والشيخُ محمدُ بن عبدالوهاب ابن محمد بن قاسم والشيخُ محمدُ بنُ عبدالواحد بنِ محمد بن قاسم ومحمد عايض العقاب من مشايخِ حبيش[1]. وكانت الطاعةُ والاذعانُ، والتولية لهم في مناطقهم، بعدُ الاستقلال للإمام يحيى. ويصفُ مؤرّخُنا في مخطوطِه كيفَ عادَ هؤلاءِ حكاماً على مناطقهم، ولكنَّ الشرَّ قد ظلَّ كامناً في نفوسِ البعضِ منهم، يداعبُ خيالَه: الإمارةُ المستقلةُ «المنفصلةُ عن الدولةِ اليمنية. وقد خاضتْ قواتُ الإمام معاركَ كثيرةً لتحفظَ وحدةَ اليمنِ وتحولَ دونَ الانفصالِ، خاضت معارك في حُبَيْش والعُدينِ وذي سفال وجبل صبر وشرعب والحجرية والعاقبةِ وقعطبة وغيرها من المناطق التي أشرنا إليها سابقاً في زبيد والركب وصنهات، وظهرتْ شخصيةُ القائد الأميرِ علي بن عبدالله الوزير والذي أخضعَ بقواتِه انتفاضةَ أهلِ حبيش وجحانةَ وظلمةَ، وسيطرَ على أطرافِ العدينِ الغربي المطلِّ على وادي زبيد، ومن ثمَّ ضبطَ جبلَ صبر وشرعبَ والحجريةَ والقماعرة وغيرها، وتسلَّم الأسلحةِ التي كانت بأيدي زعمائها، وانصرفَ الناسُ إلى

---

(١) كتيبة الحكمة، ١٧، الوثائق البريطاني أخطأت وخلطت في الأسماء والأعيان الذين وصلوا، ولعل السبب في الخطأ يقع على عاتق العملاء الذين كانوا يوصلون الأخبار إلى رجال المخابرات البريطانية انظر، الوثائق.

Fo. 371/ 4207/ Fo. 371/4207 Fo. 371/4207/ E. 27039.

أعمالهم وإحياءِ أراضيهم التي كانتْ إلى حالة الموات[1].

ومعَ ذلك فإنَّ لـواءَ تعز لم يستقـرَّ، وتحرّكَ الأفيـوشُ وترصـدوا الجندَ الإمـاميَّ، وقتلوا منهـم جماعةً، وأهلُ العاقبـةِ من قضاءِ العـدين انتفضوا فأسكنـت ثورتهم. وحاول الإمامُ مـرةً أخرى استيعابَ تمرداتِ اللواء والاتصـالَ بهم وتطويق أهدافِ البعضِ منهم بالانفصـالِ وتكوينِ إماراتٍ مستقلةٍ، وكانـت أخبارُ معاودةِ بعضِ زعماءِ اليمنِ الأسفلِ الاتصالَ بالانجليزِ قد تناهتْ إلى الإمام، وقد وقفنا على وثيقةٍ بريطانيةٍ تفيدُ باتصالِ محمد ناصر بـالانجليزِ يدعوهم لبلاده لحمايته وقبائله، ومع أنَّ القيادة البريطـانية رفضت الطلبَ، لكنهـا وعدتْه بـاستقبال وفـده وكان معنى ذلك سماع طلباتِه من الإمدادِ بالسلاحِ والذخائرِ والمؤنِ والأموالِ.

فقد جاء في الوثيقة

من القيادة – بريم   ١٧ يناير ١٩١٩

هيئة الأركان – عدن

B. 481

أرسل الشيخُ نـاصر شيخُ قبائلِ السـاحلِ الواقعـةِ بينَ مدينةِ الشيـخ سعيد والمخا شقيقـه إلينا اليوم، وخوّلـه بإعلامَنا «أنّه إذا أصبحت هـذه القبائلُ تحتَ الحمايـةِ البريطانيـة، فإنهم سيبقون في مـواطنهم على السـاحل، وإلا فالعـزمُ في التـوجّهِ نحـو الـداخلِ، بمقدارِ خـوفِهم من الإمـام، وقد اقترحَ الشيخ نـاصر ارسالَ بعثةٍ مفوضةٍ إلى عدن لشرحِ قضيتهم، إذا سُمِحَ لهم بذلك.

المعلـومـاتُ المستقـاةُ من مـوزع تفيدُ بأنَّ الأتـراكَ قـد دمَّـروا خمسَ مـدافعَ ضخمـةٍ للحيلولـةِ دونَ وقـوعِهـا في أيدي قـواتِ الإمـامِ، كما تُـرِكَ ثلاثَ مئةِ صندوقِ ذخيرةٍ في موزع بسببِ النقصِ في وسائطِ النقل.

---

(١) كتيبة الحكمة، ٥٧، ٤٩، زورق الحلوى، ١٦٢، ٢١١، ٢١٧، حياة الأمير، ١١٠-١١٣.

إن القـواتِ المتبقية في الشيـخ سعيد قـد فـرّتْ بالفعلِ مـن وجهِ القـواتِ الإمامية، بعدَ أنْ قطعتْ كافةَ أسلاكِ التلغراف قبلَ مغادرتهم.

وقـد وجهتْ هيئةُ الأركـانِ تلغـرافاً إلى القيـادةِ في بـريم تـاريخ ١٨ ينايـر ١٩١٩ تحت/ رقم ٥٧ /G/C

إذا قدمَ الشيوخُ والرؤساء إلى عـدن، فأنْهِ إليهم بأننا سنمكّنُهم من المقابلةِ، ولكنْ دونَ منحهم أيةَ ضمانـاتٍ بأن تكونَ هذه القبائلُ تحتَ الحمايـةِ البريطانية نسخة F.A.R.[1].

وقد أسفرت الاتصالاتُ الإماميةُ مع شيـوخِ ورؤساءِ اللواءِ عن وصولِ وفدِ أعيان تعز، فقد وصلَ عبدالرحمن بن علي الحداد، وأخوه القاضي أبو بكر بنُ علي الحداد والسيدُ أحمدُ بنُ علي عبد الجبار، والقاضي عبدُ العزيز بن يحيى المجاهد، وكـان البحثُ بينهم وبينَ الإمامِ فيما يكـونُ به الصـلاحُ، والقضاءُ على أسبـاب التمـردِ والفتنِ، ويبدو أنَّ الـوفدَ شكـا لـلإمامِ سـوءَ الإدارةِ في اللواءِ واختـلالَ الأحكامِ فيه، مما دفعه إلى تشكيلِ مجلسٍ لتدقيقِ الأحكامِ هناك من،

عبد الرحمن بن علي الحداد، رئيساً

وعضويـة كلٍّ من: عبـدِ الدائم السادة، والقـاضي إسماعيلَ بنِ عبـدالرحمن الذيبيني، والقاضي حسن بن علي المغـربي، وتعيين القاضي عبدالعزيـز المجاهد عامـلاً على جبل صبر، وأبو بكـر بن علي الحداد مفتياً في قضـاء إب، ورتبَ لهم الإمـامُ المقررات الشهـريـة[2]. وكـان معنى ذلك تحقيقَ الاستقـرارِ والعملَ على إرساءِ قـواعدِ الـدولةِ الحديثـةِ في منطقةِ تعـز، حيث كوّن آلاي من أهـالي اللواءِ ونظّمت الإدارةُ، وخابتْ مساعي الانفصالِ[3].

---

(1) Records of yemen. Vol. 6. p. 406.

(٢) كتيبة الحكمة، ٩١-٩٢.

(٣) كتيبة الحكمة، ٢٢٣.

Paraphrases. January 17th.1919.

From Comdg,
Perim.

To Genstaff,
Aden.

481 B. / SHEIKH NASIR of the coastal tribes between SHEIKH SAAD and MOKHA has sent his brother here today and has authorized him to state that if these tribes can come under British protection they will stay on the coast. Otherwise the intend going into the interior as they fear the IMAM. It is suggested that they send an accredited mission to Aden to state their case if you will permit them to do so. Information has been received from MOZA to the effect that Turks have destroyed 5 large guns to prevent their falling into the hands of the IMAM. 300 boxes of ammunition have been left in MOZA owing to shortage of transport. The party now at SHEIKH SAAD practically fled from the IMAM, they cut all wires before leaving. /

January 18th.1919.

From Genstaff,
Aden.

To Comdg.,
Perim.

57 C/O 18th.your 481 B 17th. / If headmen come to Aden they will be granted an interview but no guarantee can be given to the effect that the tribes will be taken under British protection. Jx /.

Copy to F.A.R.

رسالة الشيخ ناصر إلى قيادة الانجليز في عدن Vol. 6. p.406

المطلب الثاني: الإمامُ وحروبُه مع الانجليز، والتحرير.

من المعـروفِ أنَّ الإمـامَ يحيى لم يعترفْ لـلانجليزِ بـاحتـلالهم لأجـزاءَ من اليمنِ الأسفلِ، وإنْ قبلَ بوضعيةٍ مؤقتةٍ لهم في عـدن، وكان دائماً يردِّدُ في رسائِله إلى الانجليـز ضرورةَ عودة اليمن، مملكـةِ أسلافِـه منذ ألفِ سنـةٍ وزيادة إلى مـا كانت عليـه. مما جعلَ اسكوت يذكـرُ صراحةً في رسالتِه إلى وزيـرِ المستعمراتِ البريطـاني «إنَّ الإمـامَ يـرغبُ في الحصــول على كلِّ شيءٍ، وعـدمِ التنـازلِ عن شيءٍ[1]»، وتوجهتْ أنظارُه نحوَ الضـالعِ ويافع والحواشب والقطيبي في محاولةٍ لاستردادِها ومضايقةِ البريطانيين الذين سلموا الحُديدَة للادريسي.

ونقرأُ في الدرةِ المنتقـاةِ لأحمدَ بن عبدالله الجنداري أنَّ الإمـامَ يحيى قد بعثَ برسـالةٍ إلى مَنْ في الضالـعِ من النصارى، الانجليز، سنـة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، يحذرُهم من استمرارهم في مناصرةِ العساكرِ العثمانيـةِ المحاربةِ لقواتِه، وجاءَ في رسالةِ الإمام يحيى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أهلَ الكتـابِ تعالَوا إلى كلمـةٍ سواءٍ بيننا وبينكم، أن لا نعبـد إلا اللهَ، ولا نشركَ به شيئاً، ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾.

إن كتابنا هـذا إلى مَنْ بالضالعِ وغيره من الانكليز، نعلمهم بأنـا لم نزلْ قافين آثـار نبينـا محمـدٍ، غيرَ مخالفين له في حكـم ولا حدٍّ. وقـد كـانَ بيننَـا وبينَ ولاةِ السلطانِ ما أظلمَ دخـانُه، وأضرِمَتْ نيرانُه لتحريفهم الشريعةَ المنـزّلةَ، وإقبالِهم على القـوانينِ المضلِّلَـةِ وفعلِهم الحرامَ، وأخـذِهم أمـوالَ الضعفــاءِ والأيتـام، وظلمهم الرعيةَ من الأنام حتى نشرَ العدلَ جناحَه، وأطلعَ اليقينُ صباحَه، وإنا لنخبرُكم أنه كانَ بينَ فرقِ النصارى وقـدماءِ المسلمين ما كانَ من الأحكامِ التي

(1) Records of yemen. Vol. 6. p.p. 627.

مضتْ عليها الأوائلُ، وأقرَّها أهلُ الإسلام.

ويبلغُنا أنَّ منكم من يعينُ علينا ويسودُ، ويُغيرُ إلى قتالِنا مع عسكرِ السلطانِ وينجدُ ويبذلُ لهم الأموالَ، ويسيرُ إليهم الرجالَ، وذلك فيما يخالفُ القواعدَ المبنيةَ والأحكامَ القديمةَ المرضيةَ، ولا نريدُ أن نحوِّلَ وجهَ الحربِ بيننا وبينكم ولا نلتفتَ إلى مراكزتكم وحربكم، فإنْ كنتم ترونَ صحةَ ما بلغنا عنكم فبالجهرِ لا بالسرِّ، وعلى الإقبالِ لا على الاغتيالِ، وإنْ أنكرتم هذا رفعتم مواساتكم لمن في قَعْطَبَةَ، فإنَ لحقوا بكم، وخرجوا عنها أمنوا أو أحبوا أن يكونوا أمثالَ من خرجَ من صنعاءَ كانوا أمنوا(١).

والرسالةُ تفيدُ تطلَّعَ الإمامِ إلى الضالعِ باعتبارها جزءاً خارجاً عن الدولةِ اليمنية. فبدأ الإمامُ بتجهيزِ قواتِه. ولاحت الفرصةُ حينَ دخلَ نصرُ بنُ شايف إلى عدن واستمَّد الإعانةَ من الانجليزِ لدفعِ جندِ الإمامِ بعدَ أنْ انتمى للإمام وأعطى رهينةَ الطاعةِ، ولكنّه تحرَّكَ ضدَّ الإمامِ، فتقدَّمتِ العساكرُ الإماميةُ إلى الضالع ويافع لمناطقِ الأجعود وقصدوا الشعيبَ، وانقشعتْ فتنةُ يافع، وكذلك ردفانَ التي كان يحكُمُها محمدُ بنُ صالح القطيبي، وكانت محارباتٌ ومجاولاتٌ، حيثُ أرسلَ الإمامُ سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م حملةً بقيادةِ يحيى بنِ محمدِ بنِ عباس حيث هزَموا المخالفين في جبلِ ودنةَ ولكنَّ الإمداداتِ البريطانية التي وصلتْ جبل ردفانَ لم تحُلْ دونَ بذلِ الطاعةِ في نهايةِ الأمر(٢) في الضالعِ ويافع والشعيب والقُطيبي، وواصلتْ قواتُ الإمامِ في محرم سنة ١٣٤٢هـ/ اغسطس ١٩٢٣م السَوْق بقيادةِ صمصام توفيق بنِ عبدالله، مملوكِ الإمامِ، إلى الشيخ سعيد وذباب، لأنَّ إهمالَ تلك الناحيةِ وتركَ بابِ المندبِ فيه إخلالٌ بالمصلحةِ العامةِ لدولةِ الإمام، وكان فرارُ ناصر العنبري، شيخِ قريةِ الشيخ سعيد إلى جيبوتي، واستولى الجندُ الإمامي على ذباب والشيخِ سعيد وبابِ المندب وتمَّ

(١) الدرة المنتقاة، ٧٤.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٩٧.

إصلاحُ قلاعِ بابِ المندب وعمارتُها.

وكانت هذه ضربةً لأطماعِ الانجليز في لحج وبلادِها وابين وحضرموت والنواحي التسع[1].

ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ البدايةَ الأولى لاستردادِ المحتلِّ من الوطنِ كانت بالالتفاتِ إلى القَبَّيْطَة والوازعيةِ وبعضِ قرى الصبَّيحة وبعضِ قرى الحواشب، والتي كانت خارجَ النفوذِ التركي، بعدَ تنفيذِ بروتوكولات اقتسامِ النفوذِ على الحدودِ بينَ الانجليز والأتراك، فقد سارت قواتُ الإمامِ إلى القبيطةَ وتمَّ فتُحها بعدَ حروبٍ، وقواتٌ أخرى إلى الصبيحةِ وقوةٌ لاسترجاعِ الوازعية وتمَّ استردادُها وألحقت بلواء المخا.

وكانت المواجهةُ حاسمةً بينَ الإنجليز وقواتِ الإمامِ، حين أرسلت الطائراتُ البريطانيةُ من محطةِ دكيم على الدُريْجَة سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، وقذفتْ قواتِ الإمامِ بقنابلها، إذ لما أدركت القواتُ البريطانيةُ دقةَ وضعِها بعدَ نجاحِ علي بن عبدالله الوزير بالاستيلاء على قلعةِ المقاطرةِ بعد جهود مضنية، لاعتمادهم على الامدادات البريطانية، لم يستجيبوا للمراسلات السلمية التي تدعوهم إلى المسالمةِ والطاعة، مطمئنين إلى مناعةِ قلعتهم، ودربتهم العاليةِ في القتالِ والمقاومة، وركونهم إلى مساعداتِ الإنجليز، وكانت الخطةُ المحكمةُ لمحاصرتها بعدَ الاستيلاء على المناطقِ المحيطة بها وعزلها وقطعِ الامداداتِ عنها، فقد سارت الجيوشُ إلى يفرس ثم الأكاحلةِ ثم إلى الأحكومِ والأشبوطِ وكان الزحفُ على العُزلِ الشرقية، الزعيمةِ والمدجرةِ والأشبوطِ والزعازعِ والمسيجد.

وفي الجهة الغربيةِ سارت الجيوشُ إلى بلادِ الزريقة والنجيشةَ والصولحةِ والمكابرةِ وبعد الترتيب على المقاطرةِ من جهاتِها الثلاث، وقعتْ حصون الليمِ

---

(١) كتيبة الحكمة، ٢٩٦.

الأربعةُ في أيـدي القواتِ الإمـاميةِالتي تقـدمت بعدهـا على الخزفار والقـاعدة وحصنِ التميـدني، وتمَّ فتحُ المقـاطـرة، وهي التي مهـدت لسهـولـةِ استكمالِ العملياتِ العسكريةِ الإماميةِ في مناطقِ اليمنِ المحتل.

وهكـذا نجحَ الإمامُ في هـذه المرحلـةِ من حكمه ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م من تدعيمِ الاستقلالِ بفـرضِه سلطةَ الدولةِ الإسلامية اليمنيـة في المناطق الوسطى، وثبتَ هـذا الاستقـلالَ بتسـويتـه لمشـاكلِ حـاشـد وبكيل في الشمالِ وحسمِ منازعات تعز.

وأفشلَ الإمام محاولاتِ الانفصـالِ سواء في تهامـةِ اليمن أو اليمنِ الأسفل، ونجحَ في تحريـر بعضِ منـاطقِ اليمنِ المحتـلِ في الضـالعِ ويـافع والحواشب والصبيحـةِ. وفتحَ ميناءَ خوخـةَ والمخـا، وضمنَ بابَ المنـدبِ وذبـاب والشيخ سعيـد في محاولةٍ للتخفيفِ من الحصـار البحـري الخانق الذي فـرضته القـوى الفرنجيةُ على دولته الحديثةِ، وهدَّد الانجليزَ في عدن والحُدَيْدَة.

وكلُّ هذه الجهـودِ العسكريةِ والتنظيميةِ لم تَحُلْ دونَ استمـرارِ الإمامِ في بناءِ وإعمارِ مؤسساتِ الدولةِ، فقـد أكمل عمارةَ دار الفتوح ببئر العزب، وانتهى من عمارةِ بئرِ الجامع الكبيرِ بصنعاء، وعمّر منهلاً فوقَ حارةِ الأبهر ليستقي منه أهلُ تلك الحاراتِ وعمَّـرَ دارَ السعـادة في بستـانِ المتـوكل، وأصلحَ مجاري غيل أبي طـالب الذي يسقـى الروضـةَ، وغيل المهـدي أحمد بن الحسن وغيل مصطفى، وَحَفَـر الأبار لسقي الماشيـة أيضـاً، واعتنى با لمدارس وفتحَ المكـاتبَ في مختلف المناطق. وبنى الجيشَ وأقامَ التلغرافَ واهتمَّ بالطبِّ والأطباء ونظم الإدارة.

والسؤال الذي يظل قائماً:

هل يقبلُ الانجليزُ بـاستمرارِ صفعاتِ الإمام لهم، وهل يرضـى الإمامُ ببقاءِ الحُديدةِ واللحيةِ في يد الإدريسي، هنا يقفُ مخطوطُنا دونَ الإجابةِ على السؤالين. وهذا ما سنتناوله عندَ نشرنا لبقية المصنفات في سيرةِ الإمام يحيى.

البــاب السادس

العلاقات الخارجية

الفصل الأول: العلاقة بين الإمام يحيى والشريف الحسين بن علي

الفصل الثاني: العلاقة بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز بن سعود

الفصل الثالث: العلاقات اليمنية البريطانية

المطلب الأول: الحروب في تعزَ واليمنِ الأسفلِ

المطلب الثاني: الامامُ وحروبهُ مع الانجليز والتحرير

الباب السادس
العلاقات الخارجية
الفصل الأول
العلاقات بين الإمام يحيى والشريف الحسين بن علي
(كما أوردتها المخطوطة)

يؤكدُ جيكوب أنَّ الأتـراكَ قد ذهبوا من الجزيرة العربيةِ، وتـركوا كلَّ عاهلٍ عربيٍّ يلعبُ في السـاحةِ وحيداً، ودورُ البريطانيينَ الآنَ صناعـةُ الملوكِ بتشكيلِ دويلاتٍ متساويةَ حتى لا تكونَ هنـاك دولةٌ واحدةٌ راجحةٌ أو متغلبةٌ[1]. وفضلُ البريطانيين عظيمٌ إذا ما أبقَوْ على اللاعب مستمراً في لعبِهِ.

إن مؤلف مخطـوطتِنا، لا يأنفُ من استنكـارِ موقفِ الزعـاماتِ العـربيةِ في الجزيرةِ العـربيةِ المعـادي للأتـراك والعملِ مع البريطانيين في محاربتِهم للـدولةِ العليـة المسلمـةِ، فيفصلُ في الضررِ الـذي ألحقـهُ هـؤلاءِ الـزعماءُ بـالعسـاكـرِ العثمانيـةِ، فمنـذُ ثـورة الشريفِ الحسينِ بنِ عليّ على الـدولـة العثمانيـةِ سنـة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، واستمالتهم كثيراً من رؤساءِ المسلمينَ في جـزيرةِ العربِ، يُمـدونهم بـالأسلحـةِ في الحجـازِ والبحـرينِ وعُمانَ والكـويتِ ولحج ومصر والمحمياتِ. وفلسطين والأردن وسورية، يصفُ عبـدُالكريم بنُ أحمدَ بنِ عبداللهِ

---

(١) ملوك شبه جزيرة العرب، لجيكوب، ٣١١.

المطهرِ الحالة فيقـولُ: ولما تمَّ من الحوادثِ المهولـةِ هذه مـا تمَّ، وصادَفَ وقـوعُ أكثرِها في مـوسم الحج، وكـان الحجاجُ يشـاهـدونَ إشعالَ النيرانِ من طـرفِ الشريفِ حسينٍ وأعـوانِـه وضربَ المدافع، فيسألـون!، فيقـالُ لهم: إن الشريفَ فيصلاً فتح كذا، وحينَ تناهتِ الأخبـارُ إلى الإمامِ، اهتمَّ لها اهتماماً عظيماً، وظهرَ عليه أثـرُ الأسفِ لما تحويه مِنَ وقوعِ الـدولةِ العثمانيةِ في شبكةِ فكـرِ النصارى، وممن أصبح مغتراً بوعودِهم الكاذبةِ وإمـدادهم له بالأموالِ في سبيلِ سعيهم في مصلحتِهم. ولا يجدُ المؤلفُ أبلغَ من عبارةِ «لا قوة إلاّ بالله»[1] لاستنكارِ ما قامَ به القادةُ العربُ.

وكـدليلٍ على فسادِ الـرأي الـذي قبلَهُ القـادةُ العـربُ، لأنَّ نتـائجِه كـانتْ وخيمـةَ في سـوريـا على سبيل المثالِ، والمصيرِ الـذي آلتْ إليـه حكـومـةُ الملك فيصل العربيـةُ يقولُ مؤرخُنا: بأنّ هـذه النتائج الوخيمةَ، مقـدماتُها منحصرةٌ في الإخـلال بما نهى اللهُ عنهُ من الـركـونِ إلى الذيـن ظلمُوا، والـوثـوقِ بوعـودِهم الخلابةِ وتسويفاتِهم الكاذبة[2].

من المعـروفِ، أنَّ أمراءَ مكـةَ من الأشرافِ بادروا إلى الاتصـال بالأئمـة في اليمنِ لثنيهم عن محاربـةِ الأتراكِ في البـدايـة، ولعل ذلك كانَ يتمُ بطلبـاتٍ من السلطنـةِ، فقد كتبَ عـونُ الرفيقُ إلى الإمـام المنصورِ بـاللهِ محمد بن يحيى حميـدِ الـدين حـولَ ذلك، وكنـا قـد أشرْنـا لـرسالتِـه في الـدرِ المنثـورِ في سيرة الإمـام المنصور[3]، ومثلَـه فعل الشريف علي بنُ عبدِاللهِ الحَسَني، أميرُ مكـة، إذ أرسلَ رسالـةً إلى الإمامِ يحيى بن محمدٍ حميدِ الـدين بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٢٤هـ يـدعوه إلى تـركِ محاربةِ الـدولةِ العليـةِ العثمانيةِ، حملَهـا الشريف حمزة بنُ عبدِالله ومعَـه

(١) كتيبة الحكمة، ١٤ .

(٢) كتيبة الحكمة، ١٠٩ .

(٣) الدر المنثور، ١/ ١٣٧ .

وجيهُ الدينِ عبدُالرحمن بنُ إلياس، مدرسُ المدينةِ المنورةِ[1].

أمـا الشريفُ الحسينِ بنُ عليّ بنِ محمـد بن عبدِالمعين بن عـونٍ فقـدْ أعلنَ موقفَه مـن الدولةِ العثمانيةِ بإعـلانِه الثورة العربيـة الكبرى، وطوالَ مدةِ الحربِ كـانَ موقفُ الإمـام معروفـاً كما درسنـاه في البابِ الثـالثِ، حتى إذا ما هُـزمتِ الدولـةِ العثمانيةُ، وأصبحَ مصيرُ الـولاياتِ العـربيةِ مثـارَ البحثِ، ونُشرتْ بنودُ اتفـاقيـةِ سـايكس بيكـو، واشتـدَ الصراعُ السعــوديُّ الحجـازي مع الشريفِ الحسينِ. ومحمدُ بنُ عليّ الإدريسيِّ يعملُ ضدَ الإمامِ يحيى. والقياداتُ العربيةُ في الجزيرة العـربيةِ تعقدُ التحالفـاتِ المؤقتةَ التي ما تلبثُ أن تتحـولَ إلى صراعاتٍ وحـروبٍ، التحالفـاتُ غيرُ ثابتـةٍ، والعـداواتُ والمخاصماتُ متقلبـةٌ، تخمدُهـا وتوترُها الحمى البريطانيةُ.

في زحمةِ الأوضاع غيرِ المحـددةِ المعالمِ في الجزيـرة، كانَ الشريفُ الحسينُ بنِ عليّ يسعى لعقدِ ائتـلافٍ بينَه وبين الإمام يحيى مـن ناحيةٍ وبينَـه وبين محمدٍ بنِ عليٍّ الإدريسيِّ من نـاحيـةٍ أخـرى، وثـالثـة بينَ الإمـام يحيى ومحمـد بن عليٍّ الإدريسيِّ. ومـا يهمُنا في هـذا المقام محاولـةُ الشريفِ الحسينِ بنِ علي للائتـلافِ والاتفاقِ مـع الإمام يحيى، وهـو ما تنـاولَه مـؤرخُنا تارةً بـالتلميحِ، وتـارةً أخرى بـالتصريح، ففي شعبان من سنـة ١٣٣٩هـ/ ابـريل ١٩٢٠م، وصل الشريف نـاصر بنُ شـاكـر، أحـد معاوِني الشريفِ الحسينِ بن عليٍّ يحملُ رسـالـةً من الشريف الحسينِ، حيثُ أمضى شهرَ رمضـانَ وهو في مراجعـات ومحادثاتٍ مع الإمـام يحيـى ومستشـاريــه. ولما كـانَ مـؤلفُنــا لم يفصلْ في وقــائع ومجريـاتِ المفـاوضاتِ، واكتفى بإيـرادِ عباراتٍ مـوجزةً حيث لَخَّصَ مطـالبَ الشريفِ في خطبِه ودّ الإمام يحيى، والاتفـاقِ وكما كانَ مؤلفُنا موجزاً في تحديـدِ القضـايا التي طرحَها مبعوثُ الشريفِ، فقد ذهبَ إلى مثلِ ذلكَ في تلخيصِ ردِّ الإمامِ فكانتْ

---

(١) الدرة المنتقاة، ١٧٠ .

جوابـاتُ الإمامِ «حاويةً للـرغبةِ في ذلك الطلبِ، وأنَّ سلامةَ البـلادِ والعبادِ من العطبِ متـوقفةَ على إبـرام مثل ذلك، وسلـوكِ هذه المسـالكِ» وقفلَ نـاصر بنُ شكر راجعاً إلى الحجازِ وقد ظفرَ با لمأمولِ من رحلتِه على جهةِ الإيجاز[1].

ويبـدو أن الردودَ لم تكـنْ شافيـةً للشريفِ الحسينِ بنِ عليّ، فعـاد الشريفُ ناصر بن شاكر مرةً ثانيةً بكتبٍ من الشريفِ الحسينِ بنِ عليّ، تعاودُ طلبَ ما في كتابـه السابـقِ، وقفلَ راجعاً مـزوداً بالإجـاباتِ الـلازمةِ والإفـاداتِ الهامةِ(٣). ووقفَ مؤرخُنا أيضـاً عن إيرادها، وما نلفتُ النظرَ إليه عبـارة «الإفاداتِ الهامة» فهلْ كانَ معنى ذلك الاستجـابةَ لتحالفٍ يتصلُ با لمصاعـبِ والضغوطاتِ التي كانَ يتعـرضُ لها الشريفُ الحسينُ بنُ عليّ من قبلِ الملكِ عبدِالعزيـز بنِ سُعودٍ، هذا ما لا نستطيعُ الإجابةُ عليهِ في ضوء ما اطّلعنا عليهِ من مصادرَ ووثائق.

وفي السنـة عينِها، حـاولَ الملك فيصل بنُ الحسينِ وهو في طـريقِه للعـراق (من عدن لرئاسةِ الحكومة العربية الاتصالَ بالإمام يحيى ومستشاره محمود نديم بك، والي اليمن السـابـق، يـدعـو الإمـامَ يحيى إلى تفهـم أفضل للبريطـانيين، ويطلب لمحمـود نـديم دعمَ طلبـه عنـدَ الإمـامِ يحيى، وبعثَ الشريفُ الحسينُ بـرسالتَيْـهِ بـواسطةِ القـاضي عبدِالله بن أحمد العـرشيِّ منـدوبِ الإمامِ في عـدن بتاريخ ٩ شوال ١٣٣٩هـ. وفيهما دعوةٌ للإئتلاف مع الإدريسيِّ وعقـدِ معاهدةٍ مع بريطانيا وفي رسالةِ الشريف فيصل بن الحسينِ إلى الإمامِ يحيى وردت الأمورُ التاليةُ:

- يـؤكـدُ على الروابـطِ والصلاتِ القـديمـةِ بين كلِّ من الأشرافِ في مكـةَ (الحجـاز) والأئمـةِ في صنعاءَ وعمادُ هـذه الـروابطِ القـربى، واتصـالُ نسبِهما بالرسولِ، صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) كتيبة الحكمة، ٨٣ .

(٢) كتيبة الحكمة، ١٤٤ .

- ينهي إلى الإمام يحيى حالَ الترقـي والتطورِ الذي يسعى الشريفُ الحسينُ لبلـوغ مملكتِـه إيـاه، وأنَّ الشريفَ الحسينَ بـنَ عليٍّ قـد حقق الأمنَ والأمـانَ لحجـاجِ بيتِ اللهِ الحرامِ، الذين بلغَ عـددُ الوافـدينَ لأدائِه مِن عبادِ الـرحمنِ حتى شـوال ١٣٣٩ هــ أكثـرَ من سبعينَ ألفـاً [وسيكـونُ الشريفُ الحسينُ مبتهجاً إذا ما وصل حجاجُ اليمنِ].

- يبلِّغُ الملك فيصل الإمـامَ يحيى أنَّه متـوجهٌ إلى العـراقِ لتأسيسِ حكومـةٍ عربيـةٍ بناءً على إلحاح العراقيين وانتدابِ والـدِهِ الشريفِ الحسينِ بنِ عليٍّ إيّاهُ لرئاستِها ولولا ذلك، لتشرفَ بالحضور لطرَفِه.

- يطلبُ الملك فيصل مـن الإمـامِ يحيى تحبيـذَه لحسـن فهم البريطـانيين، فالأتراكُ أُخذوا بجريرةِ ما ارتكبوه بحقِ العربِ، ولكن كما يقول البريطانيون فهم راغبـون لعقدِ اتفـاقٍ شريفٍ يحفظ للطرفين منـافعهما المتبادلـة، ويوطـدُ دعائم السلمِ في هذه الأرجاءِ ويقوي التجارة والمواصلات.

- يرى الملك فيصل بن الحسين أهمية الائتلافِ مع محمد ابن علي الإدريسي في تُهامة، وأنَّ والده سيـوفدُ مبعوثاً لبحثِ المشـاكلِ بينه وبين الإدريسيِّ، وهو واثقٌ من قـدرتهِ على تضييق شقـةِ الخلافِ بينه وبينَ الإدريسي والناشئـةِ من سوءِ الفهم بينهما لطبيعةِ هذه الخلافاتِ.

- ينهي الملك فيصـل بنُ الحسين ضرورةَ التفـاتِ العـربِ إلى شئـونهم، «فنحنُ لا نكنُ لهم بغضاءَ أي الأتـراك، فقد مضَوْا إلى بـلادِهم يعملونَ لحل مشاكلهم المحليـةِ ولا متسعَ لديهم للنظـرِ إلى خارجِ بلـدِهم وعلى العرب أن يهتموا بأُمـورِهم ومصالحِهم، ينظرون لتطورهم وتقـدمهم ووحدتِهم، وعليهم أرسـاءُ صداقـةٍ مع الآخرين ومع من جـاورهم من الأُممِ ويختم رسـالتَه بأنـه سيضعُ نفسَه في خدمةِ الإمام لما فيهِ خيرُ العربِ في أيِّ زمانٍ ومكانٍ[1].

(1) Records of Yemen. Vol. 6. 648-651 .

وفي رسالةِ الشريفِ فيصل بنِ الحسينِ إلى محمود نديم في نفسِ التاريخ، يعيدُ إبلاغَه ما كتبَ بهِ إلى الإمامِ يحيى، ويضيفُ عليهِ أنَّ أخاه عبدَالله تقلدَ أمورَ سورية. ويشكرُه لعملِه على تقويةِ عُرى المحبةِ والاتفاقِ بينَ والدِه جلالةِ الشريفِ الحسينِ بنِ عليّ والإمامِ يحيى، ويأملُ رجوعَ حسنِ الصلاتِ بينَ الإمامِ يحيى وبينَ كافةِ الأُمَمِ، وما ذاكَ إلاّ تأييداً لمركزِ الإمام. ويتمنى الملك فيصلُ ابنُ الحسين على محمود نديم لو حضر لطرفِه لمفاوضتِه والتحدثِ معَه بشأنِ فكرة توحيدِ العربِ، وحبذا لو استفادتِ الأمةُ العربيةُ من آراءِ محمود نديم وحسنِ درايتِه وبعدِ نظره. والملك فيصل بنُ الحسينِ يرى ما لمحمود نديم من مكانةٍ وتأثيرٍ على الإمام يحيى ويدعوهُ للعملِ على توحيد العرب[1].

وقد تجاوزَ الشريفُ الحسينُ بنُ عليّ كلَّ هذه المواقفِ، وعاودَ إرسالَ السيد محمد بن علوي السقاف مبعوثاً جديداً إلى الإمام يحيى، فوصلَ برفقةِ علوي بن حسن الجفري وزير السلطانِ العَبْدلي والشيخ صالح بن سعد العبادي. وكانَ محمد بنُ علوي السقاف يحمل رسالةً من الشريفِ الحسينِ وهو مكلفٌ بمتابعةِ ما تمَّ التوصلُ إليه مَعَ الشريف ناصر بن شاكر، وإزاءَ الإلحاح في ضرورةِ الاتفاقِ، أوفدَ الإمامُ محمد بن محمد زبارة برفقة محمد بن علوي السقاف، إلى عند الشريف الحسين بن عليّ، ومعهُ رسالة هي نصيحةٌ عامة، وقد جاءَ فيها بعد البسملةِ والحمدلة والديباجة[2]: «فهذه نصيحةٌ جامعةٌ قائلةٌ بالحقِ، إن شاء الله. نافعةٌ، داعيةٌ لإخوان الدينِ إلى الاجتماعِ، والعملِ بالحقِّ والاتباع، فقد وضحَ السبيلُ واستنار الدليلُ، وأكملَ اللهُ هذا الدينَ بما جاءَ في كتابهِ المبينِ، وعلى لسانِ رسولِه الأمين، ويوردُ آياتٍ وأحاديثَ تدعو للاعتصامِ بحبلِ اللهِ المتينِ ووجوبِ الاجتماعِ وعدمِ الافتراقِ، ويضمنُها أبياتٍ شعريةً منها:

---

(1) Records of Yemen. Vol. 6. 653 .

(٢) كتيبة الحكمة، ١٦٤ .

(٢) انظرها في مكانها من المخطوط، ورقة ١٨٦ .

فما بـالُنـا الأمس أسـدُ العـرين وما بـالُنـا اليـومَ شـاءَ النجف
وفينـا السيـوفُ تسـوق الحتـوفِ وتفني الألـوف وتنفي الصلـف
وفينـا الـرجـالُ أسـودَ النـزالِ بسُمـرٍ طـوالٍ بها الـدين رف

ويختمُهـا بقـوله: «جمعَ اللهُ شمـلَ المسلمينَ وإخوان الـدينِ، ووفقنـا جميعـاً لسلوكِ نهجِ الحقِ المبينِ، وبصَّرنا طـرقَ النجاةِ، وأخذَ بنواصينا إلى مـا فيه رضاهُ، اللهم آمينَ، وصلى الله وسلم على محمـدٍ وآله، وسـلامٌ على المرسلينَ والحمدُ للـه رب العالمين.

وضمنها قصيـدةً، يرى إسماعيل الأكـوعُ أن ناظمهـا يحيى بنَ عليّ الذاري، الـذي كان يعمـلُ في المقامِ الإمـامي كـاتبـاً، يرد عن الإمـامِ في بعضٍ الأحيـان شعراً[1]، جاء منها:

مُغَلْغَلَـةٌ مشهـورةٌ في المحـافل تهيمُ وتـذْري الـدَّمع تهيام ثـاكل
لما حـال بين المسلمين وعـزِهم وبين عُـلاهم من وبيِّ التخـاذل

وقد نشرت الرسالةُ والقصيدةُ في جـريدةِ القبلةِ التي كان يُصدرُها الشريفَ في العدد ٥٥٧ يـوم الخميس ٥ جمادي الثانيـة سنة ١٣٤٠هـ، ومـديرُ تحريـرِها المسـؤولُ حسين الصبـان، وقـد ردَّ عليها فـؤادُ الخطيب بقصيـدةٍ جـاءتْ تحتَ عنوانِ «تلبية على قصيدةِ الحضرةِ الإماميةِ» وقد جاء فيها:

دعـوت وقـد أسمعت يـا خيرَ قـائل مغلغلـة ليست تصيخ لعـاذلِ
نسجت لها من وشي صنعـاء بُـرْدة محبرة أزرت بـوشي الخمائلِ[2]

ويبـدو أنَّ محمد بـن محمد زبـارة حينَ وصلَ إلى مكـةَ قـامَ هو الآخـرُ بنشرِ قصيدةٍ في جـريدة القبلـةِ، العدد ٥٦٠، بتـاريخ ١٦ جمادى الثانيـة ١٣٤٠هـ،

(١) هجر العلم، ٦٦٣ .
(٢) انظر القصيدة في كتيبة الحكمة، ١٨٦ .

/ ١٣ فبرايـر ١٩٢٢م متضمنـةً عينَ الأفكـارِ والمعـاني والأهـدافِ التي أوردتها قصيدةُ الإمامِ يحيى، وجاءَ فيها:

أمـــا آن أن بـوعـي نظـام النصـــائح وقـــد صـــار يملي بين غـــاد ورائح
لقــد أنطقتنـي الحادثـــات وصيرت مــداد نظـامي من دمـوعي السـوافح

وفيها دعوةٌ للإقتداءِ بما فعلَه الإمامُ، عندما حاربَ الطامعينَ، حيثُ قالَ:

كما فعل المولى الامـــام الـــذي مشى بنهـج ســـــوي واضح أيّ واضـــح
وأنصـــــاره اشيـــاع زيـــــد كأنهم لدى الحرب شهب في وجـوه المكافح
لقــد أوقـــدوا نـــارا لحرب عـــدوهم وهم بلغـــوا كل المنــى بـــالتنـــاصح

وعنِ الإمامِ، ومالَهُ من دورٍ في خدمة الأُمةِ والدينِ يقولُ:

لـــــه عنــد دفع الخطـب عقل مجرب واقـــدام عـــرنين وأعمال صـــالح
وقد صـار سيفاً في يـد الدين قـاطعاً لــه نـــور نصرٍ جاه عن سعـــد ذابح
حماه آلـــه العـــرش من كيـــد معتـــد وأيـــــده حتـى يـــرى خير فـــاتح

وقد حمَلَ محمد بن محمـد زَباره مشروعَ الملكِ الشريفِ حسين، والتي جاءَت موجزةً عنـد مؤرخنا، لخصها بأن مـا يسعى إليهِ الشريفُ الحسينُ هو الاتحادُ بينَ طـوائفِ العـربِ، ويكـون توحيـدُ كلمتهم في الأُمـورِ الخارجيـةِ، وكلُّ طـائفـةٍ مستقلةٌ بأُمورِها الداخليةِ[1].

ويـلاحظُ أنَّ سببَ عدمِ قبـولِ الإمـامِ يحيى بالاتفـاقِ مَعَ الشريفِ الحسينِ لرفضِـهِ وبشكلٍ قاطعِ الإقـرارَ بسيادةِ الإدريسيِّ بـالدرجـةِ الأولى على أيِّ جزءٍ من اليمنِ، وهذا مـا حَرِصَ عليه في مراسـلاتِه العديدةِ مع الإنجليـز سابقاً بينما

---

(١) كتيبة الحكمة، ١٩١ .
انظر الثورة العربية الكبرى لابن سعيد، ٣/ ١٥٤، ملوك العرب، ١/ ١٨٩ .

الشريفُ الحسينُ يسعى لاتفاقِهما ولو عنـدَ الحدِّ الأَدنى من الائتلاف والاتفاق، بالإضافةِ إلى عدمِ وثوقِ الإمامِ بـالأجانبِ الفرنجةِ وخاصةً البريطانيين، غيرَ أن الشريفَ الحسينَ لم ييأسْ من الـدعـوة إلى الـوحـدةِ أو الاتحادِ أو حتى الـوفـاقِ والاتفاقِ فعـاودَ إرسالَ أمينِ الـريحاني وقسطنطين يني الـذي كان مستخـدماً في شعبةِ الطيرانِ باسم مديرٍ في شعبـة الطيرانِ في جدة مع الثورة العربية الكبرى، وقـد كشفتْ الوثـائقُ البريطانيـة Records of Yemen الجزء السادس تعـاونَ أمين الـريحاني مع مكتبِ المعتمدِ البريطـاني في عدن. «وجـرت مراجعـاتٌ فيما يسعيان إليـه ثم قفلا راجعين» بهذه العبـارةِ الأخيرةِ علَّق مـؤرخُنا على مهمتهما وأوردَ صفحاتٍ من القصـائدِ والدعاباتِ التي وقعتْ معهما ورفعـاها إلى حضرة الإمام[1]. أما أمينُ الريحانيُّ فقد فصَّلَ وقائعَ ما جرى معه في صنعاءَ ضمن كتابه ملوكِ العـربِ، ونشر الرسالة التي كلفـه بها الإمامُ يحيى، أحمد بن يحيى الكبسي الهَجْوةَ للمراجعـات والمفاوضات وقد عرف بأنه سيـاسي إداريٌّ، وكان عضواً في مجلسِ المبعوثانِ.

وجاءَ في رسالةِ الإمام يحيى إلى أحمد بن يحيى الهجوه الكبسي ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: يحيى حميد الدين

أمير المؤمنين

المتوكلُ على اللهِ ربِّ العالمينَ

الصنو صفيُّ الإسلامِ أحمد بن يحيى الكبسي حرسهُ الله

كلُّ المراجعـاتِ بيننـا وبين الشريفِ ناصرٍ ثـم معَ السيدِ محمـد بن علـوي

---

(١) كتيبة الحكمة، ٢٠٣ - ٢٠٤.

السقافِ بـاطلاعكم، وقد وصل الأُستاذُ أمين الـريحاني ورفيقُه قسطنطين ومعهما كتـابُ ملكِ الحجازِ، وظهـرَ لنا من ظـاهـرِ كلام الأستـاذِ إرادة إنجاز الكـلام، والمراد منه البغيةُ المقصـودةُ والضالةُ المنشودةُ، فليَكن منكـمُ الكلامُ معهما لتقررَ المسألة على الوجهِ الأكملِ ابتداءً وانتهاءً مع لوازِمها الذاتيةِ والخارجيةِ إعانةً لنا في ذلك. وليكن الكلامُ مكتوماً من الجميعِ عن كل أحدٍ، واعرضوا هذا عليهما.

وقد أعلمنا الحاجبُ بالإذن لكم بالدخول إليهما، والسلامُ عليكم[1]

في ٢٨ شعبان الوسيم ١٣٤٠هـ.

ويُستفـاد من الـرسـالـةِ أنَّ الإمـامَ قـد قبلَ بـالاتفـاق ضمنَ شروط ورؤى واضحة، وكلفَ أحـدَ معاونيه القـديرين والمطلعين على كلِّ مـا جرى قبل ذلك من مفاوضـات بهذا الشأن، كما يستشف من الرسالـة أن الإمامَ قد فرض نطـاقاً من السرية والمراقبـة الدقيقـةِ على تحركاتِ أمين الـريحاني ورفيقِه قسطنطين يني، وقـد شكا الـريحاني من المراقبةِ المفـروضةِ عليـه حتى بدا كأنـه سجينٌ، وتنفسَ الصعداءَ يـومَ جاءهُ الإذنُ أخيراً بـالسماح له بـالسفرِ، وبعـد مفاوضـاتٍ مضنيةٍ وطـويلـةٍ وتبـاطؤ، تمكـن أمين الريحاني وأحمد بـن يحيى صيـاغة بنـودِ اتفـاقيـة للإئتـلافِ بينَ الإمامِ يحيـى والشريفِ الحسينِ وصفها أمينُ الـريحاني بالمعـاهدةِ وأثبت نصَّها في كتابه ملوكِ العربِ، وجاء في لفظها:

(١) ملوك العرب، ١/ ١٧٥، ائمة اليمن، ٢/ ١٩٣ .

صورة المعاهدة

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنَّ المقصدَ الوحيدَ من هذا الائتلافِ والاتفاقِ هو الانتظامُ في سلكِ ﴿واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرقو﴾، وبه بكونُ التعاونُ والتعاضدُ على إنفاذِ أحكامِ اللهِ كما يجبُ في جميعِ البلادِ لعمرانِها وإصلاحِ شؤونِها، وكفِّ أيدي المعارضين عن التدخل فيها والإخلالِ بمصالحها وبراحةِ أهلِها، وتأمين معاشِ سكانِها وتقويةِ صناعتِها وتجارتِها، فلذلك عُقدتْ هذه المعاهدةُ بين حضرةِ الإمام المتوكل على اللهِ يحيى ابن المنصورِ باللهِ محمد بن يحيى حميدِ الدين وبينَ جلالةِ الملكِ الشريفِ حسين بن علي بن عون على ما تحويه الموادُ الآتيةُ لتكونَ دستوراً للعملِ بعد تقدمِ إصلاح النية، وجعلِ الأعمالِ مدارةً على الشريعة الأحمدية في الإقدام والإحجامِ والنقض والإبرام.

أولاً: البلادُ العربيةُ أقصاها وأدناها بلادٌ إسلاميةٌ لا تقبل التفرقة والتجزئةَ وانفكاكَ بعضِها عن بعضٍ من حيث الجامعةُ الدينيةُ والقوميةُ والوطنيةُ واتحادُ اللسان. وليسَ المرادُ من عدم قبولِها التفرقةِ تغييرَ أشكالِ إماراتها القديمة وتحويل أُمرائِها المشهورينَ المعلومينَ الذينَ يجرون إدارةَ شئونِها وأعمالِها وسياسةَ داخليتِها منذ قرونٍ. وإنما المطلوبُ اجتماعُ الكلمةِ الدينيةِ وتوحيدُ السياسةِ على وجهٍ يرضاه اللهُ، وتصلحُ به أحوالُ البلادِ من غير مداخلةٍ أجنبيةٍ خارجيةٍ من أية الجهاتِ تخلُّ باستقلالِ البلادِ العربيةِ ووحدتِها.

ثانياً: يعترفُ حضرةُ الإمام لجلالةِ الملك بالمُلك، ويعترفُ جلالةُ الملكُ لحضرة الإمام بالإمامةِ.

ثالثاً: يختص حضرةُ الإمام بإدارة اليمنِ وسياستهِ الداخليةِ والخارجيةِ كما كانَ بيدِ أسلافِه، ويختصُ جلالةُ الملك بسياسةِ ما تحتَ إدارتِه في الحجازِ وغيرِه داخليةً وخارجيةً، فليس لأحدِهما إحداث مقاولةٍ أجنبية في ما يتعلقُ بما تحتَ

إدارة الثـاني من البـلادِ، ولا يغير شيئاً مجعـولاً من طـرف صـاحـبِ إدارتِها، ولا يتدخلُ في إدارة داخليتِها لا خـاصةً ولا عامةً إلاّ أنْ يكـون بعد المشاورةِ بينهَما، والاتفاق لمصلحةٍ تطابقُ مرادَ اللهِ سبحـانَه. و إذا فعلَ أحدُهما شيئاً من ذلك، أو عقدَ مقـاولةً أجنبيةً في مـا يتعلقُ بمملكةِ الآخـرِ منفرداً، فلا يعتبرُ مـا فعلَه ولا يكون معتمـداً، وليس لأحدِهما نقضُ مقـاولةٍ سابقـةٍ لتاريخ هـذا الاتفاقِ من الطـرفِ الآخرِ في مـا يتعلقُ بخاصـةِ عـاقدِهـا ومملكتِه، ولا تعتبرُ نـافذةً في مـا يتعلقُ بمملكـةِ الثـاني إذا اشتملتْ على شيءٍ من خصـوصياتها، ولا يعـدُ هـذا الاتفاقُ ناقضاً لما تقدمه من المعاهداتِ بينَ حضرةِ الإمام والحكومةِ العثمانيةِ أو بينَ الملكِ و إحدى الحكوماتِ.

رابعـاً: بعد إمضـاءِ هـذه المعاهـدةِ يكـون كلٌ من حضرةِ الإمـام وجلالـةِ الملكِ، ومن تجري عليهم أوامـرهما الشريفـةُ من الأمراءِ والتبعـةِ عـونـاً للآخـر، ونصيراً له في دفـع كل عدوٍ صائلٍ مـن الخارجِ أو معارضٍ من الداخـلِ. وهذا التعـاونُ والتنـاصرُ يكـون موقـوفـاً على الطلبِ من أي الجانبينِ عنـد الاحتيـاجِ واللزومِ، وفي دائرةِ النصوصِ الشرعية.

خامساً: عند ظهورِ عدوٍ مشـاقٍ للطرفين إذا لزم لأحدهما إمدادٌ من الثاني، فعلى مَن تطلبُ منه الإعـانةُ إعانـةُ الطالبِ بمقـدارِ ما يدخل تحت إمكـانِه من مالٍ أو رجالٍ أو سلاحٍ أو معداتٍ حربيةٍ. وعلى الطالبِ للإمدادِ بالرجالِ لوازمِ المطلوبين مع التأميناتِ اللازمة.

سـادسـاً: بما أن المقدمَ قبلَ كـل شيءٍ تأمينُ طرقِ المواصلـةِ والمراسلـةِ بين الحجـازِ واليمنِ من الطـريقِ الأسهلِ والأقـربِ لإمكـانِ المفاوضـةِ والمواصلـةِ بسرعـةٍ في كلِ ما يلـزم، ومن المعلومِ وجـودُ الحائلِ في تهامةَ التي هي جـزءٌ من أجزاءِ اليمـنِ. فاللازمُ تقـديمُ التعاونِ الحائلِ المانعِ مـن الحُدَيْدَة ونحوهـا بأي وجـهٍ كان، إمـا بسياسـةٍ يُتفق عليهـا، أو بقوةٍ يكـون سـوقُها من الجانبينِ بعـد

تقديمِ المذكراتِ اللازمةِ في كلا الأمرينِ، وصفة المعاملات والحركات من الجانبين.

سابعاً: السكة الفضيةُ الخاليةُ من الغشِ وأنواعِ الربا التي تُضربُ في الحجازِ باسم صاحبها معينة قيمة تداولها تكون مقبولةً ومعتبرةً في التداولِ في المملكتين بقيمتِها المعينة بعد الإعلان كتابةً من الجانبِ الذي يكون ضربَها باسمه بكيفيةٍ للتداولِ وكمية القيمةِ والصفةِ المميزة للسكةِ.

ثامناً: تعيينُ مندوبٍ من لدنِ جلالةِ الملكِ في صنعاءٍ ومندوبٍ من لدنِ حضرةِ الإمامِ في مكةَ المكرمةِ لمداولةِ الأفكارِ والتوسطِ في تعاطي المفاوضات والمذاكرات.

تاسعاً: معلومٌ احتياجُ المملكتين لأنواعِ الأسلحةِ والمهماتِ الحربيةِ وسائر أنواع الترقيات الفنيةِ واحتياجُها إلى إيجاد معاملَ وآلاتٍ لعملِ الأسلحةِ وغيرِها تقومُ بالمقاصدِ. وبعد إمضاءِ هذه المعاهدةِ من الجانبينِ تكونُ المراجعةُ وتقريرُ ما يلزمُ من الأسبابِ والوسائلِ والمقدماتِ والاستعداداتِ لإيجاد المحتاج إليه من المعاملِ، ومحل لتأسيسها واستعمالِها مناسب، جامع لمقاصدِ الطرفين، وكيفيةِ الأعمالِ، وكل ما يلزمُ لذلك من المصاريف والمأمورين والمحافظينَ والعملةِ وغيرِ ذلك.

عاشراً: يكون تعيين مبالغ من الأموالِ معلومةٍ مخصوصةٍ لكل سنةٍ بمقدارٍ يكونُ الاتفاقُ عليهِ لتصرفٍ في ما ذُكِرَ في المادة التاسعة من الأعمالِ الضرورية أو ما يُتفق عليه من الإنشاءاتِ والاستعداداتِ العموميةِ المهمةِ. وهذه المبالغُ تحفظُ من كل جانبٍ ما يتعينُ عليه في خزينتِه إلى وقتِ اللزوم، وتعقدُ تأميناتٌ يتفقُ عليها بين الطرفين ويتعاطاها الطرفانِ لتأمينِ تأديةِ كل ما يلزمُ منها في وقتِه وزمانِه بحيثُ لا يتضررُ أحدُ الجانبينِ، ولا يكونُ من أحدٍ تأخرٌ بحصولِ المقاصدِ.

إحـدى عشر: هذه المواد الأسـاسية يستمـر حكمها إلى عشرين سنـة، وإذا كانَ الاتفاقُ في خلالِ المدةِ على تعديلِ شيء منها أو تبديلهِ بعدَ تقريره، فحكمُه حكمُ هذه المعاهـدة. وبعد تمام العشرين سنة يكون تجديـدُها كما هي أو تبديلُ ما يتفقُ على تبديلِه، إن شاء الله تعالى.

حرر في صنعاء ١٨ شهر رمضان سنة ١٣٤٠هـ.

وفي الرسالـةِ التوضيحيةِ لهذه المعاهـدةِ، كتبَ أمينُ الريحاني للشريفِ الملكِ الحسينِ بن علي أوضح ما يلي:

- إن الإمام لا يحبُّ أن يكبرَ في البـدء خطواتِه، ولا أن يـوسع كثيراً صراطه، وأن التمتع باليسير الآن خيرٌ من الأمل الكثير.
- يعتبر الريحاني المعاهدة بصورتِها الحاليةِ خطـوةً في طريقِ الوحدةِ العربيةِ وأنها خطوةٌ أولى مهمةٌ.
- بعـد فترةٍ يمكنُ خلالَها إزالـة المخاوفِ وزيـادة الثقة، إضـافة بنـودٍ جديـدةٍ للمعاهدةِ مثل توحيدِ الأمورِ الأجنبية، النقود، التمثيل الواحد في الخارج.
- إن وجود مندوبٍ للإمامِ في مكة ومندوبٍ للملك في صنعاءَ يمكنُ من تبادلِ الآراءِ مباشرةً.
- إن الإمام لا يقبل أي نصٍ يتضمنُ ذكر الحكوماتِ الأجنبية[1].

ويـلاحظ أن الهدفَ الأولَ لـلإمـام أن يكسـب الشريفَ لجانبِـه ضـد الأدريسي، وقد أشارت إليه المادةُ السادسةُ، والمعاهدةُ بشكلِها كانت في صالح الإمامِ سـواء من عدمِ الاتفـاقِ مع القوى الأجنبيـة مستقبلاً، وربط التحـركاتِ السياسيـةِ بأحكامِ الشريعة الإسـلامية. والتعاون والمنـاصرة من قبل الأطرافِ

(١) ملوك العرب، ١/ ٢٢٣.

لكلِ عـدوانٍ يقعُ على الطرفِ الآخـرِ بالإضـافةِ إلى قضـايا العملـةِ والمندوبين وترقيـةِ صناعـةِ الأسلحةِ والـذخائرِ في بلـديهما لنبذِ الحاجـة إليها من الأجـانبِ وتكونُ مـدةُ المعاهـدة عشرين سنةً يمكن تجديدُهـا برضى الطـرفين، ويبدو أن هذه المعاهـدةَ لم ترَ النورَ ولم يُعملْ بها وليس بين أيدينا ما يفيـدُ التصديقُ عليها أو وضعَهـا للتنفيـذِ، وإنما نعثـرُ على مشروع معـاهـدةٍ مع الإدريسي سنـة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م لتكوين إمارةٍ شافعيةٍ عاصمتها تعز، كما يروي حافظ وهبة مرتبطـة بها الإمارات التاليـة. يافع العليـا، يافع السفلى، الضالع، قبيلـة علوي وصبيحة ويتبعها سلطنتا لحج وأبين و إمارة شُقر والعـوالق في أمورها السياسية، ولكنَّ المشروعَ أُوقف بسببِ هجـوم قـواتِ ابن سعـودٍ التي كانت مـرابطـةً بين نجدٍ والحجازِ، واحتلالهم مـدينة الطائف ومكة[1]. وبقيت علاقاتُ الإمامِ يحيى والشريف الحسينِ بن عليٍ في حدودِها، أبناء الدوحةِ الهاشمية الشريفةِ لا اتفاقَ ولا اختلاف علني.

(١) خمسون عاماً في جزيرة العرب، حافظ وهبة، ٨٠ – ٨٣.

رسالة الملك فيصل إلى الإمام يحيى

٩ شوال ١٣٣٩[1]

بسم الله الرحمن الرحمن

حضرةُ سليلِ المجدِ والشرفِ، صاحب السيادةِ العليا الإمام يحيى بن حميد الدين، حفظهُ الله، الحمدُ للهِ، وحده، والصلاةُ والسلامُ على مَنْ لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فإني أحرر كتابي هذا ليكون وسيلةً لتأييد روابط الثقة، وصلةِ الرحمِ، وتوطيدِ أُسسِ المنافع المتقابلةِ الواجب تثبيتها والموروثةِ بيننا منذ أعصرٍ متقادمةٍ، ولقد قسمَ لي الحظُ فاجتمعتُ بمندوبكم، فكان ذلك أفضلَ فرصةٍ انتهزتُها لأوكدَ لمعاليكمُ ما حصلَ بين ذاتِ الشريفةِ وبين والدي من الصلاتِ الأخوية، وأُبشركُم بدوامِ راحةِ ورفاهيةِ أخيكم والدي وذويه، وأنه بحمدهِ تعالى حائزٌ كاملَ الأوصافِ المرغوبةِ هو وجميعُ من يلوذُ به، ومهتمٌ في الوقتِ الحاضرِ بترقيةِ مملكته وترقيةِ رعاياهُ، واستكمالِ صحةِ وسلامةِ من يتوافدُ إليه من حجاج بيتِ اللهِ الحرام، وقد بلغَ عددُ هؤلاءِ إلى يوم خروجي ما يقاربُ السبعين ألفاً، وأملي عظيمٌ بتزايدهم أضعافاً مضاعفةً، وإنه لينتظرُ ورودَ حجاجِ اليمنِ من كافةِ الأنحاءِ ليبتهج برؤياهُم، إذ لا همَّ له إلاّ خدمة الإسلام عامةً والعربِ خاصةً. الأمر الذي لا أشك في أنه من أكبر رغائبِ سيادَتكم الفخيمة ولقد تأكدنا: ذلك من الكتبِ المتبادلةِ بينكم وبينه في هذا الصددِ، ومما أخبرني به أخوكم الشريفُ ناصر الذي تشرف بمعالي حضرتكم وإني كنتُ ولا أزالُ في شوقٍ عظيمٍ للتشرفِ شخصياً بمشاهدتِكم، فأرجو من الباري عز وجل أن يقسم لي ذلك عاجلاً أم آجلاً.

ولولا أن انتدبني والدي لتأسيس الحكومة العربيةِ في العراقِ، لكنتُ بذلتُ

---

(1) Records of Yemen Vol. 6. 652 .

جهدي للحصولِ على بغيةِ الملاقاةِ مع حضرتِكُم، ولكنَّ المهمة التي عهد إليّ بها، ولا شكَ أنَّ معاليكم تقدرون أهميتَها، هي اليوم حالتْ دون هذا المطلوب، وها انني متوجةٌ إلى ذلك القطر لكي أقومَ بما يجبُ عليَّ من تأسيس حكومةٍ عربيةٍ مستقلةٍ أخدمُ بها أبناء وطني، اسأل اللهَ حسنَ التوفيق والمعونة الكاملة، ثم بهذه المناسبةِ رغبتُ أن أزيد في تحريري هذا كلمةً من قبيلِ التنبه لها، وإن كنتم في غنىً عن ذلك، ولكن كما قال الباري جلَّ جلالَه، إنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين.

يعلمُ الأخُ حفظهَ اللهُ بأن الحربَ العامةَ قضتْ بما قضت وبقيت البلادُ العربيةُ مستقلة بنفسها، منفردة، بعيدةً عن اليدِ التي كانتْ تحكمها، وكلُّ مسؤوليةٍ فيها بعدُ ماديةً كانت أو معنويةً أصبحت أعاتقَ أبنائِها، فإنْ أحسنوا فلأنفسهم، وإنْ أساءوا فعليها وحيثُ إنني عالمٌ بها لسيادتِكم من التأثير الهام والكلمة النافذة التي لا تردُّ في البلادِ العربيةِ التي أنتمُ بها الآن - حرسَها اللهُ تعالى وإيّاكم - فإني أكونُ سعيداً إن رأيتُها ممتنعةً ومعتزةً تحت حكمِكم ونفوذِكم خاليةً، من كلِ تأثيرٍ ممتعةً بالحريةِ والاستقلالِ، مزدانةً بالصلاتِ الحسنةِ الوديةِ مع ما يحيطُ بها من المقاطعات العربيةِ ومعَ منْ لها معه تماسٌ من باقي الأُممِ التي تفتحُ أبوابَها للمواصلاتِ والتجارةِ، وإني لا أكتمُ سروري عندما أعربَ لي مندوبكم عن رغبتِكم.

الأصل العربي ناقص وقد استكملناه من النص الانكليزي

٩ شوال ١٣٣٩ [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة سليل المجد والشرف صاحب السيادة العليا الامام يحيى بن حميد الدين المعظم ايده الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد فاني [illegible] كتابي هذا ليكون وسيلة لتأييد روابط الثقة وصلة الرحم وتوطيد اسس المنافع المتقابلة المبنية عليها والمودة بيننا منذ امد متقادم ولقد [illegible] الحظ اذا جمعت بين [illegible] فكان ذلك افضل فرصة انتهزتها لاوكد لجلالتكم [illegible] بين ذاتنا الشريفة وبين والدي من العلاقات [illegible] وابشركم بدوام [illegible] ورفاهيته [illegible] والدي وذويه وانه بحمد الله تعالى [illegible] [illegible] في الوقت الحاضر بترقية مملكته وترقية رعاياه [illegible] الاسباب [illegible] من يتوافد اليه من حجاج بيت الله الحرام وقد بلغ عدد الوارد الحرم [illegible] الفا والحج [illegible] [illegible] مرة وان ينتظر ورود حجاج اليمن [illegible] [illegible] الاسلام عامة والعرب خاصة [illegible] [illegible] بالكتب المتبادلة بينكم وبيننا [illegible] [illegible] الشريف [illegible] [illegible] [illegible] زوجل [illegible] [illegible] وارادان [illegible] الحكومة العربية في العراق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الوميلر [illegible]

[illegible] [illegible] ان كانت [illegible] عادية كانت او معنوية [illegible] فان [illegible] [illegible] في عالم [illegible] النافع التي [illegible] في البلاد العربية التي [illegible] [illegible] بالعربية والاسلامية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

رسالة الملك فيصل إلى محمود نديم

٩ شوال ١٣٣٩[١]

(خصوصي)

اعزي محمود نديم بك

بعد إهدائكم وافرَ السلامِ، وأزكى التحية، أُبدي أنه اعتماداً على الصداقة وتأييداً للولاء القديم حررت.

كتابي هذا بمناسبة قدومي إلى عدن ماراً منها إلى العراقِ، وقد ساعدني الحظُّ بأنني وجدتُ أحسنَ واسطةٍ لنقلِه وهو القاضي عبدالله العرشي مندوب حضرةِ الإمامِ، حفظه اللهُ، وأعانُه على ما فيه الخيرُ العامُ. ولقد كنتُ على يقينٍ من تمام رفاهيتِكم حيثُ إني رأيتُ لكم كتاباً عند أمين أفندي، ناظر الحرمِ الشريفِ أثناءَ حركتِكم من صنعاءَ إلى تهامة، وحيث إنني عالمٌ بشدةِ اهتمامكم بالمصالح العامةِ أُخبركم بأنني متوجهٌ إلى العراق، وقد انتدبني جلالةُ والدي بناءً على إلحاح العراقيين لتأسيسِي الحكومة العربيةِ هناك واستلامِ زمام رئاستِها، وذلك لأن أخي عبدِالله تقلدَ أمورَ سورية، أرجو الله أن يوفقنا جميعاً لعمل الخير - أني أشكرُكم خاصةً لما تبذلونه من الجهد في توثيق عرى المحبة بين جلالةِ والدي وبين سيادة الإمام حفظهما الله، كما أنني أؤملُ رجوعَ حسنِ الصلاتِ بينَه وبين كافة الأممِ تأييداً لَمركزه.

ولقد رأيتُ من البريطانيينَ الميلَ لعقدِ اتفاقٍ شريفٍ يحفظُ للطرفين منافعهما المتبادلة، ويوطد دعائمَ السلمِ في هذه الأرجاء، فاعتقادي بحسن درايتكم وبُعد نظركم يجعلُني أن أؤملَ بالوصولِ إلى هذه الغايةِ التي سيكونُ من ورائِها النجاحُ الباهرُ، ولا يخفاكم بأنه لم يبقَ للعربِ الآنَ إلاّ الاعتصام

---

(1) Records of Yemen Vol. 6. 653 .

بحبلِ البـاري عـزَّ وجل، والاعتمادُ على أنفسهـم والتبصرُ بمنـافعهِم الحقيقيـةِ، وحبذا لو قُسم لي النصيبُ وتقابلتُ معكم، ولكن بكلِ أسفٍ لا مجالَ لذلكَ في الوقتِ الحاضر. وعلى كل حالٍ، فإني أرجو أن تتحقق هـذه الأمنية قريباً، وحبذا لـو تمكنت سوريـةُ والعراقُ وبقيـةُ الأصقاعِ العـربية من الاستفـادة من آرائكم الجليلةِ. أقولُ هذا بصفةٍ أخويةٍ.

وإني أنتظرُ جـوابَكم على كتابي هذا مبشراً بحصولِ الاتفـاقِ المطلوبِ بينَ الحكومةِ البريطانيةِ وحضرةِ الإمام، وما ذلك إلاّ حباً بتأييد مركزِه العام وخدمةً له ولـلأمة العربيـةِ. وأكونُ ممنوناً جـداً لو تتمكنوا من القـدوم إليّ لأفاوضَكم بما ترتاح إليه حميتُكم وغيرتُكم، ولقد حررت كتـاباً مفصلاً لصاحبِ السيادة الإمام لا بد أنه سيطلعكم عليه، وفيـه الكفاية هذا وسلامي على من هو عـزيزٌ لديكم ورجائي دوامَ محبتكم ودمتم بسلام.

ابن الملك حسين

ختم

فيصل بن الحسين

٩ شوال ١٣٣٩

اعزي محمود نديم بك

بعد اهدائكم وافر السلام واذكى التحيه ابدي ان اعتمادا على الصداقة وتأييدا للولاء القديم احرر
كتابي هذا لمناسبة قدومي الى لحج مارا منها الى العراق وقد ساعدني الحظ بانني وجدت احسن
واسلم [illegible] وهو القادم الينا [illegible] من [illegible] حضرة الاخ الامام حفظه الله واعانه على امانيه
الخير العام ولقد ازددت على يقين من تمام [illegible] حيث اني رأيت لكم كتابا عند [illegible] افندي ناظر الجمرك
الشريف اثناء [illegible] الختامه [illegible] اهتمامكم بالمصالح العامه اخبركم بانني
متوجه الى العراق وقد انتدبني اليه جلالة والدي بناء على الحاح العراقيين لتأسيس الحكومة العربية
هناك واستأذنت [illegible] ذلك لان اخي جلالته [illegible] والبلاد [illegible] جميعا
لعل الخير [illegible] من الجهد في توثيق عرى المحبة بين جلالة والدي وبين سيادة
الامام حفظه الله كما اني [illegible] حسن العلاقات بينه وبين كافة الامم تأييدا لمركزه ولقد
رأيت من البريطانيين الميل لعقد اتفاق شريف يحفظ للطرفين منافعهما المتبادلة ويوطد دعائم السلام
في هذه الانحاء فاعتقادي بحسن درايتكم [illegible] يجعلني ان اؤمل بالوصول الى هذه الغاية التي
[illegible] بانه لم يبق للعرب الان الا الاعتصام بحبل الباري عز
وجل والاعتماد على الانفس والتمسك بالفضيلة الحقيقية [illegible] وتقابلت معكم
ولكن بكل اسف [illegible] في الوقت الحاضر وعلى كل حال فاني [illegible] ان تتحقق هذه الامنية قريبا
وحينما [illegible] سوريه والعراق وباقية الاصقاع العربية من الاستفادة من [illegible] الجليلة اقول
هذا بصفة [illegible] شخصية واني [illegible] الى كتابي هذا مبشرا بحصول الاتفاق [illegible] بين
الحكومة البريطانية وحضرة الاخ الامام [illegible] تأييد مركز السلام [illegible] للامة
العربية [illegible] من القيام الى [illegible] بما ترتاح اليه [illegible] ومعلوماتكم
[illegible] السياسية [illegible] الامام [illegible] اليه وفي [illegible] الكفاية [illegible]
[illegible] دوام [illegible]

ابن الحسين
[illegible]

الفصل الثاني

العلاقاتُ بينَ الإمامِ يحيى والملك عبدالعزيزِ بنِ سعودٍ

(كما وردتْ في المخطوطِ)

يذهبُ معظمُ الباحثينَ في تاريخِ العلاقاتِ اليمنيةِ - السعودية إلى وجودِ تشابهٍ من حيث الظروفَ التاريخيةُ للدورِ الذي قامَ به كلٌ من الإمام يحيى في بلدِه، والملكِ عبدالعزيزِ ابن سعودٍ في وطنِه، فكلاهُما تزعَّمَ حركةً لتحرير وتوحيد بلادِه، وكلٌّ منهما حاربَ الأتراك، وحصلَ على الاستقلالِ بعدَ الحربِ، وكلاهما عانى من الضغوطِ البريطانيةِ للحدِّ منْ حركتِه، الإمامُ يحيى تعرَّضَ لضغوطٍ بريطانيةٍ خانقةٍ في بعضِ الأحيانِ من أجلِ التحالفِ البريطانيِّ الإدريسيِّ، والملكُ عبدُالعزيز هو الآخر لاقى من العنت البريطانيِّ صنوفاً بسببِ التحالف البريطانيِّ مع الشريفِ الحسينِ بنِ عليٍّ. ولم يكنْ يُداخلُ أياً منهما لا الإمام ولا الملك توجسٌ من حتميةِ الصراعِ بينهما، فلا تماس حدود بينَهما يستدعي المناوشةَ أو الاشتباكَ وكلٌّ منهما يواجه صعوباتٍ في منطقتِه على صعيدِ التوتراتِ والفتنِ والثورات القبليةِ وبريطانيا ترصدُ حركتَهما، وخاصةً في هذه المرحلةِ التي أُلف فيها مخطوطُنا، خلالَ السنواتِ (١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م - ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م). وكانتِ الأحوالُ - كما عبَّر عنها مؤرخُنا - بين الإمامِ والملكِ «لا يُشتم منها رائحةُ الإرادةِ لأي عدوان»[١]. فكلُّ واحدٍ منهما يسعى

(١) كتيبة الحكمة، ٢٧٩ - ٢٨٠.

للتخلصِ من الاضطرابات التي تعـمُّ بلادَه: وكلُّ ما يبغيانه في هـذه المرحلة هو تحقيقُ الأمنِ والاستقـرارِ كضرورةٍ ملحةٍ ثم العملُ على تطـويرِ وتقـدمِ بلديهما. غير أن التحـالفاتِ والاتفـاقاتِ والمعـاهـداتِ والائتلافـاتِ بين ملوكِ وأمـراءِ وشيوخِ الجزيـرةِ العربيةِ والبلـدان العربية عـامة لم تكن ثابتـةً ولا مستقرةً، وإنما هي في حركةٍ متغيرةٍ تنسجُها المصالحُ لا سيما المصالحُ البريطانية آنذاك.

يحددُ مـؤرخُنا عبـدالكريم بأن هنـاك ثلاث قضـايا كـانتْ لها تأثيراتُها على العلاقـةِ بينَ الإمام يحيى وأميرِ نجدٍ (كما كانَ يطلقُ عليـه مؤرخُنا) تركتْ آثـارها السلبيـةَ على علاقتهما، وهـذه القضـايا هي: حـروبُ قبيلـة يام وعسير، وقضيـةُ المحملِ اليمني.

ويامُ في الأصلِ جبلٌ يطلُ على الجوفِ من الجهةِ الغـربيةِ وكانَ سكنَ قبيلةِ يام حيثُ انتقلتْ بعضُ بطـونها إلى نجران فيما بعد، ويامُ أحـد فروعِ هَمْدَان ثم بكيل اليمنيـةِ، وملخص ما وقع أن بعضَ القـوات النجـديةِ بعـدَ إخمادها ثـورةَ حسنِ بن عـائضٍ، وفـراره سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩ إلى الجبـال حسَّن ابنُ دليم القحطانيُّ للقواتِ النجدية مهاجمةَ قبـائل يام وكسرَ شوكتِها، وقد توغلت تلك القوات النجدية بمساندة غيرهم مـن القحطانيين وقبائل الدواسر في موطن يام حتى وصلت مدينـة بدرٍ من نجران، وألحقتْ الهزيمةَ بهم، وفـرَّ الداعي عليُّ بنُ محسنٍ، بعد جهدٍ، ثـم عادَ الجيشُ النجديُّ من حيثُ جاءَ «وقـدْ أنزلَ وفق روايةِ مـؤرخِنـا - بيـام كلَّ داءٍ»[1] وفي أوائلِ العـام التـالي ١٣٣٩/ ١٩٢٠م كثُـرُ الإرجافُ بـاستعدادِ الجيشِ النجديِّ لغزوِ قبـائل خولان بنِ عامرٍ، الأمـرُ الذي جعل علماءَ صعدة وجهـاتِها ورؤساءَ وشيـوخَ قبائلهـا يتوجهـون إلى الإمام يحيى لمساعدتهم بـالسلاحِ والأموال والمؤنِ لاعتقادهم بقـدرتهم على التصدي لجيشِ ابنِ سعودٍ بما عنـدهـم من رجالٍ سيتولـون ترتيب أطرافَ البـلادِ إذا ما أسعفَهم

(١) كتيبة الحكمة، ١٠٦.

الإمـامُ يحيى بسيف الإسلام محمـد بن الإمـام الهادي، فلا يقـومُ بجمعِ كلمتِهم غيرُه ولا مَنْ يقوم مقامه: أو ينوبُ منابَـه، ولمّا كانَ سيفُ الإسلام محمد بن الإمام الهادي قد جمعَ نفسَـه على العبادةِ ومطـالعةِ الكتبِ في جبلِ الأهنـوم، فقدْ رضيَ الإمـامُ لعلماءِ صعـدة أن يُبـادروا إلى سيفِ الإسـلام محمـد بن الإمـام الهادي بطلبِهم، ولما لم يستجبْ كلّفَ الإمـامُ يحيى كـلاً من سيف الإسـلام أحمد بن قاسم حميـدالدين والقاضي العلامـة علي بن علي اليماني والسيدالعلامـة وقاسم ابن حسين أبـوطالـب - وهم مـن كبار رجـال ديوانـه - بـالارتفاع إلى الأهنـوم ومراجعـةِ سيف الإسلام محمـدِ بن الهادي وإلزامِـه الحجةَ بـدخولـه إلى صعدة وقيـامِه بما عـوَّل أهلُ صعـدَةَ عليهِ، وكـانت الحجـةُ، أنَّ جماعـةَ النجودِ الـذين وصلوا إلى يام ودخلـوا بدراً، كانوا يرتجزون «قد أرجفت صنعـاء وبدراً بدين»[1] بمعنى أن صنعاءَ بـاتت مهددةً من قبلِي جيش ابنِ سعـودٍ، والخطرُ غيرُ مقتصرٍ على يـام، فصنعاءُ غـدتْ مطمعاً لـزحفِ «الأخوان». وبـالفعلِ فقد استجـابَ سيفُ الإسـلام، محمـد بن الإمـام الهادي، وانتقـل إلى صعـدة، وجمعَ البـلادَ والقبـائلَ تحتَ قيادتِـه، ورتبَ المحـاطَ للـدفاعِ، ولكنَّ شيئـاً من الاحتكـاكِ أو الهجوم لم يقع.

والنظرُ في الروايةِ التي أوردَها مؤرخُنا تثيرُ العديدَ من التساؤلاتِ، فاعتزالُ سيفِ الإسـلام محمد بـن الإمامِ الهادي في المَدَان من الأهنـوم كـان للاشتغـالِ بالعبـادةِ والمطالعةِ في أحـد جوانبِه، ولأسبـابٍ أخرى اتصلتْ بعـدم رضاهُ عن تعيينِ بعضِ النظارِ «لَنظَارَةِ صعـدة»، وعدم قبولِه بممارساتهم في طـرائقِ جباية الأموالِ من الأقضيـة والنواحي. ولعل التعبئةَ والحشدَ كـان للتصدي للإدريسيِّ وقـوانِ بني سعدٍ العـاملةِ معـهُ وليسَ لجيشِ ابن سعودٍ الـذي قفلَ عائداً بعـد إنجـازِ عملياتِـه العسكريـة ضـدَ حسن بن عائضٍ، غير أن الإرجـاف سرى في مناطق صَعْدَة بسبب الـروايات المتداوَلَةِ عن شراسـة «الاخوان في الحروب، وما

(١) كتيبة الحكمة، ١٣٨.

يوقعـونه في المنطقة التي يجتاحـونها من قتل وخرابٍ وتدمير. ولكنَّ هـذهِ الحادثةَ وإنْ نجحتْ في تعبئةِ الأهالي والسكانِ، فأحسـبُ أنْ لا تأثيرَ مباشرٌ على علاقةِ الإمام، بالملك عبدالعزيز بنِ سعودٍ.

غير أن ما وقعَ في عسير، وخاصةً في إمارةِ حسـن بنِ عائضٍ، كان له أثره في تـوترِ العـلاقاتِ بين الإمـام يحيى والملك عبـدِالعزيـز بن سعودٍ، وملخصُـه أنَّ حسنَ بنَ عـائضٍ، والـذي كـان يعملُ بـوظيفةِ معـاونِ متصرفٍ في عسير، قـد نهضَ بعد إجـلاء الأتراك من عسير، لبسطِ سيطـرته على قبائل قحطـان وقبائل رفُيدةُ، ونجح في ذلك بما لديه من رجالٍ وسـلاحٍ وذخائر تركها له القائدُ التركيُّ محي الدين باشـا قبيلَ عزمِه على الاستسلامِ تنفيذاً لشروطِ هدنـةِ موندروز، ولما كانتْ قبـائلُ رُفَيْدَة تنتمي إلى ابن سعـود، فقَدْ سيَّر الملكُ عبـدُالعزيـز حملةً على رأسِهـا ابنُـه فيصل، شاركَ فيهـا - عـلاوةً على جنـودِ ابنِ سعودٍ والـذي قُـدِّر عـددُهم بأكثـرَ من ستـةِ آلافِ مقـاتل، من قبـائل قحطان وزهـران وشهـران، فاستـولتْ على بيشة وطـاردتْ حسنَ بنَ عائضٍ إلى أبها، كما أوقعت ببنـي شهرٍ الذين ينتمـونَ بالطاعـةِ للشريفِ واستولى عليها جيشُ ابنِ سعـودٍ وأبقى قوات مـرابطةً بها، وعُين سعـد بن عفيصـان أميراً على عسيرٍ وخلفَـه عبدُالعـزيـز ابن ابراهيم فيما بعد، بسببِ موتِ ابنِ عفيصان[1].

والأمرُ الـلافتُ للنظرِ في هذه الحملةِ أنَّ التماسَ الحدوديَّ بين قـوات الإمام وقـواتِ الملكِ ابن سعـودٍ أصبح واقعاً، لا سيما وأَن الإدريسيَّ في العـام التـالي، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م قَبِلَ بـالتخلي عن قضاءِ رجـال ألمع وبعضِ قضـاءِ محايل لصالـحِ الملكِ عبدالعزيـزِ بن سعودٍ، وفـوقَ ذلك رضيَ الإدريسيُّ بدفعِ مبـالغَ كبيرة من الأموال كأتاوة سنوية أيضاً[2]. ومعَ أن مؤرخنا وقفَ عن تفسيرِ سببِ

(١) تـاريخ نجد، ٣٠٣، تـاريخ العربيـة السعوديـة لفاسلييف، ٣٢٨، نجـد وملحقاتـه، للريحاني، ٢٩٨ - ٣٠٣ ، نجد وملحقـاته، وسيرة عبدالعزيـز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، ملوك العرب، أمين الريحاني، ط الرياض ١٩٨١م.

(٢) كتيبة الحكمة، ٢٣٢.

إقدام الإدريسيِّ على هذا التواني والقبول، فإنَّ الأحداثَ التاريخية توضح أن حالةَ العداءِ بين الإمام يحيى والإدريسيِّ قد وصلتْ إلى مرحلة اللاعودة، لا سيما وأنَّ الإمامَ يحيى يعتبرُ الإدريسيَ غاصباً ومعتدياً على جزءٍ من حدودِ اليمنِ التاريخية، مملكةِ أسلافِهِ منذ ألف سنة وزيادة، وأنَّ في التنازل عن أجزاء منها لابنِ سعودٍ كان معناهُ إطالة أمدَ الحربِ لاستردادها، فقواتُ ابنِ سعودٍ تفوقُ قواتِ الإدريسيِّ المنهكة في الرجال والسلاحِ والعُدة، أمَّا لماذا أقدمَ الإدريسيُّ على ذلك، فإننا سندرسُه في محلِّه عند بحثنا لحروب الأمامِ مع الإدريسيِّ.

وفي خضمِّ هذا التوتر الذي ألقى بظلالِه على العلاقاتِ السعوديةِ اليمنية وقعتْ حادثةُ المحملِ اليمنيِّ، والتي تُعرفُ بواقعةِ تنومةَ وسدوان، لتزيد من حدةِ الخصامِ، وترفعَ من وتيرةِ العداء بما أضفاهُ الكتّابُ والشعراءُ من إشعال لإوارِها، ولما كنا لا ننشدُ إلاّ الحيدةَ والاعتدالَ والنزاهةَ في معالجتها، آثرنا أن نبسط الروايةَ اليمنيةَ لهذه الحادثةِ بشقيها الرسميِّ والعامِ، وكذا الرواية السعودية بشقيها الرسمي والعامِ أيضاً.

يروي مؤرخنا عبدُالكريم بنُ أحمدَ بنِ عبدِالله مطهر في كتابه الذي ندرسُه خبرَ الحادثةَ كما يلي: «يوم السبت ١٦ أو الأحد، ١٧ شهر ذي القعدة الحرام ١٣٤٠، كان الغدرُ بحجاجِ بيتِ اللهِ الحرامِ من أهل اليمنِ الأعلى والأسفلِ من طرفِ أميرِ بلاد اليمامة ونجدٍ، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود في وادي تنومة وسدوان الأعلى والأسفل من بلاد بني شهر وأعمال عسير»، ويضيفُ بأن «أمير الحج» من أطرافِ البلادِ الأماميةِ محمد بن عبدالله شرف الدين كتب إلى أمراء نجدٍ مستوضحاً عن حال الطريق و إمكان الاجتياز فيها بقصدِ التثبت في الأمر، والدخول في تلك البلاد، على بصيرةٍ وتعيين تام من تعدي أحدٍ عليهم».

وتمضي الروايةُ فتذكر «بأنه وصلتْ كتبٌ من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم

تفيدُ اهتمامهم بتأمين طريق الحجاج وتيسير مرورهم وتسهيل سفرهم، وأنه لا خوف عليهم مما يجري في أطراف عسير»، وعلم أمير الحج بذلك، فعادَ الأمرُ مؤكداً من سلوك الطريق المعتادة بأمانٍ وسلام، وحين توغلوا في بلاد عسير وقد تلقاهم بعض النجديين بالمسالمة، وحين كانوا على مقربة من اجتياز عسير بلغهم أن جيش النجديين أمامهم، اختار بعضُهم السيرَ على الساحلِ، وأما الآخرون فقد سلكوا الطريق المعتادة، وحطتِ القافلةُ الأُولى في وادي تنومةَ، والثانيةُ والثالثة في سدوان الأعلى والأسفل، وبينما هم في أشغالهم مستغرقون طلعتْ عليهم ألوفٌ من جنودِ ابن سعودٍ، وأحدقوا بهم من أعلى الوادي وأسفلِه ومن رؤوس الجبالِ، وبادروهم بالرمي، فاستشهد معظمُ من كان بالوادي من الحجاج وقُتلتْ أكثرُ دوابهم وأُخذت أموالُهم، ثم عطفوا علي القافلتين الأخريين وفعلوا بهما كما فعلوا بالأولى» وتصفُ الروايةُ ما لحقَ بالفارين من سلبٍ ونهب حتى الثياب قد نُهبت» وقرر المؤرخُ «وقلَّ أن تخلو قريةٌ من قرى اليمنِ عن مصابِ بعضِ أهلها في هؤلاء الحجاج».

والرواية تفيدُ بأن الحجاج كانوا عزلاً من السلاح، وأنهم استوثقوا عبدَالعزيزِ ابن إبراهيم، أميرَ عسير، من سلامة وأمان الطريقِ،و ولكنها لا تذكرُ عددَ القتلى من الحجاج بل تؤكد «ولم يتحقق قدر الشهداءِ حتى الآن» ويظهرُ التروي اليمني في معالجَة أثر هذه الحادثةِ عند الإمام، فقد اهتم الإمامُ لهذا الحادثِ اهتماماً عظيماً وأخذَ في تدبير ما يكونُ به الانتصافُ، لا سيما وقد قوبلَ هذا الحادثُ بالغضب الشديدِ والحزنِ العام في اليمن.

وفي خلال ذلك وصلَ من عبدالعزيز بن إبراهيم، أمير عسيرٍ ما أفاد التبري من هذا العمل القبيح، وأن وقوعَه كان بغير اختيارٍ من أحد الأُمراء، ووصلَ التبري أيضاً من الملكِ عبدِالعزيز بنِ سعودٍ، وأفادَ بأنَّه جادٌّ في التحقق من البحثِ عمن فعلها، وقد أمرَ بإرجاع ما أُخذَ على الحجاجِ وطلب إلى الإمام إرسالَ من يتسلمُها، حيثُ أُعيدتْ بعضُ المنهوباتِ من دوابٍ ومنقولاتٍ

وبعضِ قيم السمنِ، ومعها ما يؤكدُ الإصرارُ على التبري من هذه الفعلةِ، وأسفر رأي الإمام يحيى عن طلبه من ابن سعودٍ أن يكونَ هو الحكم في هذه الواقعةِ آخذاً بالاعتبارِ بُعدَ المسافةِ إذا ما فكّر بالثأر، ثمَّ إنَّ الخصمَ ما زال مجهولاً.

وقد اطلعتُ على رسالةٍ مخطوطة صغيرة الحجمِ لا زالتْ محفوظةً في المكتبة الغربيةِ بجامعِ صنعاء الكبير، في المجموع رقم ٤٨ بين الأوراق ١٠٧ - ١٠٨ جاءتْ تحتَ عنوانِ «هذا بحثٌ مفيدٌ في ذكر المصيبة العظمى التي لم يقعْ فيما تقدمَ إلاّ في هذا العام بحجاجِ بيتِ الله الحرامِ في طريق الحجاز» والرسالةُ مكتوبةٌ بعاطفةٍ عصبيةٍ حادةٍ، فالقتلى حسب الرسالة (٢٨٠٠) شهيداً والمنهوباتُ قُدرتْ بأربع مئةِ ألفِ ريالٍ ماري تريزا، ثم نُوردُ أشعاراً تثيرُ الحماسَ وتستفزُّ الهممَ للثأرِ. لا سيما وقد كانَ بين الشهداءِ يحيى بنُ أحمدَ بن قاسم ابنِ عبدِالله حميدِالدين والفقيهُ أحمدُ بنُ أحمدَ السياغيِّ الحيمي، وأمَّا أميرُ الحج محمدُ بنُ عبدِالله شرف الدين فقد عاد سالماً[1]. ولم نعثرْ في المصادر اليمنيةِ على روايةٍ منسوبةٍ إلى أمير الحجِّ محمدِ بن عبدِالله شرفِ الدين تخبرُ بما وقع، كما أن القاضي اسماعيلَ بنَ عليٍّ الأكوع لم يُشر إلى مكانِ حفظ الوثيقةِ التي وجدَها بخطِ العلامةِ قاسم بن حسين أبوطالب المعروف بقاسم العزي والتي تاريخها ٤ ذي الحجة ١٣٤١هـ وفيها أنَّ الحادثة وقعتْ في ١٧ ذي القعدة في الساعةِ الخامسةِ بالتوقيتِ الغروبيِّ بين سدوانَ إلى تنومة من بلادِ بني شهر، وكانَ الحجاجُ ثلاثَ فرقٍ، فرقةٍ تقدمتْ إلى تنومة وفرقةٍ في سدوان الأعلى وفرقة في سدوان الأسفل، وفيها أميرُ الحج محمدُ بنُ عبدِالله شرف الدين[2]» ولم يقمْ القاضي إسماعيلُ الأكوعُ بنشرِها وصورتها في كتابِه.

---

(١) نزهة النظر، ٥٣٨.

(٢) هجر العلم، ٦٦٢.

وفي رأينا، أن الإمامَ يحيى حينَ أفادَ بأنَّ الخصمَ في بـلادِ نجدٍ ما زال مجهولاً، كانَ قـد انتَهى إلى ذلك من خـلال توثقه مـن روايةِ أمير الحج محمدِ بـن عبدِالله شرف الدين بعـد عودته سـالماً، أما الروايـة السعودية والتي جـاءت كردودٍ من قبلِ عبدِالواحدِ بن محمد راغب دلال في كتابـه «مطالعاتٌ في المؤلفات التاريخية اليمنية» دراسةٌ نقديةٌ، ط القاهرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م والتي يناقشُ من خلالِها كتاب «السعـودية تبتلعُ اليمنَ» لمؤلفِهـه المهندسِ يوسف الهاجـري وغيره، يرى أن حادثـةَ تنومةَ أحاطتْ بها وقتَهـا ظروفٌ وملابساتٌ عـديدةٌ، ثم استُغِلتْ منْ قبلِ البعضِ بغرضِ الإثارةِ وإشعالِ الفتنةِ بينَ الطرفينِ، وما زالَ البعضُ يُثيرها للغرضِ نفسهِ، ويُعيدُ ترتيبَ الحوادثِ حيثُ يشير إلى:

- «وفيما رحى الحربِ مشتعلـةٌ (المقصـودُ بين جيشِ ابنِ سعـودٍ وحسنِ بنِ عـائضٍ)»، تداعتْ إلى الأسماعِ أيضـاً أنَّ هناكَ قـواتٍ أخـرى بعثَها أمـامُ اليمنِ لمساعدةِ ابـنِ عائضٍ بناءً على مراسلةٍ تمتْ بينَـه وبينَ الشريفِ حسينٍ للتصدي للملكِ عبدِالعزيزِ بموجبِ معاهدةٍ كانتْ قد وُقعتْ بينَهما[1].

- سارع أميرُ عسيرِ الشيخُ عبـدُالعزيـز بنُ إبراهيمَ بـاستقبالِ القـافلةِ على مشـارفِ أبها وأكرمَ وفـادةَ الحجاجِ، وأن عبـدَالعزيـزِ بنَ إبـراهيمَ بادَر بإسـداءِ النصحِ لرؤساءِ القافلةِ بأَنْ يسلُكوا طـريقاً آخرَ أكثر أمناً حددُه لهم ودلّهم عليهِ، ولكنهم لم يستمعوا إلى نصيحتِه، وعندها أخـذَ منهم كتابةً خطيةً بأَنهم يسلكون هـذا الطـريقَ بمحضِ إرادتهم واختيـارِهم وعلى مسئـوليتهِم، وأن السعـوديينَ ليسـوا مسئولينَ عن أي خطـرٍ يحيقُ بهم أو شر ينـالهم، وذهبَ المؤلفُ دلال إلى أنهم كـانـوا يحملـونَ السلاحَ ربما للحـراسـةِ، ثم يمضي ويـؤكـدُ بأنَّ المقـاتلينَ السعـوديين ظنوهم مـدداً لقواتِ الشريـفِ حسين بموجبِ المعـاهدةِ الموقعـةِ بينَهما عـام ١٣٤٠هـ. وأنها قـوةٌ تتخفّى بلبـاسِ الحجيجِ، وعـددُهم كبيرٌ

---

(١) مطالعات، ٥٠.

وأسلحتُهم ظاهـرةٌ وشاهرةٌ، وأسند المؤلفُ روايـاتٍ تنومة إلى مـؤلفاتِ كلٍّ من، محمـد بن أحمد العقيلي، أضواءٌ على تـاريخِ الجزيـرةِ العـربيةِ الحديث، وتـاريخُ العلاقـاتِ السعوديةِ اليمنيـةِ لفتوح عبـدالمحسنِ الخترش، والتي حسبَ رأيِهِ لم تلتزمْ بروحِ الإنصافِ في عرضِها للحادثةِ[1].

ويُستفادُ من دراسةِ دلال ما يلي:

- أن الأميرَ عبـدَالعزيـزِ بنَ إبراهيمَ قـد حذَّرَ رؤسـاءَ قافلـةِ الحجاجِ من مغبـةِ مواصلةِ سيرِهِم في الطريق المعتادةِ.
- أنَّه أخـذَ منهم كتاباً بإخلاءِ طـرفِه ومسئـوليتِه عما يقعُ لهم مـن أخطار إذا لمْ يستجيبوا لنصيحتِه، وأنهم واصلوا السيرَ على مسؤليتِهم.
- ثم يؤكـدُ أنَّ مقاتلينَ سعـوديينَ وقد ظنوهـم مدداً للشريفِ حسين أو الحسنِ ابنِ عائضٍ بناءً على مراسلةِ بين الإمام يحيى والشريف حسين، وأنهم يتخفون بلباسِ الحجيج وعددُهم كبيرٌ وأسلحتُهم ظاهرةٌ، فوقعَ ما وقعَ وروايةُ دلال لا تقولُ بالمراسلةِ المسبقةِ الكائنةِ بينَ أميرِ الحجاجِ محمدِ بنِ عبدِالله شرفِ الدين وعبدِالعزيزِ بنِ إبراهيمَ التي ذكرتْها الروايةُ اليمانيةُ.

وتتوافقُ منـاقشةُ دلال من حيثُ العددُ مع الـرسالةِ المخطـوطةِ التي أشرتُ إليها والمحفوظة في المكتبة الغـربية بجامع صنعاء في المجموع رقم ٤٨ ص١٠٦ - ١٠٨، إذ قالتْ الرسالةُ اليمنيةُ بأنَّ عددَ القتلى الشهداءِ (٢٨٠٠)، وأما دلال فيشيرُ إلى أنَّ عددَ الحجاجِ كان ثلاثة آلافٍ.

ونحنُ لا نميلُ للأخذِ بكلِّ روايـةِ دلال، فلو كان بحوزةِ الأمير عبـدالعزيز بن إبراهيمَ كتـابٌ من أمير الحج اليمني محمدِ بن عبدِالله شرف الـدين ورؤساء القوافل لأرسلَ بـهِ الأميرُ عبدُالعـزيز بنُ ابـراهيم أو حتى الملكُ عبدُالعـزيز بن سُعـودٍ إلى الإمـام يحيى، فإنَّ في نشرِهِ في اليمن، الحجـةَ القاطعـةَ لمنع التقـولات

(١) مطالعات، ٥١.

بإلقاءِ التبعيةِ على عساكرِ الملكِ عبدالعزيزِ ابن سعودٍ، ولكفي الأمرُ. ويقابلُ هذا من طرفِ اليمنيين السكوتُ عن روايةِ أمير الحجِ محمدِ بنِ عبدِالله شرفِ الدين، والذي عادَ سالماً إلى صنعاءِ.

ومن ناحية أُخرى فلا نرى بأنَّ عساكرَ الملكِ عبدِالعزيز بنِ سعودٍ همُ الذين هاجموا الحجاجَ، ونتفقُ مع روايةِ دلالٍ بأن المقاتلين السعوديينَ همُ الذينَ قاموا بالفَعلةِ، ومصطلحُ مقاتلينَ في تلك الفترةِ، كان يُقصدُ به المتطوعةُ من رجالِ القبائلِ الذينَ كانوا يقاتلونَ مع القواتِ والعساكرِ النظاميةِ، لهم الجراياتُ عندَ كلِ معركةٍ، ولهم ما غنموه خلالَ المعركةِ، وهذا النوعُ من التعبئةِ والتحشيدَ كانَ معمولاً به سواء في اليمنِ أو الحجازِ أو نجدٍ أو عسيرٍ، وغالباً ما يكونُ المقاتلةُ من ذوي البداوةِ الغارقينَ في بداواتِهم. وقد جاءَ في مخطوطِنا الذي ننشرُه بأَن تبعيةَ الواقعةِ قد أُلقي على بدوٍ يُعرفون بالعطعوط، وحين نظرتُ في أسماءِ القبائلِ والبطونِ التي كانتْ تبادرُ إلى الانضواءِ تحت امرةِ قيادة العساكرِ المتحركةِ للقتالِ، قادني البحثُ إلى قبائل منطقةِ الغطغطِ، فلعلَّ تحريفاً قدْ وقعَ، فإنَّ جماعةً من هؤلاءِ قد رافقوا القواتِ السعوديةِ (النجدية) التي أُوكل إليها وأدُ فتنةِ حسن بن عائضٍ، كما توردُه الرواياتُ السعوديةُ. والأرجحُ أن خبرَ المعاهدةِ التي تَولّى صياغتَها أمينُ الريحانيِّ معَ الإمامِ يحيى ومستشاريه والتي لمْ تُوقّعْ بعدُ، قد وَصَلتْ أخبارُها إلى بلادِ الملكِ عبدِالعزيزِ بن سعودٍ إمّا من قبلِ عيونِه أو سُرِّبتْ من قبلِ البريطانيينَ، وشاعَ أَمرُها بين عساكرِ الملكِ عبدِالعزيز بنِ سعودٍ والمقاتلين من جماعاتِ القبائلِ، فأَقدمتْ جماعاتٌ من البدوِ على الإيقاعِ بالحجاج دونَ اختيارِ أحدٍ من أمراء قواتِ ابن سعودٍ النظاميةِ، ولكنهم يدرون عن ذلكَ، فحركةُ قواتٍ مقاتلةٍ بهذا العددِ الكثيفِ لا يمكنُ أنْ يتمَّ خفيةً ودون علم أحدٍ، ولا أعتقدُ أن أُمراءَ القواتِ السعوديةِ كانوا قادرينَ على منعِهم، فالإخوانُ المقاتلةُ يَرَوْنَ أنفسهم بأنهم أصحابُ اليد الطولى، في تحقيقِ الانتصاراتِ التي حققتْها قواتُ ابنِ سعودٍ، وفضلُهم لا يُنكر

ورأيُهم لا يقوى أحدٌ على معارضتِه، فكيفَ بالتصدي لـه وجمِه! وحتى تنشرَ الوثائقُ إنْ كانتْ موجودةٌ عند اليمنيينَ أو السعوديينَ ستظلُّ هذه الحادثةُ مثيرةً ومستغَلَّةً ورقةً تُشهر عند التشاحن ومن ناحيةٍ فقد كان لحادثةِ تنومةَ وقعُها على المهمةِ التي قام بها كلٌّ من محمد كامل القصاب ورفيقه حياتي، موفَدَيْنِ من قبل الجمعيةِ العربيةِ التي كانتْ تسعى لتوحيدِ كلمةِ العربِ وهم يأملونَ في الوفاقِ بينَ الإمام يحيى والملكِ عبدالعزيزِ بنِ سعودٍ، وقدْ كانَ ردُّ الإمامِ، بأنَّ الوفاقَ مرغوبٌ، ولا سيما السلامةُ من عدوانِ أُممِ الإفرنجِ، ولكنَّ ذلك متوقفٌ على تقديمِ الملكِ عبدِالعزيز الإنصاف بشأنِ العدوانَ الذي وقعَ على الحجاج اليمنيين في تنومة وسدوان، ومتى تمَّ ذلك وزالَ ما في النفوسِ من غيظٍ أمكنَ الشروعُ في الاتفاقِ على أساسٍ متينٍ من الاتحادِ ونبذِ الشقاقِ، والسعيِ في إنقاذِ ما وقعَ تحتَ مخالبِ الإفرنجِ من البلادِ العربيةِ، وكتب لهما الإمامُ كتاباً ليوزعَ على جميع شُعَبِ الجمعية العربيةِ، ثم عادا على أن يعزما إلى الرياضِ والسعي عندَ الملكِ عبدِالعزيز بن سعودٍ لتحقيقِ الانتصافِ من المعتدين[1]، وحتى عندما وافقَ الإمامُ يحيى بعد إلحاح بعضِ الزعماءِ العربِ وكثرةِ الوساطاتِ لإرسال مندوبٍ عنه لحضورِ المؤتمرِ الإسلاميِّ الذي دعا إليه الملك عبدالعزيزِ لمناقشةِ أمورِ المسلمين مع الدول الإسلامية، والذي عُقد في مكة ١٩٢٦، فقد أنهى مندوبُ الإمامِ، السيدُ حسينُ بنُ عبدِالقادرِ إلى الملك عبدِالعزيزِ بن سعودٍ وجوبَ تسويةِ مسألةَ الحجاجِ قبلَ كلِّ شيءٍ[2]. غير اني لا أعتقدُ أنَّ قضيةَ يام وحادثةَ تنومة كانَ لهما أثرٌ في طبيعةِ العلاقاتِ التي نشأت فيما بعدُ بين اليمنِ والسعوديةِ. وتمخَّضَ عنها الحربُ اليمنية السعوديةُ. ولكنَّها مسألةُ الحدود بين الطرفين والتي ستبقى مؤرقةً للطرفينِ ما لمْ يجرِ التعاملُ معَها بكلِ حكمةٍ ورويةٍ وحلُّها بتراضٍ تام يقبلُ بهِ أبناءُ البلدَيْنِ في إطارِ الأخوةِ في الدينِ بعيداً عن العصبيةِ الجنسيةِ أوِ النفعيةِ الذاتيةِ.

(١) كتيبة الحكمة، ٣٠١.

(٢) تاريخ العلاقات السعودية اليمنية، فتوح الخترش، ١٢١ - ١٢٢.

الفصل الثالث

العلاقاتُ اليمنيةُ البريطانيةُ

(كما أوردتها المخطوطة)

استمرتْ العـلاقاتُ اليمنيةُ البريطـانيةُ في تدهـورٍ نتيجةَ مواصلـةِ القواتِ البريطـانيـةِ في احتـلالِها لمينـاءِ الحُديدة، وإمـدادِ قـواتِ الإدريسيِّ بـالأسلحـةِ والذخائرِ، وقد عبرتْ رسالةُ القائدِ العامِ، المقيم السياسيِّ في عدن استيوارت إلى الإمامِ بتاريخ ١٩ ينـاير ١٩١٩م عن مدى تردِّي العلاقـاتِ بينَ الطرفينِ، فقد رفضَ استيوارت مقابلـةَ مبعوثي الإمامِ الذين وصلـوا من الحديدة على دفعتينِ، الأولى في ٣ يناير والثانية في ١١ يناير بدعوى اتصال أحدِ أعضاءِ الفريقِ الثاني بقنصليـةٍ أجنبيةٍ (اميركـا)، وتسليمِه رسـالةً من الإمـام إلى القنصلِ يُبدي فيهـا رغبتَه في عـرضِ مطالبِه على مؤتمرِ السـلامِ الذي سيُعقَدُ في بـاريس عن طريقِ تلكِ الـدولةِ، ممـا ترتبَ عليـه إعـادةُ فريقَيِ المحـادثاتِ إلى الحُديـدةِ على أولِ واسطةِ نقلٍ.

غيرَ أنَّ المقيمَ السياسيَّ في عدن لجأ إلى سياسـةِ العصا والجزرةِ في رسالتِه إلى الإمـامِ، فأبـدى استعـدادَه لتلقي أية رسـالـةٍ من الإمـام تُبعثُ لـه عن طـريق الحديدةِ، وفي نفـسِ الوقتِ يقـدمُ شكرَهُ لـلإمام لعـدم معارضتِـه في استسلام الجنودِ الأتـراكِ، الأسرى، في الحُديدةِ، ويُفيـد بأنَ ما تمَّ لا يتعـدى كونَـه تنفيذاً لواحـد من شروطِ الهدنةِ المفروضةِ على الـدولةِ التركيةِ، ولا بدَّ من تنفيـذِ باقي

الشروطِ الملزمةِ باستسلام كافةِ الحامياتِ التركيةِ المتبقيةِ في اليمنِ لا سيما وأن مبعوثاً خاصاً قد وصلَ من تركيا وهو في طريقِهِ للاتصالِ بالسلطاتِ في اليمنِ لتنفيذِ بقيةِ الشروطِ، وبعدما يتحققُ ذلك فإنَّه يمكنُ النظرُ في جميعِ مطالبِ الإمامِ الماليةِ والإقليميةِ كما وعدت الحكومةُ البريطانيةُ(1).

ويتضحُ من الوثائقِ البريطانيةِ، أن السياسة البريطانية كانتْ تحاولُ خداعَ الإمامِ بشأنِ الحديدةِ، فقد نشط الضباطُ البريطانيونُ خلال العام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م للالتفافِ على مطالبِ الإمام الإقليميةِ وخاصةً في الحديدةِ، فأعزوا إلى بعضِ أعيانِ الحديدةِ رفعَ الاسترحاماتِ والاستعطافاتِ والالتماساتِ بواسطةِ الحاكمِ السياسيِّ في الحديدةِ الميجر ميك ثم بواسطةِ الحاكم السياسي في الحديدة L. M. Steeler إلى لجنةِ الأمم (عصبة الأمم) التي ستلتئم في باريس في مؤتمرِ الصلحِ، يُعبِّرونَ فيها عن مطالبِهم تمشياً مع القاعدةِ المنشأةِ بين الدول في حقِ تقريرِ المصيرِ. وفي هذه الاسترحاماتِ المملاةِ من الضباطِ البريطانيين، يُبدي الأعيانُ رغبتهم في الإبقاءِ على القواتِ البريطانيةِ وعدم تقليصِ أعدادها بدعوى حمايةِ أهل الحديدةِ من هجماتِ البدوِ أو منْ قبلِ قواتِ الإمامِ أو الإدريسيِّ حتى لا تُنهبَ المدينةُ من قبلِ هؤلاءِ جميعاً، وهم يرغبونَ في إعادةِ دولتهم العثمانية لممارسةِ سلطاتِها عليهم في تطبيق الشريعةِ وحفظِ أمنِهم كخيارٍ أول، فإن تعذَّرَ فيقبلونَ بأحدِ أفرادِ الأُسرةِ الخديويةِ المالكةِ في مصر أو اختيارِ أي ملكٍ عربيٍ طبقاً لشروط توافقُ عليها وتقبلُها القوى العظمى ولكن بواسطةِ بريطانيا العظمى، وقد وقَّعَ على الاستعطافَيْنِ نفرٌ من التجارِ، وكلاءِ الشركاتِ الأجنبيةِ التجاريةِ في الحديدةِ، وعددٌ من الموظفين الإداريينَ وبعضُ القضاةِ الذينَ كانوا يوالونَ الإدريسيَّ. ولأهميةِ الوثيقتين وما حملتاهُ من معاني فإني أُثبت ترجمةً للوثيقتَيْنِ وصورَهما المنشورة في الجزءِ السادسِ من وثائقِ اليمنِ، ص٤٧٨ - ٤٨١.

---

(1) Records of Yemen, Vol. 6. P. 547

مقيمية عدن

١٦ يناير ١٩١٩م رقم: ٩٧

إلى إمامِ صنعاء

لقدْ وصلَ مبعوثوكَ على دفعتَيْنِ

الدفعةُ الأولى: في ٣ يناير والثانيةُ في ١١ منه

لقد أعربَ سيادُتكم عن الرغبةِ في إرسالِ هؤلاءِ المبعوثينَ لمقابلتي، وقد وافقتُ مسروراً على استقبالِهم، على أملِ أن يؤدي ذلك لإجراء ترتيباتٍ سريعة بينَ الحكومةِ البريطانيةِ وسيادتِكم، كما قمتُ بتأمينِ سفرِهم من الحُديدةِ إلى عدنَ. وكان في نيتي المبادرةُ لمقابلتِهم بعدَ وصولِهم.

وحينَ وصلَ الفريقُ الأولُ رأى الانتظارَ لحينِ وصولِ الفريقِ الثاني، إلاّ أن الفريقَ الثاني قامَ بمجردِ وصولِه، ودونَ التشاورِ معي، بزيارةِ قنصليةٍ أجنبيةٍ، وسلَّمَ القنصلَ رسالةً من سيادتِكم لنقلِها إلى رئيسِ حكومتِه. وفي تلكَ الرسالةِ تتذمرونَ منَ المعاملةِ التي تلقيتُموهما مني ومنَ الحكومةِ البريطانيةِ، وتلمحُ فيها إلى أنْ يتم عرضُ مطالِبكم في مؤتمرِ السلامِ.

إنني اعتبرُ هذا العمل غيرَ مبررٍ ويشكِّلُ انتهاكاً فاضحاً لمكانتي التي أَتمتعُ بها بالنيابةِ عن حكومتي، ولذا فقد قررتُ ألاّ أمضي في تقديمِ المعاملةِ المشرِّفةِ لهؤلاءِ المبعوثينَ والتي كنتُ أنوي تقديمَها. وإنَّ الطريقَ الوحيدَ الذي سأسلكُه معهم هو إعادتُهم إلى الحُديدةِ في أول فرصةٍ.

وفي الحديدةِ، فإنَّه يُسعدُني تلقي أيةَ اتصالاتٍ أُخرى من سيادتِكم إذا كنتم ترغبون في توجيهها إليَّ.

إنَّ رسالةَ سيادتِكم الموجهةَ إلى جلالةِ ملكِ بريطانيا قد سُلمتْ إليَّ وسأقومُ

بنقلِها، ولقد علمتُ أن الأَسرى الذينَ كانُـوا تحتَ يد سيادتِكم قد استسلموا في الحُديدةِ وأنتهزُ هـذه الفرصة لأشكُرَ سيادَتكم في تمكينِنـا من تنفيذِ أحدِ شروطِ اتفاقيةِ الهدنةِ المفروضةِ على تركيـا من قبلِ الحلفاءِ والواجبةِ التنفيذِ. والذي كان لتنفيذِهِ انطباعاً حسناً لدى الحلفاء.

ولكنْ يجبُ أَن أُذَكِّـر سيـادتكم بغير ذلكَ من شروطٍ، مثل استسـلام جميعِ الحاميـاتِ التركيـةِ في اليمـنِ، لا سيما وقـد وصلَ مبعـوثٌ تـركـيٌ خـاصٌ من القسطنطينية إلى الحُديدةِ، وهو في طريقِه إلى زاويـة ليتصلَ هاتفياً بالسلطاتِ في صنعاء وأَملي أَن جميعَ العقبـاتِ الخاصةِ بـالاستسلام المشارِ إليـه سابقـاً ستُزال جميعـاً وفوراً، وبـذلك يمهِّدُ السبيلُ للنظـرِ في جميعِ المطـالبِ الماليةِ والإقليميـةِ التركيةِ التي ترغبونَ سيادَتكم في تقديمِها.

وطبقـاً لأوامـرِ حكـومتـي، فقـدْ أكـدتُ لسيـادتِكم دائماً بأن مثـل هـذه الاعتباراتِ سيُنظرُ فيها كاملةً وبشكلٍ عادلٍ.

J. M. Stewart

القائد العام

المقيم السياسي، عدن.

Aden Residency,

16th January 1919.

To,

The Imam of Sana.

Your Excellency,

Your envoys arrived in Aden in two parties, the first on the 3rd January the latter on the 11th inst.

Your Excellency had expressed a wish to send these envoys to see me, and I in the hope that it would lead to a speedy arrangement between the British Government and your Excellency gladly agreed to receive them, and arranged for their passage from Hodeida to Aden.

It was my intention to give them an interview very soon after their arrival.

The first party preferred to await the arrival of the second. The second immediately on arrival, and without consulting me, visited a Foreign Consul, and handed him a letter from Your Excellency, for transmission to the Head of His Government.

In this letter Your Excellency complained of the treatment you had received from me and the British Government and urged that you and your claims might be represented at the Peace Conference.

I consider that this action was most unjustifiable and a grave breach of the privilege I had accorded on behalf of my Government.

I decided that I could no longer extend to these envoys the honourable treatment that I had intended, and that my only course was to send them back to Hodeida at the earliest opportunity.

In Hodeida I shall be glad to receive from Your Excellency any further communications you may wish to address to me.

Your Excellency's letter to His Imperial Majesty The King of England etc. etc. has been handed to me, and will be duly transmitted.

I

رسالة استيورات إلى الإمام بشأن إعادة وفدي الإمام

I have now learnt that the prisoners who were in Your Excellency's hands have been surrendered at Hodeida. I take this opportunity of thanking Your Excellency for thus enabling one of the terms of the armistice dictated to Turkey by the Allied Powers, to be carried out. It cannot but create a good impression with these Allied Powers. But I must remind Your Excellency of another of those terms, and that is the surrender of all Turkish garrisons in the Yemen. A special Turkish envoy from Constantinople has arrived in Hodeida and is proceeding to Zavia to communicate by telephone with the authorities in Sanaa.

I hope that all difficulties in the matter of the prescribed surrender will now be immediately removed, and the way thus paved for the consideration of all financial and territorial claims which Your Excellency may wish to advance. Under the orders of my Government I have always assured Your Excellency that such consideration will be complete and just.

sd. J.M.Stewart,Major-General,
Political Resident, Aden.

ترجمةُ الاسترحامِ المرفوعِ

من بعض الأعيانِ في الحُديدةِ

بتاريخ ٢٥ جماد الأول ١٣٣٨هـ/ ١٥/ ١٢/ ١٩٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ تعالى في كتابه الكريم: ﴿إنَّ الذي فَرَضَ عليكَ القرآن، لرادُّكَ إلى مَعَادّ﴾ [القصص:٨٥].

نحنُ شعبُ اليمن، الملتزمون بشريعةِ محمدٍ، صلى الله عليه وسلم، وعملاً بشريعتِنا، فإنَّ بلادَنا ما كان لها أن تخضع ولا تُحكمَ إلاّ من قبلِ حكومةٍ مسلمةٍ.

وفي ظلِّ الظروفِ الحاليةِ، فإنَّ على حكومتِنا أن تهتمَّ بالشؤن العالمية، وأَنْ تكونَ قادرةً على اتخاذِ الإجراءاتِ المناسبةِ - الخ بينَ شعبِنا في هذا الجزءِ من البلادِ والأُممِ الأُخرى، ولا بدَّ من الاحتفاظِ بجيشٍ قويٍ وعادلٍ وكافٍ لحمايةِ البلادِ من كلا الجانبينِ من البرِ والبحرِ.

وكنتيجةٍ للحرب العامةِ، فإنَّ حكومةِ بريطانيا العظمى ستنزلُ في الحُديدةِ وأنهم يحتلونها لمدةِ عام كاملٍ، ولا ندري الدوافعَ التفصيليةَ التي تسببتْ في هذا النزولِ ولا الإجراءاتِ التي تمَّ التوصلُ إليها بين القوى حتى الآن. ولكننا علمنا من الأخبارِ التي جمعناها من الصحفِ المصريةِ العربيةِ، أن اجتماعاً عاماً قد تمَّ بينَ كافةِ وفودِ القوى في باريس تحت اسم (لجنة الأُمم)، وذلك لبحثِ الترتيباتِ وجعلِها نافعةٍ لكلِ الأجناسِ العربيةِ والطوائفِ الأُخرى.

نحن سكانُ الحديدةِ من مثقفينَ وسادةٍ وتجارٍ وأشرافٍ نسارعُ بتقديمِ هذا البيان، ونطلبُ من الميجر ميك، الحاكم السياسيِّ في الحديدةِ نقلَه مشكوراً إلى

لجنةِ الأُممِ، ونستعطفُ التعبيرَ عن وجهةِ نظرنا المبينةِ أدناه.

الأمرُ الأولُ: نحنُ لا نريد أيةَ حكومةٍ أخرى غيرَ حكومتِنا العثمانيةِ

الأمرُ الثاني: وإذا لم تتنازلُ القوى لتوسلاتِنا، فإننا نطلبُ تعيينَ أحد أفرادِ العائلةِ الخديويةِ ملكاً علينا، لأنَّه مسلمٌ وعربيٌّ. كما أن هذه الحكومةَ سبقَ وأنْ احتلتِ اليمنَ، ولديها المعرفةُ بشريعتِنا وقوانينِنا الأخرى، وبتبني مثلَ هذا المسارِ، فإنَّ الرفاهَ سيتحققُ، مثلما يتم الحفاظُ على الأمنِ، وسيؤدي إلى وقفِ كلِّ دولةٍ طموحةٍ من التطاولِ على بلادِنا انسجاماً مع القواعدِ المنشأةِ والمتمدنةِ، ونتطلعُ لحمايتنا وتطوير بلادِنا، ونلزم كلَّ حاكمٍ علينا أن يعملَ طبقاً للظروفِ القائمةِ.

الأمرُ الثالثُ: وإذا لم يتم تلبية هذهِ المطالبِ - على أية حالٍ - لا سمح اللهُ، سنكونُ مضطرينَ لاختيارِ ملكٍ عربيٍّ، طبقاً لشروطٍ توافقُ عليها وتؤيدُها القوى العظمى، من خلالِ وساطةِ بريطانيا العظمى، والتي ستتصرفُ كذلك كدولةِ انتدابٍ، ولكن لا نريدُ أيةَ دولةٍ أجنبيةٍ غيرَها.

الأمرُ الرابع: ولحينِ إبلاغِنا نتيجةَ هذا البيانِ، فإننا نُصلي من أجل بقاءِ القواتِ البريطانية معنا من أجلِ حمايتِنا من البرَ والبحرِ ولاستمرارِ التجارةِ كما هي الآنَ وتوسيعها أكبرَ قدرٍ ممكنٍ.

التاجر: أحمد طاهر زكي

التاجر: عبدالقادر بن أحمد زكري

عضو المجلس البلدي في الحديدة: سيد الشراعي

التاجر: على داود

التاجر: مرجان سليمان هنومي

نيابة عن تجار الحديدة:

طاهر يوسف رجب
عمر سليمان مزجاجي
مرجان سالم
صالح بن محمد شادلي
قاضي الحُديدة:
أحمد بن عبدالله مراوعي
يحيى عبدالله
قاسم ناشري
أحمد بن محمد بن علي بن عبدالقادر الأهدل
عبدالقادر بن علي عبدالقادر الأهدل
علي عبدو عبيد
عبدالله عمر
يحيى سليمان زكري
محمد عبيد

In the name of the Merciful and Benevolent God. God said in His Holy Book. "Most surely He who has made the Koran binding on you will bring you back to the destination."

We the people of Yemen continue to observe the Mohammedan Shariah and in accordance with our Shariah, our country should be occupied and ruled by an Islamic Government.

In view of the present conditions, this Government should be conversant with the affairs of the world and capable of making proper arrangements etc. between the people of this part of the country and other foreign nations. They should keep a sufficient, just, and strong army to protect the country from both sides by land and sea.

As a result of the general war, the troops of the Great British Government had to land at Hodeidah. They have been occupying it for a whole year. We are not in possession of the detailed reasons which actuated this landing and the arrangements arrived at between the Powers up to now, but we have learnt from the news gathered from the Arabic Egyptian Papers that a general meeting has been arranged between all the (Delegates of the) Powers at Paris under the name as the League of Nations, X. in order to discuss and make arrangements useful to both the Arab races and other castes.

X. Literally the Committee of Nations.

We, the Inhabitants of Hodeidah consisting of learned men, Sayyids, merchants, and notables, therefore hasten to submit this proclamation and request that Major Meek, the Political Officer at Hodeidah, will please transmit it to the League of Nations. We beg to express our opinions which are set forth herein below:-

-2-

164

1. Subject. We do not want any Government other than our Ottoman Government.

2. " If the Powers will not accede to our prayer, we request that one of the members of the Khedive's family may be appointed as King over us, because he is a Moslem and an Arab. This Government in the past occupied Yemen and have knowledge of our Shariah and other rules. By adopting such a course the welfare as well as the maintenance of order in our country would be preserved. He should stop every ambitious Nation from transgressing on our country in accordance with the established and civilized rules and see to our protection as also to the improvement of our country, as it is incumbent on every ruler to do under the present conditions.

3. Subject. If, however, these requests cannot be granted, which God forbid, we will be compelled to elect an Arab King under terms approved and confirmed by the Great Powers, through the mediumship of the Great British Government, who should also act as a mandate, but we do not want any other Foreign Nation.

4. " Until we are informed of the result of this proclamation, we mercifully pray for the stay of the British Force now with us for the purpose of our protection both from the land and sea, and for the continuance of trade as it is now, and its expansion as far as possible.

Merchant	sd. Ahmed Tahir Zakira.
"	sd. Abdul Kader bin Ahmed Zakira.
Municipal officer of Hodeidah.	sd. Shorai.
Merchant.	sd. Ali Dawood.
"	sd. Morgan Suleman Gonmal.
On behalf of Hodeidah merchants.	sd. Tahar Yusif Hajab.
	sd. Omar Suleman Rizjaji.
"	sd. Morgan Salim.
"	sd. Saleh bin Mohamed Thadli.
Cazi of Hodeidah. . . .	sd. Ahmed Abdulla Farwai.
	sd. Yehia Abdulla.
	sd. Kasim Nashiri.
	sd. Ahmed bin Mohamed Ali bin Abdu
	sd. Kader al Ahdal
	sd. Abdul Kader bin Ali Abdul Kader al Ahdal
	sd. Ali Abdo Obeid.
	sd. Abdulla Omar.
	sd. Yehia Suleman Zakira.
	sd. Mohamed Obeid.

نصُ كتابِ الاسترحامِ

مؤرخ في ٢٥ جماد أول ١٣٣٨هـ

١٥/ ١٢/ ١٩٢٠

إلى لجنةِ الأُممِ (عصبة الأمم):

باريس

بواسطةِ: الحاكم - السياسيِّ البريطاني - الحُديدة -.

احتلتِ القواتُ البريطانيةُ الحديدةَ قبلَ ١٤ شهراً. وقد عوملْنا معاملةً حسنةً مِنَ الضباطِ البريطانيينَ خلالَ الأربعةِ أشهرِ الماضيةِ.

ولما كانتْ أغلبُ الكتائبِ البريطانيةِ من الهنودِ قد غادرتِ الآنَ إلى عدن، فقد تناقصتْ قواتُ الحمايةِ عندَنا، ونخشى من قدومِ رجالِ القبائلِ وسيطرتهم على الحديدةِ والإقدام على نهبها، كما نخشى من قدومِ قواتِ الإدريسيِّ أو قدوم قواتِ إمامِ صنعاءَ من صنعاءَ عن طريقِ الحلِ الدبلوماسيِّ، حيثُ إن قواتِهما على حدودِ باجل القريبةِ من الحُديدةِ، وقد رفعْنا ببياننا المؤرخَ في ديسمبر ١٩١٩م إلى الحاكم السياسيِّ الموجودِ حالياً في الحديدةِ، مضمنيهِ أفكارَنا وتوجهاتِنا، وإذا لم يصلْ إلى عصبةِ الأُممِ، فإنّنا نطلبُ إرسالَه إليها من عدن.

نريدُ حكومةً مسلمةً قادرةً على فرضِ القانونِ على النحو التالي:

أولاً: الحكومةُ العثمانيةُ، وإذا كانَ هذا مستحيلاً، فالحكومةُ المصريةُ تكونُ هي المطلوبةَ، وإذا كان - على أيِ حالٍ - كلاهُما غيرَ ممكنٍ، فتعيينُ قاضٍ عربيٍّ أو تعيينُ ملكٍ، ممن يتمتعونَ بالمؤهلاتِ القانونيةِ والمدنيةِ، على أَن يتمَّ انتخابُ هذا الحاكِم من قبلِ أهلِ الحُديدةِ يكونَ ذلكَ برعايةِ الحكومةِ البريطانيةِ. ولا يجبُ تخفيضُ القواتِ البريطانيةِ الموجودةِ في الحُديدةِ، ويجبُ إبقاءُ القائد

البريطانيِّ الميجر ميك إلى أنْ يتمَّ اتخاذُ قرارٍ بخصوصِ مطالبِنا.

في انتظار ردكم

عبدالقادر زكري	علي يوسف السنوسي	سليمان باغفار	أحمد محمد
سيد أحمد مراوعي	عبيد نوره	عبدالقادر بن علي الأهدل	عمر سليمان مزجاجي
طاهر رجب	راجح باهشاوين	سرور صالح باسودان	يحيى علي عامر
صالح شادلي	حمد الخدري	علي عبدو عبيد	سيد عواد مروعي
أبوبكر العطاس	محمد سليمان الهجام	محمد سعيد داود	يحيى نوح
محمد صالح شواف	محمد علي	محمد علي عبدالله حسين	أحمد طاهر زكريا
		عامق	عقل عبدالله عمر
		مرجان هنومي	

Dated 15th February 1920.

To, 480

174

The League of Nations,

Paris,

Through the British Political Officer, Hodeidah.

The British force occupied Hodeidah some 14 months ago. We have been getting good treatment from the officers during the last 4 months.

Most of the Indian troops have to-day left for Aden thus the strength protecting the place decreased. We fear lest the tribesmen come and lay their hands on Hodeidah and commence looting.

We also fear the coming of the Idrisi force or that of the Imam of Sanaa to Hodeidah by diplomacy as their forces are already on the borders of Bajil which is close to Hodeidah.

We submitted a proclamation dated December 1919 to the Political Officer now at Hodeidah expressing our ideas therein. If it has not reached the League of Nations, we request that it may be sent for from Aden.

We want an Islamic Government which is capable of enforcing the rules viz: first our Ottoman Government but, if this is impossible, the Egyptian Government should be the one. If, however, both are not possible, then an Arab Judge (or King) who bears full legal and civil qualifications should be appointed. His election should be made by the Hodeidah people and he should be under the British Government as guardian.

The available British force at Hodeidah should not be decreased and the British Officer, Major Meek, should be kept till a decision is passed on our applications.

A reply is solicited.

/ (Signed)

رسالة إلى لجنة الأمم من أهل الحُدَيدَة

-2-

(Signed)

Abdul Kadir Zakira.
Ali Yusuf al Sanusi.
Suleman Ba Ghafur.
Ahmed Mohamed.
Sayed Ahmed Marwai.
Obeid Nurah.
Abdul Kader bin Ali Al Ahdal.
Omer Suleman Mizjazi.
Tahir Rajab.
Rajeh Ba Hashwain.
Saroor Saleh Ba Sodan.
Yehia Ali Amer.
Saleh Shadli.
Hamid al Khadri.
Ali Abdo Obeid.
Sayed Awad Marwai.
Abubaker Al Attas.
Mohamed Suleman al Huggam.
Mohamed Saeed Dawood.
Yehia Nuh.
Mohamed Saleh Shawaf.
Mohamed Ali.
Mohamed Ali Abdulla Husen Amak.
Ali.
Ahmed Tahir Zakirah.
Margan Hanumi.
Akil Abdulla Omer.

ويُستشفُ من الـوثيقتَيْن المحفـوظتَيْنِ في نفسِ المجلدِ، الصفحـات ٥١٩، ٥٢٢، ٥١٧، ٥١٨ أنَّ بريطـانيا قد خطتْ خطـوةً متقدمـةً اتجاه الحديدةِ، ففي ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ بعث الميجـر القائدُ العـامُ T. E. Scott، المقيمُ السياسيُّ في عـدن، والذي خلفَ استيـوارت، المقيمَ السياسيَّ في عـدن السابق بـرسالـة إلى المندوبِ السامي في رملـة الاسكندرية ضمنها ملاحظـاتِه ورأيَ المعاونِ الأولِ للمقيمِ السيـاسيِّ في عدن بـاريت خـلالَ زيـارته الأخيرةِ إلى الحُديـدةِ، وأَرفقَ معهـا رِسـالـةً من أعيـانِ الحديدةِ تتصـلُ بمستقبلِ حكـومةِ المدينـةِ في حـالـةِ انسحـابِ الحكومـةِ البريطـانيةِ منهـا. والـرسالـةُ وإن كـانتْ تكررُ مـا وردَ في الـرسالتينِ السـابقتينِ إلاّ أنها تضيفُ بأن التجـارَ في الحديدةِ يـرغبونَ في إنشـاء مملكةٍ تضـمُ متصرفيةَ الحديدةِ بحـدودِها التركيـةِ التي تمتدُ من أبي عـريش (أي المنطقـةِ التي يسيطـرُ عليهـا الإدريسيُّ في الشمالِ إلى زَبيد في الجنـوبِ التـابعـةِ للإمام وتشملُ أيضاً جبلَ ريمـة وملحقاتِه وجبلَ بُرع بمدنِهِ ونـواحيه وعُزلاتِه. ويؤكد T. E. Scott استحالةَ إنشاءِ هذه المملكةِ بسبب معارضةِ كلٍّ من الإمامِ والإدريسيِّ. غيرَ أن رسـالةِ أعيـانِ الحديدةِ بتـاريخ ١٢ ذي الحجة ١٣٣٨هـ/ ٢٦ أغسطس ١٩٢٠م والتي حُـررتْ بعـد اجتماعِ الأعيانِ مع بـاريتِ المعـاونِ الأولِ للمقيم السياسيِّ في عـدن، وناقشَ باريـت معَ الأعيانِ تصميمَ بريطـانيا على تحصيلِ رسـوم جمركيـةٍ على البضـائع بـواقع ٢ إلى ٣٪ لمواجهـةِ مصروفـاتِ التكـاليفِ البريطـانيةِ فإنَّها أكـدتْ رغبـةَ الأعيـانِ في عودةِ الإدارةِ والحكـومـةِ العثمانيةِ إلى الحُديدةِ أو حكـومةٍ قانونيةٍ عـوضاً عنها، ويشيرونَ إلى تخوفِهم من الحروبِ الـواقعـةِ بين الإمـام والإدريسيِّ من جهـةٍ، والتحـالفِ السعـوديِّ الإدريسيِّ من نـاحيةٍ أُخرى، وإلاّ فالحكـومةُ المصريـة أو الحكومـة البريطانيـةُ انتظاراً لقرار لجنةِ الأُممِ، ومع ذلك فقـد أعادَ الأعيانُ تذكيرَ بريطـانيـا بوعودِها حين احتلَّ استرنج (Strong) الحُديدة وأصـدرَ منشورَة إلى الأهـالي في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ/ ديسمبر ١٩١٨، بأَن بريطـانيـا ما أقـدمتْ على احتلالِ

الحديدةِ إلاّ لحمايـةِ أهلِها وفرضِ النظامِ والقـانونِ، وليس من مقصدِهـا توسيعُ سيطـرتِها على منـاطقَ أخـرى ولا البقاءُ إلاّ لحين صـدورِ قـراراتِ لجنـةِ الأممِ. وهذه ترجمةٌ للوثائقِ وردٌّ باريت على رغائبِ بعضِ أعيان الحُديدةِ.

مقيميةُ عدنٍ
١١ سبتمبر ١٩٢٠م
رقم: C - 735

الأرشيف:
ختم: المندوب السامي مصر
٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م
رقم ٣٦٦٥/ ١٧٧

من القائدِ العامِ: C. B. , C. I. E., D. S. S. O., T. E. Scott

المقيم السياسي - عدن -

إلى: سيادةِ المندوبِ السامي، رملة، الإسكندرية.

بالإشارة إلى المراسلةِ التي تنتهي برسالتِكم رقم ١٧٢م (172M)/ ٣٦٦٥/ ١٧٧، المؤرخـةِ في ٩ أبـريل ١٩٢٠م، فـإنَّ لي الشرفَ أن أَرفعَ الأصلَ والترجمةَ الإنجليـزية لـلالتماسِ المؤرخِ في ٢٦ أغسطس ١٩٢٠م والموجـه إلى C. C. J. Barret، المعـاون الأولِ للمقيمِ خـلالَ زيـارتـه الأخيرة إلى الحُديـدةِ من قبل أعيـانِها، والمتصلـةِ بمستقبلِ حكـومـةِ المدينـةِ في حـال انسحـابِ الحكـومـةِ البريطانية منها، كما أُرفق نسخةً من جوابِ الميجر باريت المعطى للأعيانِ.

٢: أدركَ الميجـر بـاريت من خـلال الحاكـم السيـاسيِّ Mr. L.A. Steele في الحُديـدةِ. أن مسودةَ الالتماسِ قـد أوجـدتْ خلافـاتٍ هـامةً بينَ الأعيـانِ، ولكنهـم تمكنوا من التغلبِ عليها أخيراً، بفضل الجهودِ والدورِ الذي قامَ بهِ طاهـر رجب، وهو تـاجرٌ معـروفٌ في الحُديدةِ، والـذي أثار تسـاؤلاً حولَ عبارةِ «عودةِ الأ تـراكِ» الواردةِ في الالتماسِ، وأوضحَ طاهر رجـب للأعيانِ المجتمعينَ، أَن مثلَ هذا الطلبِ ليسَ له نصيبٌ في القبولِ.

أمّا الطلبُ لملكٍ مصري، فيعني حاكماً مستقـلاً عن عائلةِ السلطانِ الحاكمِ في مصرَ، ولا يتضمن أيَ خضوعٍ لمصر.

ويرغبُ التجارُ في مملكةٍ تضمُّ أجزاءَ متصرفيـةِ الحُديدةِ التركيةِ التي تمتدُ من

أبي عـريشٍ في المنـاطقِ التي يُسيطـرُ عليهـا الإدريسيُّ في الشمالِ إلى زبيـد في الجنوب، وتشملُ أيضـاً جبلَ رَيْمة وجبلَ بُرَع في الشرقِ، وهذه فكـرةٌ مستحيلةٌ لأنها لن تكونَ مقبولةً لا للإمام ولا للإدريسيِّ.

ويعارضُ التجارُ في تـوليةِ أي حاكمٍ عربيٍّ، سـواء أكان الإمام أو الإدريسي أو أي زعيمٍ محليٍّ منتخبٍ.

لي الشرف، سيدي أن أكون خادمكم المطيع

القائد العام

الميجر T. E. Scott

المقيم السياسي، عدن

HIGH COMMISSIONER
EGYPT
15 SEP 1920
55

No.C- 735

ADEN RESIDENCY,
11th September 1920.

From,

Major-General T.E.Scott, C.B., C.I.E., D.S.O.,

Political Resident, Aden.

To,

His Excellency

The High Commissioner,

Ramleh, Alexandria.

Sir,

With reference to the correspondence ending with your letter No.172M, (3665/177) dated the 9th April 1920, I have the honour to forward, in original with its English translation, a petition dated 26th August 1920 addressed to Major G. C.J. Barrett, C.I.E., First Assistant Resident, on his recent visit to Hodeida by the notables of Hodeida on the subject of the future Government of the town in the event of the withdrawal of the British Government. I also attach a copy of the reply given by Major Barrett to the notables.

2. Major Barrett gathered from Mr.L.A.Steele, Political Officer, Hodeida, that the drafting of this petition caused considerable difference of opinion among the notables, and that they were only won over finally by Tahir Rajab, a leading merchant of Hodeida, who asked that a pro forma request be made for the return of the Turks. Tahir Rajab explained to the assembled notables that such a request was not in the least likely to obtain acceptance.

The request for an Egyptian King means a really independent ruler from the Sultan of Egypt's family and does not imply any subservience to Egypt.

The merchants desire a Kingdom embracing the whole of the Turkish Mutasariflik of Hodeida stretching from Abu Arish in Idrisi territory in the north to Zabeed in the south and including Jabal Raima and Jabal Bura in the

east

رسالة اسكوت إلى المقيم السياسي

east. This is an impossible ideal as it would be unacceptable to both the Imam and the Idrisi.

57

The merchants are opposed to any indigenous Arab rule be it that of Imam, Idrisi or a locally elected Chief.

I have the honour to be,

Sir,

Your most obedient servant,

[signature] Major-General,

Political Resident, Aden.

بواسطة الدكتور استيل الحاكمِ السياسيِّ لدولةِ بريطانيا العظمى بالحديدةِ، يقدمُ إلى معاون أول لوالي عدن الميجر باريت.

في يوم الثلاثاءِ ١٧ أغسطس سنة ٩٢٠، ثان شهر ذي الحجة سنة ٣٣٨، شرفَ معاون أول الحضرةِ والي عدن الميجر باريت وتواجهنا به بدائرةِ المحكمةِ السياسيةِ بالحديدةِ، فأولُ خطابٍ أبداهُ لنا هو أنه قد صممتْ دولةُ بريطانيا الفخيمة على وضع عشور كمركٍ بحري بالحديدةِ في المايةِ اثنتين، إلى ثلاث لمقابلِ مصارفاتِ مأمورين الملكية الانجليزية، وأن الحكومة لا تريدُ استفادة لنفسِها من هذا العشورِ، وقرأ حضرة المعاون (البودجة) الميزانية لمدة سبعةِ شهورٍ مادة بمادة، ومَع كلِّ مادة يسئلنا (يسألنا) القبول أو عدمَه.

وأخبرَ بأن الحديدةَ ستبقى لأهلِها وهم يدورونَ أمر حكومتِها بأنفسِهم، فأفهمناهُ بأنه لا يمكنُ إدارة الملك بمعرفتِنا ولا يوجدُ بيننَا رئيسٌ حائزٌ شروطَ الملك، فأجابَ: فمن تريدونَ، فقلنا: حكومُتنا العثمانيةُ أو حكومةٌ قانونيةٌ عوضَها، وأنفَضَّ المجلسُ فنعرضُ بأنَّ الدولة البريطانية العظمى لمّا احتلتْ الحديدةَ أصدرتْ منشور مؤرخ ١٢ ربيع الأول سنة ٣٣٧، موافق شهر ديسمبر ١٩١٨، بإمضاء الكولونيل (استرنجِ) قومانـدان القوةِ الانكليزيةِ إلى جميع الساداتِ والعقالِ والقبائلِ بأن من كون تبعة الانجليز تحت محافظةِ الأتراكِ، فلأجلِ تسليم التبعة منطرف (من طرف) الأتراكِ إلى الدولةِ الانكليزيةِ نزلت الدولةُ الانكليزيةُ القوةَ لحمايةِ الحديدةِ، وأنَّ ليس عندها مقصدٌ، ولا تريدُ توسيعَ مملكتِها في اليمنِ، ولا مرادها إنزال القوةِ إلى محلٍ آخر في اليمنِ لأجل أخذِه، وأنَّ عين مقصدِ الدولةِ الانكليزيةِ هو أن تقيمَ بهذا المحلِ وتجعله مركز لأجلِ تنظيم البلدِ المذكورِ وتأمينِه وما تيسرَ لحتى يصيرَ القرارُ من جميع الدولِ عن قريبٍ لمن يملكها، وافتونا بأنَّ ما قصدكم أخذُ بلادِنا بل مرادُكم تخليصُنا من إساءةِ العثمانيين.

ففي الحقيقةِ غير الثلاثة الهجوم الذي وقع من العبسيةِ على الحديدةِ بشهر أغسطس ١٩١٩ أي شهر ذي الحجة سنة ٣٣٧ ما بعد صار هجوم لكن لم نزل نخشى لا سمح اللهُ تكرر الوقوعات منطرف (من طرف) العبسيةِ وغيرها من القبائلِ الخوف طبعاً مقدر لدى قوماندان العسكرية وهو المسؤول عنه لأن حكومة بريطانيا لما أخرجت حكومتنا العثمانية من اليمنِ تركتنا بلا حكومة، ولا نعلم ما لموجب لإخراجها حيثُ ما قد صدرَ في حقِها لا سابق ولا لاحق. بل إنَّ خروجَ الدولةِ العثمانيةِ من اليمنِ أوجبَ النفورَ والعداوةَ بينَ إمام صنعاءَ يحيى بن محمدٍ حميد الدين[١] وإمامِ تهامةَ محمد علي الإدريسي، ولم يزلِ الحربُ بينهما متواصلٌ ومستمرٌ في ضالع وتعز وأطراف زبيد وفي نفس جبل ريمه وجبل برع وجبل صَعْفَان الواقع بحراز والدماءُ تسفكُ في شواهقٍ ونواحي اليمن، وعلاوةً على ذلك بلغنا بأنَّ جيشَ ابن سعودٍ والوهابيين إلى عسير، وأنَّه زاحفٌ على صعدا، وأنَّه متفقٌ مع الإدريسيِّ ضد إمام صنعاءَ وكلُّ هذه الأخبارِ جعلتِ الخوفِ في قلوبنا على ديننا (كون المتحاربين مختلفين المذاهب) وصرنا بأرواحِنا عرضةً لضراباتِهم وطمعاً لغنائمهم، فالمرجوا من المقامِ المسئولِ امعان النظرِ في هذا الحال قبل اتساع الخرقِ.

وجل استرحامِنا هو إعادةُ دولتِنا العثمانيةِ إلى اليمن، رجاءَ تسكين الفتنةِ فإذا ما أمكن نرجو جعلَ حكومة للحديدةِ تكونُ قانونيةً لأن الحديدة أسكلةُ اليمنِ الوحيدةُ، ومحلُ التجارة وأهلُها لا قبلَ لهم بالقبائلِ والبدوانِ ولا توجدُ حكومةٌ تناسبُ لجنسِنا ومذهبِنا سوى الحكومةِ العربيةِ المصريةِ، وإذا ما أمكنَ فتكونُ الدولةُ البريطانيةُ حكومةً علينا، وذلك من بعد قرارِ مجلسِ الدولِ ثم وكيل حكومي من القوة الانكليزية بالحديدة لمحافظتنا وقبول استرحاماتِنا اللائقة بالمقام ودمتم.

١٢ ذي الحجة ٣٣٨هـ و٢٦ أغسطس ١٩٢٠م

(١) هو يحيى بن محمد حميد الدين

عن الحديدة

عبدالقادر زكري | علي داود | صالح بن محمد الشادلي | طاهر رجب
أحمد طاهر زكري | محمد سليمان زكري | يحيى بن علي عامر | مرجان سالم الحرازي

مختار محله المشرع والهنود بالحديدة

علي بن إبراهيم موريه

عمر سليمان مرجاجي

قاسم بن أحمد الناشري

امام وخطيب الجامع الكبير بالحديدة: محمد مكرم

مختار محلة اليمن

حسن علي

سرور بن سويدان

عبدالرحيم حسن شاهين

عبيد نوره

أحمد بن إبراهيم صابون

محمد سعيد داود

محمد علي عامق

مرجان هنومي

سليمان باغفار

حسن يحيى شرعان

بواسطة الدكتور [illegible] السامي لدولة بريطانيا العظمى بالعدن [illegible]
البحر باريت

53

في يوم الخميس ١٧ [illegible] شرف سعادة [illegible] بارينة [illegible] بالعدن [illegible]

[illegible] الانكليزية [illegible]

[illegible] القبول [illegible]

[illegible] الكرنيل (استنبج) [illegible] الانكليزية [illegible]

[illegible] الدولة الانكليزية [illegible] الدولة الانكليزية [illegible]

[illegible] الدول الانكليزية [illegible]

[illegible] العثمانية

[illegible]

[illegible] اليمن [illegible]

[illegible] الحكومة العربية [illegible]

[illegible] الانكليزية بالعدن [illegible] حرر ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ [illegible]

امام وخطيب [illegible]

قاسم بن احمد [illegible]

[illegible]

علي ابن ابراهيم [illegible]

جوابُ الميجرِ باريت إلى أعيانِ الحُدَيدة

كـان ردي عنـد قـراءةِ الميـزانيـة، أن أهلَ الحُديـدةِ، تحتَ إشرافِ الحاكم السياسي ستـديرُ عائداتِ الحديدةِ لما فيـه مصلحة المدينةِ، طـالما بقيتِ القواتُ البريطانيةُ محتلـةً لها، ومن ثمَّ فإنَّ الحكومةَ البريطانيةَ لا تريـدُ عائداتِ الحُدَيدة لنفسها.

وعندمـا تغادرُ الحكـومةُ البريطـانيةُ الحُدَيـدةَ، ستتخذُ الترتيبـاتِ المناسبـةَ لضمانِ أمنِ وخيرِ حكـومةِ المدينـةِ مستقبلاً، وستعملُ قـدرَ الإمكانِ على تلبيـةِ رغباتِ الأهالي. ولكني لا أُعلـقُ آمالاً على الرغبةِ بعودةِ الأتـراكِ، والذين هم في حالة ضعفٍ شديدٍ ولا يفعلونَ أكثـرَ من حمايةِ القسطنطينيةِ والأناضولِ، وليسَ لديهم - امكانية - على توفيرِ قواتٍ إلى اليمنِ.

المرسل:

الميجر C. C. J. Barrett.

٢٨/ ٢/ ١٩٢٠م

ولتدعم بريطانيا حجتَّها في عـدم إقدامِها على احتلال الحديدةِ، فقدْ قبلتْ من شيخ مشايخ ريمـة محمد أمين رسالتَـه التي يطلبُ حمايتَه وقبيلتَه التي يـزيدُ تعدادُهـا عن مئةِ ألفٍ ويزيدونَ مـن الإمام وقواتِه، ولعلّ القـادةَ البريطانيين في عدن والحُدَيْدَة يشيرونَ إلى رغبـةِ التجارِ في الحديدةِ في إنشاءِ مملكـة تكونُ ريمة أحدَ ملحقاتِها. وقد جاء في رسالةِ محمد أمين[1] ما يلي:

حضـورُ مقامِ جنـابِ الحاكمِ السياسيِّ من طـرفِ الـدولةِ البريطـانية بلـوا الحديدة

---

(1) Records fo Yemen. Vol. 8. P. 84.

53

[illegible]

[illegible]

[illegible]

جواب باريت لأهل الحُدَيْدة

مادة

١ – عند ابتداءِ الحربِ بين الدول والدولة ما علمنا هل هو حربٌ دوليٌ أو حربٌ دينيٌّ.

٢– حسبَ المسموعِ أنَّـه انعقدَ الصلحُ بينَ الدولِ وصـارتْ هدنةٌ وصـارَ مؤتمر الصلحِ في فرانسة.

٣– أخذت الدولةِ العليةُ العثمانيةُ وهـي (حاكمية) القطعة اليمانية، وكان تحت إدارتِها خمسةُ مليون نفوس.

٤ – إنَّـه لما انسحبتِ القوةِ المحـاربةُ العثمانيـةُ من (قطعة) اليمنِ، بقتْ قطعـةُ اليمنِ تحتَ مخالبِ الـوحوشِ ومهـددةً بـالانتهاكِ حتى استـولى على قسم منها الإمامُ يحيى، وقسماً منهـا الإمامُ الإدريسيُّ، ولم يجر فيها أحكامَ شروطِ المتاركةِ إلاّ الحديدة فقط.

٥ – حسب المسمـوعِ بموجبِ المقـاولةِ بين الـدولِ المحاربـة، تكونُ الحكـومةُ العظما (العظمى) البريطانيةُ محافظةً لحقوقِ أهالي القطعةِ اليمانيةِ حالاً، وما لا ولم صار اجرا هذه المقاولة إلاّ بنفس الحُدَيْدَة فقط.

٦ – بعـد انسحـاب الـدولـةِ العثمانيـةِ من ولايـاتِ اليمنِ لم حصل من طـرفِ الحكومةِ البريطانيةِ المحافظـةِ على عمومِ الأهالي حسبما كان جلُّ اعتقادِنا، وحسبما كنا نـؤملَ من جلالةِ ملـكِ إنكلترا. فقط استلمتِ اليمنَ السيدَين الجليلين الإمام يحيى حميدالديـن والإمام الإدريسي، ولما استولى الإمامُ يحيى على أغلبِ قطعـةِ اليمنِ نشر فيها ألـويـةَ الظلم، وانسلب راحة العمـوم، وصارت الرعايا في دورِ الاستبـدادِ والظلمِ، وخُرِبَت دورُهم وديارُهم وأخذ حـالهم وأموالهم، وكـان المؤملُ من الحكـومـةِ المعظمةِ البريطـانيـةِ حسن الإدارةِ لأجل جلبِ قلوبِ الأهالي وتأمين راحتِهم.

٧- المرجو من الحكومة المعظمةِ البريطـانيةِ رفع أيدي السيدين الجليلين المومى إليهما من بـلادِنا، وبـلادِ أمثالِنـا، وكلاً منهما يقفِ على حـدودِهِ المعلومـةِ لأجل إراحةِ الأهالي من سفكِ الدمـاءِ ونهبِ الأموالِ إلى عند ظهورِ نتيجةِ الصلحِ بأي صـورةٍ كـانت الآن، وجعلتُ أراجعُ مقامَ دولتِكـم والعاجـز شيخ مَشايخ ريمـة وأهاليها إلى نحو مـاية ألف أو يزيدونَ ممـا وقعَ بنا من الظلم حسبما ذكر اعلى في المواد ملتجياً بالـدولةِ العظيمةِ أنا ومن بمعيتي، دفعَ المومى إليهم عن تعديهم إلى بلادِنا وبـلادِ أمثالِنا، وإراحةَ الأهالي من سفكِ الـدماءِ ونهبِ الأموالِ، فإن سيحصـلْ مطلوبَنا من مقـامِ دولتِكم، فنعمَ المطلـوبَ، وإذا لم يحصلْ فنرجـو من مقامِ دولتِكم أرسـالَنَا أنـا ومن بمعيتي إلى مقامِ ولاية عدنٍ، وهنالـك سيكونُ الخطابُ باللازِم ودمتم في ٨ شهر صفر الخير ١٣٣٩، ٢٣ أكتوبر ١٩٢٠.

صحيح

شيخ مشايخ ريمة

محمد أمين

ص

حضور مقام جناب الحاكم السياسي من طرف الدولة البريطانية بلوا الحديده

ماده

١ عند ابتدا الحرب بين الدول والدولة ما علمنا هل هو حرب دولي او حرب ديني

٢ حسب المسموع انه انعقد الصلح بين الدول وصارت هدنة وصار ما غرا الصلح في فرانسه

٣ اخذت الدولة العلية العثمانية وهي مالكة القطعة اليمانية وكان تحت ادارتها خمسة مليون نفوس

٤ انه لما انسحبت القوه الحاربه العثمانيه من قطعة اليمن بقت قطعة اليمن تحت مخالب الوحوش ومهدده بالانكا

حتى استولا على قسم منها الامام يحيى وقسما منها الامام الادريسي ولم يجر فيها احكام شروط المتاركه الدوليه

٥ حسب المسموع بموجب المقاوله بين الدول الجاريه تكون الحكومه العظما البريطانيه محافظة لحقوق اهالي

القطعه اليمانيه حالا ومالا ولم صار اجرا هذه المقاوله الا بنفس الحديده فقط

٦ بعد انسحاب الدولة العثمانيه من ولايت اليمن لم حصل من طرف الحكومه البريطانيه المحافظة على عموم الاهالي

حسبما كان جل اعتقادنا وحسبما كنا نؤمل من جلالة ملك انكلترا فقط استلمت اليمن السيدين

الجليلين الامام يحيى حميد الدين والامام الادريسي ولما استولا الامام يحيى على اغلب قطعة

اليمن نشر فيها الكوية الظلم وتسلب راحة العموم وصارت الرعايا في دور الاستبداد والظلم

وضربت دورهم وديارهم واخذ مالهم واموالهم وكان المؤمل من الحكومه المعظمه البريطانيه

حسن الاداره لاجل جلب محبت الاهالي وتامين راحتهم المسموع عن الحكومه المعظمه

٧ المرجو من الحكومه المعظمه البريطانيه رفع ايدي السيدين الجليلين المومى اليهما من بلادنا وبلاد

امثالنا وكلا منهما يقف في حدوده المعلومه لاجل راحة الاهالي من سفك الدما ونهب

الاموال الى عند ظهور نتيجة الصلح باي صوره كانت

الان وجهت الرجا مقام دولتكم والعاجز شيخ مشايخ ريمه واهاليها الى نحو ستماية الف

او يزيد يدعو مما وقع بنا من الظلم حسبما ذكرا اعلا في المواد ما نتبعها بالدولة العظيمه انا ومن

بمعيتي دفع المعرض اليهم عن تعديهم الى بلادنا وبلاد امثالنا وراحة الاهالي من سفك

الدما ونهب الاموال فان سيحصل مطلوبنا من مقام دولتكم فنعم المطلوب واذا لم

يحصل نذهب من مقام دولتكم ارسلنا انا ومن بمعيتي الى مقام ولايت عدن وهنالك

سنبادر الخطاب باللازم تحريرا في ٨ شهر صفر الخير ١٣٣٩

صح

شيخ مشايخ ريمه

محمد ... ()

وبالعودةِ إلى مخطوطِنا الذي ننشرُه فإنه يمكنُ اعتبارُ سنةِ ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠ - ١٩٢١م، بدايةَ مرحلةٍ في مراسلاتِ الإمامِ يحيى مع الدولة البريطانيةِ هدفتْ إلى توقيع معاهدةٍ كانَ الوفدُ الإمامي قد قدم مسودة لها في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٢هـ/ ٢٦ يونيو ١٩٢٤، ولكنْ لم يتم الاتفاقُ حولها إلاّ في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ/ ٦ سبتمبر ١٩٣٤ بعد ١١ سنة حيثُ صدقها الإمام بما جاءَ فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أميرُ المؤمنينَ المتوكلُ على اللهِ ربِّ العالمينَ

الإمام يحيى بن محمد حَميدِ الدين

وفقه الله

ثم: المتوكل على اللهِ سبحانه

نحنُ أميرُ المؤمنين، ملكُ اليمنِ الإمامُ المتوكلُ على اللهِ يحيى بن محمد حميدالدينِ اعتماداً على التوفيقاتِ الربانيةِ واستناداً إلى العنايةِ الجليلةِ الرحمانيةِ نصدقُ ونقررُ هذه معاهدةَ الصداقةِ والتعاونِ المتبادلِ مع دولةِ إنكلترا المعظمةِ وحضرةِ جلالةِ ملكِها جورج الخامس المبجلِ عن أنفسِنا وعن مملكتِنا وحكومتِنا وخلائفِنا، ونلتزمُ التزاماً ملوكياً بتنفيذِ هذه المعاهدةِ الشريفةِ بكلِ صداقةٍ واحترام ونرعى جميعَ ما احتوتْ عليه بنودُها، ونقاومُ بكلِ ممكنٍ كلما يخالف أيَّ بندٍ أو شرطٍ بأيِّ واسطةٍ كانتْ، وحررنا هذا وأمضيناه بخطِّنا الملوكيِّ ووقعنا عليه ختمنا ونسألُ اللهَ تعالى أنْ يجعلَ هذه المعاهدةَ مقرونةً بالخيرِ والسعادةِ للمملكتينِ والشعبينِ مفتاحاً لكلِ مناسبةٍ ودية شريفة تحريراً في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣(١).

---

(1) Records of Yemen Vol. 8. p. 84.

في سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠ عُين القائدُ العامَ T. E. Scott، المقيمُ السياسيُّ في عدن، والذي عدل عن سياسة المقيم السياسي السابق استيوارت، فأرسل إلى الإمام يحيى، كما جاءَ في مخطوطِنا يبغي ألاّ يكونَ بينَ الإمامِ والانجليزِ الخصام، وأنَّه مكلفٌ بتنظيم مصالحةٍ تتضمنُ تحسينَ علائقِ الجوارِ وضمانَ حقوقِ من يصلُ من رعيةِ الإمامِ إلى عدن وتلك الديارِ، وأنَّه أي اسكوت طلبَ من الإمامِ إرسالَ مندوبٍ من طرفِه للمراجعةِ في ذلك الموضوعِ، ولاقتضاءِ المصلحةِ العامة مع ملاحظةِ مثلِ هذه الأمورِ ودفعِ الشرور[١] ويمضي عبدُالكريم بنُ أحمد مطهر، فيذكرُ بأَنَّ الإمامَ قد انتدبَ القاضي عبدَالله بن أحمد العرشي الخولاني لذلك، فتوجه إلى عدن مزوداً بالوصايا من الإمام وأهمُها ألاّ يكونَ منه إبداء أيَّ شأنٍ أو الخوض فيه إلاّ بعد الإذن منَ الإمامِ. ويؤكدُ جيكوبُ بأَنَّ الإمامَ كتب لمندوبِه إذا تمكنتَ من العمل على إعادة فتح طرق التجارةِ وعلى التخلصِ من الإدريسيِّ، وهذا الأمرانِ مرتبطانِ ببعضهما، لا انفصامَ بينهما فهذا شيءٌ جميل[٢].

ويذكِّرُ عبدُالكريم بنُ أحمد مطهر بالموقفِ العدائيِّ الذي سلكَه المقيمُ السياسيُّ السابقُ استيوارت بحقِ مطالبِ الإمام، ومكرِ وخداع وألاعيبِ بريطانيا والتي لا ينخدعُ الإمامُ بها ولا تروج تمويهاتُ وأَضاليلُ الإنجليزِ عندَه.

ونحن نرى بأنَّ الإمامَ كان يسعى جاهداً لإيجادِ شرخٍ في التحالفِ البريطانيِّ مع الإدريسيِّ ومن ثمّ التخلي عنه، وعندَها يتمُّ للإمامِ القضاءُ عليه بسهولةٍ إذا ما توقفَ الدعمُ البريطانيُّ للإدريسيِّ بالأموالِ والسلاحِ والذخائرِ، وكذا فإنَّه سينجحُ في كبح تمرداتِ وثوراتِ القبائلِ ضدَّه ويحولُ دونَ محاولاتِ شيوخِ بعضِ القبائلِ للالتجاءِ لحمايةِ الإنجليز، ويفسدُ التوجهاتِ البريطانيةَ باحتماليةِ إنشاءِ دويلاتٍ أو ممالك سواء في الحديدةِ أو تعز، ويلتقطِ أنفاسهُ في

(١) كتيبة الحكمة، ١٥٥.

(٢) ملوك شبه جزيرة العرب، ٣٢٩.

استراحةِ محاربٍ لدعمِ الاستقلالِ والعملِ على توحيدِ اليمنِ، أما بريطانيا فقد كانت ترى في استمرارِ مراسلاتِها مع الإمامِ الضغطَ عليهِ لتنفيذِ بقيةِ بنودِ الهدنةِ المفروضةِ على تركيا لإضعافِه وانتزاعِ الاعترافِ من الإمامِ بحقِّ حمايتها للسلاطينِ والشيوخِ واستقرارِها في محميةِ عدن، ثم الحيلولة دونَ سعيِ القوى العظمى، إيطاليا وفرنسا، في المنافسة معها على اليمنِ ببحرِهِ وموانئِه وبرِّهِ ومعادِنِه وتجارتِه. غيرَ أنَّ الوثائقَ البريطانيةَ في تناولها للعلاقات اليمنية - البريطانيةِ تذهبُ إلى غيرِ ما قرره مؤلفُنا، ومن المعروف أن بعض هذه الرسائل نقلها وزير سلطان لحج عبدالكريم بن فضل العبدلي[1] وبترتيب الوثائق وإعادة قراءتها يفيد ما يلي:

- رسالة من باريت إلى الإمام بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٩٢١م كانت جواباً على رسالة الإمام إليه تاريخها ٢٩ جماد أول سنة ١٣٣٩هـ/ ١٥ فبراير ١٩٢١ ورسالة الإمام المشارِ إليها غير مضمنة في سجلاتِ وثائق اليمن، سقطتْ من المجلد الذي حرره Doreen Ingrams وLeila Ingrams، ونشر سنة ١٩٩٣م أو غيرُ مثبتةٍ في ملف الوثائقِ أصلاً.
- رسالة ثانية من الإمام إلى باريت بتاريخ ١٣ رمضان ١٣٣٩هـ/ ٢١ مايو ١٩٢١م.
- رسالة ثالثة من الإمام إلى اسكوت المقيم السياسي، عدن بنفس التاريخ ومرفقة معها.
- رسالة رابعة من أسكوت، القائد العام، المقيم السياسي في عدن إلى وزير

---

(١) كتيبة الحكمة، ١٨٠، حيث ورد أن أكبر أعوان سلطان لحج عبدالكريم بن فضل العبدلي وهو علوي بن حسن الجفري وصل معه صالح بن سعد العبادي ومعهم كتب من حكومة عدن مرسلة إلى الإمام، ومعهما سيارة اتومبيل هدية من الانجليز للامام.

الخارجية لشئون المستعمرات، لندن، تاريخها ٣٠ حزيران ١٩٢١م.

ويُستفادُ من الرسالةِ الأولى أنَّ الإمامَ في محاولةٍ منه لدفعِ البريطانيينَ للتخلي عن احتلالِهم للحديدةِ والتخلي عن الإدريسي وحتى المحميات، فقد هاجمتْ قواتُه المحمياتِ ونجحتْ في السيطرةِ على أربعٍ منها، وهذا ما درسناه في حروبِ دعم الاستقلالِ وحروبِ التوحيد، وفي نفس الوقتِ بعثَ برسائِله إلى عدن للالتفافِ على ردةِ الفعلِ البريطانيةِ وجاءَ في رسالةِ باريت إلى الإمامِ:

- أنه يشكرُ الإمامَ لعدمِ تفكيرِهِ في التدخلِ بالمصالحِ والحقوقِ البريطانيةِ، وأنَّهم متضايقونَ من تقدمِ قواتِ الإمامِ واحتلالِها لأراضٍ تحتمي ببريطانيا، إلاّ أنه يقدرُ مبادرةَ الإمامِ بوقفِ الهجومِ وإخلاءِ الأراضي التي احتلتها قواتُه.
- يؤكد للإمامِ الادعاءَ البريطاني بعدمِ رغبةِ بريطانيا بتوسيعِ مناطقِ سيطرتِها واحتلالِ أراضٍ جديدة في اليمن، ولا استعدادها للموافقة على تقديم أية مساعداتٍ لمن يطلبُها للعملِ ضدَّ الإمامِ وسيادتِه.
- يبلّغ الإمامَ رضى بريطانيا وسعادتَها حين ترى العربَ موحدينَ ويستشهدُ بالآيةِ القرآنية ﴿**ولا تنازَعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكُم**﴾ وأنهم على استعدادٍ لتقديمِ خدماتِهم لتذليلِ وتيسيرِ أيةِ مشاكل قد تثورُ بينَ العربِ، ولكن دونَ الانخراطِ في صراعاتِ الحكامِ العربِ، الذين عليهم أن يسووا خلافاتِهم بأنفسِهم، لأنهم يرغبونَ في الاحتفاظِ بوفاقٍ مع الجميع.
- أما ما يتعلقُ بسياستِهم اتجاهُ المحمياتِ، فإنَّهم لا يضمرونَ أيَّ نوعٍ من العداءِ تجاهَ الإمام، وهذا الوضعُ كانَ موجوداً قبلَ الحرب، وليسَ في نيّتِهم تغييره أو التدخل في شئونِ القبائلِ التي تديرُ أمورَها دون تدخلٍ من قبلِ

بريطانيا فنحن أُمةٌ نبيلةٌ، تحافظُ وتلتزمُ بكلمتِها اتجاه الجميعِ.

- ثم يُنهي رسالتَه بإبلاغِ الإمامِ مبادرتَه في الردِّ على رسالةِ الإمامِ بنفسه ويطلبُ إليهِ الاستمرارَ في توجيهِ رسائل إلى القائدِ العام، اسكوت، المقيمِ السياسيِّ الذي خلفَ استيوارت.

أما رسالةُ الإمامِ إلى باريت والمؤرخةُ في ١٣ رمضان ١٣٣٩هـ فقد أشارتْ إلى الأمورِ التاليةِ:

- الإشادةُ بقدرةِ باريت العقليةِ واتساع افقه في إدراكِه لمتطلباتِ الصلاحِ والإصلاحِ وسكونِ الحروبِ، فإنَّ تبادلَ المنافعِ للأطرافِ هو الأساسُ الذي يبنى عليه سلامةُ الدولِ.

- يُبدي ارتياحَه وتفاؤلَه من وضوحِ طريقِ الانصافِ عندَ البريطانيين، ولذا كتبَ إلى الوالي الجديدِ بما كان قد بعثَه إلى الوالي السابق، لا سيما وقد وصل إلى الإمامِ من أميرِ الجيشِ الإماميِّ في تعز، حيث كان علي بن عبدالله الوزير، كتاباً يفيدُ بإزالةِ ما يمنعُ من روابطِ الصداقةِ بين إمامتِنا والحكومةِ البريطانية.

- ثم يُنهي إليه رغبةَ الإمامِ في العودةِ للتداولِ والمراجعةِ لتحقيقِ الأماني المرغوبةِ، والتي يكونُ بها حفظُ حقوقِ الطرفين ورعايةُ شرفِ مقامِ الإمامةِ وزوالُ سوءِ التفاهمِ.

- ويجاملُ الإمامُ يحيى مخاطبَه بأنَّه يعلمُ محبةَ بريطانيا للعرب، ورغبتَها في إصلاحِ أحوالِهم، وعدم سعيها في توسيع مملكتها الواسعةِ وتصديقِه لذلك، وعليه فقد انتدبَ القاضي الأجلَ عبدَالله بن أحمد العرشي مأذوناً بإجراءِ المحادثاتِ وكل ما يلزمُ للنظرِ والمداولةِ فيه.

- ويعودُ الإمامُ للإشادةِ بقدراتِ باريت وشمائِله المنصفةِ، ويتمنى عليه أن يكون مثالاً لرجالِ السياسة الذين يتصدونَ لحلِ المشاكلِ الصعبةِ بالإنصافِ

المقبـولِ وأَهدى إلى الـوالي الجديـدِ رأسينِ من الخيلِ النجابِ وقهـوةً وزبيب ولوز ولباريت قهوةً وزبيب ولوز.

وتضمنتْ رسالـةُ الإمامِ إلي اسكوت، المقيم السيـاسيِّ، التهنئةَ والتبريكَ بمنصبـه الجديدِ، وتمنيـاتِه لَـه بتحقيقِ الأَمن والـراحةِ وسـلامةِ اليمنِ، وهـو واجبُ الفائدةِ لدولتِكَم ثم تناولَ الأُمور التالية:

- إن الوالي السـابقَ لم يقابلْ جهـودَنا واهتمامَنـا بتحقيق الوفـاقِ بما تستحقهُ من حسنِ التفاهمِ وما أملناهُ. ولكنا نؤملُ عليكم خيراً.
- يطلبُ الإمـامُ إلى الـوالي اسكـوت ألاّ يبخل بجـزءٍ من وقتِـه لمراجعـةِ مـا في خزائِنِه من مـراسلاتٍ وقعتْ قبل مجيئه، ولو فعلَ وراجعهـا بحسن نيةٍ وعدلٍ فسيعرفُ أَنَّ مطالبَنا محقةٌ ومعتدلـةٌ ولكنها لم تجدُ لها أَثراً، لما كان يضمُره الوالي السابقُ مـن عداء لنا بتحـريضِه القبـائل للتمردِ علينـا ومحاربتنا وتسليحهم، والأوراق الممهورةُ بتوقيعِه تثبت صدق دعوانا.
- وبـالـرغم من ذلك فإن الإمـامَ يجنحُ إلى المسـالمةِ معتمداً على حسنِ تقـديـرِه للإنصافِ والعدلِ.
- يبلغ الإمامُ اسكـوت أنَّ أولئكَ الذينَ يحتمونَ بهم سوف لا يجدونَ من طـرفِنا إلاّ المحبةَ والفائدةَ إذا ما كانوا راغبينَ في ذلك، وعدم إقدامهم على معاداتنا.
- يؤكـد الإمام بأنّـه ما قامَ إلاّ بـاتخاذِ التدابيرِ الطبيعيـةِ التي أُجبر عليها وذلك للحفاظ على «حقوقِنا المشروعةِ وسلامـةِ وطنِنا»، فما حارب إلاّ لأَنَّه أُكره على ذلك لحفظِ الوطنِ والرعايا وسلامتهم.
- ويحسمُ الأمـامُ الأَمرَ مـع اسكوت بأنّـه لا حـاجةَ للتطـويلِ والشرحِ الـزائدِ، «فنوايانا حسنةٌ» كما جاءَ في رسائِله، وما يـريدُه إجراءاتٍ فعَّالةً وجديَّةً لإزالةِ أسبـابِ الخلافِ، ويشيرُ الإمامُ إلى ابتـلاءِ بريطـانيـا بخسرانٍ سياسيٍّ إذا مـا

واصلتْ سياستَهـا في تهامة، لأنها ستنجح بقوتها العسكريـةِ وتخسرُ سمعتَها السياسية، وما يرجوه إحقاق الحقِ وإظهارِ العدلِ، وعلى اسكوت أنْ يعملَ لما فيه منعُ توسيعِ الخلافِ على نطاقِ العالمِ، فيقالُ «مسألةُ اليمنِ وانكلترا».

- ثم يبلغُـه بانتـدابِ القـاضي الفخري عبـدالله بن أحمد العـرشي منـدوباً عنـه للمراجعـةِ والمحادثـةِ لقصدِ السلم والتحابـبِ الواردِ في مراسـلاتِه السـابقةِ وحل المسائلِ المعلقـةِ بما هو أوفقُ وأسلم، ومن ثم تمنيات الإمام بـالتوفيق في البدايةِ والنهايةِ.

والنظرُ المتمعنُ في الرسـائلِ الثلاثِ يدركُ بأَن بريطـانيا تحاولُ دفعَ الإمامِ للاعترافِ باحتلالِها للمحمياتِ بما فيها عدن، وتجرهُ للاتفاق معَ باقي الزعماءِ العربِ لتحقيقِ مصالحِها، والتخلصِ من شـوكتِه، والحدِّ من حركتِه وحصرِه في جزءٍ من اليمنِ، أما الإمـامُ فقد حاولَ إظهارَ عداءِ الـوالي السابقِ لمطالبِ اليمنِ العادلةِ، وعـزوف استيوارت عن تحقيقِ الأمنِ والراحةِ لبـلادِه بالقبولِ بسلامةِ اليمنِ، ثم إنَّ الإمـامَ لم يقدمْ شيئاً سوى ما يسعى إليـه من الاستجابةِ لما جـاء في رسائِلـه المحقةِ. ويحذرُه بطـرفٍ خفيّ إلى أنَّ ما قـامَ بِهِ من حـربٍ ضـدَّ الانكليز وأعـوانِهم ما كـانَ إلاّ مجبوراً عليـه، يدفعُـه إليه حفظُ حقـوقِ اليمنِ المشروعةِ، ومنعُ محاولاتِ تجزئةِ اليمن التي تـدعمُها بريطانيـا بما تقومُ به من تحريضِ القبـائلِ وتزويدِها بـالأموالِ والسلاح والذخـائرِ، وما تنفذُه في تُهامـةَ بدعمهـا لـلإدريسيِّ. وما أرسلَ مبعـوثَـه إلاّ لإحقاقِ الحقِ والانتصـارِ للعدلِ، ويـلاحَظُ أنَّ الإمامَ يُضفي المزيدَ من الإجلالِ والاحترامِ على مبعـوثِه فيقرنَه بالقاضي الأجلِّ والقاضي الفخـريِّ، وذلك لتدعيم هيبتِه عند المراجعةِ ويـوحي بأنَّ منـدوبَـه مخولٌ بـالصـلاحياتِ لإنجـازِ محادثـاتِـه بشرعـة الحقِ والعدلِ. أمّا كيف فهم اسكـوت رسائلَ الإمامِ، فقد بينتْه رسـالةَ اسكوت إلى وزيـرِ المستعمراتِ البريطـانيِّ بتاريـخ ٣٠/ حزيـران ١٩٢١م، وقد جـاء في

مضمونها:

- إن رسالة الإمامِ لا تحملُ تغييراً في موقفِهِ المعادي للإدريسيِّ، وليسَ هو في طريقِه للمساومةِ مع خصمِه الإدريسيِّ.

- إن الإمامُ يرغبُ في الحصولُ على كل شيءٍ وعدم التنازلِ عن أي شيءٍ، ولذا كانَ موقفُ استيوارت من الإمام طبيعياً في ضوءِ سياسةِ الإمامِ الصعبة. ولذا فإنَّه من المتعذرِ الدخولُ معهُ في علاقاتٍ وديةٍ بالرغم من التقائِهِ معَ سياسَتِنا في محمية عدن، واستعدادِه لاحترامِ أولئك المشمولينَ بحمايةِ بريطانيا.

- يفيد اسكوت بأَنَّ القاضي العرشي بالرغم من قوله: إنَّ لديه السلطةَ لمناقشةِ كافةِ المسائلِ معَ السلطاتِ في عدن، إلاّ أن القاضي العرشي، والذي سبقَ أن أُوفد من قبلِ الإمامِ سنة ١٩١٧م. ليس مخولاً بصلاحيات تمكنُه من توقيعِ أيةِ اتفاقاتٍ إلاّ بعد الرجوعِ إلى الإمامِ وموافقةِ الإمامِ على ذلك.

- ومع ذلك فإنَّ المحادثاتِ مع العرشي مُستَمرةٌ، ويُرسل اسكوت إلى الوزيرِ ترجماتٍ لخمسِ رسائلَ من باريت واسكوت والرد عليها، ورسائلَ من الإمام إلى الإدريسي والرد عليها، ورسالتين من فيصل بن الحسين إلى الإمام ومحمود نديم بك.

وكنا قد أشرنا إلى رسالتي الملك فيصل إلى الإمامِ ومحمود نديم في موضعِه من الدراسة. أما رسالةُ الإمامِ إلى الإدريسيِّ، وردُ الأَخيرِ عليها فسندرسها عندَ تعرضِنا لحروبِ تدعيم الاستقلالِ وحروبِ التوحيد.

ولما كانتْ هذه الرسائلُ الوثائق من الأهميةِ بمكانٍ فإني أُثبتُها في هذا المقامِ، مترجمةً وأُصولها الانجليزية.

رقم ٢١٨
مقيميةُ عدن
٨ ابريل ١٩٢١م

إلى: سيادة الإمام

يُشرفُني أن أُبلغَكم بتسليمي كتابِ سيادتِكم المؤرخِ في ٢٩ جماد أول ١٣٣٩هـ. وأن أشكرَ لكم مشاعرَكم الوطنيةَ التي عبرتم عنها في رسالتِكم اتجاه الحكومة البريطانيةِ يسعدُنا تأييدكم أَنكم لن تفكِروا البتةَ في التدخلِ ولو قدرَ ذرةٍ في حقوق مصالح الحكومةِ البريطانيةِ. ويؤسفُنا أن قواتِ سيادتِكم قد احتلت جزءاً من أرضٍ رؤساء لنا معهم معاهدةٌ وعدناهم بحمايتِنا لهم من أي هجوم. إلى جانبِ إحساسِنا بمزيدٍ من الضيقِ في رؤيةِ قواتِكم تتقدمُ نحو المزيدِ من الأقاليم الخاضعةِ لحمايتِنا وتحتلُّ وادي تيم. وهو ما يخالف مضمون رسالتِكم لنا، غيرَ أنني سعيدٌ للغايةِ من أَنَّه بمجردِ أن انتهى هذا التقدمُ إلى علمكم، فتمَّ إصدارُ الأوامرِ بوقفِه وإخلاءِ الأرضِ الخاضعةِ لحمايتِنا، ونشكرُ سيادتكم على هذه البادرةِ، والتي هي في اتجاهِ الاتفاقِ مع الحكومة البريطانيةِ. ونعبرُ عن رضانا، ولولا مسألةُ الاحتلالِ العسكريِّ لمناطقَ من تلكَ التي تحتَ حمايتِنا، فليسَ هناكَ من نقاطِ خلافٍ بين حكومةِ سيادتِكم والحكومةِ البريطانيةِ.

ونؤكدُ لسيادتِكم، أن الحكومةَ البريطانيةَ لا تسعى لتوسيعِ مناطقِ سيطرتِها، وكسبِ المزيدِ من الأراضي في اليمن، ونؤكدٌ لكم بحزمٍ رفضَنا منحَ أيِّ موافقةٍ لأيٍّ كانَ خارجَ حدودِ محميتِنا في حالةِ طلب المساعدة منا ضد سيادتِكم.

وسنكونُ سعداءُ في أنْ نرى العربَ موحدينَ، وهو في قناعتِنا الأُسلوبُ الوحيدُ الذي يُمكنُ به تحقيقُ السلمِ والأمنِ لكل تقدمٍ وتطورٍ، فالقرآنُ يقولُ:

﴿ولا تنازَعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم﴾.

وإذا طلبتْ منا الأطرافُ جميعاً، سنكونُ سعداءَ في تقديمِ خدماتِنا لتيسير أيةِ مصاعبَ بين العربِ التي قد تُثارُ بينَهم، غيرَ أنَّ سياسةَ حكومةِ صاحبِ الجلالةِ هي في تجنبِ الانخراطِ في صراعاتِ الحكامِ العربِ، الذين نأملُ أن يسووا خلافاتِهم فيما بينهَم بأنفسِهم. ويمكنُ لحكومةِ جلالتِه أن تقدمَ النصيحةَ الوديةَ لجميعِ الأطرافِ بناءً على رغبتِهم، ولتكونَ في وفاقٍ مع الجميع.

وفيما يتعلقُ بمحميتِنا، أؤكد لسيادتِكم بأننا لا نضمرُ أيةَ دوافعَ عدوانيةٍ اتجاهَ حكومتِكم، وليسَ لدينا رغبة في تعديلِ هذا الوضعِ السياسيِّ الذي كان موجوداً قبلَ الحرب، والتي مكنتِ القبائلَ من تسيير شئونِها دونَ أي تدخلٍ من قبلِنا، ولكننا نؤكدُ عدمَ ترددِنا في تقديمِ المساعدةِ للقبائلِ التي لنا معاهداتٌ معها تتضمنُ حمايتَها. وليس لنا أية مكاسبَ من هذه المعاهداتِ، ولكننا على ثقةٍ من أن سيادتكم بصفتك عميد الأسرةِ الشريفةِ، ورئيس حكومةٍ سيتفهمُ مشاعرَنا كأمةٍ محترمةٍ (نبيلة)، عليها أن تلتزمَ بكلماتِها اتجاهَ الجميعِ حتى ولو كانوا أضعفَ منا.

وما أن وصلني خطابُ سيادتِكم، كان لي شرفُ الردِّ عليه بنفسي، وليس لدي شكٌّ في أنَّ سيادَتكم سيوجه أيةَ رسائلَ أخرى إلى المقيمِ الجديدِ في عدن الميجر جنرال سكوت، الذي حل محلَّ الجنرالِ ستيوارت.

C. C . J, Barret, Major

1st Assistant Resident, Aden.

الميجر باريت، المعاون الأول للمقيم - عدن -

No.C.218.

ADEN RESIDENCY,

8th April 1921.

To,

His Excellency the Imam.

I have the honour to acknowledge receipt of Your Excellency's letter of 29th Jomad Awal 1339 and to thank you for the friendly sentiments towards the British Government expressed therein.

We are very pleased with your assurance that you never thought of meddling in the rights of the British Government to the extent of an iota.

We saw with much regret that Your Excellency's troops had occupied a portion of the territory of Chiefs with whom we had a treaty promising our protection from attack. We were further distressed on seeing that your troops had advanced still further into our Protectorate and had occupied Wadi Tem, in contravention of the terms of your letter to me, but I am very glad to see that as soon as this advance had been brought to your notice, Your Excellency issued orders to stop it and that the evacuation of our Protectorate has commenced. We thank Your Excellency for this mark of your desire to come to an amicable agreement with the British Government, and are satisfied that except in this matter of the military occupation of portions of our Protectorate there are no points of difference between the Government of Your Excellency and the British Government.

We assure Your Excellency that the British Government seeks no territorial aggrandisement in the Yemen and has consistently refused to grant any countenance to such misguided individuals living beyond our Protectorate as have appealed to us for assistance against Your Excellency.

We would be glad to see the Arabs united, as we are satisfied that it is only in this manner will be

attained

attained that peace and good order which is necessary for all advancement. The Koran says:_ Do not dispute amongst yourselves lest you would lose your power and be fainted hearted. Peace and good order are the spirit of happy life and the precursor of advancement and flourishment and these are not unknown to you. And if we are requested by all parties we will be glad to offer our services in smoothing any difficulties between the Arabs that may arise but it is the policy of His Britannic Majesty's Government to avoid being drawn into the quarrels of the Arab rulers who we desire should ~~still~~ settle their own affairs for themselves. His Majesty's Government can only offer friendly advice to all parties as it is their desire to be on good terms with all.

As regards our Protectorate, I assure Your Excellency that we entertain no aggressive designs against your Government. We have no desire to alter the system which existed before the war by which the tribes were allowed to manage their own affairs without any interference from us, but we consider ourselves bound to render assistance to those tribes with whom we have treaties guaranteeing them protection.

We have nothing to gain from these treaties, but I am sure Your Excellency who is the head of an honourable family and Government will understand our sentiments that as an honourable nation we must abide by our word to all even though they be weaker than ourselves.

As Your Excellency's letter was addressed to me I have done myself the honour to reply to it but I have no doubt Your Excellency would like to address any further communication to the ~~Aden~~ new Resident at Aden, Major-General Scott, who has taken the place of Major-General Stewart.

sd. C.C.J.Barrett, Major
1st Assistant Resident, Aden.

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أمير المؤمنين، المتوكل على الله، رب العالمين

الإمام يحيى حميدالدين

حضرةَ ذي الأصالـةِ الميستر مادور بيرت معـاونَ والي عدن الأولَ، وفقنـا اللهُ وإياهُ بيـدِ الإعزازِ والاحترام تنـاولْنا تحريـرَكم الرسمـيَّ المؤرخَ ١٢ نيسان ٩٢١ تحتَ العـددِ السريِّ (٢١٨) الممضي من طـرفِ أصـالتِكم وتأملنـاه بنظـرِ الإنصـافِ، فوجـدنـاه مملوءاً بـالعبـاراتِ الأنيقةِ الـدالـةِ على وسعةِ اقتـدارِكم الفكريِّ في الاطلاعِ على مـزايا الصلاحِ والإصلاحِ والسكـونِ وأن تبادلَ المنافعِ بصورةٍ وديـةٍ متقابلَةٍ بينَ البلـدانِ هو الأساسُ الـذي تبنى عليه سـلامةُ الأمـمِ، وقد عرفتم من ماضي محرراتِنا ما تنطوي عليه إحسـاساتُنا وأميالُنا نحو الحكومةِ المعظمةِ البريتـانيةِ. وإنّـا نؤثـرُ أن تكونَ صـداقتُنا معهـا متينةً لا تغيرُهـا زوابعُ الحوادثِ فضـلاً عما سواهـا من الحوادثِ الجزويةِ والموهـومةِ، فلـذلك كانَ منـا اعتبـارُ ما تضمنَـه تحريرُكم المشـارُ إليه من الإفـاداتِ دليلاً وفألاً على وضـوحِ طريقةِ الإنصـافِ، ولّما كانَ الاستعدادُ منا لبناءِ الصداقـةِ على أحكم أساسٍ هو السبيلُ الذي نرجحه على ما سواه. كنا قد حررْنا ما أشرتُمْ إليهِ من الجوابِ على حضرةِ الوالي الجديـدِ وأعلمْناه على صورةِ الإجمالِ بحقيقةِ مـا جرياتِ المخـابرةِ بينَنا وبين الوالي السابق، واعتمدْنا على قيامِكم بمهمةِ إيضاحِ ماضي المخابراتِ تفصيلاً، فوصلَ إلينا من أميرِ الجيشِ التعزي أنّـه وصلَ إليهِ من حضورِكم كتابةٌ دالـةٌ على ارتفـاعِ موانعِ ربـطِ الصداقـةِ بينَ إمـامتِنـا، وبينَ الحكومـةِ المعظمـةِ البريطـانيةِ، فـرأينا كتـابَكُم هـذا إلى الأميرِ المشارِ إليـهِ يشفُّ عن نظرٍ إنصـافيّ جـديرٍ بـالإقبالِ إليـهِ، وتزايـدتْ لـدينا الـرغبةُ في تحقيقِ الأمـاني المرغوبـة وفي التقريبِ من مسـاحةِ إدراكِهـا بالمباشرةِ في مـداولةِ الأفكـارِ والمراجعةِ في الموادِ التي يكـونُ بها حفظُ حقوقِ الطـرفين ورعايـة شرفِ مقامِ إمـامتِنا وزوالِ سـوءِ

التفاهم معَ علمِنا بما عليه الحكومةُ المعظمـةُ من محبةِ العربِ، والرغبةِ في صلاحِ أحوالِهم، وعدمِ طمعِها في تـوسيعِ مملكتِها الواسعةِ، وصدقَ مـا تشيعهُ الحكومةُ في هذا السبيل، فبـادرْنا باعزام القَـاضي الأجل عبدالله بن أحمد العرشي منـدوباً من طرفُنا ومأذونـاً بتقديمِ جوابِنا على حضرةِ الوالي الجديد وإجـراءِ المخابرةِ في كل ما يلزمُ مداولـةُ النظرِ فيه، ونؤملَ أن يصادفَ هذا البدارُ الـواقعُ منا، والدالةُ على رغبتِنا في إحكامِ الصـداقةِ مع الدولةِ الفخيمةِ البريتانيـةِ، نظرَ الاستحسانِ والرغبـةِ المقابلةِ. فإنّـا نعتقدُ مهما كانَ الحالُ كـذلكَ أنْ تُسفرَ النتيجةُ المرغـوبةُ بسهولةٍ، وأن تزولَ جميعُ الصعوباتِ المتوهَمةِ.

ونـرجوكم أَن تقبلـوا منَّـا الثناءَ على حسنِ احساسِكم نحـو هذا الجنـابِ، واتصافِكم بـالدرايـة التامةِ المشتملـةِ على مزايـا الإنصافِ، ونتمنى أن تكـونوا مثـالاً حسناً لـرجـالِ السياسـةِ في تقـريبِ مسافـةِ حل الموادِ التي تعـرضِ من الجانبينِ على طريقةِ الإنصافِ المقبولِ.

وقـد استحسَنَّـا إهـداءَ رأسينِ مـن الخيل النجـابِ مع شيءٍ مـن القهـوةِ والـزبيبِ واللـوز لحضرة الـوالي، وتفضلوا بقبـولِ اليسيرِ من القهـوةِ والـزبيبِ واللوزِ.

ونسألُ اللَّهَ لنا ولكم التوفيق

وحُرر في ١٣ شهر رمضان ١٣٣٩



635

حضرة ذي الاصالة المستر مارور بيرت معاون والي عدن الأول وفقنا الله واياه بالاكرام
والاحترام تناولنا تحريركم الرسمي المورخ ١٠ نيسان ٩٢٨ تحت العدد (٢١٨٦) المتضمن من ظهور اصالتكم وتاملناه
نظر الانصاف فوجدناه مملؤا بالعبارات الانيقة الدالة على وسعة اقتداركم الفكري في الاطلاع على مزايا الصالح
الاصلاح والسكون وان تبادل المنافع بصورة ودية متقابلة بين البلدان هو الاساس الذي تبنى عليه سلامة
الامم وقد عرفتم من ماضي تحريراتنا ما انطوت عليه احساساتنا واميالنا نحو الحكومة المعظمة البريطانية وانا نود ان تكون
علاقتنا معها متينة لا تثيرها زوابع الحوادث فضلا عما سواها من الحوادث الجزوية والموهومة فلذلك كان منا اعتبار
ما تضمنه تحريركم المشار اليه من الافادات دليلا وفالا على وضوح طريقة الانصاف ولما كان الاستعداد منا
لبناء الصداقة على احكم اساس هو السبيل الذي نرجحه على ما سواه كنا قد حررنا ما ترتسم اليه من الجواب على منشور الوالي الجديد
واعلمناه على صورة الاجمال بحقيقة ما جريات المخابرة بيننا وبين الوالي السابق وتممنا على قبالكم ببعض ما بيناه من
ماضي المخابرات تفصيلا فوصل الينا من امير الجيش الشهزي انه وصل اليه من حضوركم كتابة دالة على ارتياحكم من دوائع
ربط الصداقة بين امامتنا وبين الحكومة المعظمة البريطانية فرأينا لتأكيد هذا الى الامير المشار اليه يشف عن
نظر ابضا في جدير بالاقبال اليه وتزايدت لدينا الرغبة في تحقيق الاماني المرغوبة وفي التقريب من ساعة ادراكها
بالمباشرة في مداولة الافكار والمراجعة في المواد التي يكون بها حفظ حقوق الطرفين ورعاية شرف مقام امامتنا
وزوال سوء التفاهم مع علمنا باعلية الحكومة المعظمة من نكبة العرب والرغبة في صلاح احوالهم وعدم طمعها في
توسيع مملكتها الواسعة وصدقا ما تشيعه الكلمة في هذا السبيل فبادرنا باعزام القاضي الاجل عبد الله
بن احمد العرشي مندوبا من طرفنا ومأذونا بتقديم جوابنا على منشور الوالي الجديد واجراء المخابرة في كل ما يلزم
مداولة النظر فيه ونؤمل ان يصادف هذا البدار الواقع منا والدال على رغبتنا في احكام الصداقة مع الدولة الفخيمة
البريطانية نظر الاستحسان والرغبة المقابلة فانا نعتقد مهما كان الحال كذلك ان تسفر النتيجة المرغوبة بسهولة
وان تزول جميع الصعوبات المتوهمة ونرجوكم ان تقبلوا منا الثناء على حسن احساسكم نحو هذا الجناب
وارتياحكم بالدراية التامة المشتملة على مزايا الانصاف ونتمنى ان تكونوا منا لاحسن الرجال السباقين في
التقريب مسافة حل المواد التي تعرض من الجانبين على طريقة الانصاف المقبول وقد اتحفنا اودا راسين
من الخيل النجاب مع شيء من القهوة والزبيب حالا عن كعند الوالي وتفضلوا بقبول اليسير من القهوة والزبيب
والعذر واسأل الله لنا ولكم التوفيق حرر في يوم ١٢ شهر رمضان سنة ١٣٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أميرُ المؤمنين المتوكلُ على الله ربِّ العالمينَ

الإمامُ يحيى بن حميدالدين

إلى جانبِ والي عدن العالي الميجر جنرال اسكوت، وفقنا اللهُ وإيّاه، بهذه الكرةِ وردَ لنا جوابٌ رسميٌّ من حضرةِ الميستر مادور بيرت، المعاونِ الأولِ في مقامِ ولايتِكم العالي مؤرخ ١٢ نيسان ٩٢١ وعليه رقمٌ سري ٢١٨، وعندَ وصولِه ومطالعتِه استلزمَ حصولُ الاطمئنان، ومما ذكرُ فيه أنَّه قد كان تعيينُ جنابِكم العالي لولايةِ عدن خلفاً لحضرة استوارتِ الوالي السابقِ، وأنا نتمنى بخلوصٍ وسلامةٍ أن يكونَ لحضرتِكم في هذهِ المأموريةِ العليةِ الموفقياتِ الخيرية، وأن تكونَ ذاتُكم مظهراً مخصوصاً لتقديرِ واستجلابِ حلولِ الأمنِ والراحةِ في الوضعيةِ وسلامةِ اليمنِ، والمأمولُ بذلكم تحقيقُ الاستفادةُ لجانبِ فخامةِ دولتِكم المعظمة. وقد عددناهُ من لوازم تقديم التبريكاتِ لذاتِ ولايتكم العليةِ وكانت جرتْ مخابراتٌ ومعاملاتٌ عموميةٌ مع اليمنِ بزمنِ ولايةِ سلفكِم الجنرال استيورات، وبذلْنا حين ذلك المجهودَ ومزيداً الاهتمام، فلمْ تصادفْ حسنَ التفاهم بدرجةِ أملِنا، ومرتبةِ اهتمامِنا، فإنَّه لا يوافقُ مسلكَنا إسنادُ ذلكم إلى حضرةِ المشارِ إليه ولكنا الآنَ نُرجِّح تأميلَ حلولِ وقتِ تيسير حصولِ هذهِ الكيفيةِ الخيريةِ بزمنِ ولايَتِكم العليةِ، ولا تشتبُه في أنّكم لا تضنونَ بحصرِ جزءٍ من أوقاتِ ساعاتِكم الثمينةِ وتعيينِه لإمرارِ النظرِ العالي على ما في خزانةِ مقامِ ولايتكِم من أوراقِ المخابراتِ المهمةِ الجاريةِ منذ سنتينِ مع مقامِ الولايةِ العالي، ومن مطالعتِها بما يليقُ من الدقةِ المخصوصةِ لدرايتكِم، يظهرُ لكم ما فيها من التصريحاتِ بما لنا من حسنِ النيةِ في كافةِ مراجعاتِنا المحقةِ المعتدلةِ التي لم نرَ في شيءٍ منها أثر مقابلةٍ تقديريةٍ وتلطيفيةٍ وتطلعونَ على أن إمامتَنا كلما تقربتْ بكمالِ الصداقةِ في الوضعيةِ نحو دولتِكم

المفخمـةِ العظيمةِ، لم تجدْ وجـهَ حسنِ إجابـةٍ، ويتضحُ لكم غايـةَ الوضـوحِ أن ذلكم كـانَ لغير سببٍ جـدي ولا مـوجـبٍ حقيقيٍّ ومعلـومٌ أنكم إذا طـالعتُم أوراقَ المخابـرةِ المحفوظـةِ المذكورةِ لا تـرَوْنَ لزومـاً ولا احتياجـاً لطلبِ مـزيد الإيضـاحِ منّـا ولا تكـريـرِه، وأنّـه مع مـا لنَـا من كمال الثبـاتِ والاقتحـامِ في الإخـلاصِ أو التقربِ بما نـراجعُ فيـه ونطلبُه كـانَ من حضرةِ سلفِكم في مـدةِ السنتينِ الجاريـةِ فيهما المخابـرةُ بتشـويقِ بعضِ القبـائلِ علينا وتسليحهم. وقـد وصلتْ إلينا أوراقٌ عليهـا إمضاؤه المعروفُ، مبرهنةً على صـدورِ ذلك منه، وإن أمامتَنا حتى في حضـورِ هذهِ التصادفاتِ، الغير مقبولةِ والمصـادماتِ الأليمةِ لم تزلْ ثـابتةَ القـدمِ في ملكِ المسالمةِ، وهي كـذلك على الدوام، وفي الحالِ سـاعيةً ومنتظرةً حسن الأئتلافِ، والأملُ من جانب ولايتِكم العـالي وشعاير إنصافِكم حسنُ تقـديـرِ رتبةِ ليـاقتِنـا ومـزية، فإنَّ حسـنَ التأليفِ والتفريقِ في مقـابلتِنـا وستجلبُ في هـذا الباب بكلِ انتظـارٍ آثارَ الفعليـةِ الباهـرةِ من نظرِ عـدالتِكم ودقتِكم، أمَّا مَنْ لهم الحمايةُ القـديمةُ من جانب الحكومةِ البريطـانيةِ الفخيمة، فإذا لم يكن شوقَهُم لمعـاداتِنا ومخاصمتنا، فهم لا يجدونَ منا غير الحرمـةِ والمحبة في كلِّ الأوقاتِ، وستكونُ لهم منا الاستفاداتُ ونـرجو أن لا يكون لديكُم مقدارُ ذرةٍ من الاشتبـاه في هـذا ومَع كـلَّ هـذا فإنّـا ننتظـرُ من حضرتِكم التفضلَ والاعترافَ بعدمِ وجودِ محلٍ في ميزانِ العدالةِ للتنقيد علينا إذ لمْ يكُن منا حتى في زمنِ التجـاوز والتعـدي علينـا وعلى وطنِنـا غيرُ مجردِ اتخاذ التـدابيرِ الطبيعيـةِ بالمجبوريةِ الـلازمةِ لحقوقِنا المشروعةِ، وسلامـةِ وطنِنا، وبذلكم نصيرُ مشغوفينَ بما نراهُ من وجوهِ العدلِ العاليةِ من طرفكم.

وبناءً عليـه، فلا حاجـةَ للتطويلِ والشرحِ الـزائدِ عندَ وجودِ وسعـةِ اقتدارِ فكرِكم العـالي، ونكتفي بحسنِ نيتِنا بما أشـارَتْ إليه التحريـراتُ العليةُ سـالفةُ الذِكرِ الواردةُ من مقامِكم العـالي بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٢١ ورقم ٢١٨ من قيدِ تقدمات منـا وماهيتها الطبيعية وتـدقيقِ وتأملِ مجبورياتها المقتضيـة، ولا حاجة

أيضاً لتكريرِ وإعادةِ تمني رفعِ الآمالِ والسوابقِ المجبرةِ لنا التي أحدثت قبلَ الآن، وربطِ السنداتِ الائتلافيةِ المقتضيةِ لمنع تكررِ وقوعِها، ويكونُ ذلكم بفعاليةٍ جديةٍ، فبهذا تزولُ كلُّ الأسبابِ الباعثةِ للتقدماتِ من جهتِنا للاحتياطِ والمحافظةِ بإيجابِ الضرورةِ ويتيسرُ لنا التوقفُ بصورةٍ حبيةٍ خالصةٍ طبيعيةٍ. وإنّا نؤمن ذاتكم العليةَ أن نتمنى بكلِ إخلاصٍ حصولَ وتقررَ الصداقةِ الصميميةِ بيننا من كلِ الوجوهِ والأطرافِ في الشكلِ القويِ المتينِ.

وكذلكَ مما فتحَه زمنُ سلفِكُم العالي مع الأسفِ ليجعلَه منتهياً إلى عدمِ امنيتِنا وإلى اضرارِنا من الوقوعاتِ والفعلياتِ المؤثرةِ فيما أدركناهُ من طرفِ المورداتِ الغيرَ مفيدةِ ما استحدثَه من مسائلَ تهامة وحواليها، فإنها في الحالِ موازنتَها والاستقبال إذا اقتضى موازنتها بالتدقيقِ ستصيرُ الدولةُ الانكليزيةُ عظيمةَ الشأن بالقوةِ مبتلاةً بخسرانٍ سياسيٍ مثلنا. وإن إمامتنا تتمنى بكمالِ الأحقيةِ والاعتدالِ أن يكونَ في كمالِ عزمِكم وجهدِكم وإبرازِ ثباتِكم الكفاية والكفالة بعدمِ تركِ محلٍ يقالُ فيه مسئلة اليمنِ وإنكلترا.

والحصول على الخير والحسنات حالاً واستقبالاً لأمنيةِ الطرفينِ في كافةِ الأوامرِ والخصوصاتِ لاستجلاب حصولِ الائتلافِ والسلامةِ.

وبناءً على أهمية هذهِ الأحوال المبسوطةِ واستناداً إلى مقصد السلمِ والتحاببِ المندرج والمعلنِ في متنٍ وتحريرات مقامِ ولايتِكم العالي المرقمة برقم ٢١٨ سالفةِ الذكرِ، ولقصدِ حل المسائلِ العموميةِ المذبذبةِ بدائرةِ تمنياتِنا الخالصةِ، وبما هو أوفقُ واسلمُ وانفعُ للطرفينَ قَواماً وسياقاً ولتسهيل فصلِها قد بعثنا القاضي الفخري عبدَالله بنَ أحمد العرشي إلى حضور سموِ ولايتكم مأموراً من طرفِنا، وتفضلوا باعتمادِ المومى إليه وأتموا معه ما يلزمُ عقدُه وإجراؤه من الخصوصات كما هو غايةُ مطلوبِنا من هممِكم العليةِ، وتقدمُ عميقَ إحساساتِ احتراماتِنا ونعرضُ صميمَ تمنياتِ مخالصتِنا، ونسألُ اللَّه لنا ولكم التوفيق في البدايةِ والنهايةِ.

تحريراً في ١٣ رمضان ١٣٣٩



الى جانب ولي العهد العالي المنير جنرال اسكوت وفقنا الله واياه · نهديه التحية وقد ورد لنا كتاب
المسمى من حضرة المستر مارو بريت المعاون الاول في مقام ولايتكم العالي مؤرخ ٢١ نيسان سنة ١٩٤٠ والمستر رقم
الشهري ١٩م وعنه ومفهومه ومطالعته استلزم حصول الاطمئنان ومما ذكر فيه انه قد كان تعين جنابكم
العالي للولاية عدن تخلفا لحضرة استاذنا الوالي السابق وانا نتمنى بخلوص ومسرة ان يكون لحضرتكم في هذه
المأمورية العلية الموفقيات الخيرية وان تكون ذاتكم مظهرا مخصوصا للتقدير واجادت حلول الامن والراحة
في الوضعية في حدود اليمن فالمأمول بذلكم حقيق الاستفادة لجانب فخامة دولتكم المعظمة
وقد وجدناه من اللازم تقديم التبريكات لذات ولايتكم العلية ... وكانت جرت مخابرات ومعاملات
عمومية مع اليمن بزمن ولاية سلفكم الجنرال استيوارت وبدا لنا من ذلكم الجهود ومزيد الاهتمام فلم تصادف
حسن التفاهم بدرجة املنا ومرتبة اهتمامنا فانه لا يوافق مسلكنا استنادكم الى حضرة المشار
اليه ولكنا الان نرجح تأميل وقت تيسر حصول هذه الكيفية الخيرية بزمن ولايتكم العالية ....
ولا نشتبه في انكم لا تنسون بحصر جزء من اوقات ساعاتكم الثمينة وتعيينه لامرار النظر العالي على ما في
خزانة مقام ولايتكم من اوراق المخابرات المرتبطة الجارية بيننا مع مقام الولاية العالي ومن
مطالعتها بما يليق من الدقة الحقة وصميم ادراكاتكم يظهر لكم ما فيها من التصريحات بما لنا من حسن النية في
كافة مراجعاتنا المحقة المعتدلة التي لم نر في شيء منها اثر مقابلة تقدير به وتلك النية ولا الظنون كل
ان امامنا كلما تقربت بجمال الصداقة في الوضعية نجد ولايتكم الفخيمة العظيمة لم تجد وجه حسن اجابة
ويتضح لكم غاية الوضوح ان ذلكم كان لغير سبب جدي ولا موجب حقيقي ونعلم انكم اذا طالعتم
اوراق المخابرة المحفوظة المذكورة لا ترونها لزوما والاحتياجات الطلبية من جهاتنا فيما منا ولا تكريره
وانه مع ما لنا من كمال الثبات والاهتمام في الاخلاص صار والتقرب بما نراجع فيه ونطلبه كان من حضرتكم
سلفكم في مدة السنتين الجارية فيهما المخابرة بتشويق بعض القبائل علينا وتسليحهم وقد وصلت
الينا اوراق عليها امضاؤه المعروف برهنة على صدور ذلك منه وان امامنا حتى في حضور هذه
التصادمات الغير معقولة والمصادمات الاليمة لم تزل ثابتة القدم في مسلك المسالمة وهي
كذلك على الدوام وفي الحال ساعية وتنتظر حسن الائتلاف كالامل من جانب ولايتكم العالي وشعائرها فلكم

حسن نية بيرتنية لياقتنا ومزية فلحسن التاليف والتوفيق في مقابلتنا وستجلبكم لهذا
الباب بكل انتظار آثار الفعلية الباهرة من نظر عدالتكم ووقفتكم اثنا من لهم الحماية القديمة من جانب
الحكومة البريطانية الفخيمة فاذا لم تكن نتوقعهم لمعاداتنا وفي صمتنا فهم لا يجدون منا غير الحرمة والمحبة
في كل الاوقات وستكرين لهم منا الاستفادات وزعماء لا تايلوه لديكم مقدار وزنه من الاشتباه في هذا ..... ومع كل
هذا فاننا ننتظر من حضرتكم التفضل بالاعتراف بعدم وجود محل في ميزان العدالة للتنقيد علينا اذ لم يكن منا من في
زمن التجاوز والتعدي علينا وعلى وطننا غير مجرد اتخاذ التدابير الطبيعية بالمجبورية اللازمة لحقوقنا المشروعة
وسلامة وطننا وبذلكم نصير مشغولين بازاء من وجوه العدالة العالية من طرفكم

وبناءً عليه فلا حاجة للتطويل والتشريح الزائد عند وجود وسعة افتكار فكركم العالي ونكتفي بحسن نيتنا بما
اشارت اليه التحريرات العلية سالفة الذكر الواردة من مقامكم العالي بتاريخ ١٢ نيسان ٢١ ورقم ٢١٩ من تقييد تقدماته
وماهيتها الطبيعية وتدقيق وتأمل مجبوريتها المقتضية والاحاجة ايضاً للتكرير باعادة تمنى رفع الاعمال
والروابط المجبرة لنا التي احدثت قبل الآن وربما السنوات الاتفاقية المقتضية لمنع تكرار وقوعها وتكوين ذلكم
بفعالية جدية فبهذا تزول كل الاسباب الباعثة للتعديات من جهتنا للاجنبي وللمحافظة بايجاب الخصوص
ويتيسر لنا التوقف بصورة جدية خالصة طبيعية وانا نؤمن ذاتكم العلية الا نتمنى بكل اخلاص
حصول وتقرر الصداقة الصميمية بيننا من كل الوجوه والائتلاف في الشكل القوي المتين .... وكذلك
مما فهمه زمن مقامكم العالي مع الاسف ليجعله منتهياً الى عدم امنيتنا والى اقرارنا من الوقوعات والفعليات
المؤثرة فيما ادركناه من طرف المواردات الغير مفيدة ما آخذته من مسائل بتمامه وحوالتها فانها في
الحال والاستقبال اذا اقتضى الحال ولا نظرنا بالتدقيق ستصير الدولة الانكليزية عقلية الشان بالقوة
مبتلاة بخسران سياسي مثلنا .. واما استنتاجنا بما الاهمية والاعتدال ان تكون في كمال عزمكم
وهمتكم وابرازكم تلكم الكفاية والكفالة بعدم ترك محل تقبل فيه مسئلة .... اليمن .. وانكلترا ..
والحصول على الخير والحسنات حالاً واستقبالاً الامنية الطرفين في كافة الاوامر والخصوصات لاستجلاب
حصول الائتلاف والسلام ..

وبناءً على اهمية هذه الاحوال المبسوطة والتماسنا الى مقصد السلم والتجانب المندرج والمعلن في متن تحريراتنا
مقامكم العالي المرقمة برقم (٢١٨) سالفة الذكر والمتصلة بالمسائل العمومية المذبذبة بدائرة
تمنياتنا الخالصة وبما هو اوفق بالسلم وانفع للطرفين قواما وسياقاً والتوصل لفصلها تدبحتنا القاضي
الشيخ عبد الله بن احمد العرشي الى حضور سعو ولاستلام ما موران الطرفان فيتلو باعتماد المدرج البه وامثل
معه ما يلزم عقده واجراؤه من الخصوصات كاهر غاية مطلوبنا من هممكم العلية وتقدم عميقاً حسن سلم
احتراماتنا وليؤمن صميم تمنياتنا لمخالصتنا ونسأل الله لنا ولكم التوفيق في البداية والنهاية تحريراً
في ١٣ رمضان ١٣٤٠

سري رقم: ٢٩
مقيميةُ عدن
٣٠ حزيران ١٩٢١م
ختـــم: ٢٠٥
٣٥٠٤٦

مِنَ: القائدِ العامِ T. E. Scott. C. B., C. I. E., D. So.,

المقيم السياسي، عدن

إلى: سعادةِ وزيرِ الخارجيةِ لشئونِ المستعمراتِ، لندن

سيدي:

لي الشرفُ أن أشيرَ إلى تلغــرافي رقم C.O., 1. بتــاريخ ١٣ حــزيــران ١٩٢١م والتي ننقلُ فيها خبرَ وصولِ مبعوثِ الإمامِ القاضي عبدِالله العرشي إلى عدن.

وقدْ أحضرَ هــذا المبعوث معــه رسالتَيْن، إحــداهما إليّ، والأُخرى إلى الميجــر باريـت، معاوني الأول، وذلك رداً على رسالــة رقم C.٢١٨ التي أرسلَهــا الميجرُ باريـت له طبقــاً للقرارِ الذي تــم التوصلُ إليــهِ في مؤتمرِ القــاهرةِ حــول شئونِ الشرقِ الأوسطِ.

والقاضي العــرشي، هو نفسُه المبعــوثُ الذي أَرسلَ الإمــامُ من قبلُ إلى عدن في عام ١٩١٧م، للتفاوض بشــأنِ الوصولِ إلى معاهدةٍ، والقــاضي العرشي ليسَ مخولاً بالصلاحيــاتِ الكاملةِ، ولكنه يقــولُ: إنَّ لديهِ السلطةَ لمنــاقشةِ مسائلَ مع السلطاتِ في عــدن ويحملُ معَه أيــةَ مقترحاتٍ ليــوافقَ عليها الإمــامُ بخصوصِ معاهدةِ صداقةٍ بين الحكومتينِ، ويضيفُ بأنَّــه مخولٌ بتوقيعِ المعاهدةِ بعد موافقةِ الإمامِ عليها.

وقد كُتبتْ رسالةُ الإمامِ على طريقتِه الوديةِ المعتادةِ وتُمَثِّل خطوةً متقدمةً على رسائله السابقةِ التي تسلمناها منه ويُبدي ميلاً لاحترام مقولةِ إن عدن محميةٌ، وهو ما يتضحُ في كلماتِه، فيما يخصُ أولئك المعنيينَ بحمايةِ حكومةِ بريطانيا العظمى من القدمِ. نرجو إدراكَ عبارةِ «أنه إذا لم تشجعْهم الحكومةُ على أن يكونوا ودودينَ وغيرَ معادين اتجاهَنا، فإنَّهم لن يجدوا دوماً إلاّ الاحترام والمحبَّة» كما سيلقوا كل نفع منا».

ورغمَ أنَّ الإمامَ أبدى ميلاً للالتقاء معنا سياسياً في محميةِ عدن، فإنَّ رسالتَه لا تتضمنُ أيَّ تغييرٍ في موقفهِ المعادي للإدريسيِّ، والذي يقولُ «بأننا نرسلُ له صادراتٍ غيرَ مجديةٍ، أسلحةً وذخائر.

ولقد أبدى القاضي خلالَ المحادثاتِ عداءً لا هوادةَ فيه تجاه الإدريسيِّ، والتي لا تتناقضُ مع الرسالةِ المبعوثةِ من الإمامِ إلى الإدريسيِّ، والتي ردَّ عليها الإدريسيُّ بمثلِها والواصلةِ إليهِ بواسطةِ القائدِ فضلِ الدين، وأرففها لمعلوماتكم.

هذه الرسائلُ إذا قرأناها بتبصر، تدلُّ على أن الإمامَ ليس في طريقِه للمساومةِ معَ خصمِه، ويبدو، وما يزالُ على استعدادٍ ليعيدَ إشهارَ الدينِ ضدَنا.

ويبدو أن الإمامَ يعتقدُ بأنَّ القائدَ العامَ (الميجر سير ستيوارت) المقيمَ السابقَ يعملُ بوحيٍ من مشاعرِ العداءِ ضدَّه، بينما هذا هو الموقفُ الطبيعيُّ من الإمامِ (الراغبِ في الحصولِ على كلِ شيءٍ وعدمِ التنازلِ عن أي شيءٍ)، مما يجعلُ صعباً، الدخولَ معه في علاقات ودية:

وقد زارَ الأميرُ فيصلُ عدن في ١٥ حزيران، وأَجرى لقاءً معَ القاضي العرشي، وكتبَ على أثرِها رسالةً وديةً إلى الإمام، ورسالةً أُخرى إلى محمود نديم بك، الوالي السابق، ناصحاً إياه بمغادرة اليَمنِ، وأُرفقُ لمعلوماتِكم الترجمة

الانجليزيةَ لهذهِ الرسائلِ، والتي قدْ تُرجمتْ في مكتبي:

إنَّ المحادثاتِ مع القاضي العرشي مستمرةٌ، وأملي أن أُزودَكم بالمزيدِ من الاتصالاتِ حول هذا الموضوعِ في مراسلتي القادمةِ، وفي نفسِ الوقتِ أُرفق لمعلوماتِكم الترجماتِ الانجليزية لنسخِ الرسائلِ التاليةِ:

١ : رسالةُ الميجر باريت رقم ٢١٨ إلى الإمام

٢ : رسالةُ الإمام لي وردُّه على الميجر باريت

٣ : رسالةٌ من الإمام إلى الإدريسيِّ وردُّ الإدريسيِّ

٤ : رسائل من الأميرِ فيصل إلى الإمام ومحمود نديم بك

٥ : تفسيراتُ القاضي العرشي للنقاطِ المثيرةِ للشكلِ في رسالةِ الإمامِ

وملاحظاتي عليها،

لي الشرفُ أن أكون سيدي

خادمَكم المطيع

القائد العام اسكوت

المقيم السياسي، عدن

Secret No. 29

ADEN RESIDENCY,

30th June 1921.

From,

Major-General T. E. Scott, C.B., C.I.E., D.S.O.,

Political Resident, Aden.

To,

His Majesty's Secretary of State for the Colonies,

London.

Sir,

I have the honour to invite a reference to my telegram No. C.O.10 of 15th June 1921 reporting the arrival in Aden of the Imam's emissary the Qadhi Abdulla al Arashi.

This emissary brought with him two letters one to my address and one to the address of Major Barrett my First Assistant, in reply to a letter No.C.218 which Major Barrett wrote to him in accordance with the decision reached at the Cairo Conference on Middle East affairs.

The Qadhi al Arashi, who is the same emissary sent by the Imam to Aden in 1917 to negotiate a treaty, is not a plenipotentiary but states that he has power to discuss matters with the Aden authorities and to submit for the approval of the Imam any proposals for a treaty of friendship between the two Governments. He also states that he is empowered to sign the treaty after approval by the Imam.

The Imam's letter is written in his usual friendly style and is considerable advance on previous communications received from him in that he now shows an inclination to respect the Aden Protectorate as is shown in the words:-

"Regarding those who are entitled to the protection of the Great British Government from of old, please understand that if Government will not encourage them to be inimically and hostilely disposed towards us, they will get from us at all times nothing but respect and affection

and

and they will also receive benefits from us."

628

Although the Imam shows an inclination to meet us in the Aden Protectorate, his letter shows no abatement in his hostility to the Idrisi to whom he states we have been sending "useless exports" i.e. arms and ammunition.

The Qadhi in conversation shewed uncompromising hostility to the Idrisi which is not borne out by the copy of a letter from the Imam to the Idrisi, and the Idrisi's reply thereto, received from Captain Fazluddin, which I enclose for your information. These letters, if genuine, show that the Imam is not as averse to coming to a compromise with his rival, as he pretends to be and is still ready to pull the religious string against us.

The Imam appears to consider that Major General Sir James Stewart, the late Resident, was actuated by feelings of hostility to him, whereas it was of course the Imam's own attitude of acquiring everything and giving nothing that rendered it so difficult to enter into friendly relations with him.

The Amir Faisal visited Aden on 15th June and accorded an interview to the Qadhi al Arashi and thereafter wrote a friendly letter to the Imam and also a letter to Mahmud Nadhim Bey, ex-Wali, advising him to leave the Yemen. I enclose, for your information, English translations of these letters made in my office.

Conversations with the Qadhi al Arashi are proceeding and I hope to make you a further communication on this subject by the next mail. In the meantime I enclose, for your information, English translations and copies of the following letters:

1. Major Barrett's C.210 to the Imam
2. The Imam's letter to me and his reply to Major Barrett
3. Letter from the Imam to the Idrisi and the Idrisi's reply.
4. Letters from the Amir Faisal to the Imam and Mahmud Nadhim

3.

Nadhim Bey.

5. The Qadhi al Arashi's explanation of doubtful points in the Imam's letter and my remarks thereon.

I have the honour to be,

Sir,

Your most obedient servant,

[signature] Major-General,

Political Resident, Aden.

ويروي مخطوطُنا خبرَ وصولِ جيكوب في سنة ١٣٤٢هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٩٢٣م إلى مقام الإمام في صنعاءَ، ومعهُ آخرُ، عرَّفه عبدُالكريم بن أحمد مطهر «بأنَّ ملامحه تدلُّ على أنَّهُ من أُمراء جنودِهم، ولكن أشارتْ إليه الوثائقُ البريطانيةُ بأنه الميجر سبيرز[1]، Major Spiers في مهمةٍ تجاريةٍ كما زعمَ جيكوب، وذلك بعد تقاعدِه من عملِه كمعاونٍ أولَ للمقيمِ السياسيِّ، عدن. ومع أنَّ الوثائقَ البريطانيةَ التزمتْ تجاهلَ مهمة جيكوب، فإنَّ مؤلفَنا عبدالكريم بن أحمد مطهر قد اسهبَ في حديثه عن المهمةِ التي جاءَ جيكوبُ ورفيقُه من أجلِها. حيثُ كانَ جيكوبُ قد أُحيل على التقاعدِ، فبعثَ بعدةِ كتبٍ إلى الإمامِ يطلبُ السماحَ له بزيارةِ صنعاءَ ومقابلةِ الإمامِ للبحثِ في أُمورٍ تجاريةٍ بحتةٍ تتصلُ بتنفيذِ مشروعِ تمديدِ سككِ حديديةٍ في اليمنِ واستخراجِ المعادنِ من قبل شركة انجليزيةٍ اطلقت على نفسها اسم الشركة الزيدية، وحين وصلا وأقاما تحتَ رقابةٍ صارمةٍ فُرضتْ عليهما، اشتغلا لمدةِ أربعةِ أيّام في نصبِ نماذجَ لسككٍ حديديةٍ تسيرُ عليها قطاراتٌ وقد كُتبَ على القطاراتِ عبارةُ «الشركة الزيدية».

وكان للإمامِ يحيى معَهما لقاءاتٌ كانتْ محصلتُها النهائيةُ «أنَّ الخوضَ في هذا الأمرِ متوقفٌ على حصولِ معاهدةٍ بين دولةِ الإمامِ وبين حكومةِ الإنجليزِ، ولم يتم ذلكَ حتى الآنَ، وَمن المعلومِ أن الدخولَ في هذهِ الأُمورِ والنظرَ في المقبولِ منها والمرفوضِ يتوقفُ على إبرام المعاهدةِ، وإلاّ كان ذلكَ داعياً للنزاع»[2].

وحين التئَم مجلسُ الإمامِ في المقامِ، أعادَ على أسماعِ المجتمعين ما قام به

---

(1) Records of Yemen, Vol. 6. P. 698

وفيه أنه وصل Major spiers، في ١٢ اكتوبر وأنه وصل غادر إلى صنعاء عن طريق المخا في ٢٨ اكتوبر ١٩٢٤.

(٢) كتبية الحكمة، ٣٠١.

الساسةُ البريطانيونُ في بدايةِ سيطرتِهم على الهندِ، حيث شكّلوا شركةً سمّوها «الشركة الهندية»، تعاطتْ أعمالَ التجارةِ في الهندِ، ثم ما زالتْ أعمالُها تتسعُ حتى استعانَ بها ملوكُ الهندِ في حروبِهم مع بعضِهم البعض، والشركةُ قامتْ بتشكيلِ فرقٍ عسكريةٍ أطلقتْ على بعضِها الفرقة الجعفريةَ إرضاءً للشيعةِ وعلى الفرقةِ الأُخرى «الفرقة العمرية» ارضاءً للسنةِ، وقدمتِ الأموالَ والسلاحَ والذخائرَ للفرقتين ودعمتِ الحروب بينَ ملوكِ الهندِ، حتى إذا حانتِ الفرصةُ أعلنتِ الشركةُ بيع أملاكِها ومصالحِها إلى الحكومة البريطانيةِ التي أسرعتْ إلى الاستيلاءِ على نحو سبعين مملكة في البلادِ الهنديةِ. ما بينَ مسلمةٍ ووثنيةٍ، وصارتْ كلُها تحت حمايتِها وأضافَ ملكُ انجلترا إلى لقبِه أيضاً ملكَ الهندِ، فلا بُدَّ من الحيطةِ والحذرِ من ألاعيبِ الانجليزِ، لا سيما وأن جيكوبُ هذا موصوفٌ بالدهاءِ والمكرِ والخديعةِ[1].

ومما يجدرُ ذكرُه هنا، بأنَّ جيكوبَ، المعاونَ الأول للمقيم السياسي في عدن، ومنذُ سنة ١٩١٨ كانَ يحومُ حولَ الإمام بدافع من مصالح بلدِه وسعياً لتحقيقِ طموحهِ الشخصي فحينَ نجحَ فلبى نامَ على أكاليلِ الغارِ، أما لورنس فوجدَ نفسه خارجَ الحلبةِ في الحجازِ. وأمّا جيكوب فلا يزالُ يبحثُ عن المجدِ الشخصي.

لقدْ تناولتِ المصادرِ المعاصرةُ قصةَ احتجازِ بعثةِ جيكوب إلى الأمام في باجل من قبلِ قبائلِ القحري الشافعيةِ[2]، حيثُ غادرَ عدن في ١٤ أغسطس

(١) كتيبة الحكمة، ٣٠٢.

(٢) وردت أخبار بعثة جيكوب في: ملوك شبه الجزيرة العربية لجيكوب نفسه، ٢٦١ - ٣٠، ملوك العرب لأمين الريحاني، ١/ ٢٠٢، مذكرات سفير، ٧٩، وكانت تفصيلات البعثة موضع عناية السلطات البريطانية ورجال المخابرات وأعوان رجال المخابرات من العرب وغيرهم في الصفحات (٤٤٨ - ٤٥٢)، ٤٥٦ - ٤٥٩، وكتب هو نفسه تقريراً في ١٦ فبراير ١٩١٩ من المجلد السادس من وثائق (سجلات اليمن)؛ انظر Sixth News Letter

(آب)، ١٩١٩ ووصلَ إلى الحديـدةِ يوم ١٦ أغسطس وتحركَ يـومَ ٢١ أغسطس (آب) من الحديـدةِ إلى بـاجل وهناكَ احتجـزَتْـه قبيلـةُ القُحري، وتـولّى شيـوخُ القُحري، أبوهادي، ويحيى على مزربه وإسماعيل بغاوي ومحمد زيد وأحمد حزام المحـادثـات مع منـدوبين الإمام والحكـومـةِ البريطـانيـةِ، شاركَ فيهـا السيـدُ عبدُالقادر الأهدل بالرغم من تحليق الطـائرات البريطانية فوق باجل لإرهابهم، وكانت مطالبُهم وفقاً للوثائقِ البريطانيةِ:

- تأكيـداتٌ من بريطـانيـا بمنحِهم الاستقلالَ، وعـدمِ تـركهِم لقواتِ الإمـامِ لإخضاعِهم وإلحاقِهم بدولتِه، أو الإدريسيِّ.
- التعـويضُ عليهم لقـاءَ الخسـائر التي لحقتْ بهم بسبب مهـاجمةِ بـلادِهم في باجل ومصالِحِهم في الحديدةِ بالطائراتِ والمدافعِ، ودفعُ تعويضاتٍ (ديات) لورثةِ الذين قُتلوا بسببِ هجماتِهم.

ولم يواصلْ جيكـوبُ رحلتَه إلى صنعاءَ، وإنَّما سمـحَ لأفرادِ البعثةِ بـالعودةِ إلى عدن في ١٢ ديسمبر ١٩١٩م ومنذَ ذلك الحينِ وهـو يحاولُ لقاءَ الإمامِ ولعلَّهُ اتخذَ من التجارةِ هذه المرة ساتراً لمهمتِه الأصليةِ.

ويتذكرُ جيكوب كيفَ رفضَ شيوخُ القُحـري عرضَه بتقديم (٥٠) ألفاً من الجنيهـات الاسترلينية كفـديةٍ، وكـان جوابُ المشـايخِ «نحنُ لا نـريدُ شيئـاً من نقودِكم القذرةِ وأموالكم المحرمةِ We Want none of your Fifth Lucre.

وبالرغـمِ من محاولةِ جيكوب التجاريـةِ هذه المرة، فإنّه عادَ خـالي الوفاضِ من صنعاء، لتبـدأ مرحلـةٌ جديدة من صراعِ الإمـام يحيى معَ الانكليز، وهـو مَا يكونُ مـوضعَ عنايةٍ في المؤلفـاتِ التي صُنفتْ بعد كتـابنا هذا «كتيبـة الحكمة» وإنّما المخابـرات مستمرةٌ لما يمكـن فيه الوفـاقُ بين الانجليزِ والإمـامِ، ولَم تصل المراجعةُ إلى درجةِ الختامِ والنهايةِ.



الباب السابع

المؤرخ والمخطوط

الفصل الأول: المؤرخ

المبحث الأول: سيرةُ حياةِ المؤرخ

المبحث الثاني: منهجُه في الكتابةِ التاريخيةِ

الفصل الثاني: المخطوط

المبحث الأول: أهميةُ المخطوطِ بين المصنفات في سيرة الإمام يحيى

المبحث الثاني: وصفُ المخطوط

الباب السابع
المؤرخُ والمخطوطُ

الفصلُ الأولُ:

المبحثُ الأول: سيرةُ حياةِ المؤرخ:

هو عبدُ الكريمِ بنُ أحمدَ بنِ عبدالله مطهّر الصنعاني، ولدَ بمدينةِ صنعاء سنةَ ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م كما وردَ عندَ زبارة[١]، أو في إب أو العُدَيْن كما ذكره الأكوع[٢]، والأرجحُ ما أشارَ إليه زبارةُ، فإنّ تفّحصَ سِيَرِ شيوخِه الذين درسَ عليهم ينتهي بنا إلى أنّ النشأةَ الأولى لمؤرخِنا كانت في صنعاءَ، اللهمَّ إلا إذا كانَ والدُه وأسرتُه يومَ ولادتِه في إب أو العُدَيْن، وهو ما لم يتوصلْ إليه الباحثون في سيرةِ المؤرخِ حتى الآن. درسَ علومَ العربيةِ والفقهِ والأصولِ والتفسيرِ والحديثِ والفروعِ، وأجاد النحوَ والبيانَ والمعاني. وكان شاعراً بليغاً، وعُرف من شُيوخِهِ:

العلامةُ الحسينُ بنُ علي العَمْري حيث درسَ عليه سننَ النسائي وصحيحَ مُسلم والأدبَ المفردَ للبخاري، ومن الفقه، درسَ عليه البحرَ الزخار والروضَ النضير، والعلامةُ علي بنُ حسين المغربي، المحقّقُ في الفروعِ والحديثِ والنحو،

(١) نزهة النظر، ٣٥٨.

(٢) عالم وأمير، ٢٢٦.

وكان يـوصفُ بأنه عـلامةُ عصرِه، ولازمَ التدريسَ في جـامعِ صنعاءَ، والعـلامةُ إسماعيلُ بنُ علي الرَّيْمي، الذي كانَ بارعـاً في الفروعِ، والعلامةُ محمدُ بنُ قاسم الظفري، الـذي تصدّر للوعظِ والإرشادِ والخطـابةِ والتدريسِ بجامعِ الـرَّوْضَةِ، وقـد سمعَ عليـه دروسَـه في النحوِ والبيـانِ والفـروعِ والمعـاني والحديث، وحين انتهى من دراستِه لكتابِ «تيسيرِ المطالبِ في السيدِ أبي طالب» سنةَ ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م على شيخِـه محمدِ بنِ قاسم الظفـري، قـال يمتـدحُ الكتابَ المذكـورَ شعراً:

أإشراقُ بدرٍ في دياجي الغياهبِ … أزالَ من الظّلماءِ ضخم الكتائبِ

وقد أوردَ صـاحبُ نزهةِ النظـرِ، طلبَ مؤرِّخنـا الإجازةَ من شيخِه العـلامةِ حسينِ بن علي العمري، فكتب إليه:

أنادي يـراعي وهو في الطّـرسِ راكعُ … يحرِّرُ مـا تصغي إليـه المسـامعُ
بعثتُ القـوافي تستجيـزُ إجـازةً … سـواكَ لها لا يُـرتجى ويُـراجعُ
أجِـزْ ليَ يـا مـولايَ وامنُنْ تفضُّـلاً … عليّ فلي من فضلِك اليـومَ شـافعُ
ومـا شئتُـه شرطـاً عليّ قبـولُـه … أدينُ بـهِ أني لأمـرِكَ طـائع[1]

وقـرأ مؤرخنـا كتبَ السنَّـةِ على عدةٍ مـن العلماءِ أيضاً. حتى إذا بلغَ درجـةً عاليـةً من إتقانِه فنـونَ اللغةِ وآدابها، ووُصِفَ شعـرُه بالجزالةِ، وصـاقبَ الذروةَ العليـا من طبقـاتِ البلاغـة، وفـدَ عليه طلبـةُ العلمِ، فأخـذ عنه أحمدُ بنُ أحمد السياغـي، الفقيهُ الـذي استُشهِدَ في معـركةِ تنـومة سنـة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، والقـاضي عبـدُاللهِ بنُ محمـد بن محسـن السرحي، حيث درسَ عليـه في الإيسـاغـوجي (المدخل إلى علم المنطق)، وشرحَ ابن عقيل في النحـو[2]. هـذا

(١) نزهة النظر، ٣٥٩.
(٢) نزهة النظر، ٣٩٤.

إضافةً لإجادتِه اللغةَ التركيةَ. وقد وُهِبَ قدرةً إبداعيةً في الإنشاءِ والشعرِ علاوةً على حسنِ الخطِّ وجمالِه، مما أهّلَهُ ليتولّى الوظائفَ في العهدِ العثماني، فشَغِلَ مناصبَ قضائيةً وإداريةً، منها: الكتابةُ في مجلسِ التدقيقاتِ للأحكامِ الحنفيةِ بصنعاء، وعُيّنَ سنةَ ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م كاتباً ثانياً في محكمةِ الاستئنافِ الشرعيةِ بصنعاءَ، ولما كان راتبُه في الوظيفةِ الجديدةِ أقلَّ منه في مجلسِ التدقيقاتِ فقدْ رفضها.

وبعدَ استقرارِ الإمامِ يحيى في صنعاءَ، سنةَ ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، انتقلَ للعملِ في المقامِ الإمامي بتزكيةٍ من صهرِه عبدِالله بنِ حسين العمري ومعه أخواه محمدٌ وحسين، وترقّى حتى أصبحَ رئيسَ الكتّابِ، يكتبُ الرسائلَ والبلاغاتِ وأوامرَ التعيينِ، ويُعتبرُ من أعلمِ رجالِ المقامِ في ذلك العصر.

ويوردُ كتابُ الدرر المنتقاةِ خبر شكوى مؤرخِنا للإمامِ يحيى، لمّا خرجَ عبدُ الكريم بنُ أحمد مطهر من صنعاءَ إلى شبام في سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م لشراء الحبِّ لأهلِه، فتعرّضَ له العساكرُ، ورُميَ بأنه يحملُ الطعامَ إلى الأتراكِ، وألحقوا بِهِ بعضَ الأذى، فكتبَ إلى الإمام شكايَته وجاء فيها:

شكوى إليكَ أميرَ المؤمنين لمّا ... تلقانيَ[1] بالأمسِ بعدَ العصرِ من عارِ
قد كانَ ما كانَ فيها لا أطيقُ له ... وصفاً لموقعِ تخويفي وإذعار
فالبعضُ منّا ترى عينيه قد همّلتْ ... حزناً وآخرُ في تقليبِ أفكارِ
فانظرْ إلينا أميرَ المؤمنين فقدْ ... أوهى القُوى حادثٌ لم يجرِ في دارِ
وامنُنْ علينا بتنفيسٍ لكربتِنا ... أولاك كلَّ المرامِ الخالقُ الباري

ثم خاطبه بعباراتٍ بليغةٍ وسردَ شكواه وما لاقاه من العساكر

ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ مؤرخَنا كان من أعضاءِ اللجنةِ التي وفدتْ على

(١) الدرة المنتقاة، ٧٢-٧٣، وفي البيت الأول خلل عروضي.

محمد بن علي الإدريسي في ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٢م للبحث فيما يكونُ بِهِ الصلحُ وحقنُ الدماءِ وتسكينِ الدهماءِ وإراحةِ الناسِ، وقد ترأسَ الوفدَ الوالي العثمانيُّ محمود نديم بك وضمَّ القاسمَ بنَ حسين العزي، ناظرَ الأوقافِ الداخليةِ، وحسين كامل، رئيسَ التدقيقات، والسيدَ محمدَ بن عبدالرحمن الأهدل، من علماءِ تُهامةَ والسيدَ عبدَ القادر بن محمد الأهدل، وفشلت اللجنةُ في مسعاها ولم تقابل الإدريسي، لما كان قدْ أمضاه مع الطليانِ والإنجليزِ من تحالفٍ واتّفاق(١). وفي مرحلةٍ لاحقةٍ كلّفه الإمامُ يحيى باصدارِ جريدةِ الإيمانِ التي كانتْ أولَ صحيفةٍ لدولةِ الإمام، وتنشرُ أخبارَ الدولةِ، والبلاغاتِ الرسميةَ والتعيينات(٢).

كما كلّفه الإمام سنةَ ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م برئاسةِ اللجنةِ للتحقيقِ مع محمد ابن قاسم أبو طالب ومحمد محمود الزبيري في قضية جمعيةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، حيث ضمَّت في هيئتِها، زيدَ بنَ علي الديلمي، والأميرَ عليّ ابن عبدالله بن أحمد الوزير وعبدَالله بنَ أحمدَ الوزير وعاملَ صنعاءَ حسينَ بنَ عبدِ القادر والقاضي لطف بن محمد الزبيري(٣).

ويتضحُ من وثائقِ الإمامِ يحيى التي كانت تُحفَظُ في المقامِ، استمرارُ مؤرخِنا في وظيفتهِ كرئيسٍ للكتَّابِ حتى ما بعد ٩ صفر سنة ١٣٥٧هـ/ ١١ أبريل ١٩٣٨م، فالوثيقةُ المرسلةُ إلى سيفِ الإسلام الحسينِ بنِ الإمام يحيى حميد الدين وهو في طريقهِ إلى اليابانِ لحضورِ حفلِ افتتاح الجامع هناك بدعوةٍ من الجمعيةِ الإسلاميةِ بطوكيو وقبولٍ بالغ من الحكومةِ والأمبراطورِ الياباني، كانت بخطِّ عبدِالكريم بنِ أحمدَ بنِ عبدالله مطهر. وفي الوثيقةِ تبرعٌ من الإمامِ يحيى

(١) نزهة النظر، ٤٧٨.

(٢) تحفة الاخوان، ٨٨، هجر العلم، ٤٤٠.

(٣) حياة الأمير، ٣٨٩.

بمبلغ ١٣٠٠ جنيهاً لمنكوبي فلسطين، تُسَلَّمُ للحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين المقيمِ في لبنان و٢٥٠ جنيهاً إعانة لمنكوبي الفيضاناتِ حوالي دمشق[1].

وتوفي مؤرِّخُنا في صفر سنة ١٣٦٦هـ/ يناير ١٩٤٧م، بعد مرافقةٍ للإمامِ يحيى جاوزتْ الثلاثين عاماً، وخلَّفَ من الأولادِ الذكورِ القاضي عبد الغني والقاضي محمد وهما من أهل المعرفة والثقافة[2].

المبحث الثاني: منهجُه في الكتابةِ التاريخية

من خلالِ نظرِنا في كتابِ «كتيبة الحكمة» وتحليلِنا للروايات الواردة فيه، فإننا نسجِّلُ الملاحظاتِ التالية:

- أوضحَ مؤرِّخُنا سببَ إقدامِه على تصنيفِ «كتيبة الحكمة»، وهو «انتدابُه للقيامِ بهذا الواجبِ بعدَ الإيعازِ والإلزامِ ممن طاعتُه فرضٌ لازب» فالكتابُ قد كُلِفَ به باعتبارِه أحدَ كُتّابِ المقامِ الإمامي، وأنه يشعرُ بالعجزِ والقصورِ عن الإحاطةِ بكلِّ مجرياتِ الأحداث، لأنَّ عصرَ الإمامِ يحيى قد امتلأ بوقائعِ الجهادِ لإعلاءِ شوكةِ الدين، فكأنه «مُكره أخاك لا بطل»، وهذه مقدِّمةٌ اعتادَ المؤرخون الرسميون على إبرازِها في كتاباتِهم حتى لا يقعَ الواحُد منهم تحتَ طائلةِ الخطأ أو النسيان، وهي اعتذارٌ عن التفسيرِ الذاتي للحدثِ إن تخالفَ أو تضاربَ مع رؤية ذوي السلطان في بيانِه.

- وبالرغمِ من ذلك، فإنَّ مؤرِّخَنا يرى في التاريخ ديوانَ العبرِ ومطمَح أنظارِ ذوي الفكرِ، ومسرحاً للتجاربِ العديدةِ، وآلةً لتثقيفِ العقولِ بمعرفةِ الآراءِ السديدةِ، فالعظةُ في الأخبارِ «كفى باللهِ مرشداً فيما يقصُّ من الأخبارِ»،

---

(١) هجر العلم، ١٧٥٨.

(٢) نزهة النظر، ٣٦٠، تحفة الإخوان، ٨٨، هجر العلم، ٤٤٠.

وعليه يـرى مؤرخُنـا أن حوادثَ التـاريخِ عِبَرٌ وعِظاتٌ، وهي نظـريةٌ قـديمةٌ إن صـدقَتْ على القصصِ كإحدى وسـائلِ التربيةِ، فإنّها لا تـوافقُ فلسفةَ التـاريخِ المستنـدةَ على دراسةِ الماضي وإحيـائه لخدمةِ المستقبلِ، فـالتاريخُ في مثلِ هـذه الحالةِ الأخيرةِ يزوّدُ الباحثَ بالقدرةِ على تحليلِ واقعِ المجتمع، وإدراكِ العواملِ المؤثّرةِ في صنعِ الحدثِ واستمراريّتهـا من عَدَمِهِ، وبالتـالي فهمُ المجتمعِ ودرايةِ مشاكلِه والقوى الفاعلةِ في صياغةِ تاريخه.

- ويرى مؤرّخُنـا أنَّ تدوينَ سيرةِ الإمامِ يحيى، «كتيبةَ الحكمـةِ»، ما كان إلا اقتـداءً بما سُجِلَ من أخبـارِ آلِ البيتِ النبـوي فيما سلف، لا سيّما وأنّ أحـداثَ عصرِ الإمامِ يحيى فيها مـا يربو على أحداثِ عصـورِ الأئمةِ السالفين في العصرِ الحديث، لأنها نظّمتْ شتاتَ المسلمين وتجدَّدتْ وتعمّرت معالمُ الدين، والمؤرخُ هنا يـودُّ التنبيهَ إلى مأثرةِ الاستقلال التي تحقّقَتْ في عصرِ الإمـامِ يحيى، والعودةِ إلى تطبيقِ أحكـامِ الشريعةِ الإسـلاميةِ بـدلَ القوانين الـوضعيةِ التي كـان يجري العملُ بها وفقَ لوائحِ وقوانينِ «مجلةِ الأحكامِ العدلية»(١).

- أوردَ مؤرّخُنـا العديـدَ من الآياتِ والأحـاديثِ النبـويةِ والأقـوالِ المأثورةِ والأمثـالِ والأشعار الكثيرة، ومع أنّ المؤرخَ كـان يـرغبُ في ترسيخِ قـوةِ الحدثِ عندَ القارىء، ويـدعمُ مقولتَه بالبراهين القطعيةِ المستنـدةِ إلى الدين، فإنّها تدلُّ على سعةِ واطلاعِ وثقافةِ المؤرخِ، ولاغروَ، إذ اعُتِبَر مؤرخُنا من أعلمِ رجالِ عصرِهِ آنذاك.

- يبـدو واضحـاً من منهـاجِ مـؤرّخِنا في الكتـابـةِ اطـلاعُـه على التغيراتِ والتطوراتِ الـواقعةِ في العـالمِ، وفهمِه لما يجري من أطماع عنـد القوى المتنـافسةِ على اقتسـامِ العـالمِ الإسـلامي، ومن الإثـارةِ بمكـانٍ مـا أورده حـولَ الانجليـزِ وفلسطين وبيتِ المقـدس، إذ قـال «وجعلـوا فيهـا يهوديـاً من يهودِ الإنجليـز

---

(١) كتيبة الحكمة، ١.

(ويقصدُ المندوبَ الساميّ هربرت صمـوئيل)، ووعدوا اليهود بالوطنِ القومي، ومعنى الوطنِ القومي كما فهمه مؤرخُنـا «أن يعتبروا فلسطين وطناً قومياً لليهود، ومعنى هـذا: أنه متى اجتمعَ اليهـودُ من أقطـارِ الأرضِ إلى تلك البلادِ، وأكثـرُ ممنْ فيهـا مـن المسلمين والمسيحيين، أمكنَ لهم أن يقيمـوا فيهـا دولـةً يهوديـةً، وأوحوا إلى اليهـودِ أن يؤلّفوا لهم جمعيـاتٍ لدعوةِ اليهـودِ من أقطارِ الأرضِ إلى سكنى فلسطين» ويضيف «وقد ظهرتْ آثـارُ هذه الدعوةِ في يهودِ اليمنِ، فكثيرٌ منهم قصـدوا بيتَ المقدسِ بعيـالاتِهم خلافَ العـادةِ، والمسلمون والمسيحيـون هناك لا يزالون يحتجّون على الإنجليـز، ولم يظفروا من الإنجليزِ بالاعترافِ بأنهم قد أبطلوا اعتبارَ فلسطين وطناً قومياً لليهود»(١).

ونقفُ عندَ عبـارةِ، «وطن قومي لليهـود في فلسطين» و«أمكَن لهم أن يقيموا دولـةً يهوديـة». و«أكثر من المسلمين والمسيحيين» و«المسلمـون والمسيحيـون لا يـزالون يحتجـون» ففهمُـه بقيـام دولةٍ يهوديـةٍ في فلسطين، ثم عـدمُ الفصلِ بينَ المسلمين والمسيحيين من أهلِ البلادِ، في فلسطين، واستغرابُـه لاقتصارِ مقاومةِ المسلمين والمسيحيين في فلسطين للوطـنِ القومي بـالاحتجاجـاتِ دونَ الجهاد، هو فهمٌ يتقـدّمُ على إدراكِ القياداتِ والزعاماتِ الفلسطينيـة آنذاك، والكثيرِ من القيـاداتِ الإسـلاميــةِ وبعضِ الأفـرادِ مثل أحمد لطفي السيـد وطــه حسين حينـذاك، وهـذا ينبىءُ بـدرجـةِ الوعـي السياسي والتـاريخي الـذي كـانَ يحوزُه مؤرّخُنا، ومثلُ هذا ينسحبُ على وعيِه لـدوافع الحربِ بين تركيا واليونان، ونتائج معـاهـدةِ سيفـر التي سيترتبُ عليهـا تمزيقُ الامبراطـوريـةِ العثمانيـةِ كما يفسّرُهُ مؤرخُنا(٢)، وفهمِه للتحـالفاتِ العربيةِ في الجزيـرةِ العربيةِ والـوطنِ العربي مع القـوى الفـرنجية، «بأنها مـؤقتـة، ومـا صنعتْ تلك التحـالفاتُ، ومـا قـدّمت

---

(١) كتيبة الحكمة، ١١١.

(٢) كتيبة الحكمة، ٦١.

الأموالَ والإمـدادات للزعامـاتِ العربيةِ المتحـالفةِ مع القـوى الأوروبية إلا منْ أجلِ مصـالح القـوى الأوروبية، ومـا الـزعـاماتِ العـربيـةُ إلا مطيـةٌ لرغبـاتِ الأوروبيين الكَفّـار»، وظهـرَ وعيُه المتميـزُ في إدراكِـه لأحـداثِ تلك الحقبـة من التاريخ العربي والإسلامي[١].

- لقـد خـرجَ مـؤلفُنـا عن نمطِ ومنهــاجِ المؤرخين اليمنيين في العصـورِ المتأخرةِ، والـذي يوصفُ منهجُهم في الكتابـةِ التاريخيةِ بأنه «محليٌّ»، إذْ نـادراً ما يتناولُ المؤرخون قبلَ مؤرخِنا الأحداثَ التي تتجاوزُ البحرَ والمحيط، أما مؤرّخُنا فقـد أرّخَ للأحـداثِ في الهنـدِ واستانبـولَ والعـراقِ وسوريـا وفلسطينَ والأردنِ والحجازِ وروما وفرنسا ولندن وأثينا.

وهذا يخبرُ بنوعيةِ الوعي التاريخي الـذي يحكمُ كتابتَهُ التاريخيةَ، وإدراكُه بأنَّ الحدثَ التاريخيَّ له نتـائجهُ التي تنعكسُ آثارُها على العـالمِ في مجالاتِه المختلفةِ. فمـؤرخُنـا يـرى الحدثَ في إطـارِه الشـاملِ والممتـدِ وليس «المحلي والمحـدود»، وعليـه، يصنَّفُ مـؤرخُنـا كواحـدٍ من بينَ المؤرخين العـالميين، المهتمين بتـاريخِ الإنسانية.

- وأضـافَ مـؤرّخُنـا إلى شخصيتـه كمشتغلٍ بتـدوينِ التـاريخ تسجيلَ الانجـازاتِ الحضاريـةِ الجديـدةِ في ميادينِ العلـومِ والفنـونِ، فأرّخَ للأسلحـةِ والمدافعِ والسياراتِ والدباباتِ المدرّعـةِ والطائراتِ، وكيفيةِ سيرِ وعملِ البوابيرِ البريةِ (السكة الحديد). وأرّخَ لمصـانعِ الذخيرةِ والتلغرافِ السلكي، والتلغرافِ اللاسلكي، وكانَ دقيقاً في تعبيرِه عن التلغـرافِ السلكي بأن عَرّبه إلى «البرقِ». واللاسلكي وعَرّبـه إلى «طار الهواء». وكانَ يفسّر الاصطلاحـاتِ التركيةَ المتعلقةَ

---

(١) انظر، كتيبة الحكمة الصفحات، ١٠٩، ١١١، ١٦٤، ١٩١، ٢٩٠.

بـالأسلحـةِ مثل أردو: جيش، وطوبجي ومعنـاه: طـوب مـدفع وجي وهي أداة نسبـة، ومعنـاهـا الكلي «المدفعي» ثم يصفُ آلاتِ ومكـائنَ عملِ المعـاملِ وإصلاح المدافـع وصناعةِ قُلَـلِ المدفع. وتتصّفُ مشاهـداتُه العلميـةُ بالـدقةِ. ولـذا، يمكنُ أن يُـدرَجَ مؤرخُنـا من هـذه النـاحيـةِ بينَ مؤرخي تـاريخِ العلـومِ والتكنولوجيا.

– كـانت المصادرُ التي اعتمـدَ عليها مـؤرخُنا، مصـادرَ أوليةً، إذْ أنَّ عملَـه كـرئيسِ كُتّابِ المقـام، أتـاحَ له فـرصةَ الاطـلاع المبـاشرِ، ورصدَ الأحـداثِ من مظانها الأولى، ومعرفةَ أسبابِها ونتائِجها، ولأنه الكاتبُ المنشىءُ الأول في المقام، كان على بصيرةٍ من الإجراءاتِ والتعليماتِ والأوامـرِ والخططِ والرسائلِ والكتبِ الأصليةِ التي تعلّقتْ بالخبرِ، وبالتالي التحققُ من سيرِ وقوعه ونتائجِه. ويبدو أنَّ مؤرّخَنا كـان دائمَ الاستقصاءِ لثبتِ الروايـةِ فيورد: «قال حاكمُ العر»[1] و«حكى غيرُ واحدٍ من الواصلين من عدن» و«أبلغني» و«قال»[2].

أو يعتمـدُ على مصادرَ مـوثـوقـةٍ كانـوا شهـودَ عيان، فقـد أثبتَ روايـاتِ الحجـاج اليمنيين عادوا من مـوسمِ الحج، وأبلغـوا عما شـاهدوه أو سمعـوه في الحجازِ»[3].

ويعتقِـدُ محقّقُ كتابَ «زورق الحلـوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللـواء» أنّ مؤرخَنا قد اعتمـدَ على كتابِ «زورق الحلوى» اعتماداً رئيسياً، ودلّل على ذلك أنَّ الإمامَ يحيى قد علّقَ على الكتابِ المذكـورِ بتعليقاتٍ مفيدةٍ، وأنَّ الإمامَ يحيى قد زوّدَ مؤرخَنا بكتـابِ زورقِ الحلوى مع إضافاتٍ جـديدةٍ باعتبارهِ مـركزَ الأخبارِ

---

(١) كتيبة الحكمة، ٩٥.

(٢) كتيبة الحكمة ، ٣٣.

(٣) كتيبة الحكمة، ١٢.

الواردةِ من مختلفِ النـواحي والفئات[1]. ومع أننا لا نستبعدُ ذلـك، ونراه ممكناً، فإنْ عَرَضْنا لكتـاب مؤرّخنا على رواياتِ زورق الحلوى، وجدْنـا إتفاقاً في بعضِ الرواياتِ، وتناولاً لبَعضِها بصورةٍ أكثرَ تفصيلاً، وكثيرٌ منها انفردَ بها مؤرِخُنا، مما يجعلُنا نُقرُر بأنَّ اعتمادَه على كتابِ زورقِ الحلوى كان محدوداً[2].

- والمسألةُ الأكثـرُ أهميةً، وتستحقُ النظرَ الـدقيقَ من البحثِ المتأني هي في تقديـرِ مدى التـزام مؤرِّخِنـا بالحيـادِ والنزاهـةِ والأمانـةِ في تناولِـه لسيرةِ الإمامِ الشخصيـةِ، وفي تأريخه لــلأحـداثِ بشقَّيْهـا: الأحـداثِ اليمنيـة، وتلك التي اتصلتْ بأخبارِ الصراعِ والعـلاقات مع القوى العربيـةِ (الإدريسي، ابن سعود، الشريف حسين)، والقوى الأجنبيةِ بريطانيا بالـدرجة الأولى، وإيطاليا بالدرجةِ الثـانيـة. وقبلَ الإجابـةِ على السـؤالِ بهوى أو انحيـاز، فإننا نعـودُ إلى مـا وردَ في «كتيبة الحكمة» حـولَ هذه المسألةِ، وكأني بالمؤرخِ كان مـدركاً لما يمكنُ أنْ يُثارَ حولَ نـزاهته وعدالتِـه في كتابه، فيروي عبـدُ الكريم بنُ أحمد مطهـر «والتاريخُ خيرُ كفيلٍ بسردِ أخبارِ العصورِ على شريطةِ الأمـانةِ، «إنّما المرءُ حديث بعده إذا انقضت المدة»[3]، ويقولُ في مـوضع آخر «والتـدوينُ لا يكونُ إلا بنصـبِ هذه الموازين، إلا إذا خُلِّصَ مـن أدرانِ الاختراعِ وثبتَ على أسـاسِ البرهـــان»[4]، ولإظهـار تقصيرِه في تقــديم الحدثِ بأصحِّ صـورةٍ يقــول «ولم يكنْ في وسعي وصفُ حُثـاثةِ ذلك المعملِ وأعمالِـه وإنما أثبتُّ هنا مـا قدرتُ عليـه، وانتصبَ بفكري حالَ تحريرِ هذه السطور».

ونخلصُ من كلِّ ما سبقَ إلى أنَّ «الأمانةَ» كانت هي المقصدَ والهدفَ، فإنّها شهـادتُـه أمـامَ اللهِ أولاً وأخيراً، والتـزودُ والاختراعُ والابتـداعُ ليست من أصـولِ

(١) زورق الحلوى، ٤٧١.

(٢) كتيبة الحكمة، ١٤٨.

(٣) كتيبة الحكمة، ٢.

(٤) كتيبة الحكمة، نفس الصفحة.

التدوينِ التاريخي، فقد جعلَ، ونصبَ للتدوين «ميزاناً» معيارُه «الأمانةُ والصدقُ» و«فسادُه في الاختراعِ والابتداعِ» والرأيُ لا يكونُ موثّقاً إلا إذا قامَ على أساسِ البرهانِ، فلا يقبلُ بالتدليسِ والتزويرِ» ونحن نرى أنَّ مؤرِّخنا ما كانت تُطْلَبُ منه الحياديةُ فهو يكتبُ سيرةَ إمامِه، ولا أقولُ وليّ نعمتِه، فإنَّ الإمامَ يرى السخاءَ في وضعِ أموالِ بيتِ المال في مكانِها ولا تُصرَفُ إلا في مستحقِّها، والتبذيرُ ما كان صرفُه في غيرِ موضعِه. ومؤرخُنا يرى في الإمامِ صانعَ ناموسِ الدولةِ الإسلاميةِ اليمنيةِ، ولولا وجودُ الإمامِ لكانَ نصيبُ اليمنِ مثلَ نصيبِ سائرِ الأقطارِ التي تسلّطَتْ عليها واحتلتْها القوى الأجنبيةُ، حينَ احتلتْ انجلترا: مصرَ، والأردنَ وفلسطينَ والعراقَ. وفرنسا احتلت سوريا ومزقتها إلى سبع حكومات، وبلاد المغرب تونس، والجزائر، والدولةُ العليةُ تمزقتْ والروسُ يحتلّون بخارى، وطرابلس يحتلُّها الايطاليون، والهندُ يحتلُّها الانجليزُ، حتى اليونان احتلتْ وفصلت أجزاءَ من الدولةِ العليةِ العثمانيةِ، والجزيرةُ العربيةُ متشاحنةٌ متنافرةٌ بسببِ دفعِ الانجليزِ لزعامتِها للقتالِ. وأجزاءٌ من اليمنِ، «عدنِ والمحميات» تئنُّ تحتَ النيرِ الانجليزيِّ. فلِمَ لا ينحازُ إلى الإمامِ، ويرى فيه المنقذَ من سطوةِ الطامعين. فالحيادُ في مثلِ هذه الحالةِ يظلُّ غيرَ ذي بالٍ. وحينَ يؤرّخُ للأحداثِ المحليةِ وخاصةً ثوراتِ وتمرداتِ القبائلِ ومحاولاتِ الانفصالِ من قبلِ لواءِ تعز أو تِهامةً أو غيرِها في الحُدَيْدَةِ واللحيةِ والمحمياتِ وعدن، فإنّه كان في بؤرةٍ تجميعِ الأخبار، ويدري بالمساربِ والاتصالاتِ التي كانت تجري والعلاقاتِ التي تُبْرَمُ في الخفاءِ، وعليه فقد كانَ أميناً في تاريخِه لوجهةِ النظرِ الرسميةِ إزاءَ ذلك. ولعلي في موضعٍ، وبعدَ اطّلاعي ودراستي وترجمتي لمجلداتٍ من الوثائقِ البريطانيةِ المنشورةِ في ثنايا هذا البحث أقول إنَّ مؤرخَنا كان أميناً في طرحِهِ لأسبابِ تلك الثوراتِ والتمردات.

- وأما الجانبُ الفنيُّ من الكتابةِ التاريخيةِ، فالأسلوبُ كان سلساً بسيطاً، ولكنّه افتقدَ إلى التبويبِ المنظّمِ، وقد وقعَ الاختلالُ في منهجيةِ الكتابةِ، فتراهُ

يؤرِّخُ بـالحولياتِ، المستندةِ إلى اليومِ والشهـرِ والسنةِ، ثم لا يلبثُ أنْ يُسْهِبَ في التاريخِ العـام، فلا الأحداثُ كانت حـوليةً التزامـاً ولا عامةً عرضـاً. فالحديثُ عند مـؤرِّخِنا ذو شجـونٍ. فيذكـر «وقد سبقَ لنـا الإلمامُ في أثناءِ حـوادثِ السنةِ الأولى، ذكـرُ بعضِ الحوادثِ الـواقعةِ في بعضِ الأقـاليم، بمنـاسبـاتٍ اقتضتْ ذلك، والحديثُ ذو شجون، فـرأيتُ إتماماً للفـائدة أنْ أذكرَ ما خطـرَ على البالِ عندَ تحريرِ هذا المقال».

فهو يؤرِّخُ ويـذكُرُ بعضَ الأحداثِ في بعضِ المناسبـاتِ، ثم يطلبُ الفائدةَ بما خطرَ على البال[1]، وفي مرّةٍ أخرى يذكرُ «وقـد فاتَ على جامعِ هذه السطورِ أن يذكرَ ما رُفِع إلى مولانا الإمام عند وصول.. الخ وكان الظفرُ حال تحرير هذه القصيدة للأخِ محمدِ بن أحمد المطهر[2]» والروايةُ تفيدُ أنّه قد كتبَ مسودَّةً لكتابةٍ ثم حرَّرَها، وفـاتَه شيءٌ ثم استدركه. وكانَ مؤرِّخُنا ينبِّـه إلى انتهاءِ الفصلِ الذي يحرِّرُه، وذلك بانتهـائِه من تدوينِ أحداثِ تلكَ السنةِ، فيـورد، قلتُ: «وقد تمَّ بما سرَدْناه من الوقائعِ العظام بيـانُ ما حصلَ في خلالِ هذا العام[3]» وفي تاليةٍ ذكر: و«بتمامِ هـذا وقفَ جوادُ القلمِ مستريحاً من بيـانِ حوادثِ هـذه السنةِ والماضيـة بمعظمِ ما حصل فيهـا من الوقائعِ والحروب»[4]. وفي مرةٍ ثالثةٍ «ههنـا ما قدرتُ عليه وانتصـبَ بفكري حـالَ تحريرِ هـذه السطور»[5]. فالكتـابُ يعوزُه التنسيقُ والانتظام، وقـد يقعُ مؤرخُنا في السهوِ، ويـدرجُ حدثاً في غير مكانِـه، فيستدركُ، ومثلُه حين قـال: «وأدرجتُ وفاةَ اسحـقَ بنِ عبدالله المجـاهد ههنـا في أحداثِ ١٣٣٩هـ للسهوِ عن ادراجِ ذلك في حوادثِ السنةِ الماضية»[6]. ومع ما في هذه المنهجيةِ الفنيـةِ من ارتباكٍ وتشـويشٍ، فإنها تدعمُ أمـانتَه في الكتـابةِ التـاريخية.

---

(١) كتيبة الحكمة، ١٠٧.
(٢) نفس المصدر، ١٩٢.
(٣) المصدر السابق، ١٠٠-١٠١.
(٤) المصدر السابق، ٢٨٣.
(٥) المصدر السابق، ٢٨.
(٦) المصدر السابق، ١٤٦.

سيما وأنَّ مـؤرخَنا سجَّلَ على صفحـةِ عنوانِ كتـابه «جمعُ الفقيرِ إلى عفـوِ باريـه وغفرانـه، أحقرِ خدامه، عبـدِالكريم بنَ أحمدَ بنِ عبدالله مطهر، ستر اللهُ عيـوبَه ومحا ذنوبَه، ومـلأ مِنْ زلالِ العفوِ ذنوبَه». فهو جـامعٌ كما وصفَ نفسَه، ولم يدَّعِ التصنيفَ أو التأليفَ أو الإبداع.

- وملاحظةٌ ختاميةٌ حولَ منهجيةِ مـؤرّخِنا وكتابتِه التاريخيةِ، فإنَّ شخصيته في الكتـابةِ التـاريخية كـانت واضحةً، يُبـدي رأيَهُ في الحَدثِ بصراحـةٍ في بعضِ الأحيان[1]، أو يكتفي بتأييدِ الحدثِ بعبارةِ «والعياذُ بـاللهِ» أو استنكارِه له وعدمِ رضاه عن الحدثِ بعبارة «لا قوةَ إلا باللهِ»[2]. ثم هو يطلبُ العذرَ ممن وقفَ منه على عثرةٍ أو زلّةٍ[3].

وبالإجمال، فإنَّ مـؤرخَنا كان أديبـاً بليغاً، ذا ثقافـةٍ دينيةٍ وسياسيـةٍ وإداريةٍ وقضائيـةٍ واسعةٍ. صـاحبَ نظـرةٍ شموليةٍ للتـاريخ وكتـابتِه، ذا نـزعةٍ إنسـانيةٍ عالميـةٍ. أميناً في تنـاولِه لـلأحداثِ، منحـازاً بأسبابٍ مـوضوعيـةٍ إلى من يكتبُ سيرتَه، وسيتركُ أثـراً في تدوينِه لفترةِ بنـاءِ الدولـةِ اليمنيةِ الحديثةِ عنـدَ الباحثين والدارسين المنصفين. ولكنْ، ما أهميـةُ كتابِه «كتيبة الحكمة» في مـدوناتِ تاريخِ اليمنِ الحديث؟، هذا ما سندرسُه لاحقاً.

---

(١) انظر الصفحات، ٩٥، ١٠٩، ١٩١، ٢٣٢ من المخطوط.
(٢) انظر الصفحات، ١٤ , ١١١ من المخطوط.
(٣) المخطوط، ٤.

الفصل الثاني

المخطـــوط

المبحثُ الأول: أهميةُ المخطوطِ بينَ المصنّفـاتِ في سيرةِ الإمامِ يحيى بنِ محمد حميد الدين

اقتنت المكتباتُ العـربيةُ والأجنبيةُ عدّةَ مصنّفاتٍ تنـاوَلتْ سيرةَ الإمامِ يحيى ابن محمـدٍ حميدِ الدين، اهتمـتْ كلُّ واحدةٍ منهـا بتاريخِ حقبةٍ زمنيـةٍ من سيرةِ الإمـامِ، ويبدو لي أنَّ الإمـامَ نفسَه كـان يـرغبُ إلى تدوينِ الأحـداثِ لتُحْفظَ في سجلِّ الزمنِ وحتى لا يضيعَ أو ينسى ذكـرَها مع توالي العصـورِ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنَّ الطبـاعةَ والصحافـةَ قد عُـرِفتْ في فترةٍ متأخرةٍ من عصرِ الإمـام يحيى وأنَّ الأسـاليبَ الحديثةَ في حفظِ الملفـاتِ وتنظيمِ الأرشيفِ كـانتْ في بدايتهـا، أدركْنا معها سببَ حـرصِ الإمامِ يحيى على تدوينِ أحداثِ عصرِه، ثـمَّ إنَّ كتابةَ السيرِ هو منهجٌ وتقليدٌ قد أخذَ بهِ الأئمةُ وحـافظوا عليه، اقتداءً بكتابةِ وتدوين سيرةِ رسـول الله صلى اللـه عليـه وعلى آلــه وسلم، وسيرِ الخلفـاءِ والصحـابـةِ والتابعين، والأئمةِ منذُ تـدوينِ سيرةِ الإمامِ الهادي وغيرِه من الأئمةِ حتى عصرِ الإمام يحيى.

وقـد كـانَ منّا البحثُ في فهـارسِ المكتبـاتِ العـربيةِ والأجنبيـةِ بحثاً عن مصنّفـاتِ سيرةِ الإمـامِ يحيى بنِ محمـدٍ حميـد الـدين، وذلك من أجلِ مقـابلـةِ رواياتِ مخطـوطِنا كتيبةِ الحكمةِ على مخطـوطاتِ السِّيرِ الأخرى، وقـد نجحنا في الوصولِ إلى عددٍ منها، وما زلنـا نُجِدُّ البحثَ في المكتباتِ الأسريةِ الخاصةِ علّنا

نظفرُ ببعضِ المخطوطاتِ التي لا تزالُ حبيسةَ تلك المكتباتِ الخاصّةِ. ومن السّيَرِ التي ظفِرْنا بها والمحفوظةِ في المكتباتِ العربيةِ والأجنبية نذكر:

١ - الدرةَ (الدرر) المنتقاةَ في سيرةِ الإمامِ المتوكلِ على اللهِ وخصاله المرتضاة، لأحمدَ بنِ عبدالله الجنداري ت١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م. شيخِ الإمام. ومُرافقِه لسنواتٍ، وقد أشرتُ إليه عندَ بحث، شيوخَ الإمامِ يحيى بنِ محمدٍ حميد الدين، حيثُ دوّن سيرةَ الإمامِ يحيى منذُ ولادتِه ونشأتِه وشيوخِه، والمهامَّ التي تولاها في عهدِ والدِه الإمامِ المنصورِ بالله، وأوردَ العديدَ من أشعارِه ونثرِه وترسُّلِهِ ثم البيعةَ ودعوةَ المُعارضِ الحسنِ بنِ يحيى القاسمي الضحياني، والحروبَ التي وقعتْ بينَ قواتِ الإمامِ يحيى والأتراكِ، ثم الأزماتِ بينَ الإمامِ يحيى والداعي الضحياني. وكانت السيرةُ مفصلةً ودقيقةً في تتبُّعِها للأحداثِ. ولكنها توقفتْ عندَ أحداثِ سنةِ ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، حيثُ جاءَ في أحداث ٢٣ رجب ١٣٢٤هـ، «رجوعُ حوالي ثلاثمايـة من الرديفِ المفسوحين، ثم قصيدةٌ لأحمدَ بنِ صالح الجلال. وأهميةُ سيرةِ «الدرة المنتقاة» في أنَّ كاتبَها كان شاهداً على الأحداثِ، ومشاركاً فيها، فيوردُ عبارةً مثل «وأنا في الجميع حاضر».

كما تزخَرُ السيرةُ بالوثائقِ والرسائلِ التي كانتْ تَرِدُ على مقامِ الإمامِ سواءً في قَفْلَةِ عِذَر أو شُهارةَ، ويقومُ الجنداري بتسجيلِها في كتابِه، وقد تفرَّدَتِ السيرةُ بالعديدِ من المراسلاتِ التي لم تُذكَرْ في غيرِها، سواءٌ بينَ قادةِ الإمامِ الذين يخوضون المعاركَ أو الرسائلَ السياسيةَ المتبادلةَ بينَ الإمامِ يحيى والمأمورين الذين يخوضون المعاركَ أو الرسائلَ السياسيةَ المتبادلةَ بينَ الإمامِ يحيى والمأمورين الأتراكِ في اليمن، أو معَ السلطانِ العثماني عبدِ الحميد مباشَرةً أو مع الفرنجةِ كايطاليا مثلاً.

لقد كانَ التفصيلُ والتدقيقُ واضحين في الدرةِ المنتقاةِ، فإنّ أحداثَ سنة ١٣٢٣هـ، احتلت الأوراقَ من ١٢-١٥٧. وقد وقعت السيرةُ في ١٩٢ ورقةً

حجمُ ورقتها من القطعِ الكبير. وإنْ أضفْنا إلى ذلك حسنَ الخط الذي كتبت به وزخـرفة العنـاوينِ وأرقامِ الحوادثِ بـالمدادِ الملونِ، وحجبَ الصفحـات بشكلٍ جميلٍ، مع ما يعرف بـه أحمدُ بنُ عبدِالله الجنداري من عدالةٍ ونزاهـةٍ - ثمنًّا أهميةً هـذه السيرةِ، التي تؤرّخ لـلإمـام يحيى بنِ محمـد حميد الـدين وعصرِه من سنـة ١٢٨٦هـ وحتى ٢٣ رجب سنة ١٣٢٤هـ. وقد حصلنا على نسخةٍ منها.

٢- تقييـدُ حـوادثِ إنشـاءِ تحديـد الجهـادِ الثـاني، لما التفتَ أميرُ المؤمنين المتوكلُ على الله لعنانِه ثاني، مستعيناً بمن أنزلَ السبع المثاني، بتاريخِه شهر شوال ١٣٢٥هـ. وفي فهارسِ المكتباتِ التي أطلعت عليهـا وردَ على عنوان نسخة منه «لم يُعْلَمْ مـؤلفُه»، وعلى عنـوانِ النسخـةِ الثانيـة لمؤلفِـه محمد بن سعـد الشرقي ت١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، وحين أعملْنـا النقدَ على النسختين، وحلّلْنا الـرواياتِ والأخبارَ، والتي سننشرُها عندَ عنايتِنـا بهذه المخطوطةِ، انتهينا إلى أنَّ المؤلفَ هو سعد بن محمد بن عبـدالله الشرقي ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، وأن التقييدَ ليس إلا أحـدَ فصـولِ الكتـابِ الأصلي الـذي عُني بسيرةِ الإمـام يحيى بنِ محمـدٍ حميـد الدين، وعنوانـه «قلائدُ النحور في سيرةِ إمامِنـا المتوكلِ على الله يحيى ابن الإمام المنصور»، وقـد نقلَ عنه زبـارةُ في كتابه «أئمـةُ اليمنِ بالقـرنِ الرابعَ عشر، سيرةُ الإمـامِ يحيى»، ونقلَ عنـه أيضـاً يحيى بنُ علي بن نـاجي الحداد ت١٣٧٥هــ/ ١٩٥٥م في كتابِه «عُمدَةُ القارىء».

تناول مخطوطُ «تقييد حوادثِ إنشاءِ تجديـدِ الجهاد الثاني»، الوقائعَ والحروبَ التي خاضَتْها القـواتُ الإماميةُ ضدَّ الأتراكِ خـلالَ السنواتِ ١٣٢٢هـ، وحتى سنـةِ ١٣٣٣هـ، وقـد تفرَّدَ بـايرادِ حـوادثَ وأخبارٍ محليـةٍ وخارجيـةٍ، كان فيهـا المؤلفُ شاهدَ عيـانٍ لم ترِدْ عندَ غيرِه، لا سيّما وأنّه كانَ أحدَ أعضـاءِ الوفدِ الذي انتدبـه الإمامُ يحيى هـو وعبدالله بنِ إبـراهيمَ بنِ أحمدَ بنِ الإمام ومحمـدَ بنَ أحمدَ الشامي وبمعيّتِهِـم ستةٌ من الرجـالِ للسفرِ إلى طـرفِ السلطانِ عبـدِالحميد في

محرم سنة ١٣٢٦هـ. والتباحثِ مع المسؤولين الأتراكِ والسلطانِ عبد الحميد بشأنِ قضيةِ اليمنِ.

ويشيرُ مؤلفُ الكتابِ إلى اشتغالِه بجمع سيرةِ الإمامِ يحيى قبل سفرِه إلى استانبولَ، وأنه أكملَها بعدَ عودتِه، وكانَ قد استعفى الإمامَ من الكتابةِ لضعفِ النظر، وحتى من القضاءِ، لكثرةِ الحكمِ بالرأي، وعدمِ قصرِ الحكمِ القضائي على الحكمِ بالمذهبِ الشريف (الزيدي)، وتكدّر الطبيعةِ، فقد وهَنَ العظمُ وضَعُفَ البدنُ وخمدت القريحةُ ولكنه أُمِرَ فأطاعَ، وقسَّمَ الكتابَ إلى فصولٍ، لكلِّ جهادٍ بابٌ ولكلِّ جهةٍ فصلٌ.

البابُ الأول: بابُ الجهادِ الأولِ، كما سبقَ في فتحِ صنعاءَ وخروجِ فيضي على شُهارةَ

الباب الثاني: في الجهادِ الثاني حسبما تقدَّمَ تحريرُه،

الباب الثالث: حسبَ تفصيلِه في بابِه ومحلِّه

وهذا البابُ الرابعُ في الجهادِ وفصولِه

الفصل الأول: في الوقعاتِ الحادثةِ في حوازاتِ صنعاءَ وكونِها مركزَ الولايةِ

الفصل الثاني: في تفصيلِ الأعمالِ العدنية.

وتقفُ المخطوطةُ عندَ «قال: بلغَ خروجُ نصرانيٍّ إلى الادريسي وصلَ في بابور إلى جازانَ وعزمَ، ووصلَ من محمد يحيى، وزيرِ الادريسي، أنه يريدُ الإصلاحَ شأنَه وسيفعلُ ويفعلُ لكنْ عندَ ظهورِ القوةِ، وأجبْنا عليه أنَّ له الإجلالَ والرياسةَ والأمانَ التامَ، تاريخه محرم الحرام سنة ١٣٣٣، وقال مولانا الإمامُ، ولا بدَّ من التجهيزِ على رداعَ وقَعْطَبَةَ. ثم وقفةُ كاتب. وهو دقيقٌ ومفصّلٌ في تدوينِه للأحداثِ يوماً فيوماً، وأسبوعاً وشهراً وسنة، فيه فيضٌ من الوثائقِ الرسائل، ووقع في ٢٠٨ أوراق ومسطرته ٢٢-٢٤ سطراً.

وأطلعْتُ على فهرسةٍ لنسخةٍ أخرى من المخطوطةِ، محفوظةٍ في المكتبةِ الغربيةِ بجامع صنعاءَ الكبير، رقْمها ٦٣ تاريخ، وقعَ الخطأُ في العنوانِ والمؤلفِ، عددُ أوراقِها ٢٠٠ ورقة، ومسطرتُها ٢١ سطراً، أولُها متّفِقٌ مع النسخةِ التي بحوزتِنا، أمّا خاتمتُها فمختلفةٌ، وحين حاولتُ الاطلاعَ عليها في مكتبةِ الجامعِ المذكورِ أبلغني أمينُ المخطوطاتِ محمدُ بنُ عبدِ الرحمن الطير بأنَّ ورثةَ محمدِ بنِ سعد الشرقي استعادوها من المكتبةِ، لأنّها كانتْ برسمِ الإعارةِ عندَ الإمامِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ محمد حميد الدين.

وما زلتُ أبحثُ عنها وعن الأمِّ الأصلِ، «قلائد النحور».

٣- عمدةُ القارىء في سيرةِ إمامِ زمانِنا، سيفِ الباري المتوكلِ على ربِّ العالمين الإمامِ يحيى بن الإمام المنصور بنِ سيد المرسلين تأليفُ القاضي، يحيى ابن علي بن ناجي الحداد، ت١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

وقد جاءَ بأوّلها فهرسٌ لما تحتويه من سيرةِ الإمام، النشأةِ والدراسةِ والمهامِ والبيعةِ وأنجالِه والجهادِ، حتى صلحِ دَعّان ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، والصراعِ مع الادريسي والقوى الخارجيةِ العربيةِ والفرنجيةِ الأوروبيةِ، وتفصّلُ في الأعلامِ الذين عملوا مع الإمام يحيى من سادةٍ وعلماءَ وقضاةٍ وعمّالٍ وكتّابٍ وأدباءَ وشعراءَ، وتقفُ عندَ سنةِ ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م حيثُ يردُ: «ودخلتْ سنةُ ١٣٤٣، والدخولُ في غايةِ الصلاحِ، ونورُ الحقِّ في ازديادٍ من الفلاح، والفتوحُ لمولانا الإمام، أيده الله تعالى في ازدياد، وعالمُ النّصرِ في سائرِ الآفاقِ قدْ لاح، والأمطارُ الغزيرةُ في سائرِ البلدانِ والأمصارِ»، ثم بياضُ قدرِ صفحتين، ثم تبدأُ في ص ٤١٣ بترجمةِ أعلامِ أرجوزةِ «سلسلةِ نسبِ الإمامِ المتوكلِ على اللهِ»، بدءاً من ترجمةِ سيرةِ الإمامِ المنصورِ بالله» وتقفُ في ص٤٤٨ بالقول: إلا أنّ عليّ بنَ يحيى بنِ يوسفَ الأشلِّ كان عاملاً للمنصورِ

باللهِ، عبدالله بنِ حمزة على واثلةَ ودهم، وكـان من العلماءِ المتبّحرين في فنونٍ، كما ذكرنـا في سيرةِ المنصورِ بـالله عبدالله بن حمزةَ، ومحمـدِ بنِ يوسف الأشـلّ وولدِه يحيى، فكذلك كانَ من العلماءِ الأخيارِ «وعبارة» انتهى نقلاً من اللآلىء المضيئةِ وغيرها.

أي أنَّ المخطوطةَ توقفت عند ترجمة:

ابنُ التقى محمد عزَّ الهـدى نجلُ عليٍّ كانَ بَحْراً يُقْتدى

ابنُ الرشيدِ الفذِّ نجلُ أحمدِ ابنُ الحسينِ بنُ عليّ الأمجـدِ

وجاءَ في المخطوطِ الكثيرُ من الوثائقِ والرسائلِ الهامّةِ والفريدةِ، ووقعتْ في ٤٤٨ صفحـة ومسطرتها من ٢٢-٢٤ سطـراً من القطعِ العادي، وقـد حصلتُ على نسخة منها.

٤- العقدُ الثمين في شمائلِ مولانا أميرِ المؤمنين المتوكلِ على اللهِ ربِّ العالمين، يحيى بنِ أميرِ المؤمنين محمدِ بن يحيى حميد الدين بنِ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ محمد بن الحسين بن الإمـام القاسم، جمَعَـهُ عليُّ بنُ أحمدَ الحجـري. وجـاءتْ بأوّلِه فهـارسُ لحصرِ أسماءِ العلماءِ والأدباءِ والقضاةِ والشعراءِ والقادةِ حتى سنة ١٣٥٩هـ.

وأوّلُه بعدَ البسملةِ والـديباجةِ «... أما بعدُ، فقد عـرفتَ خيار الصحابةِ من المهاجرين والأنصارِ والتابعين لهم بإحسانٍ وعلماءِ الإسلام العارفين على تعاقبِ الـدهورِ والأزمـانِ فضلَ أهلِ البيت النبـوي». ثم يذكـرُ فصـولَ الكتابِ وقـد جاءتْ في ثمانية فصولٍ هي:

الأول : الطائفة الزيدية

الثاني : في حقيقةِ الإمامةِ

الثالث: في وجوبِ نصب الإمامةِ

الرابع : المنصب المعتبر في الإمامةِ

الخامس : في الأدلة في فضلِ أهلِ البيت عليهم السلام
السادس: في ذكـرِ مذهبِ الأئمةِ الأربعةِ، أهل المذهبِ، في اختصـاصِ مذهبِ الخلافةِ في أهلِ البيت.
السـابـع: في طريقةِ ثبوتِ الإمامةِ التي بها يصيرُ إماماً.
الثامـــن: في ذكرِ الشروطِ المعتبرةِ عندَ الصحابةِ، رضي اللهُ عنهم والزيديةِ.

ونهايتُه جاء فيها بيتٌ من الشعرِ، حولَ الشروطِ المعتبرةِ، جاء فيه:

وليسَ يصِـحُّ في الآذان شـيءٌ إذا احتـاجَ النهارُ إلى دليـل

ووقعت المخطوطةُ في عشرين ورقةً، ومسطرتُها ٢٢ سطراً.

وبعدَ الورقةِ (٢١-٣١٣)، جمعَ فيها المؤلف القصائدَ الإمامياتِ التي قيلتْ في الإمامِ، آخِرُها، تهنئةٌ من عليّ بنِ أحمد الحجري، قالَ من قصيدةٍ في سنة ١٣٥٧هـ.

وهذه القصائدُ الإمامياتُ له فـائدتُها في التأريخِ للأحداثِ والمناسباتِ التي قيلت فيها. والتأريخُ بالشعرِ مسألةٌ معروفةٌ عندَ المؤرخين المسلمين.

ومن سيرِ الإمامِ يحيى بنِ محمد حميـد الدين، التي ما زلنا ننشُـدُها، ولما يُعثْر عليهـا حسبَ مـا انتهى إلينـا، إمـا لأنها فقِـدتْ أو لكـونها مـا زالت حبيسـةَ المكتباتِ الخاصة. علاوةً على قلائدِ النحور، وتقييدِ حوادثِ انشاءِ تجديدِ الجهاد الثاني لسعدِ بن محمد الشرقي، نذكر:

٥- سيرةَ الإمام يحيى حميدِ الدين، التـي ألفها أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمد المطاع الهاشمي ت اعداماً سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، بـالاشتراكِ مع أخيه السيد محمد ابن أحمد. فقد ذكـرَ صاحبُ كتاب، مصادرُ تـاريخِ اليمنِ في العصرِ الإسلامي، أنها قد أُخِذَتْ معَ ما نُهِبَ من مكتبتِهِم في أعقـابِ ثورةِ عبدالله بن أحمدَ الوزير سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، ومعها كتبٌ خطّيّةٌ نفسيةٌ»[1].

(١) مصادر تاريخ اليمن، أيمن فؤاد سيد، ٣١٩ ، ط المعهد الفرنسي بالقاهرة، ١٩٧٤ .

٦- القسمَ الأخيرَ من سيرةِ الإمـامِ يحيى بنِ محمد حميـد الدين تأليف عبـدِ الكريم بنُ إبـراهيمَ بنِ حسين الأمير، رئيسِ تحريرِ جريدةِ الإيمان، سـاكنِ جدة الآن[١].

٧- أئمةَ اليمـنِ بالقرنِ الـرابعَ عشرَ للهجرةِ (سيرةُ أمير المؤمنين، المتـوكلِ على الله يحيى بنِ محمد حميـد الدين» من مجاميعِ محمدِ بنِ محمد زبـارة، ط المكتبة السلفية ومطبعتها، القـاهرة، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، بجزئيهـا، وهي مبذولةٌ للباحثين، وقد اطلعتُ على الجزء الأولِ منها.

٨- مملكةَ الإمـامِ يحيى (رحلةٌ في بلادِ العـربيةِ السعيدة)، تأليف سلفـاتور أبونتي تـرجمة طه فـوزي عن الإيطاليـةِ، مطبعة السعـادة، القاهـرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

أمـا مـا ورد في المؤلفـات المخطـوطـةِ والمطبـوعـةِ، كفصلٍ من كتـابٍ أو مخطـوطٍ، واهتمَّ بـأحـداثِ وأخبـارِ عصرِهِ، فكثيرٌ منـه: ملـوكُ العـربِ لأمين الريحاني، وملـوكُ جزيرةِ العـرب لهارولد جيكوب، ونشرُ الثنـاءِ الحسنِ للمروني والـوشلي وغيرهـا للواسعي والجرافي والـويسي والشماحي ممّـا لا يـدخلُ في مجالِ بحثنا.

وأما أهميـة مخطوطنـا، كتيبة الحكمـة بين المصنفات في سيرة الإمـام يحيى بن محمد حميد الدين. فلا تدرك قبل وصف مخطوطنا.

---

(١) نزهة النظر، ٣٦٠، هجر العلم ومعاقله، ١٨٦٤ .

المبحث الثاني: وصفُ مخطوطةِ كتيبةِ الحكمةِ وأهميتُها.

عثرتُ على نسختين من مخطوطِنا، بيانهما وصفاً:

الأولى: النسخةُ المحفوظةُ في المكتبـةِ الغربيـةِ بجامعِ صنعـاءَ الكبيرِ تحتَ رقم جديد، ٢٦٠٧ تاريخ وتراجم، رقم ١٥٩ قديم.

وجاء على صفحةِ العنوان:

كتيبةُ الحكمةِ من سيرةِ إمامِ الأمةِ، أميرِ المؤمنين
وسيد المسلمين، ودرةِ تاجِ الأئمةِ
الهادين مولانا الإمامِ
المتوكلِ على اللهِ المعين
أبي أحمدَ يحيى
بنِ

الإمامِ المنصـورِ باللهِ ربِّ العالمين محمـدِ بن يحيى حميدِ الـدين، ضاعفَ اللهُ أيامَـهُ وأدامَ سلطانَه وسلامَـه، جَمْعُ الفقيرِ إلى عفوِ باريـه وغفرانِه أحقرِ خُـدّامِهِ عبدِالكريم بنِ أحمدَ

بنِ عبدِالله مطهر، سترَ اللهُ عيوبَه
ومحى ذنوبَه، وملأَ من
زلالِ العفوِ
ذنوبَه
أمين

وجاء بأوّلِها، بعدَ البسملةِ «الحمدُ للهِ الذي يسَّر بمواهبِ العقولِ فتح كنوزِ الاعتبـارِ المكنـونِ، وأنشقَ النفـوسَ الزاكيـةَ من أَرَجِ النظـرِ الصحيحِ نفحـاتِ اليقين المصون... الخ

وجاء بأخرِها في حوادثِ عام ١٣٤٢هـ «وفيها في شهرِ محرم الحرامِ استقدمَ مـولانا الإمـامُ السيـدَ الأميرَ فخرَ الـدينِ عبـدَالله بنَ أحمدَ الـوزير إلى حضرتِـه الشريفةِ من ذَمـار، وكان الباعثَ على ذلك الطلبِ ما تكـرَّر العرضُ من الشيخ أحمد قايد الجبري عـاملِ السواديةِ والسلطانُ حسينُ بن أحمد الرصـاص بأنه قد أوصلَ السلطانَ المذكورَ الرهينةَ التي تمَّ الوفاقُ عليها، وأنّه يطلبُ إنفاذَ الجيشِ لدفعِ أعدائِه عنها، فوصلَ الأميرُ الفخريُّ إلى حضرةِ الإمامِ» ، ثم وقفة كاتب.

كُتِبَ المخطـوطُ بخطٍّ نسخيٍّ جميـلٍ، بـا لمدادِ الأسـودِ، وُضّحت العنـاوينُ بـا لمدادِ الأحمرِ، ووضعت عنـاوينُ جـانبَ الصفحـاتِ للتنبيـهِ على الأحـداثِ والوقائعِ، ولتأكيدِ أهميةِ الخبرِ في الصفحـةِ يكتبُ عبارة قف. والنسخةُ مضبوطةٌ لغةً واعراباً إلا في بعضِ المواضعِ

النـاسخ: المؤلفُ نفسُه، أي أنها بخطِّ المؤلف
عددُ الأوراق: ١٥٠ ورقة (٢٩٩ صفحة)
عددُ الأسطر: مختلف من ١٧-٢١ سطراً
المقاسُ: ٢٣,٥ × ١٧,٥

ملاحظـاتٌ على النسخةِ: النسخةُ خـزائنيةٌ، روجعتْ من قبلِ المؤلّفِ أولاً ثم من أحـدِ المطّلعين عليهـا، كما يظهـرُ من الصفحـة رقم ٢٣٥، إذ جـاءَ على حردِها «انتقلَ إلى بعدِ كراسين، إلى الكراسـةِ التي أوّلُها، وهاكَ نظاماً الخ، وبعد كراسين أُرْجعَ قيدُ الصفحـةِ المقابلة وهو، ومهابطُ التنزيلِ الخ إلى نهايـةِ كراسةٍ، وينظرُ ما بقي بعـدَهم من بقيةِ حوادثِ بلادِ البيضاءِ» وهذا يفيـدُنا بأنَّ النسخةَ قـد رُمّمتْ وجُلّـدتْ أوراقُها خطأً، وقـد اضطـرَّنـا هـذا لإعادةِ تـرتيبِ وتـرقيمِ الصفحاتِ بعد ٢٣٥، لتكـونَ صحيحةً وسليمة. وقد جُلِّـدَتْ النسخةُ بغلافٍ جيدٍ من غيرِ لسان، ولُصِقَ عليه ورقٌ سماوي اللون.

وليسَ على غـلافِ النسخةِ تمليلكـاتٌ أو اهداءات، وقـد كـانتْ في خزانـةِ

كتبِ الإمام يحيى، والسنواتُ التي تناولتْهـا هي سبع سنوات من سنةِ ١٣٣٦هـ وحتى ١٣٤٢هـ. وبسببِ دقتِها وضبطِهـا ومـراجعتِها وجمالِ خطها، فقد اعتبرتُها الأمّ، (الأصل) ورمزت لها بالحرف «ص».

- النسخةُ الخاصةُ التي كتبها أحمدُ بنُ علي بن أحمد زبارة، الأمينُ المساعدُ في مكتبةِ الجامعِ الكبيرِ بصنعاءَ والمتولّي للإشرافِ على دارِ الكتبِ حتى الآن.

وجاء على صفحةِ العنوانِ:

كتيبةُ الحكمـةِ من سيرةِ إمام الأمّةِ، أمير المؤمنين وسيـدِ المسلمين ودرةِ تاجِ الأئمـةِ الهادين مـولانا الإمـامِ المتـوكلِ على اللهِ المعين أبي أحمد يحيى بنِ الإمـامِ المنصورِ بـاللهِ ربِّ العالمين محمـدِ بنِ يحيى حميد الـدين ضاعفَ اللهُ أيـامَه وأدامَ سلطانَه وسلامَـه، جمعَهُ القاضي العلامةُ عبدُ الكـريمِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِالله مطهر، رضي الله عنه.

جـاء في أولها: «... المنصورُ بـاللهِ ربِّ العالمين، ضـاعفَ اللهُ مـدَّتَهُ، وعمـرَّ بـالنَّصْرِ العزيـزِ سـدَّتَـه، ومتَّعَ الإسلامَ والمسلمين بأعـوامِـهِ المسعـودةِ، وأيّامِـهِ الزاهرةِ المحمودةِ..الخ.

وفي آخرهـا، في حوادثِ سنـةِ ١٣٤٢هـ «... وفي يومِ العشريـن من الشهرِ المذكورِ، رُفِعَ الأميرُ عبـدالله الوزيرُ من قـرى ناحيـة السوادية إلى المحطـةِ حولَ حكـومةِ النـاحيـة المذكـورة، وبقي الأميرُ في دارِ الحكومـة، وطلبَ آلُ منصـور الملاحم منه الأمـانَ فراراً من الهوانِ، بعدَ ترغيبهـم للطاعةِ بكتبٍ منه، فـوصلوا إليه ورهنوا، فأطاعوا وتبعهُم الشيخُ سالم أبو بكر «ثم وقفة كاتب».

كُتِبَ المخطوطُ، بخطٍّ نسخيٍّ حسنٍ وبـالمدادِ الأسودِ، ووضِّحَتِ العناوينُ والسنواتُ بخطٍّ أكبرَ حجماً

الناسخ: أحمدُ بنُ عليِّ بنِ أحمد زبارة

تاريخُ النسخ: عام ١٣٦٣هـ.
عددُ الأوراق: ٧٢ ورقة من القطع الكبير
عددُ الأسطر: مختلف من ٢٨-٣١ سطراً

ملاحظاتٌ على النسخةِ: في النسخةِ نقصٌ في بدايتها يصلُ إلى ورقةٍ وثلثٍ من أوراقِ النسخـةِ التي بخطّ المؤلّفِ، وفيهـا زيـادةٌ في آخرِهـا حـوالي ورقتين، ولكنها غيرُ كاملةٍ. وقد كتب الناسخُ في الخاتمة.

«انتهيتُ بحمـدِ اللهِ من زبر ما وجـدتُ من كتيبةِ الحكمـةِ، ثم يضيفُ على عنوانِ الأصل «القـاضي عبدُ الكريم بنُ أحمد بن عبدالله مطهـر، الكاتبُ الكبيرُ والشاعـرُ الشهير، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصـلاةُ والسلامُ على سيّدِنـا محمدٍ وآلِه الأكرمين، بركة عامِ ١٣٦٣، كتبـه المفتقرُ إلى عفوِ اللهِ ومغفرتِه أحمدُ بنُ علي أحمد زبارة.

والنسخةُ فيها سقطٌ كثيرٌ لعلّه من سبقِ نظـرِ الناسخ أو للاختصارِ، ويصلُ السقطُ فيهـا - كما سيظهـرُ من مقـابلتِهـا مع الأصلِ - لأكثـرَ من ثلثِ أوراقِ الأصلِ، حُذِفَتْ منهـا الكثيرُ من الحوادثِ والأشعارِ مما أفقدَها أهميّتهـا، ولولا السعيُ لجني الفـائدة مهما كانت مقـدارُها لاعتبرتُها ثـانويةً، وقـد حصلتُ على صورةٍ منها، ورمزتُ لها بالحرفِ س.

وتظهـرُ أهميـةُ مخطوطِ كتيبـةِ الحكمـة في تأريخهـا لمرحلـةٍ من أهمّ مـراحلِ التـاريخِ اليمني الحديثِ، وهي مـرحلةُ بنـاءِ الدولـةِ الحديثـةِ في اليمن، الدولـة الإسلاميـة اليمنية كما اطلق عليها الإمام يحيـى في مرحلةُ الاستقلالِ بعـدَ إخلاءِ اليمن من الوجـود العثماني، فهي تؤرخُ للمـؤسساتِ التي قامت في عهـدِ الإمام يحيى، وتـرصـدُ بتفصيلٍ تطوّرَ مجريـاتِ الأمـورِ بعـدَ تـوقيعِ الهدنةِ بينَ الـدولـةِ العثمانيةِ ودولِ التحالفِ الفرنجيةِ عقيبَ هزيمةِ تركيا في الحرب الكونيةِ الأولى، وتذيعُ المخطـوطةُ عـدداً من الوثائقِ والمراسـلاتِ بينَ المقامِ الامـاميّ في صنعاءَ

وقيـادةِ القواتِ الطـامعةِ في اليمنِ، سـواءٌ من الزعـاماتِ العـربيةِ المحليـةِ، أو الأوروبيةِ وخاصةً البريطانية.

إن الدقةَ والتتبعَ الـواسعَ للأحداثِ يُعتَبَرُ ميزةً انفردتْ بها هـذه المخطوطةُ. وما ذاك إلا لأنَّ جامعَها كـان على صلةٍ مباشرةٍ بمركزيةِ الـدولةِ. يدري بكلِّ ما يرِدُ إلى المقام من مكاتباتٍ في أغلـبِ الأحيان. ولا أعدو الحقيقةَ إذا ما نبَّهْتُ إلى انفرادِها بأخبـارٍ لم تردْ في المصادرِ المعاصرةِ لها، فكانتْ مخطوطـةُ كتبيةِ الحكمةِ إضـافةً جـْديدةً لما كـانَ معروفـاً من تاريخِ اليمنِ الحديث لـلأحداثِ من عـام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م -١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م، وهي مـرحلـةُ مـا يبنَ الحربِ الكونيـةِ الأولى والإخلاءِ العثماني لليمن، وبنـاءِ الدولـةِ وتدعيمِ وحـدةِ أرضها، وهي كلُّها قضايا جوهريـةٌ ومفصليةٌ في تاريخِ الأمم، فاستحقَّتِ العنايةَ والنشرَ والدراسةَ.

نجز بقية مسودة نهار يوم الاثنين خامس عشر شهر شوال ١٣٤٦

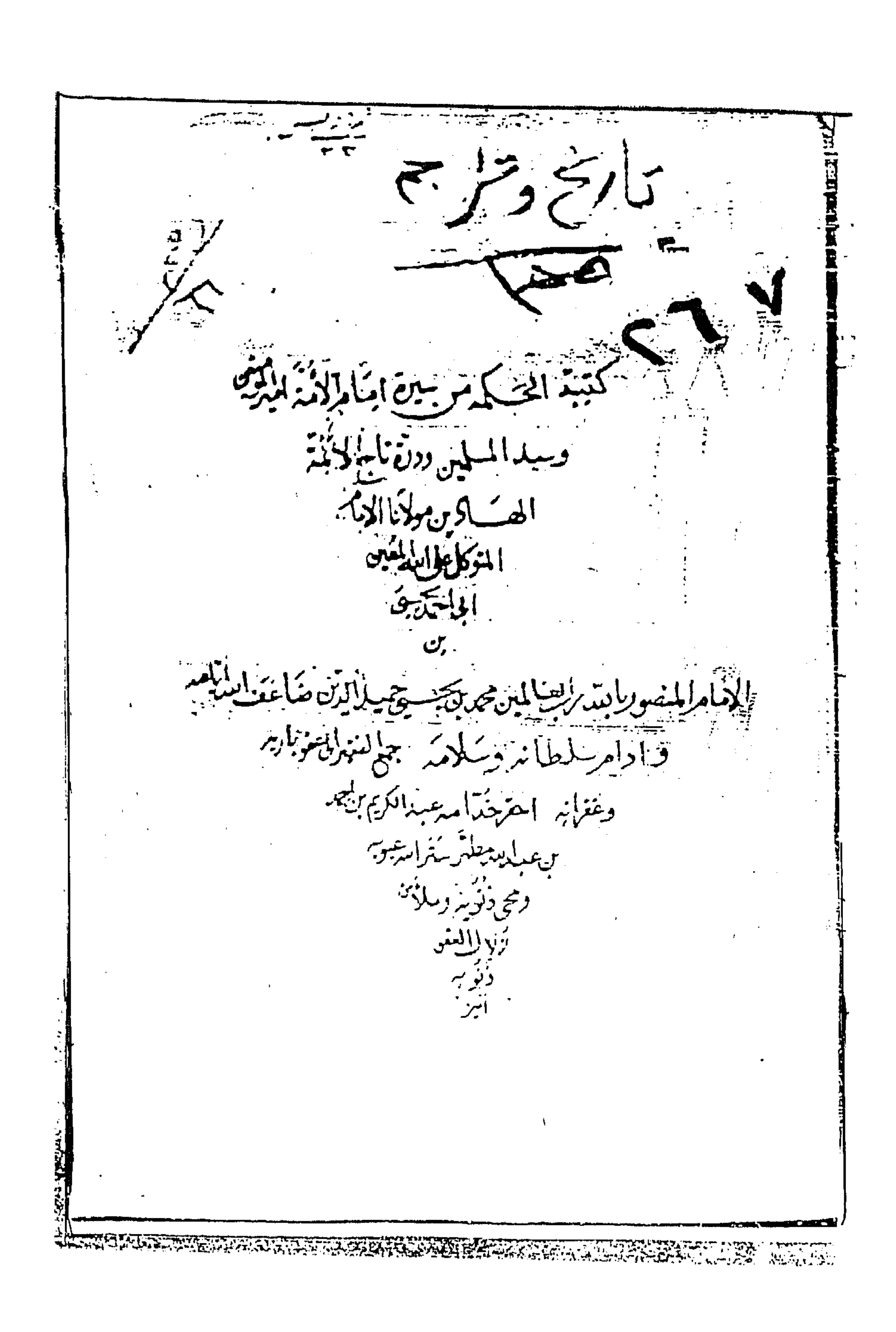
كتيب الحكمة من سيرة إمام الأئمة أمير المؤمنين وسيد المسلمين ودعوته ... الأعداء المادين مولانا الإمام المتوكل على الله رب العالمين أبي أحمد يحيى بن الإمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى حميد الدين

ضاعف الله أيامه وأدام سلطانه وسلامه ... القاضي العلامه

عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله مطهر ...

[illegible]

صفحه عنوان النسخة التي بحوزة زبارة



صفحة العنوان من المخطوط الذي كتبه المؤلف بنفسه (١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي يسّر لمواهب العقول فتح كنوز الأخبار المكنون والشوق
النفوس الزاكية من أريج النظر الصحيح نفحات اليقين المصون وارشد بوحيه المنزل الى مهيع في
التفكر في الكائنات من العلم المخزون وتوجيه المدارك الانسانية بالكليل الوقوف على سنته التي قد خلت
في عباده وبمثلها يتحلى العارفون واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكفل بالنجاة
حين يخسر المبطلون واشهد ان محمداً عبده ورسوله الشافع المشفع الأمين المأمون صلى الله وسلم
عليه صلاة وسلاما يجد وبها حادي الاعتراف بالقصور وان كنت لا ارضى بالدون ويتضاعف تعدادها
بعدد ما تتعدد ايدي الاحيان والأيام والسنون وعلى آله قرناء وحيه واكرم بهم وبهم من قرناء مقرون
ورضي الله عن صحابته الراشدين الذين جاهدوا في سبيله الى ان اتاهم ريب المنون وبعد
فانه لما كان التاريخ ديوان العبر ومطمح انظار ذوي الفكر ومسرحا للتجارب العديدة والتي
لتثقيف العقول بمعرفة الآراء السديدة رفعته النفوس الى ما لا يخفى من عظم المكانة ووجدته
خير كفيل بسرد اخبار العصور على شريطة الأمانة وانما المرء حديث بعده اذا انقضت المدة
وفي كل من الأخبار عظات والمنقول من السيرة الحسنة وضدها يستوي في افادة تلك الغايات
وكفى بكتاب الله مرشداً فيما قص علينا من الأخبار واردفها بوجوب التأمل لمصداق فاعتبروا
يا اولي الأبصار ولا يكون التدوين كافلاً بنصب هذه الموازين الا اذا خلص من ادران الاختراع
وثبت على اساس البراهين والا كان من الأفكار المذموم والتضليل المشؤوم واين مرتبة الكذب
الصراح من الصدق الوضاح ولم تزل ايادي من سلف من اعلام العلماء ومهرة الأدباء تسدي الينا
من احاديث سير الأئمة الراشدين من اهل البيت النبوي عليهم السلام ومعاصريهم ما تشنف به المسامع
وتستلذه الأفواه وترددة الألسن استحسانا كلما مرت ذكراه اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو
المسك ما كررته يتضوع لا جرم كان من الحسن المقبول ان يحذو الخلف حذوهم فيما تلقى بالقبول
وفي العصور الاخيرة من حوادث الزمان ما يربو على العصور السالفة لدى الامعان ولا سيما
عصر من نظم الله به شتات المسلمين وعمر بوجوده الحارقة معالم الدين واقام بسطوته القاهرة

الصفحة الأولى من المخطوط بخط المؤلف

به صار هذا القطر في اوج رفعة ... تقاصر عنها اصبهان وجرجان
بهمته قام القويم بناقبه ... وقدت لارباب الضلال له سيفان
واوقظ اهل الدين من سنة الهوى ... وطرف المعالي والمكارم نعسان
وعدل بالسيف الصدوق اعوجاجهم ... فلم يبق في القطر اليماني فتان
وكم رام باغ ان يناوي علوه ... فصار ومثواه اشتياص وحرمان
ولاغرو من كان الاله نصيره ... تعيب اعاديه خسار وخذلان
ولو رام سحبان الدنا وصف فضله ... لعاد المجلي وهو للعجز خجلان
فكم لامير المومنين محامد ... تجلى بها فوق السماكين عدنان
بنى للهدى والمجد والعز منزلا ... وللفضل فيه للمكارم افنان
وشاد قصورا للمفاخر والعلى ... يرى بعدها في قصر فارس نقصان
واحيا رياضا بالمحامد اثمرت ... وللمجد فيها اقحوان وسوسان
وورد العلى في سوحها فاح نشره ... وخوط التقى فيها رطيب وريان
وتملى احاديث الغدير وان ابا ... عليها ابو بكر وحفص وعثمان
وتشدو على اغصانها ورق مدحه ... فكم اطربت منها المسامع الحان
وكم حار ذو العرفان في وصف حسنها ... فاوصافها تدنو دمشق وبغدان
بناها لاحياء الهدى ولنشره ... اذا ما بنى للملك والفخر بنيان
وشاد بها الشرع الشريف فغدا ... ومسكنه عرش وصرح وايوان
فقل لذوي البغضا طغين بابهم ... سيكشف من تعلم ذي الحب طغيان
ومن رام خفضا من علاها وقدرها ... فما الهدى في قلبه قط اغمران
امام الهدى هنيت دارا بنيتها ... تشيد بها للدين والمجد اركان
دعمرت فيها لابنائك عزة ... ونصر وبشر ما تزاد فازمان

[illegible]

لاحظ عدم الدقة في الترميم

ومهابط التنزيل ودّت أنه ... فيها يشير بوحيها ديوانه
طوبى لآل على المدائن والقرى ... بأبي العلى الملك الرفيع مكانه
طوبى بني راشد والملك الذي ... يحوي المعالي سيفه وسنانه
إنا البانون الكرام لمعشر ... وزنا المجد قد علا بنيانه
إذ خصنا بولاء آل محمد ... وبنصرهم رب تعاظم شانه
فينا الصدارة كابرا عن كابر ... شيدت وعلم واضح برهانه
مجد يدوم وإنه في عصرنا ... قد طار حتى لا ينال عنانه
بإمامنا خير الورى الملك الذي ... جلا نصلت خلقه أقرانه
وبه على الملك الإمامة قد علت ... وتطاطأت قهرا له تيجانه
ملك هو العلم الشريف وإنه الـ ... ـعدل الذي في كفه ميزانه
فالدهر ودّ بأنه عمر له ... والناس طرا إنهم أعوانه
ملك بها فخرت قريش إنه ... منها وتاه على الزمان زمانه
ملك بها فخرت لؤي بل به افـ ... ـتخرت على كل الورى عدنانه
نسب تعالى في ذؤابة هاشم ... وبأحمد قد شيدت أركانه
بالمصطفى المجد خير الورى ... من كان نوح باسمه قربانه
بأبي البتول وزوجها وابنيهما ... عدد تولى مدحه فرقانه
نسب كعقد الدر في جيد الهدى ... والأئمة الآل الكرام جمانه
هذا هو الفخر الطويل وغاية الـ ... ـمجد الأثيل وفي الكتاب بيانه
خضعت له كل العشائر لم تزل ... تشدو بفضل رواته خطبانه
سلطانه الملك استتب على علا الـ ... ـإسلام لما زانه إحسانه

لتوليته القيام بهذا الأمر وانفاذ ما كان الوعد به للسلطان حسين المذكور وتقدم
لبث الأمير المذكور مدة جرت في اثنائها اكمال المراجعات واخذ الأهبة وتدبير ما يحتاج اليه هذا
التقدم من الذخائر الحربية والمدافع وجمع ما يلزم من الجنود من النظام وغيرهم وارسال الكثير منهم
الى ذمار اولاً فأولاً ثم عاد الأمير المذكور مع من بقي من الجند الى ذمار وودّع مولانا الامام وزوده من الدعاء
ما ظهر اثر قبوله في نجاح الأعمال وتذليل الصعب من الآمال وتهوين الشاق من الأحوال فبقي الأمير
فخر الدين في ذمار اياما يتأهب للمسير ويستعد حتى وصل اليه عن طلبه النقيب الماجد الهمام المجاهد
قايد بن راجح النقيلي سكنا والخولاني اصلا مع عصابة من خولان واهل نقيلان وغيرهم وجمع من اهل
حبيش فاستناب الأمير الفخري مكانه لخفاء السيد عز الاسلام محمد بن احمد الوزير واوصاه بما يلزم من ترتيب
الأعمال التي بنظره وتوجه في جمع غفير وجند كثير وموكب شهير من ذمار في اليوم الثاني عشر من صفر من
هذه السنة قاصداً الجهة التي امر بالتوجه اليها فبات في المنقع من مخلاف عنس بجوار مشهد الامام
الناصر ابو الفتح الديلمي رحمه الله وفرق الجند في المحلات القريبة من الطريق ومنعهم عن كل اذية على الرعية
وفي اليوم الثالث نهض الى ملح من مخلاف العرش وبات به ودخل في اليوم الرابع عشر من الشهر المذكور مدينة
رداع فتلقاه عاملها من قبل مولانا الامام السيد العلم قاسم بن الوجيه ورؤساء اهلها واعيان بلادها
ولبث فيها مع جنده الى اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور مشتغلا بجلب ما يحتاج اليه الجنود من الاقوات
ومعدات السفر ونهض في اليوم المذكور الى السوادية واستصحب معه مدفعا من المدافع الامامية التي برداع
وقد كان اخذ مدفعا من المدافع التي بذمار فبات بالقاهر من السوادية لدى عاملها الشيخ احمد بن
قايد الجبري وكان تعريف الجند بمعرفة العامل المذكور وانزالهم في الاماكن اللائقة واضاف
الجميع احسن ضيافة واكرمهم غاية الاكرام واحسن بيعة مع المخدوم والخادم بنفس طيبة وسلامة
خاطر وفي يوم العشرين من الشهر المذكور رفع الامير الجند من قرى ناحية السوادية الى المحطة حول
حكومة الناحية المذكورة وبقي الامير في دار الحكومة وطلب المتفرد الملاجم منه الامان فرارا
من الهوان بعد ترغيبهم في الطاعة بكتب منه ثم وصلوا اليه ورهنوا واطاعوا وتبعهم الشيخ سالم

الصفحة الأخيرة من النسخة التي بخط المؤلف

[illegible] من [illegible] الأئمة [illegible] وقد كان أخذ [illegible]
[illegible] بالقا[illegible] من السوادية [illegible]
[illegible]
الإكرام وأحسن [illegible] مع المخدوم [illegible] وسلما [illegible]
من [illegible] المذكور [illegible] الإمام [illegible] خيل السوادية إلى [illegible]
الناحية المذكورة وبقي الإمام في دار [illegible] المنصور [illegible] منه الأمان
[illegible] من الأعوان [illegible] بالطاعة [illegible] العيد [illegible]
[illegible] تهيئت [illegible] ما وجدت من [illegible]
من سيرة إمام الأئمة أمير المؤمنين [illegible] سيد المسلمين [illegible] الأئمة [illegible]
مولانا الإمام المتوكل على الله المتعال [illegible] ابن الإمام [illegible]
[illegible] محمد [illegible] الدين [illegible] أدام [illegible]
[illegible] القاضي [illegible] أحمد [illegible]
[illegible] والحمد لله [illegible] والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
[illegible] عام سنة ١٣[illegible] المفتقر إلى عفو الله ومغفرته أحمد
ابن علي [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة زبارة

بحا بقية ١

بالله رب العالمين محمد بن يحيى حميد الدين ضاعف الله مدته وعمر بالنصر العزيز مشيد ربوع
الإسلام والمسلمين بأعوامه المسعودة وأيامه الزاهرة المحمودة فإنه عصر اشتمل من
وقايع الجهاد على ما أعز به وجه الدين ومن مواطن الصدام والمصابرة على ما قرت به
عيون المؤمنين وعظمت به النكاية في الظالمين والضالين فالملاحم تلو الملاحم والعزائم
الصادقة على أثر العزائم إلى أن عاد وجه الزمان مبيضاً وجمع الجحود ولكن منفضاً وصين
ناموس الشرع القويم من الابتذال وأصبحت ولله الحمد شوكة الدين مرهوبة بعين
الإجلال واعتقد الحاسدون أن أيامه مطامعهم منازلة كل أسد لا ينال لا يهابه معامع الوغى
وأهوال النزال وانضم إلى ذلك ما انتظم في لبة الأوان من عنايته بجمع ما تشتت
من آثار الإحسان وظهر ظهور العقد الفريد في عنق الحسناء لكل إنسان فحيثما وجهت
وسبيل رائد الطرف وجدت الصالحات في طور الحياة وأصناف الخيرات مرمية إلى الجمعة
اشتغال الوفاة وهيهات أن يكفل بتعدادها حساب أو يحوي جم مناقبها دفتا كتاب وقد عني
جمع من الأفاضل الأعلام بجمع سيرته أيده الله بعزيز نصره فإنه مجدد هذه العصور المعني
بأحاديث المشهور وأتوا بالعجائب من منهج الترب الوهاب وما اشتملت عليه أيام المعارك
والتسلم من مظاهر صنع الله الجميل الذي لا يتكيفه بتجنيد الجنود وحشر كل قبيل و
يعالي بخيل أصعادة في ميولاه البديعة وإقبال الأماني والمطالب السامي معاني كنفه السعيد
بخطوتها السريعة وما ظهر عنه في مواطن الأزمة من الصدق والثبات والوقوف أمام الأكابر الشدائد
بقلب لا يتزلزل بل كان مادة الراسيات لا يهمه غير السعي في مطابقة مراد الله عز وجل الرحيم
الانتصار أوقل ومعرف بذلك المتأمل أن الله قدر قد خصائص رفعته قدره العظيم و
أحقيته على الرفوف الأعلا من مقام الهداية إلى الصراط المستقيم فالحث على الوقوف على
مواقعه جهاده وأيامه وما نظمته سيرته المباركة من متين أحكامه وأحكامه من شأن صلاحه
ذوي العرفان وحلفاء التقوى والإيمان ولما كانت أواخر سنة ١٣٣٦
وهي السنة الخامسة عشرة من خلافته أيده الله ونصره تعرضنا خفيت أنوار
جمع السيرة فيما علمت تصديت للقيام بهذا الواجب بعد الإيعاز والإلزام ممن طاعته
فرض لازب وطالما تبطئني العجز والقصور ونهياني عن التعرض من سوال هذه البحور
حتى عرفت أني ليس بمعذور قدمت أقدام من خالطه الوجل مستعيناً بالله سبحانه

وبه   لما قدمت

الصفحة الأولى من نسخة زبارة

الملاحـــق

- رسالة من الإمام يحيى إلى السيد محمد بن منصور المؤيدي.
- نص هُدنة موندروس.
- رسالة إلى محيي الدين باشا من إستيوارت.
- أوامر وينجت لترتيب لقاء مع الإمام.
- صورة رسالة للضغط على الإمام.
- رسالة من إستيوارت إلى الإمام بتاريخ ٢٠ مارس ١٩١٨.
- المنشور (البلاغ).
- برقية سعيد باشا.
- رسالة من الإمام المنصور إلى سعد بن محمد الشرقي.
- رسالة من الإمام إلى عز الدين محمد بن يحيى.
- ترقية النقيب عزيز بن يحيى.
- رسالة من الأمير فيصل بن الحسين إلى الإمام (النص الإنجليزي).
- رسالة من الأمير فيصل بن الحسين إلى محمود نديم (النص الإنجليزي).
- رسالة المقيم السياسي إلى المندوب السامي ٢٠ مارس ١٩١٧.
- رسالة إستيوارت إلى الإمام يحيى ٢٤ أكتوبر ١٩١٧.
- رسالة إلى الإمام يحيى من إستيورات ٢٠ مارس ١٩١٨.

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

ختم أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين

الأخُ عزّ الدين محمدُ بنُ منصورٍ أصلحَ اللهُ له جميعَ الأمورِ، وشريفُ السلامِ التامَ عليه ورحمة اللهِ وبركاتُه في كلَ عشية وبكور.

وصلَ كتابُكم، وذكَرْتُم أنَّ الإشكالَ في تقدّم الأخِ الشرفيِّ فإن كانَ تقرُّمُه باعتباة أنها حصلتْ منه دعوةٌ في أيام الإمامِ المنصورِ رضي الله عنه، فلا باسَ، وإنْ كانَ بعد وفاتِه بَحثْتُم، معَ أنه لم يَخرج الإمامُ رضي الله عنه من البابِ مجهزاً للدفنِ إلاّ بعد دعوتِنا، وسبق العلماءُ إلى إجابتها وإنْ كان الشكُّ في المحاكمِ والمباحثِ، فإنّا طلبْنا علماء الشام أجمعَ وأن المطلوب خروجُهم للمباحثةِ والمسايلةِ والمذاكرة. وحتى إلى الشرَفي والمحاكمة أجبْنا على الشرفيّ أنّه ما أراد من محاكمةٍ أو مناظرةٍ للجوابِ خمسة أيام، أرسلْنا من هنا من لايتَّهم بالمحاباةِ. فينا فتارةً يقول التقاه.

---

(1) رسالة من الإمام يحيى إلى محمد بن منصور المؤيدي وهي ناقصة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخ عز الاسلام محمد بن منصور اصلح الله صحيح الامور وطهر من العيب

السلام عليه ورحمة الله وبركاته في كل عشية وبكور ثم

وصل كتابكم وذكر ان الاشكال في تقدم الاخ الشرفي

فان كان تقدم باعتبار انها حصلت منه دعوة في

ايام الامام المنصور رضي الله عنه فلا باس وان كان

بعد وفاته بحيث انه لم يخرج الامام رضي الله عنه من

الباب مجهزا للدعوة الا بعد دعوتنا وسبق العلما

الى الاجابة بنفاذهم وان كان السبب في المكاتبة والمباحثة

نص هدنة موندروس

هدنـة وقعت في ٣٠ اكتوبـر ١٩١٨م بين الأتراك ودول الحلفـاء، اشتملت على الأمور التالية:

- انسحاب القوات التركية إلى حدود ١٩١٤م.

- دخلت هذه الهدنـة حيز التنفيذ في ٣١ اكتـوبر، ويمكن تعليق ذلك من قبل الحلفاء في أيّ لحظـة حتى يتمكنوا من اجـراء الرقـابة والتفتيش[١] وتلخص بنودها بما يلي[٢]:

١ - المحافظة على حقوق الأسرة العثمانية.

٢ - تحديد شكل الإدارة في بعض الولايات.

٣- وقف القتال من يوم دخول المعاهدة وعدم الإعتداء.

٤ - تأمين الهدوء، خارج الميـاه أو داخلها بحراً وبراً، وعـدم وضع أي قوات عسكرية على أي من هذه النقاط.

٥ - المحـافظـة على الحدود والأمن داخلهـا، والحلفـاء هم الـذين يحددون القوة العسكرية.

٦ - إعادة جميع السفن التي استولت على القوات العثمانية.

٧- يترك للحلفاء السيطرة على النقاط الاستراتيجية.

٨- استفادة سفن الحلفاء من جميع الموانىء العثمانية دون استثناء.

٩ - تسهيل استـانبـول الطـريق أمـام القـواعد العسكـريـة للحلفـاء دون الموانىء العثمانية.

١٠ - احتلال طوروس من قبل الحلفاء.

١١ - عـودة القـوات العثمانيـة إلى حـــدود مـا قبل الحرب في شمال إيـران وقفقاسيا.

---

(١) م. لارشرن: بويوك حرب وتورك حربي، ترجمة محمد نهاد، نشر الأركان العامة العثمانية، استانبول، ١٩٢٧.
(٢) اشكر الدكتور وليد العريض على ترجمته للوثيقة من التركية.

١٢ - إدارة الاتصالات البرقية من قبل الحلفاء.

١٣ - اتلاف المواد التجارية والعسكرية والبحرية المدمرة.

٢٤ - تسهيل الحصول على الفحم والمحروقات العثمانية.

١٥ - مراقبة الحدود من قبل الحلفاء سواء في قفقاسيا أو جميع حدود الدولة العثمانية.

١٦ - تسليم جميع القوات العسكرية الموجودة في الحجاز واليمن وسوريا وكيليكا والعراق في أقرب وقت ممكن، إما للحلفاء أو للمثلين العرب.

١٧ - تسليم القوات العثمانية في طرابلس وبنغازي لإيطاليا.

١٨ - تسليم الموانيء في طرابلس وبنغازي ومصراته إلى الحلفاء.

١٩ - تسليم القوات الألمانية والنمساوية البرية والبحرية إلى الحلفاء.

٢٠ - إطاعة القوات العثمانية وتجهيزاتها أوامَر الحلفاء.

٢١ - مراقبة الحلفاء للارزاق واللوازم.

٢٢ - المحافظة على الأسرى من قبل الحلفاء.

٢٣ - قطع الحكومة العثمانية أية علاقة لها بمراكز الولايات.

٢٤ - أ- احتلال الحلفاء لولاية الأرمن وإدارتها.

ب- السيطرة على سيس، هجين، زيتون، عينتاب، إضافة إلى المواد السابعة والعاشرة والخامسة عشرة.

٢٥ - انتهاءُ حالةِ الحربِ بين الدولة العثمانية والحلفاء اعتباراً من وسط يوم الأثنين، ٣١ تشرين أول من عام ١٩١٨م.

وقد وقع المعاهدة عن الأتراك — عن الحلفاء

حسين رؤوف — Arther Galthorpe[١]

رشاد حكمت

سعد الله

(١) انظر، Bayer, Turk inkilabi tarihi, Ankara, 1983, Vol. 3. pp. 742-746.

يقرأ مع G 274 No. No.Q.N تاريخ ٢٠/١١/١٩١٨م.

إلى سيادة الجنرال محيي الدين باشا

حاكم وقائد القوات التركية في عسير

صاحب السيادة:

علمنا أنَّ إعلانـاً أو تصريحاً قد أُرسِلَ بالفعلِ من قبلِ القـائدِ الأعلى للبحريةِ في جيزان، حولَ اتفاقيةِ الهدنةِ التي منحتها بريطانيا وحلفاؤها للحكومةِ التركية.

وأرسل لكم الآنَ نسخاً بالنصوصِ الرسمية لاتفاقية الهدنةِ ، كما أرسلُ لكم البرقيـاتِ المفتوحـةَ والشيفراتِ التي تسلمتُهـا من الحكومـةِ التركية لنقلهـا إلى القادةِ الأتراك.

وستلاحظون أنَّ البنـد ١٦ من اتفاقيةِ الهدنةِ يتضمنُ استسـلامَ الثكناتِ التركيةِ في الحجازِ وعسير واليمن، والتي ستعتبر جزءاً من الإدارة المدنيةِ لهذه المحافظات.

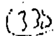
وانسجـامـاً مع ذلك، فإني أطلبُ مـن سيـادتكم الاتصـالَ بأقصى سرعـة ممكنةٍ مع القائد الأعلى للبحرية في جيزان، تبلِّغونـه فيها عن أكثرِ المراكز ملائمةً لاستسلام القـواتِ وغيرِها من المسئـولين الأتراك، وأنْ يتمَّ ذلك تحتَ قيـادتكم مع مـا تـرونه ضروريـاً من تفـاصيل أخـرى. وعندَ اكتمالِ اجـراءات استسـلامِ القـوات التركيةِ سيتم نقلهـا بـالسفنِ البريطانيـة إلى أمـاكن تأمـرُ بها الحكومـةُ البريطانيةُ. وذلك قبلَ إعادةِ إرسالهم إلى بلادهم.

وإنني على ثقةٍ من أنَّ سيادتكم تدركـون ضرورة التصرفَ المبكرَ جداً لتنفيذِ بنودِ إتفاقية الهدنة.

واقبلوا مني خالص تقديري

المرسل: جي، أم ، استيورات

القائد العام للقوات البرية في عدن.

Recd with H.A. ... G ... 26.11.16 

To

His Excellency Major General MOHIUDDIN PASHA
Governor and Commander of the
Turkish Forces in Asir

Your Excellency,

I understand that already intimation has been sent to you by the Senior Naval Officer at GEIZAN of the Armistice which England and her Allies have granted to the Turkish Government.

I now send you copies of the full terms of this Armistice, as well as telegrams in clear and in cipher which have been received by me from the Turkish Government for transmission to Turkish Commanders.

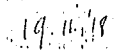
You will see that Clause 16 of the Armistice involves the surrender of the Turkish garrisons in the HEJAZ, ASIR and YEMEN, and is to be taken as including the Civil Administrations of those provinces.

In accordance with this, I would ask Your Excellency to communicate as soon as possible with the Senior Naval Officer at GEIZAN informing him of the most convenient centre at which the surrender of the troops and other Turkish Officials under your command can take place together with other necessary details.

When all arrangements for the surrender of the Turkish Forces are complete they will be conveyed in British ships to such places as may be ordered by the British Government prior to repatriation to their own country.

I am sure Your Excellency will recognise the necessity of very early action to carry out the Terms of the Armistice.

I ask Your Excellency to receive the assurance of my high consideration.



Sd/ J.M. Stewart, Major General,
Commanding Aden Field Force.

EGYPT.

MILITARY.

Decypher from Sir R. Wingate (Cairo) November 29th.

D. 9 p. m.

R. 1.35 a. m. November 30th. 1918.

No. 1783.

------oOo------

Your telegram 1410 November 22nd.

Imam has been urged to expedite evacuation of Turks and reminded that future benefits will depend on his present course, of action. Landing of British detachment at Hodeidah should facilitate communications with him and dispose him to compliance. It must be remembered that during the past few years he has placed increased reliance on (? Turkish) support of his authority over his contumacious tribesmen and is probably in need of funds.

I am sending Colonel Jacob to Aden to discuss with Resident and to try and arrange meeting with Imam.

(30. 11. 4 - 12.)

أوامر وينجت لترتيب لقاء مع الإمام

(M.I.2)

War Office,
Whitehall,
S.W.

9th December 1918.

The Director of Military Intelligence presents his compliments to the Under Secretary of State for Foreign Affairs and with reference to the attached copy of a telegram from the General Officer Commanding, Aden, begs to suggest that there seems reason to suspect an alliance between Imam Yehia and the Arab element in the Turkish Administration of that country.

The Vali, Mahmoud Nadim, is a Syrian of Nationalist proclivities, and many of the staff officers with the Turkish forces are believed to be Nationalist Arabs, their chief being Seyid Taha, who is a brother of Yasin Pasha, now in command at Damascus.

Major General W. Thwaites would suggest that, as the Arab officers in Yemen are cut off from accurate knowledge of Sherif Feisal's movement and may still look on the British as their enemy, the matter might

be

صورة رسالة للضغط على الإمام (ملحق)

be brought to the notice of His Majesty's High Commissioner in Egypt. The latter might then arrange with the General Officer Commanding Egyptian Expeditionary Force to obtain a letter from Yasin Pasha in Damascus to his brother in Yemen, for despatch through the General Officer Commanding at Aden. By this means it is possible that we should be able to bring indirect influence to bear on the Imam and thus obviate any possibility of an attempt by the Imam to occupy Lahej or to oppose the surrender of Turkish garrisons in the hinterland.

Major General Thwaites would, therefore, be glad if Lord Hardinge of Penshurst would inform Sir R. Wingate accordingly should he concur in the above.

No. C - 325

Aden Residency:
20th March 1918.

To His Excellency
The Imam of Sana.

Salutation.

This is to inform Your Excellency that I have received your message sent through the medium of your emissary, Nakib Abdul Wahid bin Ahmed El Khaulani.

Since its receipt it has been my fortune to have an opportunity of discussing the whole situation personally with His Excellency Sir Reginald Wingate, His Majesty's High Commissioner in Egypt. With this letter I am forwarding you a personal letter from Sir Reginald Wingate which I trust will make clear to you our friendly intentions and will be pleasing to you.

As a result of the discussion I am now in a position to make more definite proposals on certain points.

If Your Excellency is prepared definitely to engage to turn the Turks out of Yemen I am to inform you that the British Government is prepared on its part to make the following promises to Your Excellency:-

(1) To ensure Your Excellency's independence in the Yemen as they have already promised the Idriss that they would ensure his

(2) To furnish Your Excellency with the necessary paraphernalia of war against the Turks.

(3) To leave to Your Excellency the disposal of Turkish prisoners of war in accordance with your wishes.

(4) To finance Your Excellency and your tribesmen on the pre-war Turkish scale. The amount for the tribesmen would be paid through Your Excellency and not direct.

(5) To open to trade a non-Idrissi port such as Ghuleifika, or such other place as may be free from interference by the Turks as soon as Your Excellency is committed to a definite course of action against the Turks.

I am to point out that the treaties we already have with different Sultans and Sheikhs must be kept outside all discussion.

With regard to the Idrisi Your Excellency is aware that we have a treaty engagement with him. I am to emphasise the fact that we have every intention of upholding the terms of that treaty and would not countenance any aggressive action against the Idrisi on Your Excellency's part.

صور الرسالة التي بعث بها إستيوارت إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩١٨م

In order that there may be no misunderstanding between us as to the position we take in connection with the Idrisi I will now inform Your Excellency of the terms of our treaty with him. The object of our treaty is two-fold, i.e. war against the Turks and the consolidation of friendship between the British Government and the Idrisi. The conditions of the treaty are that the Idrisi shall conduct warlike operations against the Turks only and that he shall abstain from hostile action against Your Excellency so long as Your Excellency does not join hands with the Turks. In return the British Government have undertaken to safeguard the Idrisi's seaboard from any enemy who may molest him; they have guaranteed his independence in his own domain; and have agreed at the termination of the war, by every diplomatic means possible, to adjudicate between the claims of the Idrisi and Your Excellency or any other rival. It was further emphasised that the British Government had no desire to enlarge its borders on Arabian soil but desired to see the Arabs living peacefully together and in friendship with the British Government. It was further agreed to maintain trade with Idrisi ports as heretofore.

These terms, Your Excellency, formed the basis of our treaty with the Idrisi, and I trust this explanation will satisfy you that while making the treaty we had Your Excellency's welfare in view.

In conclusion I would ask Your Excellency to give the matter early and careful consideration. I trust that the declarations now made will remove from Your Excellency's mind any doubt you may have entertained as to our bona fides. And I hope I may now receive an early and favourable reply to my letter.

Greetings.

(Sd.) J.M. Stewart, Major-General
Political Resident, Aden.

صورة الرسالة التي بعث بها إستيوارت إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩١٨م

[illegible]

صورة عن البلاغ الذي أصدره محمد بن علي الوزير

Copy of Telegram.

From G.O.C. Aden.

To War Office. Repeated C.G.S. India and General Wingate, Cairo.

2200 C/G November 30th. 30.11.18.

Further communication from Said Pasha has reached me.
1. The Corps Commander has categorically forbidden him to take any independent action pending the receipt of an answer to telegram, mentioned in my telegram 2169 C/G dated November 17th. He reiterates the statement that the Imam has forbidden the surrender of a single Turkish soldier and has also reduced Said Pasha's command putting Sheikh Said and other places under his own orders.

2. Said Pasha states that he personally has received a telegram from the Imam urging him to continue the war and promising help in food, money and reinforcements.

3. I have informed Said Pasha that I consider his duty to his country demands independent action on his part and have assured him that such action will be supported by the British Government if necessary.

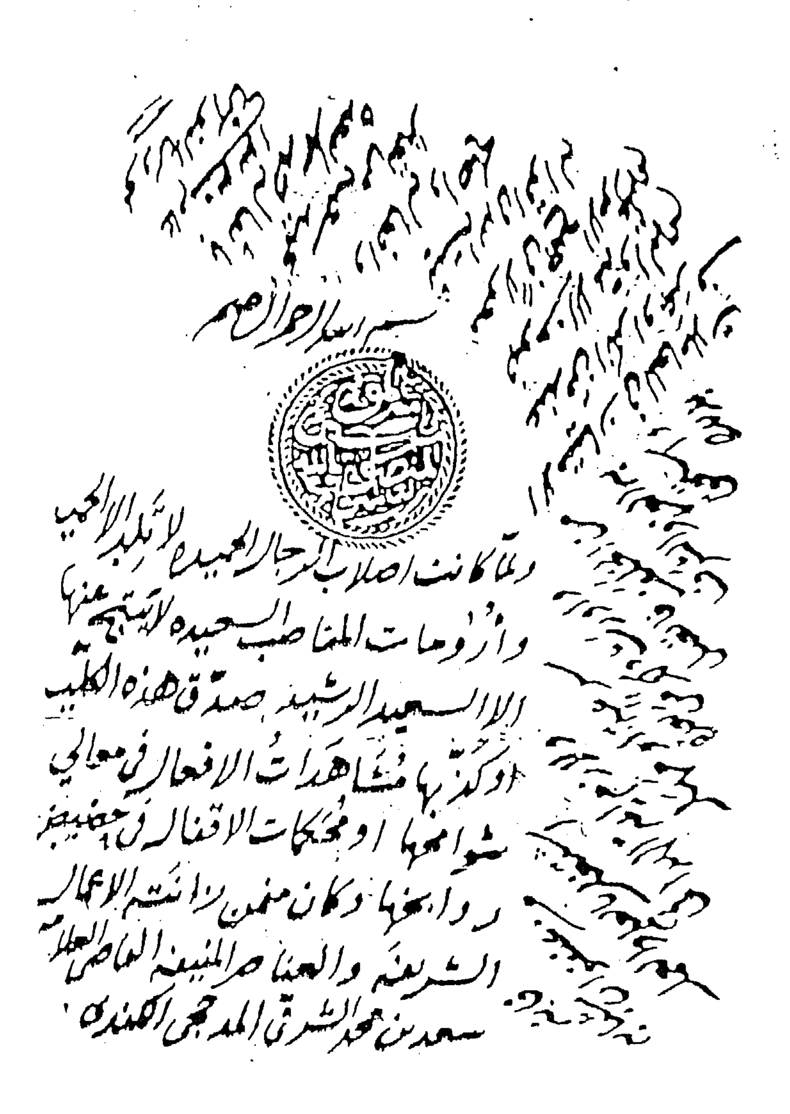
4. I have written again to Imam pointing out that future friendly relations depend on his assisting in evacuation of Turkish garrisons.

5. I have little doubt that the Wali and probably also the Corps Commander are intriguing with the Imam to evade the terms of the armistice. They have issued proclamations denying the truth of the terms published by me.

6. I consider the issue of orders by the Turkish Government to all Turkish detachments to surrender independently of the orders of the Corps Commander, vide my telegram 2196 C/G November 28th would be the best means of bringing them to reason.

صورة البرقية التي تبلغ عن اتصالات سعيد باشا بالبريطانيين في عدن

هذه الوثيقة بخط وختم الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين



بسم الله الرحمن الرحيم

ولما كانت أصلاب الرجال العميدة لا تلد إلا العميد
وأرومات المناصب السعيدة لا تنتج عنها
إلا السعيد الرشيد صدق هذه الكلية
أو كذبها مشاهدات الأفعال في معالي
شؤونها أو محكيات الأقوال في حقيقة
رواتبها وكان ممن رزانته الأعمال
الشريفة والعناصر المنيفة القاضي العلامة
سعد بن محمد الشرقي المدحجي الكندي

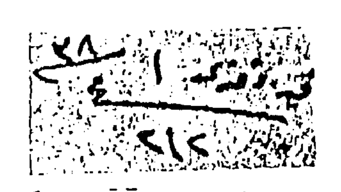
رسالة من الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين إلى العلاّمة سعد بن محمد الشَّرْقي



بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي مولاي عز الدين محمد بن يحيى حفظه الله تعالى
وحيا محياه بشريف السلام وزكي التحية والإكرام
والله يحفظ مولانا الإمام ويوليه من ألطافه الكريم
ويجعل هذا الشهر مرتحلاً بذنوبنا بحق محمد وآله
وإنه وصل كتابكم الكريم المبشر بخروجكم سالمين
التي هي المراد وكما يقال قنع من الغنيمة بالإياب
ولقد أصبتم المرمى ونصلتم أعمال السياسة
العظمى فاللهم ... هذا

رسالة يحيى بن محمد حميد الدين إلى عز الدين محمد بن يحيى أثناء حياة والده



٢٥ — امر عسكري من الامام يحي عام ١٣٤١هـ بترقية النقيب عزيز بن يحي من بلوك صنعاء الى رتبة ملازم ثاني . وقد اهديت نسخة من هذا الامر للمؤلف من قبل حفيد صاحب الترقية

ترقية النقيب عزيز بن يحيى إلى رتبة ملازم ثانٍ

Praise be to God
the compassionate
and merciful.

Dated 9th Shawal 1339.

15th June 1921.

From,

Amir Faisal bin Al Husen.

To,

Imam Yehia bin Hamid-udin,

Imam of Yemen.

A.C.

We are sending this letter to you in order that it may serve as a means for strengthening friendly ties, showing benevolence to kinsfolk and establishing basis for reciprocal benefits, which should be firmly maintained owing to their having been in existence since olden times. We fortunately had an audience with your emissary which was one of the best opportunities we could seize, in order to assure your Exxxlxx; Excellency of the existence of brotherly relationship between your Excellency and His Majesty our father. We are glad to tell you that our father as also his family members are in a comfortable and prosperous condition and that he, as also those attached to him, are enjoying the desired sound state of health.

He is at present engaged in improving the state of his country as also that of his subjects and in making full arrangements for the comfort of the visitors coming for pilgrimage to the holy place of God. The number of the pilgrims who have already arrived upto the date of our departure was nearly 70,000 men. We are full of hope that this number will be doubled and continue to be multiplied. He is expecting the arrival of pilgrims from all parts of Yemen, in order that he may be pleased with seeing them there because he has no object other than to serve the Islam in general and the Arabs in particular. We have no doubt that this is one of the best aims of your Excellency. We became

continued

رسالة الأمير فيصل بن الحسين إلى الإمام يحيى بن محمد حميد الدين (النص الانجليزي)

2.

convinced of this from the letters exchanged between you and him as also from the information gathered from your brother Sharif Nasir (the Sharif's Envoy who went to the Imam sometime ago) who had ~~said~~ had the honour of seeing Your Excellency. We have been and continue to be very much eager to have the honour of personally seeing you. We therefore pray the ~~Almigh~~ Almighty God will decree our seeing each other either sooner or later.

Had not our father selected us to go and establish an Arab Government in Mesopotamia, we would have done our utmost to attain the object of seeing your Excellency, but the important affair with which he entrusted us and which your Excellency will agree as to its importance, was the only cause which prevented us from doing so. We are now proceeding to that province in order to perform the duty incumbent upon us to establish an independent Arab Government with the object of serving our country people. We pray God to grant us full assistance and bring our attempt to a successful conclusion.

We feel inclined to add in this letter a few words for remembrance sake, even though you are not in need of them but the Creator may He be glorified said "Remind them for surely the reminder profits believers."

Please note, oh brother - may God protect you, that whatever the consequences of the general war were, the Arab country has become independent in itself and far from the hand (Government) which was reigning it, as a result of which all responsibilities whether material or otherwise, became a burden on the shoulders of its country people. If they manage it well, it is for their own good but if they act otherwise they will have to suffer. Being conversant with the important position you hold and the influence you possess in the Arab country in which you live - may God protect it and your goodself - where your words meet no disregard, we shall be happy to see it in a powerful and respected state under your reign and authority, free from every influence,

enjoy

3.

enjoy freedom and independence and is in an excellent friendly relation with the surrounding Arab tracts (apparently the Idrisi and others) as also with those other nations (the British) with whom you are in contact, thus keeping the doors of your country open for trade and other intercourse.

We cannot but express our pleasure on having heard from your emissary of your peaceful and friendly disposition as also of your wish to find a way for a better understanding with the British Government. Your Excellency is not unaware of the great benefits which would be derived therefrom for all the Arabs. It was our intention to say something about the present political situation, but the time is so narrow that we could not do so. We, however, deem it sufficient to tell you that after the expulsion of the Turks, from our Arab countries, their own (Arab) Governments have been able to establish themselves thereon and we are now going for the purpose of establishing a Government in Mesopotamia.

As regards the Ottomans, we would say nothing against them other than that they belong to "people who have passed away". "They shall have what they have earned and you shall have what you earn". (Koranic verses). They are now in their homes, doing their utmost to improve the condition of the remaining portion of their country. They have no power to look after those outside their own. We therefore hope that the Arabs will now look to their own interests, devote their energy to improve their affairs, see to the progress of their country and unite together as well. They should also do their best to maintain friendly relationship with one another as also with the neighbouring nations (apparently the British Government).

Here we are glad to inform you that His Majesty our father, has made up his mind to send a deputation to your Excellency to express his sympathetic feeling, with the hope of finding a way for settling the existing differences between you and the Idrisi Sayed. There is no doubt that these (Incumbrances) will disappear [illegible]

sincere dealing with one another owing to their being the outcome of some misunderstanding.

In conclusion we pray the Great Almighty God may He be exalted to protect and support you as also make you an asylum for the Islamic and Arab Nations to resort to.

We are ready to act upon your hint in every time. May God cause us to do things conducive to general good and guide both of us to the proper path for He is the one who hears the prayer.

Dated 9th Shawal 1339,

9th June 1921.

From,

Amir Faisal bin Al Husain.

To,

Mahmud Nadim Bey.

A.C.

We are sending you this letter after our arrival in Aden on our way to Mesopotamia. We have by good luck found Kadi Abdulla Al Arashi - the emissary of our brother His Excellency the Imam - may God protect and help him in matters of general welfare to the public - as the best medium through whom we could despatch this letter.

On seeing your letter with Ameen Efendi - Superintendent of the honourable Haram (Holy Place) at the time of your departure from Sanaa to Tehama, we became certain of your being in a prosperous condition. Being aware of your keen desire to see to the general interests, we inform you that we are going to Mesopotamia as His Majesty our father selected us for that part on account of the insistence of the Mesopotamians to establish an Arab Government and to take charge of the rulership there because our brother Abdulla has already taken charge of the Syrian affairs. We pray God to grant us success to do things conducive to good.

We offer our special thanks to you for your wish to strengthen friendly relations between His Excellency the Imam Imam and His Majesty our father - may God preserve both of them. We are likewise cherishing a hope for the restoration of good relations between him and all other Nations to enable him to maintain his position.

We have noticed an inclination on the part of the British to conclude an honourable compact which would preserve preserve for both sides their reciprocal interests and establish basis for peace in these parts. We

We

رسالة الأمير فيصل إلى محمود نديم (النص الانجليزي)

2.

We have confidence that by devoting your capabilities and far reaching sight in the matter, there is a hope of attaining this object which will have brilliant and successful consequences. You are not unaware that there is no other alternative for the Arabs but to rely on the illustrious and Exalted God, depend on themselves and look to their own ixxxx interests. What a praise would it be were we fortunate enough to have an audiance with you but sorry this is not possible now. At any rate, we hope we will attain this aim shortly. What a praise would it have been, had Syria, Mesopotamia and the remaining Arab provinces been profitted by your excellent ideas. We say this because we maintain a brotherly personal feeling towards you. We expect a reply from you to this latter conceying to us the good tidings of the conclusion of the desired mutual understanding between the British Government and our brother the Imam. We say so simply because we want to see him strengthening his position which we consider a duty incumbant on us to do for him and the Arab nation.

We shall be pleased if you will come to us to have discussion with you on matters pleasing to you. We have written a letter containing full particulars to His Excellency the Imam, believing that he will shew it to you.

Please convey our compliments to those whom you consider dear to you. We hope that you will always look upon us as your affectionate friend. May you live in peace.

From Resident, Aden, 20th July 1917.
(Repeated to Foreign, Simla, and High Commissioner, Cairo.)
(Received at India Office 11 p.m.)

409 A.P. An envoy has arrived from Imam. He is a Sheikh of Beni Siham section of Khaulan-et-Tawal tribe.

Imam is prepared to make an agreement with us on three main conditions :—

(1) That Imam must have all Yemen from Heli Point south, excluding Aden only, but including Asir and Hadramut, all seaports in Yemen which used to belong to his predecessors are to be handed over to him.
(2) That Idrisi must be removed from Arabia.
(3) That Government have no communication with people of Yemen except through or with knowledge of Imam.

Envoy claims that Imam can call up whole of the Yemen at once, including Hashid and Bakil, that really all tribes are ~~(group omitted)~~ contented and sound with Imam.

There are some minor conditions such as the disposal of Turkish prisoners to rest with Imam. Government to give Imam adequate financial assistance and provide arms and ammunition quick-firing guns at once and some personnel. The Abdalla Sultan thinks Imam is now trying to serve his own interests and to test how far we will go, that action on part of Imam is doubtful, and on the whole it would be better (support of) confederacy, but advises that Imam is a more powerful factor than confederacy and so might be given a final chance to accept our terms.

In my opinion the Imam's terms are preposterous and present no basis on which we can work. I think that they are prompted by knowledge that confederacy had approached us, that he realises that his hold on Yemen generally is failing and wishes to delay all action on our part. I suggest reply to be sent to the effect that he has been already informed of terms on which his co-operation is desired, that all territorial questions must await end of war, that Idrisi is an ally of ours and his proposals as conveyed by his envoy offer (group illeg.) for agreement. Meanwhile, we shall probably hear of confederacy and of result of all disturbances now undoubtedly taking place in Yemen. Our inaction here has probably induced Imam to take an inordinate view of his own value of which it might be as well to disabuse him in our reply.

رسالة المقيم السياسي إلى المندوب السامي في ٢٠ يوليو ١٩١٧م

50/285)

ADEN RESIDENCY,

No. C-710. 24th October, 1917.

From: Major-General J.M. Stewart, C.B.,
Political Resident, ADEN.

To: Imam Yehya of Sana'a.

A.C.

Your Excellency's letter dated 8th Ramadan (18th June 1917) duly reached me by the hand of your Emissary Nakib Abdul Wahid bin Ahmed al Khulain. We have noted all he had to say and after referring matters to the Great Government are now instructed to give you the following reply:-

Government welcomes Your Excellency's present approach to us as evidence of sincere friendship on Your Excellency's part and would gladly enter into an agreement with you.

For Your Excellency's information I would point out the general lines on which we work. We and you both look on the Turks as our enemies and enemies of Arab independence We are prepared to give every assistance to Arabs who are fighting against the Turks for their freedom and independence. By giving such assistance however we do not mean to depart in the least point from our traditional policy of non-interference in internal or religious matters. We have no desire to take sides in the case of Arab disputes. But we deprecate, at a time like the present when all Arabs should continue against the Turk who is the common enemy of their race and independence, any proposals, whencesoever emanating, which tend to dissension. In our agreements with the Arab Chiefs we make no understandings to support any one Arab faction against any other.

رسالة استيوارت إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩١٧م

The other points mentioned by Your Excellency are not such as can be discussed now.

We assume from the friendly manner in which you have approached us that Your Excellency is ready at once to declare against the Turks. Your Excellency has pointed out in former letters that your endeavours have for years been directed to ousting the Turks from Yemen. May I suggest that at no time in Your Excellency's rule have circumstances been more favourable for bringing about that event. An opportunity lost is an opportunity gone.

In conclusion may I once again assure Your Excellency that our aims are entirely based on the desire to see an independent Arabia governed by Arabs.

We are sending this letter through Your Excellency and we sincerely trust that you will allow no consideration to delay you in sending us a favourable reply. Time and tide wait for no man. We expect to receive an answer from you that you will at once openly join the cause against the Turks and we can promise you that on receipt of that assurance all help will be supplied in as far as possible.

May Your Excellency be preserved.

(Signed) J. H. STEWART,
Major-General,
Political Resident,
Aden.

No. C - 325

Aden Residency:
20th March 1918.

To His Excellency
The Imam of Sana.

Salutation.

This is to inform Your Excellency that I have received your message sent through the medium of your emissary, Nakib Abdul Wahid bin Ahmed El Khaulani.

Since its receipt it has been my fortune to have an opportunity of discussing the whole situation personally with His Excellency Sir Reginald Wingate, His Majesty's High Commissioner in Egypt. With this letter I am forwarding you a personal letter from Sir Reginald Wingate which I trust will make clear to you our friendly intentions and will be pleasing to you.

As a result of the discussion I am now in a position to make more definite proposals on certain points.

If Your Excellency is prepared definitely to engage to turn the Turks out of Yemen I am to inform you that the British Government is prepared on its part to make the following promises to Your Excellency:-

(1) To ensure Your Excellency's independence in the Yemen as they have already promised the Idriss that they would ensure his

(2) To furnish Your Excellency with the necessary paraphernalia of war against the Turks.

(3) To leave to Your Excellency the disposal of Turkish prisoners of war in accordance with your wishes.

(4) To finance Your Excellency and your tribesmen on the pre-war Turkish scale. The amount for the tribesmen would be paid through Your Excellency and not direct.

(5) To open to trade a non-Idrissi port such as Ghuleifika, or such other place as may be free from interference by the Turks as soon as Your Excellency is committed to a definite course of action against the Turks.

I am to point out that the treaties we already have with different Sultans and Sheikhs must be kept outside all discussion.

With regard to the Idrisi Your Excellency is aware that we have a treaty engagement with him. I am to emphasise the fact that we have every intention of upholding the terms of that treaty and would not countenance any aggressive action against the Idrisi on Your Excellency's part.

/ /

رسالة إلى الإمام يحيى بتاريخ ٢٠ مارس ١٩١٨ من القائد السياسي إستيوارت

In order that there may be no misunderstanding between us as to the position we take in connection with the Idrisi I will now inform Your Excellency of the terms of our treaty with him. The object of our treaty is two-fold, i.e. war against the Turks and the consolidation of friendship between the British Government and the Idrisi. The conditions of the treaty are that the Idrisi shall conduct warlike operations against the Turks only and that he shall abstain from hostile action against Your Excellency so long as Your Excellency does not join hands with the Turks. In return the British Government have undertaken to safeguard the Idrisi's seaboard from any enemy who may molest him; they have guaranteed his independence in his own domain; and have agreed at the termination of the war, by every diplomatic means possible, to adjudicate between the claims of the Idrisi and Your Excellency or any other rival. It was further emphasised that the British Government had no desire to enlarge its borders on Arabian soil but desired to see the Arabs living peacefully together and in friendship with the British Government. It was further agreed to maintain trade with Idrisi ports as heretofore.

These terms, Your Excellency, formed the basis of our treaty with the Idrisi, and I trust this explanation will satisfy you that while making the treaty we had Your Excellency's welfare in view.

In conclusion I would ask Your Excellency to give the matter early and careful consideration. I trust that the declarations now made will remove from Your Excellency's mind any doubt you may have entertained as to our bona fides. And I hope I may now receive an early and favourable reply to my letter.

Greetings.

(Sd.) J.M. Stewart, Major-General
Political Resident, Aden.

وقد يوضح تقليبهم المسئولين بعيد وفاة والدهم فانه ذهب إلى الوالي السيف أحمد بن يحيى
عامر المعروف شاهد بعيد الكثير أن الإمام يحيى اتخذوا مفاتيح مخازن بيت المال من
المسئولين عنها وأرسلوها إليه مع مفتاح مخزن النقود وطلب منهم أن يختاروا
خليفة لوالده بعد أن أولوا السلام بينهم والمناقشة فيما ولم الوصول إلى
ما يجمع عليه رأيهم خليفة للمنصور رحمه الله يا عنبا بأن المسئولين رضيت منهم.
فاجمعوا على تحميل المسئولية ولده بعد ما قضت افتراض أن يكون
أي خلاف من أخوته فاجمعوا على ترجيح محمد ارجعوا إليه تلك المفاتيح وأرجعها
إليهم من نصيب أو ثروات ثم تبلها.

صورة رواية العلامة أحمد بن يحيى عامر كما نقلها بخطه
سيف الإسلام الحسن بن الإمام يحيى

بسم الله الرحمن الرحيم

الولد العلامة سيف الاسلام الحسين بن امير المؤمنين حفظه الله وقرن جميع مساعيه بالنجاح والتوفيق والظفر الحقيق
وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدورها اليكم والأمل ان تصل اليكم وانتم امام عدن او فيها اذا حصل السماح
لركاب الباخرة ان ينزلوا الى عدن وقد كتبنا الى والي عدن لهذا الاحتمال ان يقدم اليكم هذا الظروف الذي اودع
فيه هذا الكتاب وغيره من الكتب حسبما ترونها وانا نرجو [illegible] من سفركم الى اليابان بالصحة والعافية والسلامة
وحضور حفلة افتتاح الجامع هنالك لكم خيرا كثيرا واجرا وفيرا والذي فهمناه من كلمات محسن بك التركي مندوب
الجمعية الاسلامية بطوكيو الواصل الينا ان للامبراطور وحكومته ميلا الى اشادة معالم هذا الافتتاح وتكبير شأنه ولا يبعد
ان يكون ذلك لغرض التعرف الى الشرقيين فمن الغريب ان تكون الامبراطورية الشرقية مفهومة في الغرب
اكثر منها في الشرق وسيتيسر لكم بمعونة الله مقابلة الامبراطور ورجال حكومته واستقبالكم بما انتم له اهل من الاعزاز
والاحترام والتبجيل وانا نؤمل ان تكون هذه الزيارة فاتحة للمناسبات وتنظيم العلاقات الودية والتجارية بين
مملكتنا وبين الامبراطورية العظيمة الشرقية ويكون ارسال مندوبها الينا لاجراء ذلك ونكل من الكمال ما يفي بتحقيق الامنية
واغتنام كل ما ترونه فرصة سانحة جديرة بان لا تترك فتسدى وفي هذا الاجمال ما يكفي عن غيره ويمكن تقديم
كتاب الامبراطور عند مقابلته مع عرض تعظيماتنا الصميمة لعظمته وكتاب رئيس الجمعية الاسلامية مع جوابنا على كتاب دعوته صار ايداعه
اليكم لان مندوب الجمعية ذهب الى الحجاز فسلموه اليه ولا تقصروا في تتبع فهم الاحوال ومجاريها هنالك لتنبئوا الينا منها عند
التلاقي ان شاء الله بكل نافع مفيد هذا وانا كنا استحصلنا شيكا بالف وخمسمائة وخمسين جنيها استرلينيا باسمكم لترسله
اليكم الى الشام عند وصولكم اليها فحيث هذا السفر واقتضى الحال ارسال الشيك اليكم طي هذا ليكون معكم عند وصولكم الى دمشق
تسليم الف وثلاثمائة جنيه الى جمعية اعانة منكوبي فلسطين جهارا ومائتين وخمسين جنيها الى جمعية اعانة منكوبي [illegible]
دمشق جهارا وقد اجبنا على مفتي فلسطين نزيل لبنان بمعنى هذا وانما اخرنا ارسال ذلك بواسطتكم [illegible] الوسائط الى
[illegible] الاشتباه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته حرر في ٩ صفر ١٣٥٧

رسالة من الامام يحيى إلى ولده سيف الإسلام الحسين وهو في طريقه إلى اليابان لحضور حفل افتتاح الجامع الكبير هناك، ودعوة الامام يحيى لإقامة علاقات اقتصادية مع اليابان

نص هدنة موندروس

هدنة وقعت في ٣٠ الكتوبر ١٩١٨م بين الأتراك ودول الحلفاء، اشتملت على الأمور التالية:

- انسحاب القوات التركية إلى حدود ١٩١٤م.

- دخلت هذه الهدنة حيز التنفيذ في ٣١ اكتوبر، ويمكن تعليق ذلك من قبل الحلفاء في أيّ لحظة حتى يتمكنوا من اجراء الرقابة والتفتيش(١)

ويخلص بنودها بما يلي:

١- المحافظة على حقوق الأسرة العثمانية.

٢- تحديد شكل الإدارة في بعض الولايات.

٣- وقف القتال من يوم دخول المعاهدة وعدم الإعتداء.

٤- تأمين الهدوء، خارج المياه أو داخلها بحراً وبراً، وعدم وضع أي قوات عسكرية على أي من هذه النقاط.

٥- المحافظة على الحدود والأمن داخلها، والحلفاء هم الذين يحددون القوة العسكرية.

٦- إعادة جميع السفن التي استولت على القوات العثمانية.

٧- يترك للحلفاء السيطرة على النقاط الاستراتيجية.

٨- استفادة سفن الحلفاء من جميع الموانئ العثمانية دون استثناء.

٩- تسهيل استانبول الطريق أمام القواعد العسكرية للحلفاء دون الموانئ العثمانية.

١٠- احتلال طوروس من قبل الحلفاء.

١١- عودة القوات العثمانية إلى حدود ما قبل الحرب في شمال إيران وقفقاسيا.

١٢- إدارة الاتصالات البرقية من قبل الحلفاء.

١٣- اتلاف المواد التجارية والعسكرية والبحرية المدمرة.

٢٤- تسهيل الحصول على الفحم والمحروقات العثمانية.

(١) م. لارشرر: بويوك حرب وتورك حربي، ترجمة محمد نهاد، نشر الأركان العامة العثمانية، استانبول، ١٩٢٧.

١٥- مراقبة الحدود من قبل الحلفاء سواء في قفقاسيا أو جميع حدود الدولة العثمانية.

١٦- تسليم جميع القوات العسكرية الموجودة في الحجاز واليمن وسوريا وكيليكا والعراق في أقرب وقت ممكن، إما للحلفاء أو للمثلين العرب.

١٧- تسليم القوات العثمانية في طرابلس وبنغازي لإيطاليا.

١٨- تسليم الموانئ في طرابلس وبنغازي ومصراته إلى الحلفاء.

١٩- تسليم القوات الألمانية والنمساوية البرية والبحرية إلى الحلفاء.

٢٠- إطاعة القوات العثمانية وتجهيزاتها أوامر الحلفاء.

٢١- مراقبة الحلفاء للارزاق واللوازم.

٢٢- المحافظة على الأسرى من قبل الحلفاء.

٢٣- قطع الحكومة العثمانية أية علاقة لها بمراكز الولايات.

٢٤- أ- احتلال الحلفاء لولاية الأرمن وإدارتها.

ب- السيطرة على سيس، هجين، زيتون، عينتاب، إضافة إلى المواد السابعة والعاشرة والخامسة عشرة.

٢٥- انتهاءُ حالةِ الحربِ بين الدولة العثمانية والحلفاء اعتباراً من وسط يوم الأثنين، ٣١ تشرين أول من عام ١٩١٨م.

وقد وقع المعاهدة عن الأتراك

حسين رؤوف

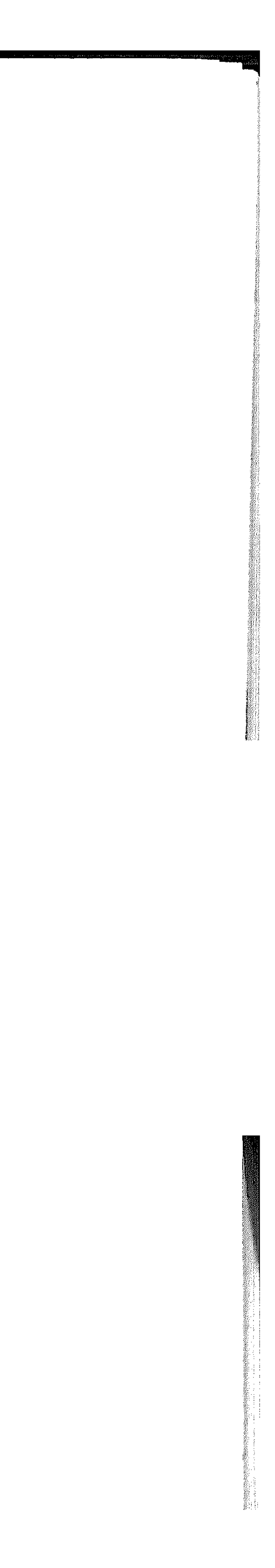
رشاد حكمت

سعد الله

عن الحلفاء

Arther Galthorpe

(١) انظر، Bayer, Turk in kilabi tarihi, Ankara, 1983, Vol. 3. pp. 742-746.



فهرس المحتويات

[illegible] Alexan-
[illegible])
[illegible]

